شؤون فلسطينية

٩

ايار (مايو) ٩٧٢

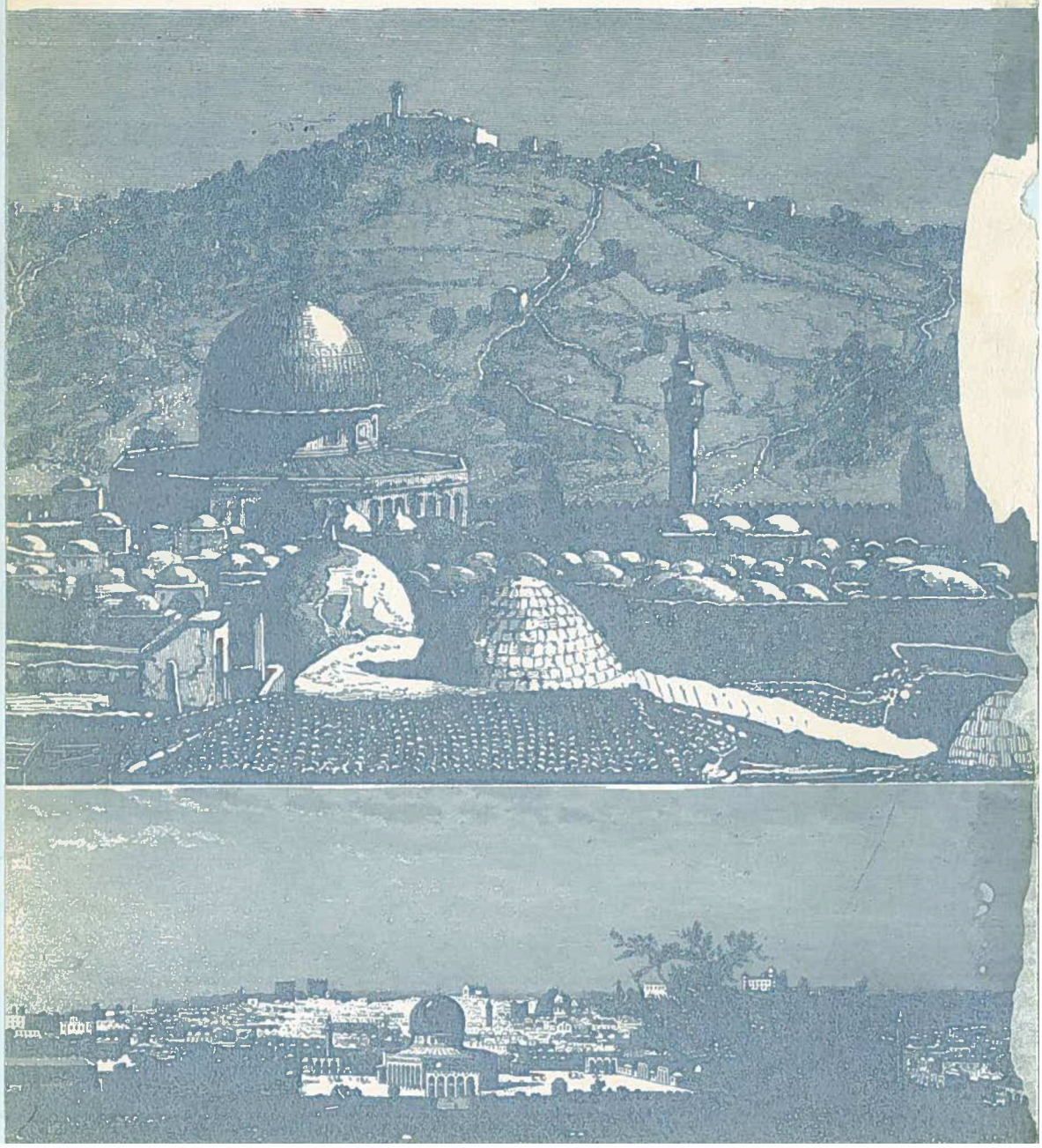

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٩ — ايار (مايو) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير الادارة :** جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

بمعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورتا الغلاف : الاولى جبل الزيتون من القدس والثانية القدس من جبل الزيتون ــ القرن التاسع عشر .

المحتويات

٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ **الابعاد الاميركية ــ الاسرائيلية لمشروع الملك حسين وكيفية احباطه** ، الدكتور كلوفيس مقصود [الكاتب التقدمي العربي ، مستشار جريدة الاهرام] .

٢٠ **الاضرابات في اسرائيل** ، هاني عبدالله [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٣٨ **نحو جبهة تحرير وطنية فلسطينية ــ أردنية** ، أ. م.

٤٤ **العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل** ، اسعد عبدالرحمن [دارس للدكتوراه في كنده] .

٧٠ **معركة العرقوب عسكريا** ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] .

٧٨ **شهداء الثورة الفلسطينية** ، باسم سرحان [من باحثي مركز التخطيط في م. ت. ف.] .

٨٥ **لقاء مع مكسيم رودنسن** ، داود تلحمي [باحث فلسطيني في فرنسه] .

٩٥ **الصحافة الاجنبية وقضية فلسطين** ، جويس قاضي [باحثة سابقة في مركز الابحاث] .

١١٥ **الادب الاسرائيلي لجيل حرب ١٩٤٨ بين الالتزام الصهيوني والبحث عن الذات** ، رشاد الشامي [دارس متخصص في الادب العبري] .

١٢٨ **افتتاحيات الصحف العربية وحرب فلسطين** ، الدكتور وليم حداد [دارس التاريخ العربي الحديث في جامعة اوهايو الاميركية] .

١٥٢ **مراجعات** : الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية ، صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . اسرائيل : انتصار بدون فائدة ، ج. هـ. جنسن [الكاتب الهندي] . مؤثرات ثقافة الشباب : دراسة لمنظمات الشبيبة في اسرائيل ، نبيل بدران [باحث في قسم الشعب الفلسطيني في م. أ.] . تاريخ اسرائيل بالاصوات والاغنيات ، ماجد نعمة [دارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] . أحبك او لا أحبك ، فوزي كريم [شاعر وناقد عراقي] . الطلاب في اسرائيل ، مصطفى كركوتي [كاتب عربي سوري] .

١٦٨ **تقارير** : الولايات المتحدة : لماذا تستفيد المصالح الاميركية من استمرار اغلاق القناة ؟ طالب يونس [دارس للدكتوراه في بريطانيه] . الامم المتحدة : اصدقاء العرب والفلسطينيين : مسح لعمليات التصويت في الامم المتحدة ١٩٦٧ — ١٩٧١ ، ج. هـ. جنسن . فنلندا : هيلما جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني ، نمر سرحان [الباحث في الفولكلور الفلسطيني]. الدانمرك : دراسة في تجربة اعلامية ، غسان كنفاني [رئيس تحرير صحيفة الهدف] . بريطانيه : صندوق الاستكشافات الفلسطينية ، محمود وادي المراش [دارس للدكتوراه في بريطانيه] . الارض المحتلة : عرض وتحليل للميزانية الاسرائيلية الجديدة ، الدكتور يوسف شبل [المستشار الاقتصادي لمركز الابحاث ، والاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت] . تقرير خاص : المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة ، الدكتور نبيل شعث [مدير عام مركز التخطيط في م. ت. ف.] .

٢١٦ **رسائل** : رسالة من واشنطن : حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق . رسالة من لندن : زيارة بيغن صورة من التناقضات الاسرائيلية ، خالد القشطيني [باحث عربي في لندن] . رسالة من أمستردام : خواطر اعلامية ، عقيل هاشم [مدير القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . رسالة من لايبزيغ : ماذا قدمت السينما العربية للقضية الفلسطينية ؟ قاسم حول [مخرج سينمائي فلسطيني] . رسالة من بيروت : اقتراح باعادة طبع كتاب ، ثريا انطونيوس [كاتبة واعلامية فلسطينية] . رسالة من ايطاليا : حول المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . رسالة من دمشق : مهرجان دمشق الاول لسينما الشباب ، هاني حوراني [فنان وناقد أردني] .

٢٣٦ **شهريات : مشروع الملك حسين** : (١) مقدمة ، ناجي علوش . (٢) الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ ، عبدالله الصفدي . (٣) المقاومة الفلسطينية والرد على مشروع الملك حسين ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . (٤) ردود الفعل العربية ، ناجي علوش . (٥) مشروع الملك حسين دوليا ، صادق جلال العظم .(٦) رد الفعل الاسرائيلي لمشروع الملك حسين ، احمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . (٧) رد فعل المناطق المحتلة لمشروع الملك حسين ، عبدالحفيظ محارب [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تبدأ « شؤون فلسطينية » في عددها التاسع هذا تقليدا جديدا ، بان ترفق بالعدد ، لمن شاء ، ملحقا شبه مستقل في موضوع معين . ذلك ان ازدحام المعالجات في العدد الواحد ، وضرورة التقيد بحد معقول من الصفحات ، فرض علينا ان نسعى نحو حل يوفق بين هذين المؤثرين المتناقضين . وقد وجدنا المخرج في فكرة الملحق لبعض الاعداد . فان الملحق يتيح للمواد الطويلة ، والتي مضى عليها وقت وهي بانتظار مجال النشر ، ان تعثر على سبيلها الى القارىء ، دون ان يضطرنا ذلك الى كسر الاعتبارات الفنية والادارية والطباعية والمالية التي تفرض على المجلة الانحباس ضمن حجمها الحالي. وحتى لا يكون الملحق عبئا ماليا ضخما سوف نجعل للملحق سعرا معقولا ليغطي بعض نفقات طباعته .

ونحن نأمل ان تجد فكرة الملحق تجاوبا مع القراء ، واذا حصل ذلك وطلب مشتركو « شؤون فلسطينية » وقراؤها الملحق فاننا سنمضي بهذه التجربة في اعداد مقبلة . هذا وسوف يكون الملحق متوافرا مع باعة المجلة . وبالامكان ايضا طلبه من ادارة شؤون فلسطينية (قسم التوزيع) . ويضاف الى الثمن (وهو ليرة لبنانية واحدة او ما يعادلها) اجرة البريد ، العادي او الجوي ، حسب طلب المشتري .

وملحق العدد التاسع ، الحالي ، خاص بموضوع مخطط المنظمات الفدائية الفلسطينية في مواجهة احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وكان الاخ بلال الحسن قد كتب دراسة في الموضوع في الصيف الماضي . وفي الخريف لبى الاخوان منير شفيق وعدنان بدر (من فتح والجبهة الشعبية ، على التوالي) طلب « شؤون فلسطينية » وردا على الدراسة . ومنذ شهرين جاءنا رد ثالث من عادل امين (من الجبهة الديمقراطية) و « شؤون فلسطينية » ، بطبيعة الحال ، لا تلزم نفسها باي من الافكار والاحكام الواردة في هذه المقالات ، وهي انما تنشرها لتتيح المجال امام المفكرين والمثقفين الفلسطينيين ، والعرب عموما ، ليتناقشوا على صفحاتها في الامور المثيرة للنقاش بهدوء وبرحابة صدر .

● ورد خطأ مطبعي غير مقصود في عنوان مقال الدكتور منذر عنبتاوي في العدد الماضي، الثامن ، من شؤون فلسطينية . اذ يجب ان يقرأ العنوان هكذا :

بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية :

اسرائيل ودبلوماسية « البنج بونج » .

وشؤون فلسطينية تعتذر عن خطأها المطبعي من صاحب المقال ومن القراء .

الابعاد الاميركية ـ الاسرائيلية لمشروع الملك حسين وكيفية احباطه

الدكتور كلوفيس مقصود

ليس مشروع الملك حسين الا الحلقة الاخيرة ، في هذه المرحلة ، من المخطط الاميركي ـ الاسرائيلي لقفل القضية الفلسطينية . وبالتالي فان العمل لاحباط هذا المشروع لا بد وان يتوجه الى السبل الكفيلة بابقاء القضية الفلسطينية مفتوحة . وسنحاول في هذه المقالة تحليل ما تقدم .

نستطيع ان نؤكد ، استنادا الى عدة وثائق تمكنا من الاطلاع عليها ، بأن مشروع الملك حسين الذي يشكل نقطة تحول في مسيرة القضية الفلسطينية قد أعد في مركز الابحاث والدراسات التابع لمجلس الامن القومي في البيت الابيض . وضعت هذه الوثائق الاميركية مجموعة من البدائل والاحتمالات التي يرى المسؤولون الاميركيون انها تخدم الاطار العام لالتزام الولايات المتحدة لا بامن اسرائيل وبكيانها فحسب ، بل وبخدمة اهداف اسرائيل في المنطقة ، وهي الاهداف التي تتجاوز اطار الكيان الحالي للدولة الصهيونية . فالصهيونية لا تسعى الى ايجاد دولة يهودية فقط ، انما تسعى لايجاد دولة يهودية تضم يهود العالم على ان يتحقق هذا الهدف على مراحل . وهكذا فان محور السياسة الاميركية تجاه اسرائيل يقوم على تمكين اسرائيل من القدرة على التحرك المستمر باتجاه تنفيذ وانجاز هذا المخطط الصهيوني شريطة ان لا ينطوي هذا التحرك على استفزاز او استعداء معادلات دولية قائمة . وبالتالي فان ما يبدو ، بين حين وآخر ، على انه تناقض بين السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والسياسة الاسرائيلية ، هو في الحقيقة ليس تباينا في الاساس او في الجوهر ، وانما هو تباين مقصود في الشكل يهدف الى تمكين الولايات المتحدة من اتخاذ مواقف مرنة حيث لا يمكن لاسرائيل ان تكون مرنة بالنظر الى فقدان الاتصال بينها وبين العرب بينما هذا الاتصال قائم ، بنسب متفاوتة ، بين الولايات المتحدة والانظمة العربية .

ان ما يدفع الولايات المتحدة الى توظيف قدراتها لخدمة اهداف اسرائيل الحالية والبعيدة المدى ، هو ادراكها بان ذلك يؤمن للولايات المتحدة ثقلا استراتيجيا حيث ان الهدف الاستراتيجي الاميركي في منطقة الشرق الاوسط يقوم على ايجاد محور استقرار في المنطقة يتمثل في الدور الذي تقوم به كل من اسرائيل وايران . وبالتالي فان الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ترمي الى تقوية هذه المعادلة الايرانية ـ الاسرائيلية مع احاطتها بأكبر قدر من الغموض لان وضوحها بشكل سافر يلغي اي بعد عربي لهذا المحور مما يسهل على القوى التحررية والثورية خاصة في شبه الجزيرة العربية امكانية الانقضاض على الانظمة القائمة . وقد خصصنا منطقة الجزيرة بالنظر الى تواجد المصالح الاستثمارية الاميركية البترولية الكثيفة فيها مما يجعلها احدى

الاهتمامات الاميركية البارزة ويدخلها في المحور الثنائي دون ان تكون شكلا قائما فيه بحجة ان هذا المحور يهدف الى خدمة المصالح القائمة جميعا بالاضافة الى خدمة اسرائيل والمحور الايراني ــ الاسرائيلي . وحتى تتمكن الولايات المتحدة من تثبيت ركائز هذا المحور الايراني ــ الاسرائيلي الذي يخدم المصالح الاميركية الاستثمارية الاقتصادية ، فانها تسعى الى عزل مصر ، باعتبارها مركز الثقل العربي ، عن ارادة التفاعل العربي العام . وهذا يؤدي الى افراغ الوجود العربي من اداته الضاربة الجدية .

على ضوء هذه الاهداف الاستراتيجية للمخطط الامبريالي الاميركي في المنطقة ، كان لا بد لاجهزة الابحاث والدراسات في مجلس الامن القومي الاميركي من التوجه لمعالجة المشكلة التي تستقطب على اهتمامات العرب والتزاماتهم ، اي المشكلة الفلسطينية . وكان من اول اهداف هذه الدراسات تحويل قضية التحرير الفلسطينية من كونها قضية تستحوذ على هموم العرب الاساسية وعلى حركيتهم التاريخية والموضوعية والثورية ، انى جعلها مجرد مشكلة عالقة ، اي تقليص قضية فلسطين من كونها قضية الى مجرد مشكلة . ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، قامت اجهزة البحوث الاميركية المشار اليها بتجاوز وزارة الخارجية الاميركية لاعتقادها بان وزارة الخارجية باتت متاثرة الى حد كبير بمستوى ومصير العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة ومختلف دول المنطقة وبالتالي فانها اصبحت عاجزة عن استيعاب المعادلات الاستراتيجية المستجدة في العالم فتحولت من كونها مخططة للسياسة العامة الى مجرد اداة منفذة لبعض معالم هذه السياسة . وحتى يتمكن مجلس الامن القومي التابع لرئاسة الجمهورية من وضع صيغة للاستراتيجية الاميركية في العالم وفي الشرق الاوسط بالذات ، لجأ الى تكليف عدد من اساتذة الجامعات الاميركية والباحثين باعداد دراسات مستفيضة والقيام باتصالات مكثفة مع العاملين والمهتمين بالشؤون العربية والاسرائيلية وخاصة مع بعض الشخصيات الفلسطينية . وهكذا تدفقت بعثات التقصي عن الحقائق والتي تظاهرت بانها ذات مهمات اكاديمية بحتة كبعثة البروفسور فيشر من هارفارد وجدعون جوتلوب من كولومبيا وغيرهم ... ولكن ما ان كان هؤلاء يعودون الى بلادهم حتى ينتهجوا اسلوبا جديدا في معالجة المعلومات التي تمكنوا من جمعها والانطباعات التي تكونت لديهم عبر الاتصالات التي اجروها . وكانوا بعد ذلك يعمدون الى تقديم المعلومات الى مجلس الامن القومي والى هنري كيسنغر بالذات الذي تربطه بالعديد من هؤلاء الاساتذة علاقات الزمالة السابقة . وعلى ضوء توجيهات كيسنغر ومجلس الامن القومي ، كانت هذه المعلومات توضع في عقل الكتروني ، ثم يقوم واضعوها بصياغة عدة بدائل وخيارات ضمن اطار الاهداف الاميركية الاستراتيجية الثابتة والمرحلية ، ويدرسون بعد ذلك احتمالات تنفيذ البدائل المتعددة وامكانيات قبولها من مختلف الاطراف .

وتحاول هذه الدراسات ان تبدو موضوعية لكنها في الحقيقة تأخذ مصلحة اسرائيل بشكل اساسي ، اما حقوق الشعب الفلسطيني فتؤخذ بصورة شكلية اذ ليس في هذه البدائل بديل واحد يسلم بقدرة الشعب الفلسطيني على مواصلة التزامه بالتحرير ، انما التركيز فيها محصور على كيفية تركيب الادارة الفلسطينية التي ستدير شؤون الفلسطينيين . وهكذا ، وبعد اسقاط الصيغة الثورية واسقاط احتمالات التحرير ، لا يبقى من البدائل بالنسبة للفلسطينيين غير حقهم في ادارة شؤونهم وليس في تقرير مصيرهم . اذا فان التوجه الاساسي عند هذه المجموعات الدراسية هو في تقليص القضية الى مشكلة مما سيحتم ايجاد وضع تتحول فيه ارادة الفلسطينيين وطموحهم من النضال من اجل تقرير المصير الى السعي من اجل ادارة شؤونهم ، واذا ما تم

مثل هذا التحول وتمكنت السياسة الاميركية ، بشتى انواع الضغط والقهر والقمع والاقناع ، من حرف قطاع هام من الفلسطينيين عن توجههم نحو التحرير الى توجه نحو الادارة ، عندئذ تكون الاستراتيجية الاميركية واستراتيجية المحور الاميركي ــ الاسرائيلي قد حققتا المرحلة الاولى الاساسية من تصفية القضية الفلسطينية اذ انه لا يفترض في المرحلة الاولى من تنفيذ خطة التصفية ، تصفية المقاومة الفلسطينية بشكل نهائي بل المطلوب في هذه المرحلة قصم ظهر المقاومة تمهيدا لعملية افنائها او تذويبها . لذلك فان التخطيط الاميركي أيد ودعم مجازر ايلول وما بعد ايلول ١٩٧٠ ومجازر تموز ١٩٧١ لان هذه المجازر تساعد على قصم ظهر المقاومة وذوبانها بدل اللجوء الى الافناء الكامل لكن بضمان النتائج ذاتها ودون استفزاز بعض المشاعر عند المحافظين العرب الذين قد يحسون بنوع من الاحراج قد يؤجل استعدادهم لتنفيذ الاجزاء الاخرى من المخطط الاميركي . لقد كان هدف مجازر ايلول وتموز التمهيد للخطة من حيث جعل المقاومة طرفا من الاطراف الفلسطينية وليس قيادة للشعب الفلسطيني . واذا ما حصل ذلك يسهل على الاستراتيجية الاميركية احتواءها وتطويقها والانقضاض عليها . ان تحويل المقاومة الى طرف من الاطراف الفلسطينية ، يضع على المستوى ذاته طموح الشعب الفلسطيني لتقرير مصيره وتحرير وطنه ورغبة البورجوازية الفلسطينية الكبيرة في استقرار معجل ومتسرع ، ويؤدي بالتالي الى انقسام الصف الفلسطيني بدلا من تكثيف الوحدة العضوية التي تضمن للشعب الفلسطيني ان يكون طليعة الاصطدام مع الامبريالية واسرائيل .

يلازم هذه الاستراتيجية الاميركية على المستوى الفلسطيني ، تخطيط اميركي على مستوى عربي بهدف ايجاد بدائل عربية تنطوي على جعل الشعب الفلسطيني طرفا من الاطراف العربية وليس طليعة ثورية مرتبطة ارتباطا عضويا بباقي الشعوب العربية . وقد اعدت هذه البدائل بموازاة البدائل الفلسطينية السابقة ومن قبل مجموعة الدراسات المؤلفة من مستشرقين وعلماء اجتماع وعلماء سياسة . وكلف بعض هؤلاء بتوجيه حرب نفسية داخل البلاد العربية خاصة تلك التي تتواجد فيها قطاعات فلسطينية كبيرة كالاردن وسوريا ولبنان . وتقوم اجهزة الحرب النفسية بغرس وترويج المفارقات والتباينات بين الفلسطينيين من جهة وكل من اللبنانيين والسوريين والاردنيين والشعوب العربية الاخرى كل على حدة . هنا تتوقع الدوائر الاميركية ان ينشأ وضع سياسي هام يجعل الشعب الفلسطيني يحصر اهتمامه بحماية ذاته بدل التصدي للتحدي الاساسي لوجوده ، وان يصب اهتمامه ليس باتجاه عدوه الاساسي ، بل باتجاه الفئات التي كان من المفروض ان تكون مصدر تصاعد قوته وتنشيط مقاومته وثورته . وهكذا فان للحرب النفسية الاميركية هدفين : جعل المقاومة الفلسطينية طرفا من الاطراف الفلسطينية ، وجعل الفلسطينيين طرفا من الاطراف العربية . واذا ما تم لهذه المخططات النجاح كما حصل في الاردن خاصة والى حد اقل في غيره من الدول العربية ، فان اجهزة الحرب النفسية الاميركية تسعى لضمان استمرار مثل هذا الانسلاخ بواسطة اشاعة المفاهيم الاقليمية المحضة للحيلولة دون استنفار المشاعر القومية العربية ، ولافراغ هذه المشاعر من اية فعالية او تأثير اذا ما استنفرت وحتى يتسنى لمخططات البلقنة العنصرية والكيانية في المنطقة العربية ان تدوم ، تقوم اجهزة الحرب النفسية التابعة لادوات التنفيذ الاستراتيجية الاميركية باشاعة جو من القمع والارهاب السياسي والفكري والبوليسي ضد القوى التحررية والتقدمية والاشتراكية والشيوعية وغيرها من القوى الصامدة والتي تمتلك قدرة فعلية او محتملة لاحباط مثل هذه المخططات الاستراتيجية التي تحاول بشتى الوسائل المباشرة او غير المباشرة النفاذ الى صميم الوجود العربي واصابته في المقتل . من هنا

قامت في المنطقة العربية عدة مجابهات كانت تبدو في ظاهرها وكأنها معالجات داخلية بين قوى يمينيةوقوى وطنية ويسارية لكنها في حقيقتها مؤشرات الى ان المخطط الاميركي الاسرائيلي في المنطقة بدأ ينفذ برامجه من خلال عملية الاستشراس اليميني في المنطقة. ولم تكن عمليات القمع في السودان وعمليات الارهاب ضد اليسار الفكري والمتمثل بأكثر اخراجاته لباقة اي مشروع قانون تنظيم الاحزاب اللبنانية ، وبتصفيات اكثر شراسة ضد اليساريين في مناطق اخرى . من شأن كل هذا ان يؤدي الى تجميد فعالية القوى الوطنية غير العقائدية في المنطقة ودفعها الى ان ترمي بثقلها في مواجهة اليسار والثورة . اي ان ذلك سيؤدي الى افتعال مواجهات سابقة لاوانها بين قوى اليسار والقوى التي لها رصيد وطني ولكنها رضخت لمنطق القوى دون ان تكون هي نفسها مستعدة لاستعمال منطق القوة القمعية في المنطقة . ان الهدف السياسي الاستراتيجي من ايجاد شق او شرخ بين القوى الوطنية العامة وقوى اليسار ، هو احكام فكي الكماشة حول اليسار حتى يبقى معزولا اثناء صدامه مع اليمين الشرس عن دوائر الوجدان الوطني في المنطقة العربية ، لان هذه الدوائر الوجدانية القومية والوطنية في كل البلاد العربية كانت ولا تزال تمثل الى حد كبير سياجا جماهيريا وتنظيميا لهذه الفئات المتقدمة في ثوريتها وفي ارادتها للتغيير الجذري في المنطقة .

يتضح من هذه الخلفية ان الاستراتيجية الاميركية في المنطقة تستهدف قفلا نهائيا للقضية الفلسطينية لان استمرار قضية فلسطين من شأنه ان يعرقل كل اهداف الامبريالية الاميركية في المنطقة لان بقاء القضية يعني بقاءها بؤرة استقطاب للاحتمالات والطاقات الثورية والتغييرية في المنطقة ككل . من هنا جاء مشروع الملك حسين كأحد البدائل الاميركية لانهاء القضية الفلسطينية انما برداء ملكي هاشمي . كان حسين في البداية غائبا او شبه غائب عن البدائل التي طرحت والتي كانت تتصور ان دور الملك حسين يجب ان لا يؤخذ بعين الاعتبار حتى لو ظل في الحكم ، وبالتالي فقد كان بعض المجموعات الدراسية الاميركية يعتقد بأن حل القضية الفلسطينية بدون الملك حسين قد يسهل تسويق الصيغة الاميركية لدى قطاعات فلسطينية اضافية . من هنا نبتت فكرة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . وبالمقابل ، فقد كانت هناك مجموعات تابعة للمخابرات المركزية تقول انه لا يمكن للاستراتيجية الاميركية ان تعطي انطباعا بأنها تتخلى عن حلفائها وعملائها الضالعين في علاقاتهم مع اجهزة تنفيذ الاستراتيجية الاميركية في المنطقة كما حدث في جنوب شرقي آسيا حين تخلت الولايات المتحدة عن بعض عملائها لتنفيذ مشروعات تهمها . وهكذا فقد كانت هذه المجموعات « الدراسية » تؤمن بان لا بد لاي مشروع تصفوي من ان يكون غامضا ومضللا ريثما يترسخ . وبالتالي فان النقاش بين هذه المجموعات حول الملك حسين يستهدف حل مشكلة امام مجلس الامن القومي الاميركي تتحدد فيما اذا كان الملك سيعتمد كاداة لتنفيذ المخطط الاميركي ، ام انه سيكون عبئا عليه لانه فقد تأثيره لدى العرب والفلسطينيين ، ام ان المخططات الاميركية ستحاول فرز قيادات بديلة للملك حسين تتولى مهمة الاستمرار في هذه المخططات وتكون قادرة على الانتقال بالمشكلة الفلسطينية الى حيز التصفية الواقعية دون ان يتولد لديها شعور بانها تقوم بالفعل بعملية تصفية. وقد ادى هذا المنحى الاخير في التفكير الاميركي بمؤيدي الملك حسين في الادارة الاميركية الى التلويح له بخطر بروز قيادات جديدة وبالتالي بضرورة اتخاذه لمبادرات فورية يتمكن بواسطتها من تثبيت مواقعه واظهار ان ليس هناك من قوى قادرة على ان تتحداه وتتحدى اهليته في المحاورة باسم الاردن وباسم الشعب الفلسطيني . وعلى ضوء هذا الاتجاه ، فقد كان مطلوبا من الملك حسين قبل ايلول ان يعمد الى ضرب المقاومة الفلسطينية واجهاض طاقاتها السياسية والنضالية حتى يضمن السيطرة الكاملة على

السلطة بحيث لا يعود للعامل الفلسطيني اي شأن في الميزان الاميركي . ولما احس الملك حسين بأن مركزه مهدد بسبب البديل الذي طرحته بعض المجموعات من الباحثين الاميركيين والقاضي باقامة دولة فلسطينية ، اقدم على الاسراع في عملية تصفية المقاومة الفلسطينية حتى يقطع الطريق على اي حل واقعي يضعه مخططو الاستراتيجية الاميركية يبت بمصير الاردن وفلسطين ويتخطى الملك حسين . وهكذا اعطي الملك حسين، في الواقع ، فرصة يثبت فيها كفاءته وفعالية سلطته في تنفيذ وتمرير المشاريع التصفوية دون اية معارضة فلسطينية ذات اسنان . من هنا كان تصميمه على الانقضاض الشرس في ايلول ١٩٧٠ على المقاومة الفلسطينية وعلى مخيمات النازحين الفلسطينيين .

لكن شراسة الملك حسين ولجوءه الى القمع العنيف ، اثار وجدان العرب وحرك الانظمة العربية ، حتى الاكثر ترددا منها ، لتقوم بحملة ضد الملك تدين سلوكه وتعزله سياسيا ودبلوماسيا عن باقي الاقطار العربية . كان هذا الموقف العربي بادانة حسين مدخلا آخر للجماعات الاميركية الداعية لاقامة دولة فلسطينية لان تقول بان ضرب المقاومة بالشكل الذي ضربت فيه بالاردن يزيد من تناعتها بأن الملك حسين عبء على المخطط الاميركي بالنظر الى العزلة التي فرضتها عليه الانظمة العربية ناهيك عن الشعوب العربية . لكن نفوذ هذه الجماعات قد تضاءل بعد ايلول ١٩٧٠ ، وبعد التهديد الاميركي الاسرائيلي السافر للتدخل لحماية عرش حسين ، وقوي بالمقابل نفوذ المجموعات التي كانت تقول بضرورة تصفية القضية الفلسطينية على يد الملك حسين باعتباره اداة موثوقا بها فقد اثبتت مجزرة ايلول ان الملك قادر على تنفيذ المشاريع الاميركية دون وجود اية معارضة ذات اسنان خاصة وان الادانة العربية الجماعية لم تصعد الى حد فرض عقوبات من قبل الانظمة العربية على السلطة الاردنية مما جعل هذه السلطة قادرة على استرجاع نفسها وضمان ديمومة وجودها في الساحة العربية رغم تطويقها بالادانات . وهكذا فان الادانة دون العقوبة ، رجحت الراي الاميركي القائل بأن الملك حسين يجب ان يبقى اداة التنفيذ الرئيسية في المخططات التصفوية للقضية الفلسطينية . هذا الترجيح لا يعني الغاء الصياغات التي تقدم بها اولئك الذين يقولون بان قيام دولة للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ضمانة اكبر للتصفية النهائية مما لو تمت التصفية على يد الملك. لكن الاعتبارات الاستراتيجية الاخرى على مستوى المنطقة ككل بالاضافة الى ان التقييم الاميركي لنجاح الملك حسين في التمهيد للتصفية ، اي نجاحه من ايلول ١٩٧٠ حتى تموز ١٩٧١ في ضرب المقاومة الفلسطينية، قد كان لصالح الملك . ومع ذلك فقد استمر النقاش بين هاتين المدرستين ، مدرسة الدولة الفلسطينية، ومدرسة بقاء الملك حسين، بهدف الوصول الى قرار حول أيهما أجدى لتنفيذ التصفية وايجاد الوضع الملائم الكفيل بديمومة التصفية . وقد وجه النقاش فيما بعد بحيث يبقى الملك حسين مع الاخذ بعين الاعتبار بعض الملامح والبدائل التي تطرحها صيغة الدولة الفلسطينية . وهكذا كانت محصلة تفاعل هذه التيارات المختلفة شكلا والمتفقة جوهرا، هي مشروع المملكة العربية المتحدة التي يفترض ان تقوم على اساس فدرالي ، اي وجود اقليمين تحت سلطة هاشمية واحدة .

يقر مشروع المملكة المتحدة بوجود شخصية فلسطينية داخل اطار القطر الفلسطيني . وهو بذلك يقبل ببعض ما جاء في مقترح الدولة الفلسطينية مع تسليم السلطة للملك حسين . وبذلك فان المشروع يعطي الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة معادلة لادارة شؤونهم لكنه في الوقت ذاته يسلم الملك حسين والجهاز الحاكم في الاردن مقدرات التقرير الاساسية لمصير الفلسطينيين والاردنيين . وبالتالي فانه يحقق ، في حال مروره ، الاهداف المرحلية للمحور الاميركي الاسرائيلي المتمثلة بتفريغ الشعب

الفلسطيني من واقعه المتسيس والمناضل وتحويل اهتماماته الاساسية الى ادارة شؤونه المحلية وتثبيت عناصر استقرار لقطاعات معينة منه ، وتفريغ هذا الاقليم الفلسطيني المقترح من اي احتمال من ان يتحول مستقبلا الى مجتمع التأهب من خلال جعله منطقة مجردة من السلاح وعزل فلسطين والفلسطينيين نهائيا عن تفاعلهم التلقائي وتلاحمهم القومي والمصيري مع الشعوب العربية بواسطة العازل او الحائل الهاشمي . وهكذا يكون مشروع الملك منطويا على كل العناصر التي من شانها ان لا تصفي القضية الفلسطينية فحسب بل ان تمهد ماديا لتمكين الحركة الصهيونية من الانتقال من مرحلة الاعتراف بحقها في الوجود والتحرك الامين من خلال التوسع الجزئي، الى مرحلة التوسع دون اللجوء الى القوة العسكرية وذلك تحت مظلة الشرعية التي يمنحها اياها مشروع الملك . ولعل هذا ما يميز المشروع عن مشاريع التقسيم والدولة الفلسطينية وحتى عن قرار مجلس الامن ٢٤٢ لانه يتميز بالغاء احتمالات الرفض العربي لا لكيان اسرائيل ووجودها فقط بل ايضا لهيمنتها واحتمالات توسعها . وبهذا المضمار فان مشروع الملك حسين يشكل خطوة تنازلية اكثر بكثير من مشروع التسوية السلمية التي اقرها مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ اذ ان مشروع مجلس الامن اراد انتزاع موافقة عربية على وجود اسرائيل داخل الحدود التي كانت قائمة قبل العدوان ، بينما لا يعترف مشروع الملك بهذه الدولة وبهذه الحدود فقط ، انما يشكل اعترافا مسبقا بمشروعية المد الصهيوني داخل الاراضي العربية ويقر مشاريع التهويد المحددة داخل الاراضي الفلسطينية الباقية . لذلك يمكن التقرير بان مشروع الملك هو ، من هذه الزاوية ، اخطر من مجرد قيام دولة اسرائيل لان قيام دولة اسرائيل افترض استمرارية ونمو الرفض العربي للصهيونية ، وهو اخطر من مشروع التسوية السلمية بموجب قرار مجلس الامن من حيث انه لا يقر او يعترف بدولة اسرائيل المحددة بحدود حزيران ١٩٦٧ ، بل ويعترف بالمد الاستراتيجي ثم البشري للصهيونية في العالم العربي . وهكذا يتضح من جديد ان هذا التسلسل من المخططات الاميركية ومن مخططات المحور الاسرائيلي الاميركي ، يسعى الى قفل نهائي للقضية الفلسطينية . وهذا ما يسعى مشروع الملك لتحقيقه وهذا ما يميزه عن قرار مجلس الامن من حيث الدرجة وليس النوعية . ان مشروع قرار مجلس الامن هو ايضا مشروع لقفل نهائي للقضية الفلسطينية ، اما مشروع الملك فلا يكتفي بذلك بل هو طموح متقدم للمخطط الاميركي الاسرائيلي من حيث انه يفتح امام اسرائيل الهيمنة والتوسع دون ان يكون للعرب ازاءها اي مجال للرفض ودون ان يكون بالامكان القول بان هذا التوسع هو عمل عدواني . اذا ، فان هناك فروقات اساسية بين قرار مجلس الامن ومشروع الملك لكنهما يصبان في المفتاح الذي من شانه القفل النهائي للقضية الفلسطينية . لكن الفروقات تبقى مهمة بالنسبة الى جميع الملتزمين بقضية التحرير ، وهي ان التسوية بموجب مشروع الملك حسين يجب ان تعالج على انها تسوية متقدمة على التسوية بموجب قرار مجلس الامن رغم ان كلا المشروعين يؤديان في نهاية الامر الى قفل القضية الفلسطينية . لكن التباين بين قرار مجلس الامن ومشروع الملك حسين يبقى تباينا هاما وان لم يكن رئيسيا مثل التناقض بين التحرير والتسوية . الا ان هذا التباين الهام ينطوي على احتمالات جديرة بالدراسة السريعة دون ان تكون دراسة متسرعة. ولعل اسرائيل ، ومساندة الولايات المتحدة المطلقة لها في تحدي الارادة الدولية وفي رفض تنفيذ قرار مجلس الامن وفي المراوغة المستمرة في هذا المضمار ، لعل اسرائيل في ذلك كانت تدرك ، من خلال اتصالاتها المباشرة مع السلطة الهاشمية ، ومن خلال تنسيقها الكامل مع الولايات المتحدة ، بانها ، اذا تمكنت من تأجيل تنفيذ بنود قرار مجلس الامن ، فسيكون باستطاعتها ان تؤمن لنفسها تنازلات عربية اضافية وهي

التنازلات التي تضمنها مشروع الملك حسين . وبالتالي فان مشروع الملك حسين يقدم لاسرائيل المبرر لا لتستمر في المراوغة في اعلان موقفها ومدى التزامها بتنفيذ قرار مجلس الامن ، بل لتعلن رفضها لهذا القرار لانها حصلت ، بموجب مشروع الملك ، على امكانية لاقرار هدفها الحركي وليس هدفها الوجودي فقط . ان مشروع التسوية السلمية بموجب قرار مجلس الامن يؤمن لاسرائيل اقرارا عربيا بوجودها ، بينما يؤمن مشروع الملك حسين لاسرائيل اقرارا عربيا بحقها في الامتداد والتوسع والتهويد . ان القبول بقرار مجلس الامن هو اعتراف باسرائيل كما كانت قائمة قبل ١٩٦٧ ، بينما يضيف القبول بمشروع الملك حسين الى ذلك اعترافا بالحركة الصهيونية وبأن اسرائيل هي تحقيق جزئي للهدف الصهيوني ، واعترافا بحق اسرائيل في تحقيق التكامل ما بين واقعها ومرماها .

ابقاء القضية مفتوحة

امام هذه المحاولات المستمرة والمتصاعدة احيانا من قبل الولايات المتحدة واسرائيل لقفل القضية الفلسطينية بتقليصها من كونها قضية الى صيرورتها مشكلة عابرة ، امام هذه المحاولات التي توفرت لها الآن فرص اوسع للنجاح بالنظر الى واقع التجزئة بين الدول العربية والى النجاح المادي الذي احرزه النظام الهاشمي في اقصاء المقاومة عن العمل الثوري في الاردن ومن الاردن ، كيف يمكن للشعب الفلسطيني وللجماهير العربية الملتزمة بهدف التحرير رغم كل الصعوبات والنكسات والعراقيل والنكبات ان تبقي القضية الفلسطينية مفتوحة وبمنأى عن محاولات الاحتواء والتطويق والتقليص الى مجرد مشكلة لاجئين . لقد ظل هذا السؤال ملازما لنا بصورة خاصة منذ ١٩٦٧ حين صدر قرار مجلس الامن وبدأ التحرك الجدي لقفل القضية الفلسطينية . كان المطلوب ولا يزال ، ابقاء القضية مفتوحة على مصراعيها لان لا بديل لاسرائيل الصهيونية ذات الكيان المتقدم في تركيبه العنصري الفاشستي والاداة الضاربة للمصالح الاميركية الامبريالية في المنطقة والمغذية لترسبات التجزئة والتخلف في الوطن العربي ، لا بديل لذلك الا الالتزام الكامل المستمر المتنامي بالتحرير . ولكن هناك فجوة بين ما يجب ان يكون وبين ما هو كائن ، هناك فجوة لا بد من ردمها على الاصعدة الفلسطينية والعربية والدولية .

على الصعيد الفلسطيني

ان المهمة الاولى لمواجهة محاولات قفل القضية الفلسطينية على الصعيد الفلسطيني هي اسقاط اهلية الملك حسين في التحدث باسم الفلسطينيين . لقد حقق المؤتمر الشعبي الفلسطيني الاخير الذي عقد في القاهرة هذه المهمة الى حد كبير . فقد اعطى هذا المؤتمر الذي تمثلت فيه كافة القطاعات الفلسطينية المتواجدة في الساحة الفلسطينية الدليل القاطع بأن الملك حسين فاقد لاهلية التكلم او النطق باسم اية فئة فلسطينية ، كما انه فاقد لاهلية النطق باسم اية هيئة فلسطينية مع اية جهة اقليمية أو قومية أو دولية. لقد اسقط هذا التواجد الشامل لممثلي الشعب الفلسطيني في المؤتمر الشعبي اهلية الملك وكانت هذه الخطوة الاولى على طريق ابقاء القضية بمنأى عن محاولات قفلها . لكن اسقاط الاهلية عن الملك وعن مشروعه هذا بالذات لا يلغي امكانية حدوث بعض التعديلات في شكل المشروع في محاولة لامتصاص او تطويق رفضه . وهذه التعديلات متوفرة ، كما اشرنا قبلا ، على شكل مجموعة من البدائل التي اعدتها السلطات الاميركية والمنظمات الصهيونية والتي تتضمن تنازلات شكلية متعددة لكنها في صلبها ومجملها ومقصدها ترسيخ لجوهر التصفية للقضية الفلسطينية . اذا ليس المهم رفض مشروع الملك حسين وانما الاهم رفض الملك حسين ، رفض السلطة الهاشمية ،

ورفض منح الحق لاية جهة عربية بان تساهم بتقرير مصير الشعب الفلسطيني دون موافقته وبمعزل عنه .

اما القضية الاخرى التي لا بد من تأكيدها فهي ان المقاومة الفلسطينية ليست طرفا من الاطراف الفلسطينية بل هي قائدة مسيرة الشعب الفلسطيني . وبما ان الشعب الفلسطيني يعيش اوضاعا غير طبيعية وغير مستقرة فمنه من يرزح تحت الاحتلال مغلوبا على امره ، ومنه من يخضع للقهر الهاشمي ، ومنه من يعيش في مخيمات النازحين ، ان هذه الاوضاع تجعل الشعب الفلسطيني في موقع المحروم من امكانياته السياسية لتقرير مصيره بنفسه . ولذلك ، وبموجب القوانين التاريخية والقومية والدولية ، فان الشعب الفلسطيني هو في موقع التعبير الثوري عن ارادته . وبالتالي فان الثورة الفلسطينية هي الشرعية الفلسطينية الوحيدة . وهذه الشرعية تضع المقاومة في موقع القيادة الموجهة لمسيرة الشعب الفلسطيني . ليس امام الشعب الفلسطيني مجالا لممارسة الوسائل التقليدية لاختيار ممثليه بل لممارسة وتكريس الشرعية الثورية والا اسهم الشعب الفلسطيني او اي قطاع منه ، بسبب الارهاق او النفس القصير ، في تصفية قضيته بنفسه . لذلك نؤكد ان لا شرعية لارادة الشعب الفلسطيني الا بارادة الثورة والا بالتزام الشعب الفلسطيني بهذه الثورة . وبعد ذلك ، على المقاومة ان تثبت قدرتها لان الشرعية ليست للمقاومة بمقدار ما هي لمقاومة فلسطينية . والمقاومة الراهنة تعبير مرحلي عن هذه الشرعية يمكن ان يستمر اذا ما تمكنت المقاومة من تلبية الحاجات القائمة والمستجدة لحركة التحرير الفلسطينية . ان السبيل الذي يمكن المقاومة من ضمان استمراريتها وشرعيتها هو في وحدة فصائل المقاومة . ان النتيجة الفورية لهذه الوحدة هي انها تحول دون ان تصبح المقاومة ، كما اشرنا ، طرفا من الاطراف الفلسطينية ، قطاعا من القطاعات الفلسطينية ، حزبا من الاحزاب الفلسطينية . ان الوحدة تحول دون ظهور المقاومة وكأنها منهمكة في مجابهات داخل اطاراتها بدلا من ان تصب جهودها في المجابهات الاساسية المتمثلة في التحديات الوطنية والصهيونية والاستعمارية .

ان الوحدة الوطنية الفلسطينية لا تعني الاندماج ولا التذويب . الوحدة تعني التنسيق الملزم لفصائل المقاومة بوحدة الادوات الوظيفية . هذه الوحدة الوظيفية العضوية والملزمة تؤمن التعبير الواحد من جهة كما تؤمن ، من جهة اخرى ، استمرارية التفاعلات السياسية والعقائدية من حيث صيرورة كل قرار سياسي توجيهي تتخذه المقاومة محصلة للتفاعل بين مختلف الاجتهادات الفكرية والعقائدية . هنا نرى ان لا بد من توضيح المسألة التالية حتى لا نجعل من وحدة فصائل المقاومة مسألة طوبائية . ان ظروف المواجهة التي يخوضها الشعب الفلسطيني ، ان مجرد التصدي للاستعمار والامبريالية والرجعية العربية والصهيونية بشتى اشكالها وتعبيراتها ، يضع المقاومة الفلسطينية موضوعيا وتاريخيا في موقع اليسار الوطني . هذا يعني انه لا يمكن للمقاومة ان تكون في مواقع اليمين لانها تؤدي ، بحكم ممارستها لمهامها ومهما كانت التزامات فصائلها المذهبية والاجتماعية ، وظائف يسارية تاريخية . فالمقاومة ، كمقاومة ، تعمق مفاهيم التحرر وترسخها ، وبالتالي فانها تسهم في ضرب معاقل الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة . المقاومة اذا هي اليسار الوطني الشامل ، ونعني بالشمول كافة ابناء الوطن المنضوين تحت اطار المقاومة . وحين تكون المقاومة يسارا وطنيا فلا يمكن ان يكون فيها يمين وظيفي . صحيح ان هناك افرادا انضموا الى المقاومة نتيجة حس وطني فوري او مفهوم فروسي للعمل الفدائي ، او نتيجة قناعة بان العمل الفدائي هو التمرد في سبيل الحق . لكن انصهار هؤلاء الافراد ، رغم كل الدوافع المثالية والطوبائية والفروسية ، ورغم ترددهم في انضاج مفهوم الثورة في نفوسهم ،

في بوتقة المقاومة المنظمة واصرارهم على مواصلة النضال الثوري ، يجعلهم يؤدون وظائف يسارية ثورية . وهكذا فعندما نقول بان المقاومة يسار وطني ، فاننا لا نرمي من وراء ذلك الى تمييع معايير اليسار ، كما لا نريد ان نضفي شرف الانتساب الى اليسار على الذين لا يزالون في مواقع فكرية متخلفة عن انضاج المفاهيم الثورية الجذرية . اننا نقول ان كل من هو منضبط بمسيرة التحرير الفلسطينية هو بالضرورة في موقع يساري . ان معركة التحرر الوطني الفلسطيني ليست موقفا واحدا ولا تخوض نضالا بسيطا بل نضالا معقدا متعدد الاشكال ، متنوع المظاهر . وبالتالي فان استمرارية المقاومة رهن بتوفر وعي متطور يستوعب هذا التنوع وهذا التعقيد ، وان استمرار الالتزام بالمقاومة هو تدرج نحو تعميق الوضع اليساري لها .

وبالمقابل ، فان الذين يريدون من وراء قولهم بأن المقاومة حركة للتحرر الوطني اخراج المذهبيين اليساريين الذين يؤمنون بالمضمون الطبقي للنضال الثوري ووصمهم بأنهم شاذون عن مرحلة التحرر الوطني ، انما يفسرون معنى مرحلة التحرر الوطني بمفاهيم متخلفة من حيث انهم لا يدركون نوعية التحديات الامبريالية التي تمثلها اسرائيل اغتصابا وعدوانا واحتلالا واهدافا ، ولا يدركون معنى الامبريالية الحديثة التي لا تمانع في تقديم بعض التنازلات التي تؤدي الى استقلال وسيادة شكليين مقابل تمسكها بالمقومات الفعلية للاستقلال . من هنا فلو سلمنا بأن حركة التحرر الوطني الفلسطيني لا زالت في مراحلها الاولى ، الا ان الاستعمار الذي تواجهه حركة التحرر الوطني ليس في مراحله الاولى بل في اعلى مراحله . يستتبع هذا التقييم ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني تتخذ أشكالا طبقية متقدمة عن حركات التحرر الافرو ـ آسيوية في الاربعينات والخمسينات او ما قبل ذلك . وهكذا عندما نقول ان التيار العام هو يسار وطني ، فانما نعني بذلك بأن اليسار فيه متقدم من حيث حتمية تضمين المفهوم الطبقي في النضال التحرري الوطني الفلسطيني . وما دامت حركة التحرير الفلسطينية ، بطبيعة نضالها ومواقعها وخصومها ، مضطرة الى استقبال افكار يسارية اكثر تقدما ، فان فصائل المقاومة التي هي يسارية مذهبيا الى جانب كونها جزءا من اليسار الوطني ، تبقى الاستثناء المتقدم في هذا اليسار . ان الفصائل اليسارية المذهبية هي حاجة فلسطينية دون ان يعني ذلك بالضرورة القبول بكافة صياغاتها المذهبية . ان هذه الفصائل المذهبية تؤدي وظائف تصحيحية اساسية فهي تبقي المقاومة اجمالا بعيدة عن الجمود او التقوقع السياسي شريطة ان لا تتقوقع الفصائل اليسارية نفسها وتتجمد مذهبيا. ان بامكان هذه الفصائل اليسارية المذهبية ان تمارس نفوذا مذهبيا اذا لم تطرح مذهبيتها من مواقع التزمت العقائدي ، اذ ان التزمت العقائدي عند الفصائل الاصغر يؤدي الى تعصب تنظيمي عند الفصائل الاكبر ، بينما تؤدي المرونة المذهبية الى تغذية نزعات الانفتاح في التيار العام . ان المرونة في ايصال المواقف الصلبة تحول دون الميوعة التي يمكن ان تسببها رواسب معينة في حركة المقاومة . وتتحقق هذه المرونة بالمعادلة الوحدوية بين فصائل المقاومة اذا تخلت فصائل اليسار المذهبي عن الادعاء بأنها هي وحدها يسار المقاومة وبالتالي فان لها حق الوصاية الفكرية لأن كل من هو خارج أطارها يميني بالضرورة . ان هذا القول مرفوض علميا وثوريا لان ليس هناك في الواقع الفلسطيني الثوري مكان لليمين .

لكن الوحدة في الوقت الذي ترفض فيه الوصاية الفكرية للفصائل اليسارية المذهبية ، فانها لا تعني وصاية تنظيمية او سياسية تمكن الفصيل الاكبر من اعطاء مدلول آلي للاكثرية . فالثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة بحاجة الى قدرة لاستنباط الحقائق ووضعها في احجامها الحقيقية حتى لا يتغلب الكم على الكيف وحتى لا يتصور الكيف بأنه محتكر للكيف . ليس هناك فرز كامل في المقاومة الفلسطينية بين يسار مذهبي ويسار غير

مذهبي ، وهذا ما يجب ان يدركه اليسار المذهبي الفلسطيني الذي يتصور بانه هو كل اليسار المذهبي. هناك خارج فصائل المقاومة اليسارية المذهبية اي داخل التيار العام، اي داخل فتح، قطاعات يسارية مذهبية متقدمة على بعض اليسار المذهبي نفسه. لذلك فان معادلة الوحدة العضوية لفصائل المقاومة يجب ان تأخذ بعين الاعتبار استمرارية التلقيح المتبادل ، وعدم وجود استقطاب كامل وواضح ، وعدم الاصرار على الاحتفاظ بكامل الاستقلالية والسيادة التنظيمية لهذه الفصائل . واذا كنا نؤكد على ان الوحدة لا تعني الاندماج وبالتأكيد فانها يجب ان لا تعني التذويب ، فلا بد ، في مرحلة مقبلة ، من حدوث تجاوز للتنظيمات القائمة في الساحة الفلسطينية وتخط لها لان الولاء للثورة ولمقتضياتها في المراحل المقبلة يكتسب اولوية على الولاء للتنظيمات الراهنة . هذه ليست دعوة للتجاوز الفوري للتنظيمات بل بالعكس انها دعوة للتفاعل المستمد من المواقع التنظيمية الراهنة ، الا أن هذا التفاعل يجب ان يرافق بالاقرار بان ليس هناك نهائية للتنظيمات القائمة ، بل بالعكس فانها مرشحة كلها للانتقال في المراحل المقبلة وعبر تفاعل حي مبدع وجدلي، الى تنظيم واحد قادر على استيعاب الطاقات الصحية والسليمة التي تقلل من الفرق بين اليسار الوطني واليسار المذهبي . وهكذا اذا انعتقت المذهبية من تزمتها ، وانعتقت الوطنية العامة من مخاوفها من المذهبية ، نستطيع ان نصل الى المخرج الثوري الذي يتمثل في تنظيم موحد نتيجة اقتناع بالوحدة وليس فرضها .

ان السلوك الوحدوي المطلوب في المرحلة الراهنة يتمثل في ما أسميناه التلقيح المتبادل والانفتاح المشترك بين فصائل المقاومة ، وفي وحدة الادوات الوظيفية وبالتالي في التقييم الموحد للمرحلة الراهنة . واذا ما اعتادت فصائل المقاومة على الحالة الوحدوية ، عندئذ تتمكن من ايصال احتمالات وحدوية متقدمة للجماهير فتثبت بذلك استمرارية اهليتها لقيادة مسيرة حركة التحرير . ان الصيغ الوحدوية المتقدمة والعلاقة الجدلية فيما بين فصائل حركة المقاومة تنمي لدى الجماهير الفلسطينية ضرورة النفس الطويل لان الجماهير الفلسطينية وكل الجماهير التي تعيش اوضاعا مشابهة لاوضاعها تكون ذات نفس متقطع او قصير . ومن ناحية اخرى فان الوحدة تعطي الجماهير ثقة بأن المقاومة ستكون قادرة على مواصلة القيادة في الظروف الصعبة المقبلة . من هنا فان اخصاب الوحدة العضوية بين فصائل المقاومة وطرحها باستمرار على الجماهير الفلسطينية يحرر المقاومة من كابوس حصر التعامل فيما بينها .

وهذا يستتبع ان تكون اولى مهمات المقاومة الموحدة جعل علاقاتها بالجماهير الفلسطينية أكثر وضوحا والتصاقا . لا يمكن ان تكون علاقة المقاومة بالجماهير علاقة تدبير شؤونها فحسب ، ولا علاقة من يتكلم باسمها ويعبر عن ارادتها دون ان يؤمن عمق مشاركتها . انه وان لم يكن هناك رفض من قبل الجماهير لقيادة المقاومة لان الشرعية الوحيدة هي شرعية الثورة ، فان عدم الرفض هذا وحتى قبول الجماهير بهذه القيادة يجب ان لا يكون مدخلا لاقصاء الجماهير عن المشاركة الاساسية في مسيرة المقاومة . وبالتالي فان على المقاومة الفلسطينية ، بعد تحقيق وحدة فصائل المقاومة وما يستتبع هذه الوحدة من وضع الجماهير في مناخ تفاؤلي ثوري وما ينطوي عليه هذا التفاؤل الثوري من صبر ثوري ومن استعداد للتقشف ومن قدرة على الاستمرار رغم الارهاق والمتاعب ، ومن قدرة على تجاوز الرغبات البورجوازية في حل المشاكل الانية ، رغم كل ذلك يبقى أمام المقاومة ان توجد المؤسسات التي تكفل المشاركة الجماهيرية الواسعة . صحيح ان هناك مؤسسات قائمة الان وهي اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني ، وفي حالات استثنائية المؤتمر الشعبي ، بالاضافة الى الاتحادات النقابية والمنظمات الشعبية الاخرى ، لكن هناك انطباعا عاما لدى الكثير من قطاعات الشعب الفلسطيني بأن هذه المؤسسات رغم ما تفرزه من حيوية في الحوار ، فانها من ناحية لا تستقطب داخل

اطاراتها كافة عناصر الجماهير الفلسطينية ، ومن ناحية اخرى فان شكلها لا يزال غالبا على محتواها وجدواها بالاضافة الى ان هذه المؤسسات تتحرك بصورة موسمية وكأنها ليست مؤسسات ثابتة من صلب عمل المقاومة اليومي . وبالتالي فان توحيد فصائل المقاومة لا بد ان يستتبع بتحريك المؤسسات الشعبية وتوسيع رقعتها وتمكينها من الفعالية الدائمة والمشاركة المستمرة . يقول البعض بأن توسيع رقعة المشاركة في الوضع الثوري قد يؤدي الى تمييع في مقاييس الالتزام ، لكنني أرى ان توسيع المشاركة سيؤدي الى انتشار الالتزام والانضباط بالعمل الثوري ومقتضياته لدى أوسع القطاعات الجماهيرية ، وليس الى اغراق المقاومة . ان توسيع المشاركة لا يعني طمسا لبلورة الانضباطية الثورية ولا انتقاصا من السلطة الاجرائية لقيادة الثورة كما يتوهم البعض ، لكنه يعني تعميق الاستعداد الجماهيري لتنفيذ ارادة الثورة من حيث ان المشاركة المسبقة في التخطيط تجعل الاستعداد اللاحق للتنفيذ اقوى واكثر سهولة . من هنا فان ربط كافة قطاعات الشعب الفلسطيني بدائرة المقاومة الفعلية وبممارساتها اليومية عبر شتى الاطر التثقيفية والسياسية والانضباطية والعملية ، سيؤجج الجماهير الفلسطينية ويستنفرها فتظل متحفزة ومتأهبة . ان ذلك سيحول دون تقاعس اية فئة فلسطينية ودون رضوخها لاي امر واقع او مستجد ، وسيحول دون انسياب الكسل النضالي وسط الجماهير . ومن ناحية ثانية، فان ربط الجماهير بشكل اكثر عضوية من خلال مؤسسات ثورية يمكن استحداثها ، يجعل المقاومة اكثر فهما لمعاناة الجماهير ، واكثر تقديرا لظروفها بحيث تصبح توجيهاتها منطلقة من الواقع ومستوعبة للظروف الموضوعية التي تواجهها الجماهير بدل ان تكون عبارة عن قوالب نظرية جافة . ان تعرف المقاومة على مختلف الظروف التي تواجهها قطاعات الشعب الفلسطيني المتواجد في مواقع مختلفة ، تصبح اجتهاداتها النظرية والعملية قابلة للتصديق من قبل الجماهير التي ستدرك ان ظروفها قد اخذت بعين الاعتبار عند صياغة القرار او التوجيه . وحتى لو جاء القرار مغايرا لما يريده قطاع معين من الجماهير ، فان هذا القطاع يصبح اكثر استعدادا لتغليب جماعية القرار على خصوصية واقعه . اذا ، فالمطلوب ان تتحول العلاقة بين المقاومة والجماهير من علاقة عفوية الى علاقة متعمدة تكتشف قيادة المقاومة عبرها ابعاد المعاناة الجماهيرية وتنوع ظروفها، كما تتاح لها فرصة استكشاف كفاءات نضالية جديدة تمكنها من تجديد دورتها الدموية . وبالمقابل فان المشاركة الجماهيرية الناجمة عن العلاقة الجدلية والانفتاح المتبادل بين المقاومة والجماهير ، تعمق من اصرار الجماهير على الالتصاق بالمقاومة وعلى التوحد والتماثل مع المقاومة بحيث يصبح هذا التماثل ضمانا للوقوف بوجه اية جهة دولية او حتى عربية تحاول العودة الى اغلاق القضية . ان الظروف الحالية الصعبة التي تعيشها القضية الفلسطينية تجعل الحاجة لان يكون هذا التماثل الجماهيري مع المقاومة اكثر وضوحا واكثر استعدادا للمجابهة ، اقوى من اي وقت مضى . من هنا نستكشف كيف ان الوحدة العضوية على مستوى فصائل المقاومة تمهد للوحدة العضوية بين الجماهير والمقاومة .

على الصعيد العربي

اذا تحققت وحدة فصائل المقاومة بشكل نام ومستمر ، واذا أمنا ايضا مؤسسات وظيفية تضمن المشاركة الجماهيرية بشكل نام ومطرد وحقيقي ، عندئذ تبدأ العملية التصحيحية على المستوى العربي ، لان الشعب الفلسطيني لا يعود طرفا من الاطراف العربية بل يصبح الاطار الذي يستقطب طاقات واهتمامات والتزامات الشعوب العربية بالقضية الفلسطينية . ان وحدة فصائل المقاومة والتحام الجماهير مع المقاومة ورضاءها بشرعيتها وقبولها بها وانضباطها بها تنظيميا وعمليا وسياسيا ، كل ذلك سيردم اية ثغرة في الجبهة الفلسطينية يمكن ان تكون مدخلا لاي انفصال عن العلاقة العضوية والجدلية

بين الشعوب العربية والشعب الفلسطيني . واكثر من ذلك فان الشعب الفلسطيني الموحد والمقاوم يصبح مصدرا من مصادر تثوير الجماهير العربية واعادة حيوية الثورة لديها . ان قدرة الجماهير العربية في الانظمة المتخاذلة او المتواطئة او المترددة على المواجهة تعتمد على بقاء الجماهير الفلسطينية في ميدان العمل والممارسة الثورية . هذا هو معنى كون الشعب الفلسطيني طليعة الشعوب العربية المناضلة ضد اسرائيل والامبريالية . لكن هذا يجب ان لا يعني تحميل الشعب الفلسطيني مسؤولية الحركة الثورية العربية ، بل بالعكس ، فان وحدة الشعب الفلسطيني وعلاقاته السليمة والجدلية مع المقاومة تعني تحميل الشعوب العربية مسؤولية الثورة الفلسطينية . يستتبع هذا بالضرورة ان استكمال معالم الوحدة العضوية بين الجماهير الفلسطينية والمقاومة يصبح اكثر فعالية من جراء استكمال فصائل المقاومة لوحدتها العضوية . اذا تحقق هذا المستوى من الوحدة على الصعيد الفلسطيني ، فان المقاومة ستتحول لا الى أداة ذات جدوى من حيث الاصطدام المباشر مع الصهيونية وكيانها فحسب بل الى أداة تفجير للطاقات التصحيحية في الوطن العربي والى تسهيل مهمة وحدة القوى الوطنية والتقدمية والثورية فيها . ان وحدة المقاومة ستضع القضية الفلسطينية وقضية التحرير على رأس سلم أولويات نضال الجماهير العربية بشكل حقيقي وثوري . اما عدم استكمال الوحدة فانه سيبقي هذه الاولوية مبهمة ومعرضة لان تصبح أولوية عاطفية أو أولوية تشنج ومزايدات .

لذلك فان المرحلة الثانية التي تمكن من اعادة فتح القضية الفلسطينية هي في ارساء قواعد ثورية علمية انضباطية صحيحة بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية . المطلوب من الجماهير ان لا يكون اعلانها بالالتزام بالقضية نهاية المطاف بل نقطة الانطلاق لترجمة الموقف الى ممارسات عملية يومية ومن ناحية ثانية فان الجماهير العربية يجب ان تدرك مدى وطبيعة العلاقة بين المقاومة والانظمة العربية . ان على الجماهير العربية ، خاصة اذا كانت في حالة تناقض عدائي او ثانوي مع انظمتها ، ان لا تورط المقاومة الفلسطينية في هذه المجابهة وان لا تجعلها ركيزة من ركائزها لان جر المقاومة الى مثل هذا الموقف يعني الى حد كبير اننا جعلنا منها موضوعيا ، بديلا لطاقاتنا الثورية القطرية . هل يعني هذا ، كما يخشى بعض المتزمتين المذهبيين ، ان الثورة الفلسطينية ستقف موقفا حياديا بالنسبة للانظمة خاصة تلك التي هي في حالة مجابهة مع الجماهير ؟ بالطبع لا ! لكن هناك حقيقة لا بد من ان نقولها بمنتهى الوضوح والصراحة وهي ان القوى التقدمية والجماهير العربية مسؤولة بشكل مباشر عن حماية المقاومة الفلسطينية، بينما تشكل المقاومة من حيث ممارساتها على الساحة الفلسطينية ، ومن حيث منطلقاتها العربية ، دفعا لنضالات الجماهير ونضالات قواها التقدمية . كيف نترجم هذه المعادلة بشكل محدد ؟

ان طبيعة المواجهة العربية العامة مع اسرائيل والعوامل الجغرافية واختلاف مدى الالتزام تجاه الثورة الفلسطينية من قبل الانظمة ، كل ذلك يحتم على المقاومة ضرورات التعامل مع الانظمة . ان المقاومة ، في تعاملها مع الانظمة لا تضفي عليها اية شرعية ثورية لكنها في الوقت نفسه لا تسهم في ابراز سلبية هذه الانظمة . ومع ذلك ، وبسبب طبيعة كون الساحة الفلسطينية بؤرة ثورية ، فان تداخلا مع الجماهير العربية يلازم بالضرورة التعامل مع الانظمة العربية . اذا هناك **تعامل مع الانظمة وتداخل مع الجماهير** . يبقى التداخل مع الجماهير موضوعيا مرجحا ومغلبا على التعامل مع الانظمة لان التداخل ناجم عن قناعة بينما التعامل تمليه الضرورة . ان التداخل يمكن الجماهير من ممارسة ضغوط متصاعدة على الانظمة من اجل تلبية الاحتياجات المتزايدة للمقاومة الفلسطينية . وبالتالي فان مقدار تلبية الانظمة للحاجات الضرورية للمقاومة ، يقرر مدى

سلامة تلك الانظمة . وهكذا فان الحكم على الانظمة لجهة تلبيتها لهذه الحاجات التي تحددها المقاومة نفسها ، يعود الى الجماهير داخل البلاد العربية دون ان يكون هناك داع لان تعلن المقاومة الفلسطينية احكامها مباشرة . لكن طبيعة التداخل مع الجماهير تفرض ان يكون حكم الجماهير على الانظمة ، هو حكم المقاومة عليها . ان هذا الاستثناء الثوري للمقاومة الفلسطينية والذي يتيح لها التعامل مع الانظمة العربية ، هو الحلقة الوسيطة بين المرحلة الراهنة ومرحلة انضاج الواقع الثوري البديل للانظمة . قد يبدو هذا التحليل غير منسجم مع التحليل الثوري المحض اذ ان التحليل المحض ثوري لا يجيز التعامل مع الانظمة بل يجيز التعامل مع من نتداخل معهم . لكننا لسنا في الموقع الذي يتطلب منا موقفا ثوريا محضا بل موقفا ثوريا جدليا . ويعني الموقف الثوري تقييما موضوعيا دقيقا للملابسات المرحلة الراهنة التي تجيز الاستثناء غير المغاير ، كما في هذه الحالة ، للتداخل انما هو استثناء بالنسبة لموازين القوى بين القوى الثورية والانظمة في المنطقة العربية لكنه في التحليل النهائي استثناء متمم ورديف للثورة العربية . ان نسبة تعامل المقاومة الفلسطينية مع الانظمة العربية تتحدد بالنسبة لحجم القوى التاثيرية والفاعلة للجماهير العربية داخل هذه الانظمة . لذلك فان حركة الجماهير الثورية في المنطقة العربية مرهونة بمصير المقاومة الفلسطينية لكن لا يجوز ، على ضوء جدول الاولويات الراهن ، ان يكون مصير المقاومة الفلسطينية مرهونا مرحليا بواقع القوى الثورية العربية . ينبع هذا الاستثناء من كون المقاومة الفلسطينية مطالبة بالقيام بمهمات مباشرة لا يمكن للقوى الثورية العربية ان تقوم بها بمقدار ما تستطيع ان تقوم به بعض الانظمة العربية . وهذه المهمات هي افشال المحاولات المتكررة والمتعددة الاسماء والصيغ والتي ترمي الى امتصاص قدرة الشعب الفلسطيني على مواصلة نضاله التحرري . ان المسؤولية المباشرة للمقاومة الفلسطينية بهذا الصدد هي ابقاء حالة الرفض الفلسطيني لكافة المشاريع التي من شأنها احتواء وتطويق العمل الفلسطيني الثوري واضفاء شرعية على وجود اسرائيل وعلى احتمالات توسعها ، وتعبئة القوى العربية المتوفرة لديها لتصب في مساندة قواها الرافضة .

وفي مطلق الاحوال ، لا يمكن للمقاومة الفلسطينية ان تغلب التعامل ، مهما بلغت مبرراته ، على التداخل . وقد وعت المقاومة الفلسطينية ، كما ظهر في المؤتمر الشعبي الفلسطيني الاخير ، هذه الحقيقة حين دعت الى التوجه لتنسيق العلاقات مع الجبهات العربية المساندة للثورة الملتزمة بها . ان المرحلة المقبلة تقتضي تقليصا في مدى التعامل وتوسيعا في مدى التداخل ، لكن التقليص يجب ان لا يؤدي الى الالغاء ، والتوسيع يجب ان لا يصل الى حد التطابق الكامل لان ليس مهما ان نصل الى التطابق ما دام هناك تميز لواقع الشعب الفلسطيني في اطار المجابهة العربية مع اسرائيل . ان ادراك القوى الثورية العربية واستيعابها لمعنى الاستثناء ومعنى التميز ضروري والا فانها ستولد بتزمتها تيارات انفصالية داخل الساحة الفلسطينية . ان العلاقات الجدلية بين التعامل والتداخل تفرض على القوى الوطنية الثورية والتقدمية ديمومة ترجيح التداخل على التعامل حتى تتمكن في المراحل المقبلة من ان تؤمن التطابق الكامل بين التعامل والتداخل وذلك حين تتسلم القوى الوطنية الثورية الحكم بنفسها . ان الوصول الى هذا التطابق هو في نهاية الامر مفتاح التحرير لانه الضمان لبقاء القضية في مستوى القضية المصيرية . لكن هدف التحرير لا بد وان يمرحل بمعنى ان علينا ، نحن الملتزمين بهدف التحرير ، ان ندرك بأن النضال في سبيل التحرير يتطلب ادراكا لتعقيدات الواقع حتى نتمكن من تجاوزه . فادراك الواقع ، حسب المنطق الثوري ، يمكننا من تجاوزه بينما يؤدي ادراك الواقع بموجب المنطق غير الثوري ، الى الرضوخ له . لذلك ليس المهم ان نرفض ، انما الاهم ان نعرف ما نرفض . ان من المهم ان لا نعرف ما نرفض فقط بل ان ندرك مقدار

قوته حتى نتمكن من مواجهته ومن اجتذاب قطاعات شعبية واسعة الى جانبنا . والان ، من اين يستمد الواقع العربي قوته ؟ ان قوة الواقع العربي مستمدة ، في جزء منها ، من ضعف الحركات الثورية التي لم تتمكن من ان تستنفر وتنظم الطاقات الثورية . ذلك يعود الى ان الحركات الثورية نفسها مجزأة . ولذلك فان وحدة فصائل المقاومة الفلسطينية هي اللحمة التي يمكن لها ان تكون أداة توحيد الحركات والقوى الثورية العربية . وفي ظل هذا الواقع المتردي لا نستطيع ان نحمل المقاومة الفلسطينية مهمات ثورية اضافية هي في الواقع من صلب مهمات الحركة الثورية العربية . ان عدم قدرة الحركة الثورية العربية على الوفاء بهذه المهمات يجيز هذه النسبة من التعامل بين المقاومة والانظمة . ومن ضمن معطيات الواقع الراهن ، فان من المهمات الملحة في المرحلة الحالية ان تتوحد القوى الوطنية والثورية ، في البلاد العربية المتاخمة لاسرائيل والتي تتواجد فيها كثافات فلسطينية ، في اطار سياسي جبهوي موحد على ان يكون معيار الانتماء الى هذا الاطار اولوية القضية الفلسطينية على الاهتمامات الاساسية الاخرى . لقد اثبتت تجربة الاردن ان مستوى التداخل مع الجماهير الاردنية كان ادنى مما كانت تقتضيه مرحلة الممارسة الفلسطينية . كذلك الامر بالنسبة للجماهير اللبنانية . ومن ناحية اخرى ، فان هناك معضلات مع احزاب تعمل على تكريس امتدادات تنظيمية لها داخل الاطار الفلسطيني مما يحول دون تمكين المقاومة الفلسطينية من اجراء اي تداخل جماهيري الا من خلال التعامل مع النظام . ان الوحدة المطلوبة يجب ان تصبح تيارا متصاعدا لان تصاعد التيار باستمرار هو الذي يرجح فتح القضية على اقفالها على المستوى العربي ، هو الذي يرجح مسيرة التحرير على سلوك التسوية وثقل الوحدة على واقع التجزئة . ولكن حتى ينصاعد تيار الوحدة ازاء عوامل التردي والتجزئة والانفصال ، لا بد ان يتوجه العمل الوحدوي الى النضال ضد المصالح الاستثمارية الامبريالية الاميركية في المنطقة لان اي سكوت عن هذه المصالح او عدم التصدي لها يعني ان العقوبات العربية الجدية المتاحة لنا غير مهيأة للاستعمال نتيجة ضعف الحركات الثورية التقدمية ، واننا لسنا في وضع يمكننا من المجابهة الحادة مع الامبريالية اذ ليس المهم ان تتوفر للامة العربية امكانات العقوبات بل الاهم ان تتوفر لديها ارادة استعمال هذه العقوبات . اذا توفرت هذه الارادة تصبح العقوبات مصداقة اي قابلة للتصديق . عندئذ ، فان مجرد الاعلان عن هذه الارادة يعطيها قوة رادعة مثلما يمنحها استعمالها قوة ضاربة . صحيح ان المقاومة الفلسطينية بتصديها لاسرائيل تتصدى للامبريالية الاميركية ، لكن التصدي للمصالح الاستثمارية والبترولية الاميركية في المنطقة هو السلاح الامضى . وبالتالي فان اولى مهمات القوى الثورية والتقدمية العربية هي ان تتبلور ارادة عربية في استعمال العقوبات المتوفرة . بهذا نتمكن من اعادة فتح القضية على الصعيد العربي. ان اعادة فتح القضية ليس بديلا لعملية التحرير ، انما هي ضمانة لانتقالنا من احتمالات التصفية لاحتمالات التحرير ، اي ان اعادة فتح القضية هي الخطوة الاولى في مسيرة التحرير والحلقة الوسيطة بين التصفية والتحرير .

على الصعيد الدولي

بعد كل ذلك على المقاومة الفلسطينية ان تعمق المشروعية الدولية التي بدأت تتسلح بها والتي أمنتها قرارات الامم المتحدة التي اعترفت بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وحقه في استعمال شتى الاساليب لتأمين هذا الحق . ان العمل من اجل تعميق الشرعية الدولية يضعنا في طريق التعبئة المكثفة للراي العام الدولي وللقوى الدولية المؤثرة في المنطقة . ان دخول الصين الشعبية، الملتزمة بأهداف التحرير التزاما واضحا، الى اطار الشرعية الدولية يقدم للثورة الفلسطينية وللحركات الثورية العربية ولمصالحها المرحلية والبعيدة المدى دعما فعالا على الصعيد الدولي . وحتى نصل الى ذلك ، فان على

الثورة الفلسطينية والطاقات الثورية العربية ان تجعل من نفسها دائرة التقاء بين أطراف المعسكر الاشتراكي الدولي وليس أداة تعميق وتأكيد لانقسامها . ان احدى مهمات الثورة الفلسطينية على الصعيد الدولي هي العمل على ازالة اسباب التناقض في المعسكر الاشتراكي ليس بشكل مباشر بل بأن تصبح هي ذاتها نقطة التقاء طبيعية ومجال تفاعل بين القوى الاشتراكية الدولية المتباينة والتي يتضاءل تباينها في مضمار القضية الفلسطينية والقضايا العربية الاخرى ، اي ان المطلوب من الثورة الفلسطينية ان تكون كالثورة الفيتنامية تماما من حيث انها ابت ان تجعل من ذاتها ترجيحا لاحد الاطراف المتصارعة داخل المعسكر الاشتراكي ، واصرت ان تكون أداة استقبال لتلاف مستمر ونام بين أطراف المعسكر الاشتراكي . ثم ان على الثورة الفلسطينية والحركات الثورية العربية في الوطن العربي ان تتفاعل مع التجارب الثورية الجديدة في العالم الثالث وتدرسها بعناية ، وان تدرك بأن الكثير من البلدان المتعاطفة مع قضيتنا على المستويات الدولية والدبلوماسية ، على استعداد لنقل هذا التعاطف الى مرحلة متقدمة من التأييد الفعلي . وينطبق الشيء ذاته على بعض دول اميركا اللاتينية وغيرها من الدول الافريقية التي اخذ ينكشف لها زيف الادعاءات الصهيونية وحقيقة الدور الامبريالي لاسرائيل .

ان علينا ان ننظم علاقاتنا مع هذه المناخات الدولية المتجاوبة معنا بحيث نحول تجاوبها المعنوي معنا الى مساندة مادية فعلية وحتى لا يتحول تجاوبها المعنوي الذي لا أسنان له مجالا او فرصة لتحييدها من قبل اخصامنا . ان ارساء المقاومة الفلسطينية كقيادة لحركة تحرير فلسطين ، وارساء الشعب الفلسطيني جزءا أساسيا ، متميزا دون ان يكون منفصلا ، عن واقعنا القومي ، وتنظيم العلاقات العضوية بين الجماهير العربية والثورة الفلسطينية ، والتحرك المشترك بين الممارسات الثورية الفلسطينية وبين تبلور الارادة العربية ، وترجمة القدرة على فرض العقوبة على المصالح الامبريالية في المنطقة ، واخيرا المجالات المفتوحة أمامنا لشحن التعبئة الدولية ، كل هذه المعطيات والطاقات يمكن ان تتوجه نحو تغليب المطلوب على المرفوض ، وتغليب فتح القضية على محاولات قفلها ، وتغليب التحرير على التصفية . ان هذا يتطلب من المقاومة الفلسطينية ان تدرك بأن النضال الثوري متعدد الاوجه ، وان وجه النضال يحدد طبيعة الاصطدام مع الكيان الصهيوني والقوى الامبريالية .

واخيرا تبقى الاولوية المطلقة التي تعطي قيادة المقاومة للشعب الفلسطيني شرعيتها للكفاح المسلح . ان التزام الكفاح المسلح هو الذي يعطي المعنى الثوري لواقع الشعب الفلسطيني . ان التخلي عن الكفاح المسلح سيؤدي الى تفتيت الحالة الثورية العربية بشكل عام لان الكفاح المسلح هو الميزة التي تعطي الشعب الفلسطيني الصفة الطليعية في الصدام مع الامبريالية واسرائيل ، وهو الذي يحرك الجماهير العربية باتجاه الثورة المسلحة لتحرير فلسطين ، وهو الضاغط الاساسي لان تصبح القوى العسكرية النظامية في الدول العربية اكثر استعدادا لدخول المعركة واقل استعدادا لممارسة السلطات للقمع والارهاب . ان الكفاح المسلح الفلسطيني هو بالتالي أداة تثقيف سياسي للجماهير العربية ولقواها المسلحة الى جانب كونه أداة ضاربة ضد اسرائيل والرجعية .

تبقى كل هذه الاستنتاجات في الاطار النظري اذا لم تتوجه كل قوى الثورة الى المقتل في المحور الاميركي ــ الاسرائيلي ــ الهاشمي ، اي الى النظام الهاشمي القائم . لقد سقط هذا النظام جماهيريا الا انه ، بالاضافة الى ذلك ، بدأ يخرج عن حلقة النظام العربي الواحد ، فلا بد من اسقاطه كليا حتى تعود المقاومة الفلسطينية الى الاردن تمهيدا لجعل الاردن ما هو قدره اي ان يكون مجتمع التأهب للعودة وهانوي التحرير .

الاضرابات في اسرائيل

هاني عبد الله

اجتاحت اسرائيل في السنة الاخيرة موجة من الاضرابات شملت مختلف المرافق الاقتصادية بالاضافة الى قطاع الخدمات . ومن الملاحظ ان معظم هذه الاضرابات وقعت في القطاع الحكومي ، اي قطاع الخدمات ، وفي القطاع الهستدروتي . من الجدير بالذكر هنا ان هذه الاضرابات لم تكن ظاهرة شاذة او جديدة في علاقات العمل في اسرائيل ، بل هي ظاهرة ملازمة لهذه العلاقات ، ونتاج للسياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، الخاضعة كليا لاحتياجات الامن ولحالة الحرب القائمة عمليا منذ تأسيس دولة اسرائيل .

واذا استعرضنا احصائيات الجدول رقم ١ التي جرت المقارنة فيها بين تسعة بلدان تعتبر من البلدان المتقدمة صناعيا وبضمنها اسرائيل ، نجد بأن اسرائيل خلال الفترة ٦٥/٦٨ احتلت مكانا في الوسط في اربع السنين المذكورة . والملاحظ هنا انه في السنتين الاخيرتين وهما سنة الحرب والسنة التي تلتها هبطت اسرائيل الى المكان السادس ثم ارتفعت الى الخامس على التوالي . هذا الهبوط ثم الارتفاع ليس صدفة ولكنه يعود الى أسباب ليست اقتصادية فقط . بمعنى ان الهدوء النسبي في علاقات العمل ، يعود الى عوامل سياسية، استغلت جيدا من قبل أجهزة السلطة والاعلام في الدولة الصهيونية. هذا الاعلام ركز على حساسية الجمهور للوضع الامني بنجاح، الامر الذي جمد تناقضات المجتمع الاسرائيلي بأجمعها الاقتصادية منها والاجتماعية . هذا الجمود لا يمكن اعتباره استقرارا في الوضع الاقتصادي في اسرائيل ، او بشكل ادق استقرارا في علاقات العمل في اسرائيل ، بل هو ناتج عن تحويل الانظار عن المتاعب والاوضاع الداخلية وتركيزها على الخطر الخارجي . ولقد نجحت السياسة الاسرائيلية منذ تأسيس اسرائيل في استغلال هذا الامر أحسن استغلال . وفي هذا المجال تشارك جميع الاحزاب الصهيونية التي تدعو دائما في كل أزمة في علاقات العمل الى التعقل واخضاع المطالب النقابية الى صالح الاهداف القومية والسياسية العامة . كما وانه يجب ان لا ننسى ان في سنة الحرب وما بعدها حدث بعض التحسن في المجال الاقتصادي نتيجة للمساعدات المالية الكبيرة التي تدفقت على اسرائيل من الجاليات اليهودية ومن الولايات المتحدة على وجه

جدول رقم (١)

السنة	عدد الاضرابات	عدد ايام العمل المفقودة	المكان الذي تحتله اسرائيل بالنسبة للبلدان المتقدمة صناعيا بالنسبة لايام العمل المفقودة
١٩٦٥	٢٨٨	٣٢٧،٢٠٠	المكان الرابع ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، اسرائيل
١٩٦٦	٢٩٢	٢٤٠،٣٠٠	المكان الرابع ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، اسرائيل
١٩٦٧	١٤٢	٩٩،٥٠٠	المكان السادس ، ايطاليا ، كندا، الولايات المتحدة، فرنسا ، بريطانيا، اسرائيل
١٩٦٨	١٠٠	١١٠،٥٠٠	المكان الخامس ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، بريطانيا ، اسرائيل

الخصوص . وبالنسبة الى البطالة فقد انخفضت من ١٠ ٪ كما كانت في ١٩٦٦ الى ٤ ٪ او ٣ ٪ وهي نسبة منخفضة جدا ، واسرائيل تعاني من ازمة نقص في اليد العاملة ، لذلك نرى سعي الحكومة لاستقدام تلك الايدي العاملة من قطاع غزة والضفة الغربية .

ان اضرابات السنة الاخيرة كانت حلقة في سلسلة من الاضرابات ونزاعات العمل كما يبين الجدول الاول ، وفي السنتين ٦٩ — ٧٠ نستطيع ان نشير الى بعض الاضرابات المركزية التي حدثت فيهما مثل : اضراب عمال البريد وموزعيه وفنييه ، اضراب عمال الصيانة في ميناء اشدود وفي قطاع الخدمات ، اضراب المعلمين الثانويين ، واضراب الممرضات . وكمدخل للسنة الاخيرة لا بد وان نستعرض اتفاقية العمل التي وقعت في اوائل ١٩٧٠ بين الحكومة وممثلي اصحاب العمل والهستدروت ، تلك الاتفاقية التي وضعت الاسس لسياسة الاجور والاسعار والضرائب للسنتين ٧٠ — ٧١ . فمن المعلوم بأنه تعقد اتفاقيات عمل كل سنتين على الاغلب ، وبهذا الخصوص فقد كان اصحاب العمل والحكومة يسعون دائما الى جعل اتفاقيات العمل لفترات اطول بينما كانت الهستدروت تسعى الى تقصير الفترة نظرا للتغييرات التي كانت تحدث في حقلي الاسعار والضرائب في فترات متقاربة .

مع قرب انتهاء اتفاقيات العمل الجماعية في اواخر سنة ٦٩ ، بدات سلسلة طويلة من المشاورات والمفاوضات للاتفاق على سياسة اجور جديدة للسنتين القادمتين . ان المتتبع للتصريحات والبيانات التي اعطيت حول الموضوع يخرج بنتيجة بأن موقف الهستدروت لم يكن ثابتا وقاطعا منذ البداية . وكان هذا الموقف وخصوصا موقف اعضاء المكتب التنفيذي للهستدروت يخضع لاعتبارات حزبية ، رغم محاولة سكرتير الهستدروت ، اسحاق بن اهرون ، الظهور احيانا بمظهر المناوىء للسياسة المالية الحكومية ، والمدافع عن حقوق العمال والمستخدمين في كافة المرافق الاقتصادية . ولكن السكرتير العام والمكتب التنفيذي للهستدروت خضعا في النهاية لراي وزير المالية الاسرائيلي بالنسبة للمفاوضات التي جرت لرسم سياسة الاجور الجديدة . في البداية طالبت الهستدروت برفع الاجور بنسبة ١٠ — ١٢ ٪ ثم عادت وتنازلت الى ٦ — ٨ ٪ تدفع نقدا واخيرا عادت وتبنت او بالاحرى خضعت لموقف ممثلي اتحاد اصحاب العمل ووزارة المالية ، عندما وقعت على ما سمي فيما بعد بـ « صفقة الرزمة » . لقد خيم على المفاوضات سيف الضرائب الجديدة الذي هدد به وزير المالية في حالة عدم خضوع الهستدروت لسياسة الاجور التي تبناها . والاتفاقية التي وقعت فيما بعد تثبت ان وزير المالية نجح في كبح جماح الهستدروت وانتصر على سكرتيرها العام عندما استطاع ان يقنعه بأن لا حيار امامه الا التوقيع وقبول « صفقة الرزمة » او مواجهة فرض ضرائب جديدة وعالية تمتص اي ارتفاع في الاجور تطالب به الهستدروت . واخيرا خضع سكرتير الهستدروت لتهديدات وزير المالية واقر المكتب التنفيذي للهستدروت الاتفاق . اما الاطراف التي وقعت الاتفاق فهي : الهستدروت ، الحكومة واصحاب العمل ، ثم الحقت بالاتفاق « مذكرة » وقعت عليها الهستدروت واصحاب العمل ، وفيما يلي نص بعض فقرات اساسية من « صفقة الرزمة » والمذكرة .

١ — يحصل العمال في سنة ١٩٧٠ على العلاوات التالية : (أ) تعويض مقابل الغلاء بنسبة ٤ ٪ من الاجر الاساسي القائم ، هذه العلاوة تدفع نقدا وتكون معفية من ضريبة الدخل . (ب) علاوة بنسبة ٤ ٪ من الاجر الاجمالي . هذه العلاوة بعد تخفيض ضريبة الدخل المستحقة قانونيا ، تدفع بسندات دين حكومية مربوطة بمعدل جدول الاسعار للمستهلك ، وتخضع لفائدة وتسجل في تعرفة الاجر .

٢ . اما العمال المعفيون من ضريبة الدخل فتدفع لهم هذه العلاوة ايضا نقدا .

٣. اما من جهة اصحاب العمل فهم ملزمون بامتلاك سندات دين حكومية بمبلغ يعادل ٤٪ من أجور عمالهم .

٤. كما اتفق على رفع النسبة المئوية التي تدفع للتأمين الوطني ، لصندوق المساواة للاحتياط . كما ويرفع الحد الاعلى الخاضع لهذه الدفعات ، ويقام صندوق تأمين ضد البطالة . مجموع ارتفاع النسب على هذه الدفعات لا يتعدى ٥،٥٪ من الاجر يدفعها صاحب العمل و١،٤٪ يدفعها العامل .

٥. في العام ١٩٧١ تدفع زيادة على الاجر بنسبة ٢٪ من الاجر الاجمالي اما بسندات دين او نقدا كما يتفق بين الفرقاء المعنيين .

٦. في حالة ارتفاع نسبة معدل جدول الاسعار للمستهلك في سنة ١٩٧٠ حتى ٣٪ وما فوق بالمقارنة بالمعدل في سنة ١٩٦٩ ، يدفع تعويض مقابل الغلاء بموجب الطريقة المنصوص عليها في البند (١) فقرة (أ) المذكورة أعلاه .

٧. يلتزم اصحاب العمل بعدم رفع الاسعار بطريقة مباشرة او غير مباشرة نتيجة لزيادة الاجور ولامتلاك السندات والدفعات المفصلة في البند (٤) المذكور اعلاه .

٨. تلتزم الحكومة بأن ترفع الضرائب المباشرة في سنة ١٩٧٠ ، وبأن لا تلغي المعونات التي تدفعها على المنتوجات الاستهلاكية والخدمات الحيوية . وفي هذا المجال يتفق ممثلو الحكومة ، الهستدروت واصحاب العمل على قائمة بأسماء المنتوجات الاستهلاكية والخدمات غير الحيوية الخاضعة لزيادة الضرائب او السندات . وفي حال اضطرار الحكومة لزيادة الضرائب غير المباشرة في سنة ١٩٧١ ، تجري الحكومة مشاورات مسبقة مع ممثلي الهستدروت واصحاب العمل .

٩. تعمل الحكومة ، الهستدروت واصحاب العمل معا من اجل منع ارتفاع اسعار المنتوجات الاستهلاكية والخدمات الحيوية .

١٠. ان تنفيذ وفعالية البنود (١) «ب» ، (٣) ، (٥) المذكورة اعلاه في سنة ١٩٧١ خاضع ومشروط باستمرار تنفيذ البنود (٧) و(٨) في نفس السنة .

اما بنود المذكرة التي وقعت بين الهستدروت وبين منظمات اصحاب العمل فهي كما يلي :
(أ) مع توقيع التسوية الشاملة في ٧٠/١/٣١ ، تبدأ المفاوضات حالا بين التنظيمات والنقابات المهنية العامة ، ومجالس العمال وبين اصحاب العمل في المرافق الاقتصادية المختلفة لتجديد اتفاقيات العمل الجماعية للسنتين ٧٠ — ٧١ بموجب التسوية الشاملة المذكورة اعلاه . وتجدد الاتفاقيات خلال شهر ، وفي حالة عدم وجود اتفاق ، ينقل الامر للجنة المركزية المشتركة . وحتى اتخاذ قرار تبقى الاتفاقيات الحالية سارية المفعول .
(ب) التغييرات في الشروط الاجتماعية التي يتفق عليها بين أطراف الاتفاقيات الجماعية في نطاق المفاوضات المذكورة اعلاه ، يعمل بها ابتداء من ٧١/١/١ او اثني عشر شهرا بعد تجديد الاتفاق في سنة ١٩٧٠ .

وقد علق وزير المالية الاسرائيلي ، بنحاس سبير ، على توقيع « صفقة الرزمة » بقوله : « ان الاستعداد للتوصل لتسوية شاملة ، كان نتيجة لوقوفنا جميعا على خطورة الوضع وعلى الاخطار التي كانت تكمن للاقتصاد لولا اننا استطعنا ايقافها بواسطة التسوية الشاملة »(٢). ثم يستطرد الوزير في معرض تبريره لصفقة الرزمة وللظروف التي سبقتها مشيرا الى ان الاستقرار الذي تمتع به الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنين التي تلت الحرب ، والذي نجم عن استقرار مثلث الاسعار — الضرائب — الاجور ، لم يعد بالامكان المحافظة عليه ، نظرا لان احتياجات الامن والهجرة تلزم الحكومة بانفاق مبالغ ضخمة بالعملة الصعبة والمحلية . لقد اضطرت الحكومة في السنة السابقة ان تصدر

مئات الالاف من الليرات لتمويل نفقات الامن . وهذه الاموال تؤدي الى زيادة الانفاق عند الجميع . ولذلك فقد زاد الاستيراد وانخفض الاحتياطي من العملة الصعبة الى درجة خطيرة ، ولذلك فمن الضروري زيادة واردات الحكومة بدرجة ملحوظة ، لكي يصبح بالامكان ايقاف ارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة التصدير ، ولتحديد وتقليص الاستيراد والعجز في ميزان المدفوعات . امام هذا الوضع كان لا بد من زيادة الضرائب بنسبة كبيرة تمتص تلك الزيادة في الاجور التي تؤدي الى زيادة الانفاق وبالتالي الاستيراد وهكذا ... لقد أوقف الوزير جميع الفرقاء على هذا الوضع وعلى الخطورة الكامنة به ، لذلك استجاب اصحاب العمل والهستدروت لمقترحات وزارة المالية وتم توقيع صفقة الرزمة التي من المفروض ان توقف هذا التطور وتضع حدا لحالة عدم الاستقرار التي كانت ستصيب الاقتصاد وعلاقات العمل في اسرائيل . اما ماهية هذه التسوية فهي : وضع حد لارتفاع الاسعار ، ارتفاع الاجور بنسبة معقولة وعادلة ، ازدياد او ارتفاع الدفعات للتأمين الوطني ، لصندوق المساواة للاحتياط واقامة صندوق تأمين ضد البطالة ، اما الحكومة فستمتص مبالغ كبيرة بواسطة رفع رسوم الامن على ضريبة الدخل وتحويل قرض الامن الى قرض الزامي بعدما كان قرضا اختياريا .

لقد كانت قضية العجز في ميزان المدفوعات النقطة المركزية التي حاول وزير المال الاسرائيلي ان يجد علاجا لها ، هذا العجز هو نتيجة مباشرة لازدياد النفقات الامنية خلال السنين الثلاث الاخيرة . سيصل العجز المبرمج في السنة المالية ٧٠/٧١ الى مبلغ ٦٦٠ مليون ليرة من اصل عجز شامل يبلغ مليارى ليرة اسرائيلية . اما تغطية هذا العجز فستكون بوسائل متعددة منها : تقليص ميزانيات الوزارات ومشاريع التطوير بمقدار ٣٤٠ مليون ليرة . ومنها توفير مبلغ مليار ليرة اسرائيلية بواسطة رفع تقديرات الدخل وبواسطة سندات الدين التي نصت عليها « صفقة الرزمة » ، وبواسطة رفع نسبة رسوم الامن على المداخيل ، وبواسطة قرض الامن الالزامي واخيرا زيادة نسبة حصص العمال واصحاب العمل التي تدفع للتأمين القومي .

لقد كانت هناك شكوك جدية في مدى امكانية المحافظة على « صفقة الرزمة » ، وفي مدى استطاعتها تحقيق الاهداف التي وجدت من اجلها . والصفقة كما اثبتت الاحداث التي وقعت على صعيد علاقات العمل بعد توقيعها لم تحقق ولم تضع حدا لارتفاع الاسعار ، وسياسة الاجور التي تبنتها لم تكن في صالح العمال والمستخدمين . فالمتتبع للمفاوضات التي جرت في أواخر سنة ٦٩ واوائل سنة ٧٠ لتقرير سياسة الاجور للسنتين القادمتين ، يرى بوضوح ان قادة الهستدروت والسكرتير العام على وجه الخصوص خانوا مصالح الطبقة التي من المفروض ان يدافعوا عن مصالحها بتنازلاتهم المتتالية اثناء المفاوضات . فمن مطالبة بزيادة في الاجر بمقدار ١٠٪ كحد ادنى و١٢٪ كحد اعلى الى ٦ — ٨٪ الى الاتفاقية التي اعطت ٤٪ زيادة نقدا و٤٪ بسندات دين حكومية تدفع بعد مضي اربع سنوات او أكثر . لقد حاول الكثيرون من قادة الهستدروت ان يصوروا الصفقة على انها انتصار للطبقة العاملة في اسرائيل من جهة وانها سياسة حكيمة اخذت بعين الاعتبار الوضع الامني والاقتصادي للبلاد وانها تدل على مدى المسؤولية التي يتحلى بها المجتمع الاسرائيلي والطبقة العاملة على وجه الخصوص من جهة ثانية . لقد كانت المعارضة للصفقة من اقصى اليمين واليسار . فاليمين كان يطالب بتجميد الاجور وبخفض قيمة الليرة وزيادة الضرائب كمخرج للوضع الاقتصادي وبالذات لتخفيض العجز في ميزان المدفوعات .

ولكن وزير المالية رفض الاخذ بوجهة نظر الاقتصاديين وخبراء المال هذه ، وقام باعداد صفقة الرزمة كبديل لتخفيض قيمة الليرة ومن اجل تخفيض العجز في ميزان المدفوعات كما بينا أعلاه . اما اليسار في الهستدروت المتمثل في الحزب الشيوعي الاسرائيلي

« راكاح » فيرى ان جذور الوضع كامنة في السياسة التوسعية والعدوانية التي تنتهجها الحكومة ، التي تؤدي بالضرورة الى ازدياد مضطرد في نفقات الدفاع والامن ، وهذه النفقات بدورها تؤدي الى انخفاض مستوى المعيشة والى الاضرار بمصالح الطبقة العاملة .

والسؤال الذي طرحه الكثيرون قبل وبعد اقرار « صفقة الرزمة » حول امكانية تنفيذ الصفقة ، وعدم الاخلال ببنودها من اي طرف من الاطراف ثبتت صحته . فخلافات العمل والاضرابات التي تفجرت خلال السنتين الاخيرتين كافية للتدليل على ان الصفقة لم يكن بالامكان تنفيذها نظرا لانها كانت مجحفة بحق العمال والمستخدمين . والجدول التالي يبين التغييرات في قسيمة الاجور .

جدول رقم ٢(٢) عامل متزوج + ٢

الخصميات الاضافية					الدفعات التي يقبضها الاجير		
						ماذا تبقى للاجير	
الدخل الشهري الاجمالي باللبرات	رسم الامن الاضافي باللبرات	زيادة للتأمين القومي باللبرات	قرض الامن الالزامي باللبرات	مجموع الزيادة في الخصميات باللبرات	الزيادة المدفوعة نقدا والمعفية من ضريبة الدخل باللبرات	الزيادة الكلية بسندات الدين باللبرات	نقدا صافي باللبرات	سندات دين قبل خصم الضريبة باللبرات
٤٠٠		٦	٤	١٠	١٣	١٦	٣	١٦
٥٠٠	١	٧	١٠	١٨	١٥	٢٠	٣ —	٢٠
٦٠٠	٢	٩	١٥	٢٦	١٨	٢٤	٨ —	٢٤
٧٠٠	٣	١٠	٢٢	٣٥	٢١	٢٨	١٤ —	٢٨
٨٠٠	٤	١٥	٢٨	٤٧	٢٤	٣٢	٢٣ —	٣٢
٩٠٠	٥	١٧	٣٤	٥٦	٢٨	٣٦	٢٨ —	٣٦
١٠٠٠	٧	٢٣	٣٩	٦٩	٢٨	٤٠	٤١ —	٤٠
١٢٠٠	١١	٣٠	٥٣	٩٤	٢٨	٤٨	٦٦ —	٤٨
١٥٠٠	١٨	٤١	٧٤	١٣٣	٢٨	٦٠	١٠٥—	٦٠
٢٠٠٠	٣٠	٤١	١٠٩	٢٠٠	٢٨	٨٠	١٧٢—	٨٠

لقد فشلت صفقة الرزمة في تحقيق اهدافها منذ سنتها الاولى . فالاضرابات لم تتوقف وكذلك ارتفاع الاسعار . فخلال تسعة الاشهر الاولى من ١٩٧٠ زاد عدد الاضرابات عن نفس الفترة من السنة الماضية بـ ٤٠٪ وبلغ عدد المشتركين في الاضرابات ٩٨ الف شخص . اما عدد الايام التي فقدت بسبب الاضرابات فبلغ ١٧٢ الف يوم عمل مقابل ٧٢ الف يوم عمل فقدت في نفس الفترة من السنة الماضية ، اي سنة ٦٩(٤). اهم الاضرابات التي ابرزتها الصحف في تلك السنة كان اضراب المعلمين الثانويين . فالازمة بدات في اوائل سنة ٧٠ ، حيث اعلن المعلمون عن نزاع عمل وقدموا مطالبهم. في منتصف سنة ٧٠ ابلغوا برفض مطالبهم ، وتجمد الموقف نظرا للعطلة الصيفية ، وفي اثناء تلك العطلة لم تقم الحكومة بعمل اي شيء لتسوية المشكلة وفي اوائل نوفمبر اعلن عن الاضراب . وكانت المفاوضات قد تجددت قبل موعد اعلان الاضراب بثلاثة ايام ، ولم تؤد الى نتيجة ، وادعى الوزير الون بأن الوقت لم يكن كافيا وطلب من المعلمين العودة الى العمل والبدء بالمفاوضات من جديد . وهكذا ففي ١٦ كانون الاول سنة ٧٠ عاد

المعلمون الى العمل واعطوا الوزارة مهلة ثلاثة اسابيع لتسوية مطالبهم . ولكن الحكومة كانت تماطل وطلبت من المعلمين الانتظار ريثما تبدأ المفاوضات الجديدة حول سياسة الاجور في اوائل سنة ٧١ لتقرير سياسة اجور شاملة وحتى لا يكون امتثالها لمطالب المعلمين بمثابة سابقة لبقية المستخدمين عند بدء المفاوضات في اوائل سنة ٧١ ، وفي النهاية حقق المعلمون بعضا من مطالبهم المتعلقة بزيادة في الاجور ومساواتهم في التدرج المتبع عند الاكاديميين بفضل التأييد الذي لاقوه من آباء الطلاب والمنظمة التي اقيمت خصيصا من آباء الطلاب لمساندة المعلمين في مطالبهم . وكانت مطالب المعلمين بالطبع تتعدى اتفاقية « صفقة الرزمة » .

اما الوضع في جبهة علاقات العمل وخصوصا في القطاع العام فقد كان في بداية عام ١٩٧١ كما يلي : ١) هنالك مفاوضات لم تنته بعد ، مع منظمة الموظفين واتحاد مستخدمي الدولة ، بخصوص التدرج الموحد للموظفين . هذا القطاع يضم ١٥٠ الف مستخدم . هؤلاء الموظفون يطالبون ببعض المنافع التي حصل عليها الاكاديميون مثل دفعات من اجل تشجيع البحث العلمي . ٢) في نطاق التدرج الموحد توجد ايضا مطالب خاصة للموظفين الكبار (٥٠٠٠ ــ ٧٠٠٠ موظف) اذ يطالب هؤلاء بمساواتهم بالاكاديميين . ٣) اما وضع المعلمين فأشد خطورة ، حيث يهددون بالاضراب . هؤلاء المعلمون يطالبون بزيادة في الاجر تقارب ٥٠ ٪ بالنسبة لسنة ١٩٦٩ ، بشرط ان تكون ذات مفعول رجعي ابتداء من نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٠ ، بينما الحكومة مستعدة لزيادة تبلغ ٣٥٪ فقط . ٤) اما الممرضات اللواتي وقع اتفاق معهن ، فهن يهددن بالاضراب ثانية . وقدمن في الآونة الاخيرة مطالب اخرى تتلخص بزيادة في الاجر بمقدار ٧٠ ٪ بالنسبة لعام ١٩٦٩ ويبلغ عدد الممرضات عشرة آلاف ممرضة في القطاع العام . ٥) وايضا هنالك ٤٠٠ من مستخدمي التصوير بأشعة « رنتجن » قاموا منذ أشهر باضراب تباطئي . ان مطلبهم يتعدى صفقة الرزمة وهم يهددون بالاضراب الشامل . ٦) كما وان المفاوضات مع مستخدمي المختبرات ومع الصيادلة في القطاع العام لم تنته بعد . هؤلاء يبلغ عددهم بين ٣٠٠٠ ــ ٤٠٠٠ مستخدم .

وهكذا نرى انه مع بداية عام ١٩٧١ كانت هنالك بعض الجيوب في القطاع العام التي لم تسوَّ فيها خلافات العمل . والمتتبع للاحداث على هذا الصعيد يرى ان سنة ١٩٧١ تشكل استمرارا لموجة الاضرابات الشاملة والجزئية التي تنتاب اسرائيل منذ سنوات . والارقام التالية التي نشرتها صحيفة الاتحاد استنادا الى التلخيصات التي نشرتها وزارة العمل الاسرائيلية ترينا ما يلي(٥): تدل التلخيصات التي نشرتها وزارة العمل على انه تسجل في النصف الاول من سنة ١٩٧١ ، ٩٠ اضرابا وتوقفا كليا عن العمل مقابل ٨١ اضرابا وتوقفا عن العمل في نفس الفترة من السنة المنصرمة . كما وانه جرى ارتفاع في عدد الاضرابات الجزئية ، ففي الفترة ما بين كانون الثاني وحزيران ١٩٧١ جرى ٣٥ اضرابا جزئيا مقابل ٣٠ اضرابا جزئيا في الفترة المقابلة من السنة الماضية وقد تم ٧١٪ من الاضرابات في القطاع الحكومي و٥ ٪ في القطاع الهستدروتي و٢٤ ٪ في القطاع الخاص وبالمتوسط بلغت مدة الاضراب في السنة ١٩٧١ حوالي عشرة ايام مقابل ٣،٤ يوما في سنة ١٩٧٠ ، ٢،٣ يوما في سنة ١٩٦٩ و١،٧ يوما في ١٩٦٨ . اما نتائج الاشهر تموز ، آب وايلول فتشير الى استمرار الاتجاه وارتفاع النسبة . فخلال الاشهر الثلاثة ارتفع عدد الاضرابات نسبيا وبلغ ٤٨ اضرابا عاديا و٣٤ اضرابا جزئيا ، مثل الاضرابات على النمط الايطالي ــ التوقف عن القيام بساعات عمل اضافية وعقوبات اخرى . كما وان نسبة الاضرابات في القطاع الحكومي ارتفعت ايضا في الاشهر المذكورة حيث وصلت الى ٨٥ ٪ من مجموع الاضرابات .

لقد اجرت وزارة العمل الاسرائيلية تحليلا مقارنا لظاهرة الاضرابات في عشرة بلدان

رأسمالية صناعية بين السنوات ١٩٦٠ ــ ١٩٦٩ . ودل التحليل المقارن على ان اسرائيل تحتل مكانا بارزا خصوصا بالنسبة للاضرابات في قطاع الخدمات ، حيث تحتل المرتبة الثانية .

جدول رقم (٣)(٦)

تدريج ظاهرة الاضرابات في عشر دول صناعية في السنوات ٦٠ ــ ٦٩ وفق فروع الاقتصاد المختارة :

الدولة	مجمل الاقتصاد	الصناعة	الزراعة	الخدمات
ايطاليا	١	١	١	١
الولايات المتحدة	٢	٢	٢	٠
كندا	٣	٣	٣	٣
استراليا	٤	٤	٠	٠
فرنسا	٥	٥	٩	٥
بريطانيا	٦	٦	٤	٧
اليابان	٧	٧	٦	٤
اسرائيل	٨	١٠	٥	٢
نيوزيلندا	٩	٩	٧	٨
فنلندا	١٠	٨	٨	٦

ومع اقتراب انتهاء النصف الاول من سنة ١٩٧١ عمت اسرائيل موجة من الاضرابات لم يسبق لها مثيل في تاريخ اسرائيل بموجب رأي جميع الصحف العبرية الصادرة في تلك الفترة . وابرزت صحيفة « يديعوت احرونوت » الصادرة في ٧١/٦/١٧ الوضع تحت العنوان التالي : « موجة جديدة من الاضرابات تهدد الاقتصاد الاسرائيلي ، وقانون تجميد الاضرابات لم يجمد نزاعات العمل » . وقالت الصحيفة في مجمل تعليقها على الوضع ، ان موجة مشاعر الظلم والحرمان التي اجتاحت البلاد في الاسابيع الاخيرة (الاشارة الى مظاهرات واحتجاجات حركة الفهود السود ، والى التململ الاجتماعي بين الطوائف الشرقية من اليهود) تركت مكانها لموجة اخرى من الاضرابات . والذي يثير الاستغراب عند الصحيفة كون المضربين والمهددين بالاضراب هم مجموعات من العمال الذين يتقاضون أجورا عالية نسبيا : مثل أعضاء تعاونيات النقل العام ، مستخدمي شركة الكهرباء ، مديري العمل في الموانىء واطباء المستشفيات الحكومية وغيرهم . ولكن الصحيفة تستدرك وتقول بأن عمال المصانع والمعامل ، ومستخدمي قطاع الخدمات من ذوي الدرجات المنخفضة من ناحية الاجر غير راضين ايضا عن وضعهم وبدأوا في التحرك ايضا . وفي اجتماع مشترك عقد في شمال البلاد ، وضم ممثلين عن عدة مصانع (مثل يشاسبعط ، شتراوس وغيرهم) بالاضافة الى ممثلي وزارة العمل والصحة ابرز العمال تذمرهم من الوضع الاقتصادي ومن الانتهاكات الخطيرة لاجر العمال والمستخدمين وطالبوا لجان العمال والهستدروت بمراقبة الاسعار . اما جواب الحكومة فجاء على لسان وزير المالية الصهيوني اثناء مناقشة الموضوع في الكنيست حيث قال : « آمل ان نستطيع وقف التدهور في مجال الاسعار والاجور الذي اتفقنا عليه ، وانا على ثقة بأن المنطق سيتغلب على الرغبة للحصول بالقوة على فوائد مؤقتة ووهمية »(٧). ومن الجدير بالذكر بأن الحكومة كانت قد سنت قانونا في ١٩٦٩ لتجميد الاضرابات ، وبموجب هذا القانون يتحتم على العمال او المستخدمين الذين ينوون الاضراب ان يعلنوا عن عزمهم على ذلك قبل اسبوعين من بدء التنفيذ ، لكي تكون هنالك مهلة كافية لمعالجة الموضوع ، ولكن هذا القانون لم يتقيد به احد وجميع الاضرابات تقريبا تجاهلته . بالاضافة الى هذا

القانون ، كانت الحكومة قد اقامت ايضا محاكم عمل لوائية للبت في نزاعات العمل ، ومهمة هذه المحاكم البت في قانونية الاضراب وشرعية المطالب التي يرفعها العمال والمستخدمون . والمستعرض لجميع الاضرابات والدعاوى التي أقيمت ضد العمال والمستخدمين المضربين يرى ان هذه المحاكم كانت دائما تدين المضربين بتهمة خرق اتفاقيات العمل وعدم التقيد بنصوص قانون « تجميد الاضرابات » وتأمرهم بالعودة الى العمل .

أولى بوادر النزاعات العمالية ، كان الاضراب الانذاري الذي أعلنه أعضاء التعاونيات للنقل العام ، شركتا « ايجد » و« دان » كاحتجاج على عدم تلبية مطالبهم لرفع اجور السفر حالا بنسبة ٥٠ — ٦٠ ٪ ، فشركة « ايجد » طالبت بمبلغ ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية ، وشركة « دان » بمبلغ ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية ، لكي تتمكنا من التخلص من وضعهما المالي الخطير . مع العلم بأن السبب في ازدياد نفقات التعاونيات يعود — بالاضافة الى اسباب اخرى — الى الزيادة في الاجور التي حصل عليها اعضاء التعاونيات .

اما رد الحكومة على هذا الاضراب الانذاري فجاء على لسان نائب وزير المواصلات الاسرائيلي ، جاد يعقوبي حيث قال « مع كل فهمي للضائقة المالية للتعاونيات في قطاع النقل العام ، لا اعتقد بأن الاضراب الانذاري الذي قاموا به كان أمرا مشروعا من اية ناحية . لقد جاء هذا الاعلان عن الاضراب مساء اجتماع اللجنة الوزارية للشؤون الاقتصادية للبحث في مطالب التعاونيات ، وهو أمر مضر بمصلحة الجمهور »(٨) .

ولقد إستجابت الحكومة لمطالب التعاونيات من ناحية مبدئية ، وعرضت عليهم زيادة بنسبة ١٠ — ١٥ ٪ ابتداء من شهر أيلول — سبتمبر الماضي . وفي حالة عدم تقبل التعاونيات لهذا الامر فلقد اعدت وزارة المواصلات برنامجا للطوارىء ، يسمح بموجبه لسيارات النقل الخاصة ان تقوم بنقل الركاب مقابل اجر . وفي عدد يديعوت أحرونوت الصادر في ٧١/٦/١٨ تطالعنا الصحيفة بالعناوين التالية حول الاضرابات ونزاعات العمل : « ضوء أحمر في جبهة الاجور » ، « رقم قياسي في نزاعات العمل والقضية سائرة الى مزيد من التعقيد » ، « الهستدروت يتخذ موقفا مؤيدا من بعض مجموعات العمال ذوات النفوذ بدعوى انها فقدت السيطرة على العمال » ، « التصادم بين الحكومة والهستدروت » ، « وزير المالية : زيادة في الاجور ستجر الى زيادة في الضرائب » . ثم تعدد الصحيفة الاضرابات ونزاعات العمل خلال الاسبوع الاخير : ١) اضراب مستخدمي شركة الكهرباء الذين يطالبون بزيادة في الاجور . ٢) اضراب انذاري لتعاونيات النقل العام الذين يطالبون برفع تعريفة السفر . ٣) اضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية الذين يطالبون بزيادة في الاجور . ٤) اضراب جزئي بدأ به الاطباء العاملون في خدمة الدولة . وقد توقفوا عن معاينة المرضى واستقبالهم الا في الحالات الضرورية . ٥) المعيدون في الجامعات اعلنوا عن مطالب جديدة تتعلق بهم ، ومن المحتمل الاعلان عن نزاع عمل حول الموضوع . ٦) الممرضات يطالبن بتحسين في الاجور عقب اتفاقية العمل التي عقدت مع مستخدمي « رنتجن » وهم يهددون بالاعلان عن نزاع عمل، ٧) عمال الادارة في الموانىء يهددون باتخاذ اجراءات ضد سلطة الموانىء اذا لم تستجب لمطالبهم . ٨) المرشدون او المدربون في المدارس البحرية ، امتنعوا عن مرافقة الطلاب في السفرات البحرية التدريبية . وهم يطالبون بتحسين اجورهم . ٩) عمال التنظيفات في تل — أبيب اضربوا عن العمل ليوم واحد كاحتجاج لعدم تزويدهم بثياب عمل مناسبة. ١٠) جميع عمال ومستخدمي البريد على عتبة الاعلان عن نزاع عمل. في هذه المرحلة تقدم عمال الهندسة في البريد بمطالبهم، مع العلم بأن اتفاقية العمل معهم قد وقعت منذ شهرين. كما وان سعاة البريد السريع اضربوا ويطالبون بعلاوة مقابل الجهد الذي يبذلونه نتيجة

لتراكم العمل ، كما وان مستخدمي السنتـرال للمكالمات الخارجيـة يهددون ايضا بالاضراب .

في الحقيقة هذا هو جزء واحد فقط من الصورة، وهو استعراض للاضرابات خلال اسبوع واحد فقط . وهو مقتصر على الاضرابات في قطاع الخدمات ، ولكن هنالك عددا مـن الاضرابات ما زالت معلقة في المشاريع الصناعية الخاصة ، حيث قدمت لجان العمال في هذه المصانع مطالب لتغيير التدرج للمستخدمين او لرفع الاجور وزيادة العلاوات . ومن الجدير بالذكر ان التدهور في علاقات العمل بارز اكثر في القطاع العام ، خصوصا في مجال الخدمات . وهذا المجال تشرف عليه الوزارات المختلفة ، ومن هنا الحساسية لكل تدهور في علاقات العمل في هذا المجال . ومن هنا تنبع اهميـة الدور الذي لعبتـه الهستدروت في هذه الخلافات ، حيث وضع شعار الهستدروت القديم القائل بأفضلية «المصلحة القومية» على «المصلحة الطبقية» في موضع الاختبار، ولقد اثبتت الهستدروت انها ما زالت امينة لهذا الشعار القديم، حيث كانت ترضخ في النهاية لسياسة الحكومة في مجال الاجور والاسعار والضرائب، رغـم بعض المحاولات التي كان يقـوم بها قادة الهستدروت للظهور بمظهر المدافعين عن حقوق الطبقة العاملة. من الاضرابات التي اثارت ضجة وحساسية في سنة ١٩٧١، كان اضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية ، واضراب موظفي وشرطة الجمارك في ميناء اسدود ومطار اللد ، واضراب عمال الادارة والمرافق في صندوق المرض التابع للهستدروت ، واضراب مستخدمي شركة الكهرباء. ان المهم في هذه الاضرابات ـ عدا كونها تشكل صداما مباشرا بين جماهير العمال وبين القيادة البيروقراطية العمالية الحاكمة، المتمثلة في حزب العمل الاسرائيلي بشكل خاص وبالتجمع العمالي ـ المعراخ، المكون من حزب العمل وحزب العمال الموحد، المابام بشكل عام ـ هو الاسلوب الذي اتبعته «الحكومة العمالية» في معالجة هذه الاضرابات، وما ادت اليه تلك المعالجة من اقرار اقتراح قانون « تسوية نزاعات العمـل » الذي اعتبرته الاحزاب البرجوازية بمثابة خطوة على الطريق من اجل سن تشريع شامل ينظم علاقات العمل . ان الاسلوب الذي عالجت به « الحكومة العمالية » اضراب عمـال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية يعيد الى الاذهان، طريقة معالجة «الحكومة العمالية» لاضراب عمال ومستخدمي البريد في ١٩٦٩ ، حيث اصدر وزير البـريد اوامر تقييد اجبارية تلزم العمال بالتواجد في اماكن عملهم وبتنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم من قبل المسؤولين . ومن الجدير بالذكر ان « الحكومة العمالية » آنذاك سنت قانون « تجميد الاضرابات » الذي يلزم العمال بالاعلان مسبقا عن عزمهم على اللجوء الى الاضراب قبل اسبوعين من التنفيذ ، ويظهر ان هذا القانون ومحاكم العمل التي اقيمت فيما بعد للبت في قانونية الاضراب وشرعية المطالب لم يكونا كافيين لردع العمال عن اللجوء الى سلاح الاضراب لنيل حقوقهم ، حيث تدل جميع الوقائع المتعلقة بالاضرابات الاخيرة بأن العمال لم يتقيدوا بقانون « تجميد الاضرابات » .

في منتصف حزيران بدأت سلسلة من الاضرابات احدثت ردود فعل عنيفة عند الحكومة نظرا لحساسية المرافق التي وقع الاضراب فيها . بدأت هذه السلسلة باضراب عمـال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية البالغ عددهم ٦،٥٠٠ عامل ، وقدم العمال سلسلة من المطالب المتعلقة بزيادة الاجر والعلاوات والمنافع الاخرى ، ولكن الحكومة لم تستجب لمطالبهم ، وطالبتهم بفك الاضراب والعودة الى المفاوضات ، ولما رفض العمال طلب الحكومة قامت الحكومة بعقد جلسة خاصة للنظر في تدهور العلاقـات في مجـال العمل ، لوضع حد لخرق اتفاقيات العمل . وفي هذه الجلسة التي عقدت في ٧١/٦/١٨ قررت الحكومة بالاجماع وبدون اي تحفظ من وزراء حزب المابام او مـن سكرتـير الهستدروت الطلب من المضربين العودة الى العمل والا اضطرت الى اصدار اوامر اقامة

اجبارية بحقهم*. ولقد خولت الحكومة في نفس الجلسة وزير الصحة المباميي فكتور شمطوف باصدار انظمة لحالة الطوارىء لالزام المضربين بالعودة الى عملهم . هذه الانظمة تحل على العمال كأفراد وكمجموعة ، بمعنى انه في حالة رفض اي عامل لهذه الاوامر ، فهو يعرض نفسه لعقوبة اقصاها سنتين سجن وغرامة مبلغ ٥٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية . اما رد فعل رئيس نقابة عمال الادارة والمرافق على اصدار القوانين فجاء كما يلي : « في اللحظة التي سنستلم بها اوامر الاقامة الاجبارية ، سنعود الى العمل حالا دون ان تكون هناك اية حاجة لاستعمال القوة »(٩).

لقد كان لاصدار اوامر الاقامة الاجبارية اثره فيكسر باقي الاضرابات مثل اضراب الاطباء، وموظفي شركة الجمارك ومستخدمي شركة الكهرباء . لقد تيقن ممثلو هؤلاء المضربين بأن الحكومة مصممة على كسر الاضرابات بواسطة اوامر الاقامة الاجبارية ، ولذلك قرروا العودة الى العمل مكرهين على اساس بدء المفاوضات من جديد حول مطالبهم . ان الذي يلفت النظر هنا ، بالاضافة الى موقف الحكومة والاجراءات التي اتبعتها لكسر الاضرابات وتوقيع وزير الصحة المباميي على اوامر الاقامة الجبرية ، هو موقف الصحف الصهيونية من الاضرابات الاخيرة . لقد قامت الصحف الصهيونية بحملة اعلامية مركزة مستنكرة لجوء العمال الى الاضراب ، لتحقيق مطالبهم ، ولقد كانت الصحف تشدد على العامل الامني وعلى الضرر الذي من الممكن ان يحدث اذا ما استمر التدهور في علاقات العمل . وكانت بعض الصحف التي كانت تبدي بعض « التفهم » لبعض المطالب العمالية ، تتخذ موقف المعلم من العمال في كيفية حصولهم على حقوقهم ، حيث كانت تؤكد بأنه حتى لو كانت المطالب عادلة ، فان الطريق الى تحقيقها يجب ان يكون بالمفاوضات ، وكانت تلك الصحف توجه اللوم والانتقاد للهستدروت التي لم تستطع السيطرة على اعضائها — على حد تعبير تلك الصحف — مع العلم بأن الهستدروت لم تقف وراء اي اضراب عمالي حتى في المرات التي كانت تعلن فيها بأنها تؤيد مطالب العمال . لقد قامت الصحف الصهيونية بعملية غسل دماغ للجماهير اليهودية للحيلولة دون اي تعاطف على مستوى شعبي مع العمال المضربين ، واستغلت في هذا المجال حساسية الجمهور اليهودي للامن ، فكانت تضخم من النتائج المترتبة على تدهور علاقات العمل ، وكانت تشن حملات شديدة على المضربين وتنعتهم بأنهم مجموعات قليلة خارجة عن الاجماع ، لا مسئولة وتصفهم احيانا « بالمخربين » ولقد اوجدت هذه الحملات رأيا عاما معاديا للعمال المضربين ، حيث انه عندما اضرب عمال المرافق والادارة في المستشفيات قام كثير من الطلاب والطالبات بالتطوع للعمل في المستشفيات شعورا بواجبهم الانساني والقومي تجاه المرضى ، على حد تعبير تلك الصحف ، ولقد شعر العمال المضربون بهذه الروح العدائية التي استطاعت الحكومة والصحف خلقها في اوساط الجماهير واتجهت نقمتهم نحو الهستدروت التي لم تقم بواجبها كاللازم ، حيث كان موقفها موقفا متخاذلا وقد عبر عن هذا الموقف رئيس سكرتارية عمال الادارة والمرافق في المستشفيات عندما قال في معرض تعليقه على اصدار اوامر الاقامة الاجبارية ما يلي : « قررنا قطع كل علاقة مع الحكومة والهستدروت وقررنا ان ننفصل عن اتحاد مستخدمي الدولة . لم ننجح في نضالنا لاننا فقراء وليست لدينا الوسائل المالية والاعلامية الكافية للتصدي لموجة القدح والاساءة التي شنها الطرف الآخر . لقد قررنا ان نحترم الانظمة التي صدرت ونحن نفكر في البدء في النضال بطريقة اخرى »(١٠). ولقد شاركت الحكومة ايضا في تعبئة الجماهير ضد العمال المضربين

---

* هذه الاوامر تستند الى « **امر انظمة الحكم والقضاء سنة ١٩٤٨** » وهي بدورها تستند الى قانون الطوارىء سنة ١٩٤٥ . هذه الاوامر تصدرها الحكومة عادة ضد المواطنين العرب الفعالين سياسيا لشل نشاطهم وتحديد اقامتهم . وهنا استعملت لاول مرة في مجال الخدمات ، حيث تفرض هذه الاوامر على العامل التواجد في مكان العمل وممارسة عمله كما يطلب منه والا تعرض للعقوبة .

بواسطة التصريحات التي كان يطلقها الوزراء المختصون ، وعلى وجه الخصوص وزير المالية الذي كان يهدد بامتصاص كل زيادة في الاجور يحققها العمال بواسطة الضغط عن طريق زيادة الضرائب المباشرة وغير المباشرة . والمتتبع للاحداث في تلك الفترة يرى بوضوح بأن الاتجاه العام لدى الحكومة اخذ يميل نحو سن تشريع ينظم علاقات العمل وكان يقف وراء هذا الراي وزير العمل الاسرائيلي يوسف الموجي ، من التصريحات التي ابرزتها الصحف تصريح رئيسة الوزراء حول الاضراب في مطار اللد ، حيث قالت : « ان ما حدث في مطار اللد يعتبر عمل «زعرنة» »(١١)، اما وزير الاسكان والتطوير، زئيف شيرف فقد صرح بما يلي حول نفس الموضوع : « عندما سمعت بأن هناك اضرابا في مطار اللد خجلت لكوني اسرائيليا ووزيرا »(١٢). وبخصوص اضراب عمال الادارة في المستشفيات الحكومية صرح وزير العمل بما يلي : « الاضراب في المستشفيات ، هو بمثابة ارتكاب جريمة قتل »(١٣). هذه التصريحات والخطوات التي اتبعتها الحكومة لكسر الاضرابات كانت خطوة اولى في الطريق الى سن قانون يبيح للحكومة التدخل في نزاعات العمل ، او بشكل ادق سن قانون ينظم علاقات العمل ويضفي طابعا قانونيا لاتفاقيات العمل التي تعقد مع العمال .

وكان وزير العمل يوسف الموجي (حزب العمل) من اكثر المتحمسين لاتخاذ اجراءات شديدة ضد الاضرابات ولسن قانون بهذا الخصوص يمنع الاضرابات في المصالح الحيوية منعا باتا ، ومن وراء الموجي كانت تقف كتلة « رافي » في حزب العمل (جماعة بن غوريون ودايان) . ولكن الحكومة وحزب العمل بالذات كان عليه ان يأخذ بالحسبان عاملين اثنين : موقف حزب العمال الموحد ، المابام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي — المعراخ ، وموقف الهستدروت وممثليه في اللجنة التنفيذية والمكتب التنفيذي فيها ، حيث كانت مواقف كتلة حزب العمل في الهستدروت دقيقة للغاية ، فمن جهة يجب التمشي مع سياسة الحزب ومن جهة اخرى يجب المحافظة على صورة الحزب كحزب « عمالي » . هذا هو الوضع على صعيد التجمع ، اما باقي شركاء التجمع في الحكومة مثل المتدينين القوميين (المفدال) والاحرار المستقلين فقد كانوا ايضا يضغطون في اتجاه سن تشريعات تنظيم علاقات العمل . يضاف الى هؤلاء المعارضة اليمينية الرئيسية المتمثلة في كتلة « جاحال » المكونة من حزبي الحيروت والليبراليين ، وهذه الاحزاب الاخيرة كانت تطالب بنطاق قانوني ينظم علاقات العمل وباقرار قانون « التحكيم الالزامي » في نزاعات العمل. اما المعارضة لاي تدخل حكومي في مجال علاقات العمل فكانت تمثلها الكتل الصغيرة في الكنيست والهستدروت مثل « راكاح » « ماكي » وكتلة « هعولام هزه » . وكان واضحا منذ البداية ان موقف حزب العمل هو المقرر في هذا الموضوع . ومواقف حزب العمل والنظام الصهيوني بشكل عام تخضع مثل أية مواقف اخرى لاعتبارات سياسية داخلية وخارجية ، بالاضافة الى النتائج المترقبة للاعتبارات السياسية هذه على باقي الاصعدة الاقتصادية والاجتماعية وعلى مجال العمل والعمال بشكل خاص . ان فهمنا لمواقف حزب العمل او البيروقراطية العمالية الحاكمة يجب ان ينطلق من فهمنا لطبيعة ومركبات المجتمع الاسرائيلي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقوى السياسية المسيطرة فيه واتجاهات هذه القوى ، على ضوء فهم اشمل للايديولوجية المحركة لهذا المجتمع والنظام، مع الاخذ بعين الاعتبار بأن البيروقراطية العمالية الحاكمة في اسرائيل منذ قيام الدولة وقبلها ، لها الذراع الطولى في رسم وتقرير سياسة واتجاهات النظام والمجتمع الصهيوني . ففي اسرائيل هناك نوع من الشراكة بين البيروقراطية العمالية والطبقة البرجوازية ، حيث تشكل هذه البيروقراطية الشريك الاقوى . وهي بحكم موقعها تسيطر على موارد الحياة للنظام الصهيوني وعبرها تتوزع هذه الموارد . والمتتبع لسياسة البيروقراطية العمالية الحاكمة في مجال العمل والعمال يرى ان هذه السياسة تنطلق من

اخضاع كامل لهذا المجال الى الاعتبارات السياسية والامنية . وفي مجال بحثنا حول الاضرابات وكيفية معالجتها نرى ان الاتجاهات داخل حزب العمل نفسه اخذت تتزايد نحو تدخل الدولة او الحكومة في هذا المجال . وكانت الحكومة ورئيسة الوزراء بالذات رغم شعورها بضرورة سن قوانين تنظم علاقات العمل ، تفضل ان تقوم الهستدروت بتقديم اقتراحات تشريعية حول قانون « تسوية نزاع العمل » انطلاقا من توقعها رفض الهستدروت للقانون الذي اعده وزير العمل والذي تؤيده اغلبية الوزارة ، حيث ان هذا القانون يفرض عقوبات شديدة على المضربين (مثل : السجن ، الغرامات بمبالغ كبيرة والفصل من العمل) لقد اثار هذا الاقتراح خلافات شديدة داخل كتلة التجمع ــ المعراخ في الهستدروت ، وبرزت ثلاث مجموعات داخل كتلة التجمع في الهستدروت : اولا ، المتطرفون ــ هذه المجموعة طالبت بان يتضمن القانون اتخاذ اجراءات شديدة ضد المضربين وبسن قانون يمنع الاضرابات ، وكانت هذه الكتلة تشكل اعضاء كتلة «رافي» سابقا . ثانيا ، مجموعة الوسط التي ايدت ايجاد نطاق تشريعي محدود ، يقوي مركز الهستدروت من ناحية ، ويمنع الحكومة من اتخاذ اجراءات شديدة من ناحية اخرى ، هذه المجموعة تضم سكرتير الهستدروت والقائم باعمال السكرتير ورئيس قسم التنظيم المهني ، وداخل هذه المجموعة تظهر جماعة احدوت هعفودا سابقا ككتلة متماسكة . ثالثا ، مجموعة المعارضين ــ تتألف من اعضاء مبام الثلاثة في المكتب التنفيذي ، واعضاء هذه المجموعة يعارضون بشدة اي تشريع في مجال العمل ، ويرون ضرورة اعادة النظر في شروط العمل والاجور في الخدمات العامة .

ووضح منذ البداية ان المعتدلين يشكلون الاغلبية في كتلة التجمع في الهستدروت ، ثم عقدت جلسة لاقرار التوصيات التي ستقدم للحكومة بهذا الشأن . في هذه الجلسة اشتركت ادارة كتلة التجمع في الكنيست وممثلو التجمع في المكتب التنفيذي للهستدروت . وفي هذه الجلسة اتخذ قراران ، رغم معارضة « مبام » :

ورد في القرار الاول ما يلي : « في الظروف القائمة لا توجد اية امكانية للسماح لمبام لتقديم اقتراح منفرد لتقديم موعد دفع علاوة الغلاء ، فعلى جميع اعضاء التجمع في الهستدروت ان يظهروا متراصين امام جماهير العمال من اجل توضيح موقف الهستدروت واهمية التسوية التي تمت مع الحكومة (مثل تخفيض اسعار بعض المنتوجات التي ارتفعت اسعارها ، مثل البيض والحليب وغيرها ، واعطاء مخصصات غلاء لمحدودي الدخل وتأمين علاوة غلاء لجميع الاجراء ابتداء من كانون الثاني ــ يناير ١٩٧٢) » . الى جانب هذا القرار صوت جميع ممثلي حزب العمل وعارضه فقط اعضاء مبام الخمسة في الجلسة المشتركة المذكورة . اما القرار الثاني وهو الاهم فقد ايد فيه اعضاء التجمع رغم معارضة المبام ايضا ضرورة اصدار تشريعات تنظم علاقات العمل . وكان المدافع الاول عن هذا القرار سكرتير الهستدروت اسحاق بن اهرون حيث قال « لقد وصلنا الى وضع يحتم تدخل الدولة في بعض المجالات الحيوية ، ولكن المشرع الاساسي هو الهستدروت . ونحن نطالب الحكومة بالدفاع عن طريقنا وماهيتنا . ونحن الذين سنقرر ما هو نزاع العمل ، ومن هنا فهذا القانون سيحمينا من اعمال الشغب في هذا المجال . ونحن نطالب الدولة بحماية ارادة العامل الحرة » . ولقد رد عليه عضو المابام في الجلسة اهرون افرات بما يلي : « لا توجد دولة ديمقراطية لا توجد فيها اضرابات . ان وجود قانون اساسي في هذا الموضوع يعني تعفن النقابات المهنية . ان قبول القانون معناه انهيار سلطة الهستدروت »(١٤). اما القرار الثالث الذي يعطي مفعولا قانونيا لترتيبات اعلان الاضراب كما وردت وقررت في دستور الهستدروت فقد أقر بالاجماع .

سترفع هذه القرارات الثلاثة الى الحكومة لتبحثها . ولقد الزم مبام بالتصويت مع الاغلبية في الكنيست ، ولكن المبام ما زال يفتش عن مخرج ، وهو سيستغل الحريات

التي نصت عليها وثيقة التجمع حيث اعطي للمبام حق الظهور المنفرد في بعض المجالات وبينها مجال العمل . وعند بحث مشروع القانون في الوزارة الاسرائيلية ، استمر ممثلو حزب المابام في الخط الذي اقرته سكرتارية الحزب وهو معارضة اقتراح القانون ، ولكن الوزارة اقـــرت مشروع القانون بأكثرية وزراء حزب العمـــل وحزب المتدينين القوميين « المفدال » ومعارضة وزراء المابام وامتناع وزير حزب الاحـــرار عن التصويت . لقد اصطدم هذا القانون بعقبات كثيرة ، لا سيما وان بعض وزراء حزب العمل وبالذات ممثلي كتلة « رافي » كانوا يطالبون بأن يتضمن القانون عقوبات رادعة وان يكون اشمل . هذا على صعيد الوزارة، يضاف الى ذلك، الضغوط التي كان يقوم بها اتحاد اصحاب العمل الذين كانوا يطالبون ايضا بضرورة سن قانون اشمل وبضرورة فرض عقوبات رادعة ، كما وان المعارضة الحزبية المتمثلة بالاحزاب اليمينية مثل كتلة « جاحال » والمركز الحر وغيرهما كانت تضغط في سبيل اقرار قانون « التحكيم الالزامي » . ولكن رئيسة الوزراء استطاعت اقناع المتطرفين من حزب العمل بأهمية الالتقاء مع الهستدروت حول بنود القانون ، لكي توفر الحكومة احتمال الصدام معها . ولقد علق شمعون بيرس ودايـــان على مشروع القانون بما يلي : « ان اي قـــانون لا يؤدي خرقه الى القضاء والسجن ـــ لن يـــكون رادعا»(١٥). وفي الجلسة التي عقدتها الحكومة في ٧١/١٠/٢٠ تم اقرار مشروع قانون « تسوية نزاعات العمـــل » بصيغته النهائية وبموجب مشروع القانـــون الذي سيقدم للكنيست لاقراره يستطيع وزير العمل تسوية نزاعات العمل في الدوائر الحكومية ، الامر الذي كان في السابق من اختصاص مدير خدمات الدولة . ويسري هذا القانون عـــلى العاملين في خدمات الدولة بما في ذلك خدمات الامن والسلطـــات المحلية ، والخدمـــات الاجتماعية مثل المواصلات والكهرباء والصحة والتعليم والطيران والمياه . فالقانون يعتبر كل اضراب ، اضرابا غير مشروع اذا وقع هذا الاضراب اثناء سريان مفعـــول الاتفاقات الجماعية للعمل خصوصا حول الاجور او شروط العمل ، كما وعاد القانون واكد ضرورة الابلاغ عن كل نزاع عمل او نية في الاضراب قبل اسبوعين على الاقل من الشروع في الاضراب. اما ردود الفعل الاولية على مشروع القانون فجاءت من قبل بعض لجان العمال واصحاب العمل . وكلا الطرفين رفضا هذا المشروع لاسباب مختلفة ومتناقضة ، انطلاقـــا مـــن تناقض مصالح الطرفين . فقد ورد في صحيفة الاتحاد ٧١/١٠/٢٢ ان اكثر من ٢٠٠ نقابة اعلنت عن رفضها لهذا القانون المعادي « للديمقراطية » والذي لا يخدم سوى سياسة نهب الجماهير الكادحة لزيادة التسلح والمغامرات العدوانية . اما اتحاد اصحاب العمل والصناعة فقد احتجوا في رسالة موجهة الى رئيسة الحكومة على « التنازلات » الاخيرة للهستدروت وطالبوا الحكومة بتبني مشروع القانون بصيغته الاولى التي اقترحها وزير العمل .

لقد ركزت الاضواء منذ اشتداد الازمة في علاقات العمل على موقف حزب المابام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي ـــ المعراخ ، واخذت بعض الصحف والمعلقين الذين راوا منذ البداية ان الاتجاه في حزب العمل يسير نحو اتخاذ اجـــراءات شديدة الى حد سن تشريعات في هذا المضمار ، يتساءلون حول امكانية بقاء المابام في الائتلاف الحكومي ، لانه كان واضحا منذ البداية وبناء على تجارب الماضي بأن المابام لن يستطيـــع كسب المعركة داخل التجمع وانه امام خيارين اما الرضوخ لحزب العمل واما احـــلال ازمة وزارية . ولكن حزب المابام رغم التململات التي كان يبديها محتجا على اسلوب عمل قيادة حزب العمل التي كانت تضع الحزب امام الامر الواقع ، كانت قيادته تقوم بمحـــاولات يائسة لاستجداء بعض التنازلات من حزب العمل لكي تستطيع بواسطتها اخمـــاد النقمة التي كانت تتأجج في قواعـــد هذا الحـــزب ضد رضوخ قيادته لحزب العمل . هـــذه النقمة والمعارضة بدأت منذ بدأ التفكير في اقامة التجمع العمالي ، وعندما اقرت سياسة الحزب

واقيم التجمع ــ المعراخ خرج بعض الاعضاء في المابام بزعامة « يعقوب رفتين » الذي كان من اشد المعارضين لسياسة قيادة الحزب بالنسبة لاقامة التجمع ــ المعراخ وبالنسبة لمواقف الحزب في عدة قضايا اخرى من بينها الموقف من الاتحاد السوفياتي ، كما وانه خرج من صفوف الحزب بعض الشباب الذي اتجه الى حركة اليسار الجديد « سياح » والى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » . والمتتبع لسياسة حزب المابام ، وخصوصا بالنسبة للأزمة في علاقات العمل يرى بوضوح ان قيادة الحزب المتلهفة للبقاء في الحكم استمرارا للشعار القديم الذي كانت ترفعه «النضال من الداخل» كانت تتنازل عن بعض الامور التي كانت تعتبرها مبدأية ، عندما كانت ترى ان الاستمرار في اعتبار تلك الامور مبداية يحتم عليها استخلاص النتائج المترتبة على ذلك ، بمعنى التسبب في احداث ازمة وزارية . ففيما يخص موضوعنا لم يتورع وزير الصحة المبامي، بعد موافقة قيادة حزبه ان يوقع على اوامر الاقامة الاجبارية ضد عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية ، رغم جميع تصريحات قادة الحزب بان عملا كهذا يعتبر تدخلا مباشرا في حرية التنظيم المهني وهو عمل غير ديمقراطي . ولكن حزب المابام وقيادته بالذات كانت تجد « فتوى » لكل خط كانت تنتهجه ، رغم اعتبارها اياه مناقضا لاحد المفاهيم الاساسية للحزب . فبالنسبة لموضوع اضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية قال وزير الصحة المبامي مبررا توقيعه على اوامر الاقامة الجبرية التي اصدرتها الحكومة بموافقة حزبه ما معناه بانه رغم ان الاضراب هو احدى الوسائل الموجودة في ايدي العمال لتحقيق مطالبهم ، فهو شخصيا لا يوجد عنده « تقديس للوسائل » ، وانه هنالك اوضاع يجب ان لا يسمح بتعديها ، وبالنسبة للاضراب المذكور فهو قد تعدى كل حد لانه هدد حياة المرضى . ثم اضاف مفسرا بانه هناك مطالب تكون عادلة بحد ذاتها ولكن تلبيتها يترتب عليها نتائج تضر بالاطار العام للسياسة المرسومة في ذلك المجال . ولكن الحقيقة ان حزب المابام الصهيوني بتنازلاته المتتالية على جميع الاصعدة وبالذات على صعيد علاقات العمل ، ذلك الصعيد الذي حرص المابام اثناء المفاوضات لاقامة التجمع ــ المعراخ على ضمان اكبر قدر من الحركة والحرية له فيه ، سائر في اتجاه الانضمام الكامل الى حزب العمل . وهو يحاول التمهيد لهذا باثبات اهمية بقاء الحزب في الائتلاف الحكومي وفي التجمع العمالي ــ المعراخ عن طريق الحصول على بعض التنازلات في مجال علاقات العمل ، ولكن الاحداث الاخيرة في ازمة علاقات العمل وما أدت اليه من تزايد المطالبة داخل حزب العمل بضرورة تدخل الدولة او الحكومة في هذا المجال واقتراح قانون « تسوية نزاعات العمل » الذي اقرته الحكومة والهستدروت بناء على تأييد حزب العمل لهذا الاقتراح اوقع المابام في مشكلة ، فرغم معارضته في الحكومة والهستدروت فقد اقر اقتراح مشروع القانون وتقرر تقديمه للكنيست لاقراره نهائيا . وهنا اخذ زعماء المابام في عقد الاجتماعات الثنائية مع رئيسة الحكومة لكي تسمح لهم بحرية التصويت في الكنيست ، وعندما وجدوا انهم لن يحصلوا على هذا اقترحوا السماح لاعضاء الحزب في الكنيست بمجرد الامتناع عن التصويت . وهذا يرينا الى اي مدى يحافظ هذا الحزب على ما يدعيه مبادىء اساسية في برنامجه السياسي ، وهو يثبت ما سبق وقلناه بان التلهف على البقاء في الحكم هو المقرر بالنهاية في تحديد المواقف النهائية، وهذا الشيء يمكن قياسه بالنسبة للمواقف الاخرى لهذا الحزب في المجالات الاخرى ولا سيما السياسة الخارجية والامن وقضية السلام وغيرها .

ان ما يهمنا هنا من كشف الوجه الحقيقي لهذا الحزب الصهيوني ، هو تعرية هذا الحزب امام اليسار الاوروبي الذي كان للحزب نشاط ملموس بين صفوفه ، ونحن وان كنا هنا نعري هذا الحزب بالنسبة لقضية تعتبر قضية داخلية ، فانه ليس بالعسير تعرية مواقف حزب المابام في قضايا اخرى سياسية وفكرية . ومن الجدير بالذكر هنا ان

المقاومة الفلسطينية ، حققت نجاحا في مجال الاعلام ، وخصوصا في اوساط اليسار الاوروبي والشباب والطلاب في الغرب في فترة وجيزة جدا اكثر مما حققته وسائل الاعلام العربية في عقدين من السنين ، حيث نجحت المقاومة في فضح وكشف الدور الحقيقي للصهيونية بشكل عام والدور والوجه الحقيقي لاحزاب العمال الصهيونية بشكل خاص. والمتتبع لما نشر بالصحف العبرية بعد حرب حزيران حول الموضوع ، يستطيع ان يقف على القلق الذي اصاب الدولة الصهيونية ، باحزابها ووسائلها الاعلامية من تزايد الاعلام الفلسطيني وتغلغله في اوساط الشباب والطلاب بوجه خاص .

بعد تناولنا لموقف حزب المابام من القضية التي نحن بصددها ، ساتطرق الى موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » ، والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » . ويعود اختيار هذين التنظيمين لسببين رئيسيين : الاول : رغم التشابه في تحديد السبب المباشر للأزمة في علاقات العمل فالتناقض يبرز في الطريق للخروج من هذا الوضع . اما السبب الثاني : فهو كون الحزب الشيوعي الاسرائيلي «راكاح» في معالجته لقضية علاقات العمل ودفاعه عن العمال وقضاياهم يتشابه الى حد ما مع باقي الفئات المعارضة لسياسة الحكومة في هذا المضمار مثل « ماكي » هعولام هزه وجماعة «رفتين» وغيرهما . فالحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » عند خوضه في قضية علاقات العمل والاجور والاسعار والضرائب ، يربط بين التأزم والتدهور في هذه المجالات وبين السياسة العامة للحكومة فيما يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، ويرى ان المخرج لهذا الوضع يتمثل في انتهاج سياسة سلام حقيقية تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ قرار مجلس الامن الدولي الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ الذي يدعو الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي سياسيا ، ويعلن الحزب في توجهه الى العمال بأن الهجوم الشديد على مستوى معيشة الطبقة العاملة وسياسة تحديد الاجور وارتفاع الاسعار والضرائب ما هي الا نتاج مباشر لسياسة الحكومة التوسعية المبنية على المغامرات العسكرية والتنكر لحقوق شعب فلسطين ، تلك السياسة التي تتطلب ازديادا متواصلا في نفقات ميزانية الدفاع وكل ما يتعلق بالتسلح والامن ، الامر الذي ينعكس مباشرة على مستوى حياة الطبقات الكادحة . كما ويقوم الحزب بالتنديد بسياسة الحكومة تجاه اصحاب رؤوس الاموال والمستثمرين من الداخل والخارج تلك السياسة التي تعطي تسهيلات كبيرة ومعونات لهؤلاء المستثمرين بدون حساب ، بينما تقف موقفا متصلبا من العمال ومطالبتهم بزيادة الاجور .

اما المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » والاجنحة التي انشقت عنها فيما بعد ، وان كانت تلتقي مع الحزب في تحليل الاسباب المؤدية الى الوضع الاقتصادي والى وضع الطبقة العاملة والفئات المسحوقة بشكل خاص ، فانها تختلف مع الحزب في الرؤيا للخروج من الوضع . فهي الى جانب تأييدها غير المتحفظ لمطالب العمال فانها تقوم بتحريض سياسي تبين فيه اسس المشكلة والنزاع العربي — الاسرائيلي ، الى جانب فضح طبيعة الكيان الصهيوني ومخططاته . وعلى صعيد التوجيه النقابي فقد كانت المنظمة تقوم بتعرية الدور الذي تلعبه الهستدروت وقادتها بالذات في خيانة مصالح الطبقة العاملة ، وتدعو العمال الى اقامة نقابات مستقلة ولهدم الهستدروت . كما وكانت توضح بأن الهستدروت بشكلها الحالي ومبناها التنظيمي القائم ، ما هي إلا اداة ووسيلة من وسائل الصهيونية للحفاظ على الكيان الصهيوني ، وهذا هو الواقع فالهستدروت كما يعرفها قادتها هي جزء من النظام Establishment ، وكان وما زال لها دور في بناء هذا الكيان والمحافظة عليه . ففي مقال نشر في صحيفة « دافار » الاسرائيلية وهي الصحيفة الناطقة باسم الهستدروت في ١٩٧١/٢/٢٦ حول ماهية الهستدروت والعلاقة بين الهستدروت والحزب (حزب العمل) يقول كاتب المقال ما معناه : من الضروري

وخصوصا في فترة الائتلاف القومي المحافظة على الهستدروت كقوة مستقلة ليس فقط في نطاق النضال المهني بل في بنائها لمجتمع العمال ، ولكن الهستدروت المستقلة لا يمكن ان تعمل في فراغ وعليها ان تأخذ بعين الاعتبار اثناء ممارستها للنضال المهني او بنائها للمجتمع العمالي وضع الدولة ، خصوصا وان الحكومة تتألف في غالبيتها من ممثلي حركة العمل ، ومن هنا الضرورة في وجود حلقة الوصل ــ الحزب . ويميز كاتب المقال بين نوعين او نموذجين لعمل التنظيمات المهنية ــ النموذج السوفييتي ، حيث النقابات المهنية ليست اداة تنفيذية في يد الحزب الشيوعي فحسب ، بل توجد بواسطة الحزب وتخضع لاشرافه وسياسته . اما النموذج الثاني ، فيسميه النموذج الانجلو ــ سكسوني ، حيث ان النقابات المهنية هناك هي التي اقامت حزب العمال (مثلا في بريطانيا) ، وحيث تتصرف النقابات باستقلالية حتى عندما يكون حزب العمال ، هو الحزب الحاكم . وبعد عرض هذين النموذجين ، يخلص كاتب المقال الى ان كليهما غير مناسب لاسرائيل . فالاقتصاد في اسرائيل هو اقتصاد تعددي Pluralistic ، بمعنى انه الى جانب القطاع الخاص يوجد قطاع عام وقطاع هستدروتي عمالي . ومهمة الهستدروت كما يراها كاتب المقال هي في استمرار توجيه النضال الطبقي مع الاخذ بعين الاعتبار مسؤوليتها تجاه عملية بناء الدولة ، ولذلك فالمسؤولية هي اجتماعية وقومية وسياسية ، حيث تقوم في المجال الاخير بشكل خاص بخدمة السياسة العامة للدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي . لذلك تشدد الهستدروت على وجوب اخذ وضع الدولة بعين الاعتبار اثناء ممارسة النضال الطبقي . وهي في هذا النطاق تشدد على ضرورة التنسيق التام بين الهستدروت والحكومة في الحقول التي لها صلة بالعمال . والهستدروت منذ اقامتها ارتبطت بالمخططات السياسية للحركة الصهيونية وقامت بدور فعال في تنفيذ هذه المخططات ، وهي مستمرة في اداء دورها ضمن النظام ، مشكلة احدى القوى التي يستند عليها النظام الصهيوني . اذا ما استعرضنا تاريخ وفعاليات الهستدروت قبل وبعد قيام دولة اسرائيل ، نرى انها بالفعل خضعت وتخضع للاطار العام للايديولوجية الصهيونية . والهستدروت في تركيبها تعكس القوى السياسية المختلفة في اسرائيل ، ومن ثم فهي تخضع ، الى جانب خضوعها للايديولوجية الصهيونية بشكل عام ، الى الايديولوجيات المختلفة للاحزاب العاملة في اسرائيل ، وهي تتماشى في سياستها ، على جميع الاصعدة، مع سياسة هذه الاحزاب وبالذات التجمع العمالي الحاكم ، حيث يسيطر هذا التجمع على الهستدروت ايضا . لقد استطاع التجمع العمالي ، عبر طريقة الانتخابات للهستدروت المبنية على اساس قوائم حزبية أن يخلق جهازا بيروقراطيا في الهستدروت يرتبط مباشرة بالاحزاب والكتل التي ينتمي اليها اكثر من ارتباطه بالقاعدة العمالية . لهذا اخذت تتشكل لجان عمال في الاونة الاخيرة تمثل العمال والمستخدمين في القطاعات المختلفة ، ولكن هذه اللجان لم تتوحد وتستقل عن اطار الهستدروت ، بل بقيت تمارس الضغوط بشكل منفرد لتحقيق مطالب فئوية . يضاف الى هذا انها لم تستطع ان تتعدى في مطالبها الاطار المطلبي أو ان ترى الصلة المباشرة بين السياسة العامة للحكومة وللاحزاب العمالية الحاكمة وبين اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية . يعود هذا الى استمرارها في اخضاع التناقض الطبقي لصالح التناقض الخارجي . كما وان الطبقة العمالية في اسرائيل تفقد ميزة اساسية تتحلى بها الطبقة العمالية في الدول الراسمالية . هذه الميزة تتجلى في نوع من الاعتزاز بالانتماء الطبقي . اما في اسرائيل فشعور الانتماء هو اثني اكثر منه طبقي. والطبقة العمالية في اسرائيل ليست ذات تقاليد بروليتارية ، نظرا لصغر سنها ونظرا للجهود التي تبذلها الصهيونية على اختلاف احزابها في خلق شعور نفسي عند هذه الطبقة، بحيث ترى انها تنتمي الى « الشعب » او القومية المهيمنة ، وبالتالي فهي ترى نفسها مميزة عن القسم الاخر من السكان ، اي العرب . يضاف الى هذا الطموحات البرجوازية الصغيرة التي تأخذ في التبلور عند افراد هذه الطبقة مع قدومهم الى فلسطين ، حيث

كثيرون منهم يضطرون بحكم الظروف الى تغيير مجال عملهم ، ولذلك فحتى لو عملوا في الصناعة فهم يرون عملهم هذا مرحلة انتقالية في حياتهم ، ويتولد عندهم الطموح الى مزاولة المهن والاعمال الحرة . هذا الاتجاه تزايد كثيرا بعد الاحتلال الاسرائيلي لبقية فلسطين وبعض المناطق الاخرى . يضاف الى هذا عامل آخر أدى الى اضعاف الانتماء الطبقي وهو شعور التعصب والاستعلاء القومي الذي يصبح اكثر عنفا مع قدوم هؤلاء المستوطنين الى فلسطين بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية . هذا الشعور يعود الى جملة اسباب اهمها مركب الشعور بالنقص الذي كانوا يحملونه في البلدان التي قدموا منها ، ينقلب هذا الامر الى رد فعل عكسي مع قدومهم الى فلسطين ، حيث ينقلب مركب الشعور بالنقص الى عقدة الاستعلاء القومي . هذه العقدة تغذيها الايديولوجية الصهيونية من جهة والميثولوجيا الدينية من جهة اخرى . وبالتالي فهذا الشعور وهذه الطموحات تؤدي الى اضعاف الشعور بالانتماء الطبقي .

ان السؤال الذي يطرح نفسه تلقائيا بعد محاولة دراسة اية ازمة او « صراع » على كافة المستويات ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، يتلخص في محاولة رؤية مدى حدة الازمة في المجال المعين ، وهل توجد لها ابعاد سياسية ، او بشكل اخر هل هناك امكانية لتسييس ظاهرة ما او ازمة معينة ، رغم عدم وجود ابعاد سياسية واضحة لها منذ البداية . وفي مجال دراستنا حول ظاهرة الاضرابات العمالية في السنتين الاخيرتين يطرح هذا السؤال نفسه ايضا . لقد بينا في هذه الدراسة ان الاضرابات الاخيرة والازمة في علاقات العمل لم تكن حدثا غير متوقع بل هي استمرار لتأزم مزمن في علاقات العمل في اسرائيل . هذه العلاقات التي خضعت وما زالت تخضع للاعتبارات الأمنية ، التي هي بحد ذاتها ستار للاهداف السياسية للنظام الصهيوني . هذه الاهداف ، كان لا بد وان تترك اثارها على مختلف المجالات في المجتمع والنظام الصهيوني ، ومنها مجال العمل و « النضال الطبقي » داخل اسرائيل . حيث ادت هذه الاهداف السياسية الى ازدياد مضطرد في نفقات التسلح الامر الذي ادى الى عجز دائم في ميزان المدفوعات الذي لم تستطع المعونات الاجنبية وحملات التبرعات ان تحدث توازنا فيه . وبالتالي اثر الامر على مثلث الاجور والاسعار والضرائب ، حيث اصيب هذا المثلث بتخلخل مما ادى الى ظهور الازمة في علاقات العمل . لقد كانت الحكومة تحاول دائما ان تحافظ على استقرار هذا المثلث من جهة وعلى زيادة مدخول الخزينة بواسطة الضرائب المباشرة وغير المباشرة من جهة اخرى لتتمكن من تقليص العجز في ميزان المدفوعات ، دون تخفيض ميزانية التسلح التي هي السبب المباشر في زيادة الضرائب . والمتمعن في احداث الاضرابات الاخيرة التي اجتاحت اسرائيل يرى بوضوح ان هذه الاضرابات اقتصرت على كونها مجرد نضالات مطلبية ، تطالب بتقسيم « الكعكة » والاعباء بشكل عادل . وهذه الاضرابات وان لم تتخذ طابعا سياسيا مناوئا للنظام او على الاقل للسياسة الرسمية الحالية فهي على المدى البعيد ، ومع توافر بعض الظروف الموضوعية ، الداخلية والخارجية المرتبطة عضويا بعضها ببعض ، تشكل الى جانب بعض الصراعات الاخرى مثل التمييز الطائفي ثغرة جدية في الكيان الصهيوني . لذلك يجب أن لا نغالي حاليا في ابعاد هذه الاضرابات ، وكأن الانفجار على وشك الوقوع ، كما انه علينا ان لا نغفل تلك الاحداث كليا ، بل علينا مراقبتها وتتبعها ومحاولة تفسيرها بشكل علمي وصحيح ، ومن ثم الاستفادة منها قدر الامكان في دعايتنا الموجهة الى داخل اسرائيل والى الرأي العام العالمي . ان جعل هذه الصراعات اكثر حدية وتسييسها ، بمعنى دفعها الى الصدام مع عدوها الاساسي والحقيقي اي النظام الصهيوني يتطلب تبلور حركة سياسية داخلية ، تأخذ على عاتقها مهمة ادارة الصراع ضد النظام الصهيوني ، وتسعى لاسقاطه ، وهي في سعيها هذا عليها ان تقوم بمحاولة تسييس الجماهير المضطهدة اليهودية والعربية

داخل المجتمع الصهيوني . هذه الحركة تصبح اكثر فاعلية واستقطابا للجماهير داخل المجتمع الصهيوني اذا ما نجح العامل الاساسي في الصراع ، اي الحركة الثورية العربية، وفي طليعتها الكفاح الفلسطيني المسلح في استقطاب الجماهير العربية المضطهدة وذات المصلحة في التغيير على كافة المستويات الى جانبه . هذا الاستقطاب مشروط بمدى قدرة الثورة على تفهم قضايا الجماهير وبمدى نجاحها في طرح الحلول لهذه القضايا ، وهذا بالطبع يحتاج الى عمل دؤوب ومثابر وملتزم . ومن هنا نرى ان كل نجاح تحققه الثورة العربية سواء على المستوى العسكري في الصدام مع ماكينة الحرب الصهيونية او على مستوى معالجة قضايا الجماهير في المنطقة ككل ، وفي كل بلد على حدة ، لا بد وان يساعد القوى المناوئة للصهيونية داخل اسرائيل في عملها وتحريضها لاسقاط النظام الصهيوني وفي تحرير هذه الجماهير من الايديولوجية الصهيونية المسيطرة على فكرها ، وبالتالي ربطها مصلحيا بالثورة العربية على مستوى المنطقة .

---

١ ــ **معريف** ١٩٧٠/٥/٢٠ ، ص ١٤ .
٢ ــ **معريف** ١٩٧٠/٢/٢ ، ص ٣ .
٣ ــ **هآرتس** ١٩٧٠/٢/٢ ، ص ٣ .
٤ ــ **ماتسبن** ٥٧ ، في يناير ١٩٧١ ، ص ٣ .
٥ ــ **الاتحاد** ١٩٧١/١٢/٣ .
٦ ــ **الاتحاد** ١٩٧١/١٢/٣ ، ص ٥ .
٧ ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٧ ، ص ٣ .
٨ ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٧ ، ص ٣ .
٩ ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٨ ، ص ١ .
١٠ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/٢١ ، ص ٣ .
١١ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/٨ ، ص ٢ .
١٢ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/٨ ، ص ٢ .
١٣ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٨ ، ص ٣ .
١٤ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/١٠ ، ص ٤ .
١٥ــ **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/١٣ ، ص ٣ .

صدرت الكتب التالية عن مركز الابحاث

السعر ل.ل.

ــ يوسف شبل ، **اعباء الحرب على الاقتصاد الاسرائيلي** (بالعربية) ٢

ــ الياس سعد ، **اسرائيل والبطالة** (بالعربية) ٢

ــ ليلى سليم القاضي ، **الهستدروت** (بالعربية) ٢

ــ يوسف شبل (محرر) **مقالات في الاقتصاد الاسرائيلي** (بالانجليزية) ٨

نحو جبهة تحرير وطنية فلسطينية ـ أردنية

أ . م . *

في الحين الذي تتصاعد فيه الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية على حركة التحرر الوطني العربي عامة وعلى حركة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، لتمسك بخناقها وتسد عليها انفاسها تدريجيا ، حتى تجد حركة التحرر العربية والفلسطينية نفسها بعد فترة اما مختنقة منتهية او مستسلمة مقلوعة الاظافر والاسنان ، تتلاعب بها الاهواء المعادية كما تشاء وتتقاذفها المشاريع والحلول الاستعمارية دون ان تملك تجاهها حولا او قوة ، في هذا الحين وفي مواجهة هذه الهجمة فان الطريق الوحيد المفتوح امام حركة المقاومة ، الطريق الذي لا بديل عنه هو طريق القتال والكفاح المسلح . وفي خضم الازمة وتفاقمها الذي يشهده كل يوم جديد فان نضالا سياسيا عنيفا لا بد ان يرافق عنف الكفاح المسلح ، يكسب منه ويكسبه قفزات نوعية تنقله ، في مختلف المواقع ، قدما الى الامام . ان النضال السياسي العنيف لا يجد مساره الفاعل الا بالاجابة الثورية على مطالب الجماهير في كل مركز من مراكز مجابهتها مع قوى الاعداء . من هنا ، فان تحديد معسكر الخصم تحديدا علميا واقعيا وكذلك تحديد المعسكر الحليف للثورة ، يعتبر امرا على درجة كبيرة من الحيوية . وكذلك فان امتلاك اسس المجابهة والصراع ، امتلاكا شديد الوضوح والحسم ، يعتبر السلاح الفاعل في المعركة كلها. ولا بد ان يكون واضحا ان للنضال السياسي تعبيرات تأخذ اشكالها وطبيعتها من واقع قوى الثورة من جهة اولى ، وواقع قوى العدو من جهة ثانية ، اما من الجهة الثالثة فتأخذه من واقع الظروف المحيطة بعملية الصدام كلها .

على الساحة الفلسطينية اصبح واضحا ان اداة حركة المقاومة الفلسطينية الرئيسية لخوض معركتها من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني هي وحدة وطنية فلسطينية نضالية ، تعتمد الكفاح المسلح ضد العدو الامبريالي الصهيوني والرجعي ، مصعدة هذا الكفاح عسكريا وسياسيا ودون هوادة مع كل يوم ودون تردد وفي كل موقع ومجال . وعلى الساحة العربية المحيطة بالثورة الفلسطينية فان قيام جبهة تقدمية عربية ذات برنامج نضالي شامل ومفصل ، يستجيب للمتطلبات الموضوعية لقضية نمو وتصاعد الثورة الوطنية الديموقراطية العربية ، انما هو المدخل الوحيد المتاح للفعل والحركة على طريق التحرير .

لا شك ان الساحة الفلسطينية ـ الاردنية على اساس قراءة خريطة الصراع بمنظار علمي وواقعي ، تعتبر ذات خصوصية ، عناوينها الرئيسية : اشتراك الشعبين في نضال واحد ، ضد عدو مشترك مباشر ، نحو مصير واحد . لذلك فان قيام جبهة التحرير الوطنية الاردنية ـ الفلسطينية ، على اساس برنامج متكامل في نواحيه العسكرية والسياسية والاجتماعية ، هو الرد الثوري الحاسم في وجه النظام الملكي العميل المدعوم

* اعدت هذه الدراسة في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

بقوى الامبريالية واسرائيل. ان النظام العميل في عمان لا يقاتل حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية الممثلة لجماهير الشعب ، قتالا عسكريا وسياسيا وحسب ، وانما هو معها ايضا في صراع يومي ضد حياتها ووجودها واستمرارها . من هنا فان برنامج جبهة التحرير الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية، لا بد ان يفهم من خلال هذا المنظار، اذ انه وهو يجيب على متطلبات النضال العسكري والسياسي ، لا يمكن ان يعفي نفسه من الرد على متطلبات الجماهير اليومية ، والا ظل نضالا ناقصا . ان النضال من اجل المصالح المعيشية واليومية، اقتصادية او نقابية او ثقافية الى جانب انه واجبنا كطليعة تحس آلام الشعب واحتياجاته، فانه وسيلة لتنظيم الجماهير، وتدريبها على النضال، وهو من ناحية ثالثة يعمق التناقض بين الجماهير والنظام ويخلق قناعة عامة بضرورة التخلص منه ، وذلك شرط موضوعي اساسي لنجاح اية ثورة. من الفهم الشامل لطبيعة الصراع ، لا بد ان ينطلق نضال الجبهة الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية ، من اجل الاطاحة بالنظام العميل ، وتهيئة الساحة الاردنية كمنطلق متين للنضال ضد العدو الصهيوني ــ الامبريالي على طريق تحرير كامل التراب الفلسطيني .

اولا : ان منظمة التحرير الفلسطينية مطالبة بأن تركز نضالها حول ثلاثة محاور استراتيجية رئيسية : ١ ــ مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه من اجل التحرير واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين . ٢ ــ لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير فلسطينية ــ اردنية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل واقامة حكم وطني ديموقراطي قاعدة مؤخرة قوية لجبهة النضال على الساحة الفلسطينية . ٣ ــ ربط النضال الفلسطيني ، والفلسطيني ــ الاردني بالنضال العربي العام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .

ان الجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية التي تعتبر قضية تشكيلها قضية استراتيجية جوهرية من مهام منظمة التحرير الفلسطينية ستقاتل على الساحتين على النحو التالي :

١ ــ مواصلة النضال لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني ولاقامة المجتمع الديموقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ، وتتوفر فيه الضمانات لمصالح كل الفئات الاجتماعية التي شاركت في الثورة او ساندتها ، او حتى اكتفت بالعطف عليها دون ان تتعاون مع العدو او تسهل له مهمته في احتلال اراضينا وقمع مواطنينا ، ودون ان تمثل هذه المصالح استغلالا او عدوانا على مصالح الاغلبية الساحقة من الجماهير العاملة ، او تشكل قيدا على تنمية ورفع مستواها المعيشي والحضاري ... كما تتوفر في هذا المجتمع حرية الرأي ، والتعبير ، والاجتماع ، والتظاهر ، والاضراب ، وتشكيل المؤسسات السياسية والنقابية الوطنية ، وحرية ممارسة العقيدة لكل الاديان ... وبحيث يكون هذا المجتمع الفلسطيني الديموقراطي رافدا من روافد المجتمع الديموقراطي العربي الشامل .

٢ ــ النضال ضد كل مشروعات التسوية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا في تحرير وطنه ، او مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات او الدويلة الفلسطينية التابعة .

٣ ــ تعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة الغربية وقطاع غزة وفي خارج الوطن المحتل .

٤ ــ مقاومة سياسة تفريغ الارض المحتلة من سكانها العرب ، والتصدي بالعنف لبناء المستوطنات وتهويد اجزاء من الوطن المحتل .

٥ ــ تعبئة الجماهير في الضفة وفي القطاع وتسليحها للدفاع عن اراضيها التي يحاول العــدو انتزاعها .

٦ ــ العناية بتنظيم الجماهير في مؤسسات نقابية للــدفاع عن مصالحهــا اليومية ، ومساعدة هذه المؤسسات على مقاومة محاولات الهستدروت لاجتذاب العمال العرب لعضويتها ، ومقاومة محاولات بعض الاحزاب الصهيونية لاقامة فروع عربية لها في الارض المحتلــة .

٧ ــ رفع اجور العمال الذين يعملون في اراض ومؤسسات عربية لحمايتهم من اغراءات العمل في مشاريع العدو ، وتشجيع وتنمية مشاريع انتاجية وطنية لاستيعاب العمال الذين يستخدمهم العدو ، ومقاومة محاولات العدو للاستيلاء على ، او تحطيم المشاريع الانتــاجية الوطنيــة .

٨ ــ دعم وتنمية المؤسسات الاقتصادية والثقافية الوطنية القائمة حاليا في الوطن المحتل لتثبيت المواطنين في الارض ، ووقف تيار النزوح منها ، ومقاومة الغــزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني .

٩ ــ العناية باوضاع مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ودعم نضالهم مــن اجل الحفاظ على هويتهم الوطنية والعربية وتبني قضاياهم ، ومساعدتهم على الالتحــام بالنضــال التحــرري .

١٠ ــ العناية بمصالح جماهير شعبنا العاملة في مختلف انحاء الوطن العربي والعمل على الحصول لهم على حقوق اقتصادية وقانونية متكافئة مع مواطني المجتمعات العربية طالما انهم يوظفون طاقاتهم الانتاجية عملا او فكرا في خدمة تلك المجتمعات . وخاصة فيما يتعلق بحق العمل ، والمكافــآت ، والتعويضات ، وحريــة العمل السيــاسي والثقافي وحرية السفر والتنقل .

١١ ــ ترقية وتطوير دور المراة الفلسطينيــة في النضال الوطني وذلك بالعناية بهــا اجتماعيــا ، وثقافيا ، واقتصاديــا ، واشراكهــا في كل مجال نضالي تستطيــع الاسهــام فيــه .

١٢ ــ العناية باوضاع مواطنينا في المخيمات ، والعمل على ترقيتها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، وتدريبهم على الادارة الذاتية لشؤونهم من خلال لجان شعبية منتخبة تقوم الى جانب اجهزة منظمة التحرير برعاية شؤون المخيمات .

١٣ ــ اعتبار كل متعاون مع العدو ، او مشارك له في جرائمه ضد الشعب والوطن ، او متهاون في حقوق الشعب والوطن هدفا ، بشخصه ، وبممتلكاته ، مالا ، او عقارا ، او ارضا ، من اهداف الثورة .

١٤ ــ تتشكل الجبهة الوطنية المتحدة الفلسطينية من كل فصائل الثورة ، السياسية والعسكرية ، ومن المنظمات الفلسطينية الجماهيرية ، نقابية او ثقافية ، وباب العضوية في تشكيلاتها مفتوح لكل الفئات والشخصيات الوطنية .

ثانيا : برنامج جبهة التحرير الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية :

ان السياسات التي ينتهجها نظام الحكم الحالي في عمان لا تهدد وحسب بتسليم الضفة الغربية والقدس رسميا للعدو ، وهي لا تحمل المخــاطر لقضية الوجود الوطنــي الفلسطيني الموحد ، ولقضية التحرير الوطنية الفلسطينية وحسب ، ولكنها بالاضافة الى ذلك تهدد بوضع الضفة الشرقيــة عمليا تحت الوصايــة والحماية الاسرائيلية سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . كما ان تغلغل النفوذ الامبريالي الاميركي ، والالماني

الغربي ، مضافا الى النفوذ البريطاني التقليدي ، وذلك من خلال المعونات المشروطة، وفتح الباب على مصراعيه امام الاستثمارات الاميركية والالمانية الغربية ، كل ذلك يحول شرق الاردن الى مستعمرة اميركية ــ المانية غربية ــ اسرائيلية . والسياسات الداخلية للنظام العميل في عمان القائمة على قمع الجماهير الاردنية ــ الفلسطينية تمكن الزحف الاستعماري الجديد ، الاميركي والالماني الغربي من تثبيت اقدامه ، ونهب موارد الاردن ، واستغلال قوة عمل الجماهير ، وتعطيل نمو الاقتصاد الوطني ، كما تؤدي الى الافقار المتزايد للجماهير الاردنية ــ الفلسطينية ، وخلق فئة منتفعة تحول الاردن الى قاعدة مؤخرة للقاعدة الامبريالية ــ الصهيونية في الوطن الفلسطيني المحتل ، ولكي تعمل القاعدتان معا في خدمة المخططات الامبريالية المعادية للثورة الوطنية العربية . ان هجمة ايلول ، التي كانت تجسيدا دمويا للتآمر الامبريالي ضد حركة التحرر الوطني العربية ، تؤكد ان هجمة النظام في عمان على المقاومة الفلسطينية ، كانت بداية هجمة شرسة على الشعب الاردني ، وبداية دور يلعبه الاردن ضد الدول العربية الاخرى .

وبرغم ان المقاومة قد اخرجت من قواعدها في الاردن فان ٤٥٪ من ميزانية الاردن تنفق على اغراض الامن ، اي لتعزيز اجهزة ووسائل قمع الجماهير ، التي سرعان ما بدا النظام يكشر لها عن انيابه ، فلقد حل اتحاد نقابات العمال في الاردن ، وفرض النظام قانون عمل معدل فاشستي يلغي بنصوص صريحة حتى المكاسب الجزئية التي تضمنها القانون السابق ، ويضع الحركة العمالية والنقابية تحت وصاية الدولة واجهزة الامن ، كما زيدت الضرائب على صغار الفلاحين ، وبدات السلطات في اتخاذ اجراءات تعسفية في تحصيلها ، وفرضت ضرائب جديدة على المعاملات ، كما فرضت ضرائب غير مباشرة في شكل رفع الرسوم الجمركية على كثير من الواردات مما ادى الى ارتفاع جنوني في الاسعار وفي النفقات المعيشية ، وحظرت الاحزاب الوطنية والتقدمية وفرض بدلا منها حزب واحد هو ما يسمى بالاتحاد الوطني ، السلطة المطلقة فيه للملك سياسيا وتنظيميا وفرضت قيود مكارثية على حرية الضمير واصبح ثمن الحصول على وظيفة في جهاز الدولة هو نشر استنكار من طالب الوظيفة في الصحف لما يسمى بالافكار والاحزاب الهدامة والتخريبية ، وعطلت الصحف الوطنية والمنابر الثقافية الوطنية ، وانهالت اموال الدعم على الصحف العميلة والمأجورة ، وحلت الاتحادات الوطنية للطلاب ، وفرضت بدلا منها اتحادات بوليسية ، واتسعت عمليات اتلاف الضمائر بارهاب المواطنين او شرائهم لاشاعة التجسس والعمالة لاجهزة الامن ، كما فتح النظام ابواب سجونه ومعتقلاته للمناضلين الوطنيين من الشعبين . ان اللقاءات والاتفاقات السرية والتي سمح العدو نفسه باعلانها بين الملك ورجاله وبين العدو والتي كان اهمها لقاء وادي عربة بعد ايلول بين الملك وييجال آلون نائب رئيسة وزراء العدو يؤكد ان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية مؤامرة بين الملك وبين العدو على معركة التحرير العربية .

واذا كان النظام الاردني يعتدي على اقوات المواطنين الاردنيين والفلسطينيين لتعزيز جهاز القمع الموجه ضدها ، فان المعونات الاميركية تنفق على اعادة بناء الجيش الاردني لكي يوجه ضد سوريا والعراق كما اعترفت بذلك مجلة الجيش الاميركية في كانون الثاني ١٩٧٢ . ان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية دور يلعبه النظام الاردني ضد البلاد العربية المجاورة بهدف فرض السيطرة الامبريالية عليها . ان الافقار والقهر اللذين يعانيهما الشعب الاردني والفلسطيني على ايدي نظام الملك حسين في الضفة الشرقية هما بنفس درجة الافقار والقهر اللذين يعاني منهما الشعب في الضفة الغربية وبقية الوطن المحتل على ايدي المحتلين الصهيونيين ، حيث الى جانب الارهاب ، تعاني

الضفة الغربية من الغزو الاقتصادي الصهيوني الذي يحطم المشاريع الاقتصادية الوطنية ويدمر الزراعة والتجارة المحليتين ، وحيث ينتزع المحتلون اراضي الفلاحين وحيث الاسعار في ارتفاع مستمر . كذلك يمد المحتلون اصابع غزوهم الثقافي الى المؤسسات التعليمية والثقافية في الضفة الغربية . ان الجسور المفتوحة بين الضفة الغربية والشرقية تهدد ايضا بغزو اقتصادي وتجاري لا يمكن أن تصمد امامها المشروعات الانتاجية والتجارية للمنتجين والتجار المتوسطين ، خاصة اذا اضفنا الى ذلك العبء الذي سيواجهه هؤلاء من جراء الهجمة الاقتصادية الاميركية والالمانية الغربية . ان كثرة الاموال المتداولة في مثل هذه الظروف ليست ابدا وليد رفاه ، وانما هي اعراض للتضخم النقدي المقرون بارتفاع تكاليف المعيشة وانخفاض المداخيل الفعلية للمواطنين . هذا الى جانب ان مصدر الاموال المتداولة هو قطاع ضيق من المجتمع يرتبط برؤوس الاموال الامبريالية الزاحفة وبالنظام العميل .

ان النضال للاحاطة بالنظام العميل في الاردن اصبح ضرورة ملحة على نفس مستوى مواصلة النضال ضد الاحتلال الصهيوني . ان المصالح الحيوية المشتركة للشعبين الاردني والفلسطيني ، وطنية كانت ، أو اقتصادية ، أو ثقافية وحضارية مضافا الى ذلك ان ٤٠ في المائة من شعبنا الفلسطيني يقيم منذ زمن في شرق الاردن ، ويمثل ٦٠ في المائة من مجموع سكان الضفة الشرقية ، ويسهم اسهاما رئيسيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها ، تتطلب تلاحم ودمج نضال الشعبين في جبهة تحرير وطنية اردنية ــ فلسطينية .

١ ــ ان هذه الجبهة مطالبة بتوجيه نضال الشعبين نحو الاهداف الاستراتيجية التالية :
أ) الاطاحة بالنظام العميل في الاردن ، وتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني واقامة دولة اتحادية ديموقراطية على ارض فلسطين والاردن تؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين ، وتؤمن التطور الوطني المشترك لهما اقتصاديا واجتماعيا ، وحضاريا وتعزيز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا ، وثقافيا ، واقتصاديا ، عن طريق وضع موارد اي من الاقليمين بشريا واقتصاديا وحضاريا في خدمة نمو الاقليم الاخر . ب) لحم نضال الشعبين الفلسطيني والاردني بنضال الامة العربية من اجل التحرر وضد المشاريع الامبريالية لفرض حلول واوضاع استسلامية على الوطن العربي ، ولتصفية كل اشكال الوجود الامبريالي ، الاقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية ، وكل القوى المرتبطة بها والتي تقوم بدور الوسيط لتسلل الاستعمار الجديد ولسياساته .

ولكي يتحقق الوجود الفعلي للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ويتدعم وينمو فوق انساحة الاردنية ، فان من الواجب البدء فورا بتنشيط كافة اشكال النضال الجماهيري اليومية ، بحيث يؤدي تحرك الجماهير من اجل مطالبها اليومية والعامة الى بروز قياداتها المنظمة وتنظيماتها المعبرة عن مصالح فئاتها المختلفة . هذه القيادات والتنظيمات التي غابت عن معارك الجماهير اليومية طوال السنوات الاخيرة .

كما ان تحقيق الاهداف العامة للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية يتطلب نضالا طويلا وشاقا ، بحيث تتخطى الجماهير من خلال النضال اليومي ، والمعارك الجزئية ، كل العقبات الاقليمية والاجتماعية المتخلفة ، وتنصهر في نضال مشترك يبرز وجهها القومي المناضل ويفضح النظام الهاشمي الذي يعتمد اساسا على ابقاء العلاقات العشائرية والبدوية ويستثير التعصب الاقليمي كقناع خادع لعمالته للصهيونية والاستعمار .

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية الساعية من اجل الاطاحة بالنظام الهاشمي العميل في الاردن ، وتحرير فلسطين ، مطالبة بتحريك النضال الشعبي وتوجيهه على

مختلف ميادين الصدام بين السلطة الاردنية وبين الجماهير ، مقدمة شعاراتها المناسبة في المعارك اليومية بحيث تربط على الدوام بين هذه المعارك الجزئية وبين اهدافها العامة وتوجه حرابها ونتائجها لتصب في النضال العام للشعبين .

لهذا فعلى الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ان تتوجه بالنضال من اجل : ١) تعبئة وتنظيم الجماهير من اجل الاطاحة بالنظام العميل في الاردن بكل وسائل النضال الجماهيرية مسلحة وغير مسلحة . ٢) اشراك ابناء الشعب الاردني في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني باعتبار ذلك حقا وطنيا وقوميا وباعتبار ذلك ضرورة لحماية شرق الاردن ذاته . ٣) التأكيد على ضرورة حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على ارضه ، وفضح مؤامرات النظام العميل واضاليله في هذا الشأن ، وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى غرب النهر . ٤) مقاومة الاجراءات الارهابية البوليسية والحظر المفروض على الاحزاب الوطنية والتقدمية ، وتشكيل النقابات والاتحادات المهنية والطلابية وتنشيطها ومقاومة كل تدخل للسلطات في نشاطها او الدفاع عن المناضلين المعتقلين والمسجونين والنضال من اجل الافراج عنهم وفضح المحاكمات الصورية وجرائم التعذيب ، ومقاومة وفضح كل القوانين التي تشكل قيدا على حريات الجماهير والنضال ضد قانون عقد العمل المعدل والمطالبة باعادة المكتسبات التي انتزعها العمال طوال السنوات الثلاث الماضية والغاء قرار حل اتحاد نقابات العمال في الاردن . ٥) فضح ومقاومة كل القوانين والاتفاقات التي تسمح بتغلغل رؤوس الاموال الامبريالية وتمكن الاستعمار الجديد في الاردن . ٦) فضح تسرب السيطرة الصهيونية والاستعمارية على الاقتصاد الوطني ، وكشف الآثار المترتبة عليه والربط بينها وبين تبديد موارد الدولة على اجهزة الامن ونهب الاسرة الحاكمة وعملائها لها . ٧) تنشيط نضال ابناء البادية وسعيهم من اجل تنمية وتوسيع الخدمات المقدمة لهم تعليميا وطبيا وثقافيا، وتثبيت توطينهم واسكانهم وتوفير العمل الانتاجي الثابت والمجدي حتى يتحرروا من الاوضاع المفروضة عليهم بهدف استخدامهم لدعم السياسات القمعية ضد قطاعات الشعب الاخرى . ٨) مقاومة الضرائب المبالغ فيها على الفلاحين وتوجيههم للمطالبة بالقروض والتسهيلات من اجل رفع مستوى الانتاج الزراعي وتسهيل عملية تسويق منتجاتهم ومساعدتهم على تشكيل تنظيماتهم التي تدافع عن مصالحهم اليومية وتنظم نضالهم من اجلها . ٩) مقاومة كل زيادة في رسوم المعاملات ، والضرائب غير المباشرة وكافة الاجراءات التي ترفع تكاليف المعيشة ، وتضارب بأقوات الشعب ، ومساعدة المواطنين على تشكيل جمعياتهم التي تتولى الدفاع عن مصالحهم المعيشية اليومية . ١٠) فضح كل القوانين واللوائح التي تبذر روح التفرقة والتمايز بين المواطنين من الشعبين والمطالبة بالغائها . ١١) تثقيف الجماهير بروح القومية العربية وفضح سياسة الاعتماد على المعونات الامبريالية . ١٢) كشف الدور القمعي المعد للجيش الاردني ، وفضح العناصر العميلة والمعادية المعروفة بولائها للاستعمار وتصفيتهم وتوعية الجنود والضباط الصغار بخطر الاعتماد على الدول الامبريالية في تسليح الجيش ، وتعميق الوعي الوطني بينهم وتثقيفهم بروح الاخوة النضالية والمصيرية بين الشعبين الفلسطيني والاردني ، ودفعهم للنضال من اجل تحويل الجيش الاردني الى جيش وطني قادر على المشاركة في معركة التحرير الى جانب قوات الثورة الفلسطينية . ١٣) العمل على ان تسهم الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية اسهاما نشطا في تجميع القوى الوطنية والمعادية للامبريالية في الوطن العربي كله في جبهة نضالية واحدة على تعميق الصلات النضالية بين النضال الوطني الفلسطيني الاردني والقوى الثورية العالمية .

العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل

اسعد عبد الرحمن

يحاول هذا البحث تقديم دراسة نقدية للازمات الكبرى الثلاث التي عصفت بالعلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل : ازمة تاسيس الجيش الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ ، ازمة « قضية لافون » في مراحلها الثلاث على امتداد الفترة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٥ . وازمة حرب الايام الستة في العام ١٩٦٧. وان البحث السريع لخلفية تلك الازمات في بداية الدراسة كان ضرورة لا بد منها تماما مثلما ان الجزء الاخير من البحث عني بسرد مجموعة من الاستنتاجات التي تساعد على تقديم صورة اجمالية للواقع الذي حكم العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل . وغني عن القول ان طموح هذه الدراسة لا يتعدى اعتبارها محاولة اولية لفهم ذلك الموضوع الشائك والحساس مع التاكيد على أن موضوعا كهذا هو ـ حتما ودوما ـ بحاجة الى المزيد من الجهد والدراسة في المستقبل .

توطئة

الظاهرة العسكرية بمعنى ممارسة الجيش(١) دورا مستقلا او شبه مستقل في الحياة السياسية في المجتمعات المختلفة ظاهرة ما فتىء خطها البياني بالصعود . ومع أن الدور السياسي الذي يلعبه الجيش يتفاوت في وضوحه وعلنيته بين بلد وآخر ، الا ان البلدان المختلفة تشترك جميعا في كون الجيش عاملا هاما او رئيسيا اوحد ، حسب الحالة ، في قيادة دفة حياتها السياسية . والتفاوت في درجة تدخل الجيش متدرج بين نقطتين نوعيتين مختلفتين : فهو اما تدخل في الشؤون السياسية للمجتمع على شكل « قوة ضاغطة » او هو هيمنة شبه كاملة او كاملة على مقدرات البلد وكافة مناحي النشاط والحياة فيه(٢).

والعمل السياسي المستقل من جانب القوات المسلحة ليس ظاهرة متكررة الحدوث فحسب وانما هي ظاهرة قديمة مسرحها رقعة واسعة من المجتمعات التي يتشكل منها عالمنا ، وهي ليست محصورة ، بأي شكل من الاشكال ، بمنطقة واحدة من المناطق . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان ٣٢ دولة من اصل ٥١ ظهرت في العام ١٩١٧ او قبله كانت مسرحا للانقلابات العسكرية . وقد شهدت ١٣ دولة من اصل ٢٨ ، ظهرت بين الاعوام ١٩١٧ ـ ١٩٥٥ ، سلسلة من الانقلابات العسكرية(٣). كما وتصاعد عدد الانقلابات العسكرية بشكل ملحوظ بعد العام ١٩٥٥ وبخاصة في الدول النامية حديثة الاستقلال ، مما وضع تلك الظاهرة ضمن دائرة الضوء لدى المهتمين(٤). ومنطقة الشرق الاوسط بالذات هي واحدة من مناطق رئيسية اربع كان لها نصيب كبير من مجموع الانقلابات العسكرية منذ بداية القرن الحالي . مما يضفي على الظاهرة العسكرية ، بالنسبة لنا، اهمية خاصة . أما الاسباب الكامنة وراء تلك الظاهرة فمتعددة من جهة ، وخارج نطاق اهتمامنا في هذا البحث من جهة ثانية . غير انه من المفيد الاشارة الى أن سببا واحدا قاصر حتما عن تقديم تفسير مقنع للمسألة وان ثمة سلسلة من الاسباب المعقدة والمتشابكة مسؤولة ، بشكل او بآخر ، عن بروز تلك الظاهرة واستمرارها بحيث يبدو ذلك الاستمرار وكانه حالة لا مهرب ولا فكاك منها(٥). وانسجاما مع الاهتمام الخاص الذي يولاه موضوع العلاقات المدنية ـ العسكرية في المجتمعات المختلفة(٦) ، واستقصاء لحقيقة الحديث المتصل عن « الديمقراطية » وعن «اولوية وهيمنة القيادة السياسية على المؤسسة العسكرية » في اسرائيل(٧)، من اجل هذا وذاك، كان هذا البحث .

العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل

ان اية محاولة علمية لفهم طبيعة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل لا بد لها من أن تؤمن لنفسها الماما **سريعا** بواقع الوجود الصهيوني في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ . على اعتبار ان ما حدث بعد ذلك العام انما يجد جذوره في الفترة التي سبقت كما ان ما تم بناؤه منذ الاعلان عن قيام اسرائيل انما يجد ــ الى حد بعيد ــ ارضيته الصلبة فيما تم ارساؤه من قواعد واسس قبل ذلك الاعلان . فلا البناء السياسي ولا الاجتماعي ولا العسكري بعد العام ١٩٤٨ منفصل عن البناء السياسي والاجتماعي والعسكري بعد ذلك العام. ولولا بعض التغيرات ــ التي ستكون موضع بحث وخاصة في النطاق العسكري ــ لقلنا أن بناء ما قبل ١٩٤٨ ما هو الا امتداد دقيق لما تم قبله . وعلى أية حال ، فان من جملة اهتماماتنا في هذا البحث هو محاولة « وضع الاصبع » على ما يشكل استمرارا لما هو سابق زمنيا من جهة وما يشكل افتراقا عن الماضي من جهة ثانية . هناك ملاحظة وحيدة فقط جديرة بانتباهنا بهذا الصدد : ليس من اختصاص هذا البحث التعمق فيما هو قائم قبل ١٩٤٨ الا بمقدار ما يقتضيه ويتطلبه جهدنا لفهم ما قام منذ ظهور اسرائيل وحتى الان وبتحديد أكثر فان جهدنا سينصرف الى محاولة فهم ذلك الجزء من الماضي ذي العلاقة الوثيقة بالعلاقات المدنية ــ العسكرية في وضعها الراهن . وتبرز في هذا المجال حقيقتان اساسيتان : **اولا** : ان المؤسسات والتقاليد والقيم المدنية بواقعها الراهن في اسرائيل، وخاصة في السنين الاولى من قيامها ، تمثل ــ الى حد بعيد ــ امتدادا عضويا للمؤسسات والتقاليد والقيم السائدة على امتداد فترة نصف القرن قبل ١٩٤٨ . **ثانيا** : ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم تنبثق من فراغ بل أنها تمثل صورة من صور تطور وتحول الجهد والمؤسسات والتقاليد العسكرية الصهيونية السابقة ، المتواجدة قبل العام ١٩٤٨ ، الى واقع جديد .

المؤسسات المدنية الصهيونية(٨) وافرعها العسكرية

مثلت المؤسسات المدنية الصهيونية التعبير التنظيمي للتيار الصهيوني الذي بدأ يتبلور في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر(٩). وقد قصد ، بالواقع ، ان تكون تلك المؤسسات الاداة التنفيذية للبرنامج الصهيوني الاكثر تبلورا والذي صيغ في المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) واصبح يعرف منذئذ بأسم « برنامج بال » . نص هذا البرنامج على « أن هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام»(١٠). اما الخطوات التي تقرر اتباعها لانجاز ذلك الهدف فقد تحددت على النحو التالي : « ١ ــ تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوط مناسبة . ٢ ــ تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي ، كل منها حسب قوانين البلد المعني . ٣ ــ تقوية الحس والوعي القوميين اليهوديين وتعزيزهما . ٤ ــ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول ، حيث يكون ذلك ضروريا ، لتحقيق هدف الصهيونية »(١١).ولانجاز هذا البرنامج اعلن المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) عن تأسيس « المنظمة الصهيونية العالمية » . ومع الزمن نمت المنظمة بأجهزتها الاصلية او المستحدثة، وتحت مختلف الاسماء ، بشكل متشعب ، سواء في فلسطين ذاتها ، او في العديد من بلدان العالم(١٢).

وقد باشرت المنظمة الصهيونية دورها « كحكومة طور التكوين »(١٣) ومارست « شبه سلطة على يهود فلسطين » واصبحت « حكومة داخل الحكومة (المقصود حكومة الانتداب) » منذ العام ١٩١٨(١٤). وعندما أعلن دافيد بن جوريون ، رئيس كل من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، قيام اسرائيل في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨(١٥)، تولى هو نفسه رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع كما تولى حاييم وايزمن (رئيس المنظمة الصهيونية طوال اكثر من عشرين عاما) رئاسة الدولة الجديدة . أما الحكومة المؤقتة فتشكلت من بين اعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية(١٦). وهكذا نرى الترابط العضوي بين الاجهزة المدنية الصهيونية ، وبالذات السلطة التنفيذية ، وبين الاجهزة الجديدة التي مثلت قمة الهرم التنفيذي والاداري السياسي لاسرائيل . وما يهمنا بهذا المجال هو استخلاص حقيقة اساسية مؤداها ان السلطة السياسية الرئيسية في فلسطين وخارجها قبل ١٩٤٨ بقيت ، هي ذاتها ، الممسكة بزمام الامور مع قيام الدولة. وكل هذا يعني ان السلطة السياسية **التاريخية** (بكل ما يوفره ذلك من امتيازات) بقيت ، هي

نفسها المتحكمة بدفة الامور ولكن ، هذه المرة ، ضمن الاطار السياسي الصهيوني الجديد .

والسؤال الاساسي الذي يطرح نفسه الان : ضمن هذا الاطار السياسي الجديد ، ما هي **القوى** السياسية الحقيقية الرئيسية الفاعلة وما هي مكامن قوتها ؟

اول ما يجب الاشارة اليه هو أن القوى السياسية المشار اليها لم تتأثر بالاطار الدستوري الجديد بقدر ما اثرت هي فيه . فاذا كان ذلك الاطار ، بشكله الجديد ، امرا مستحدثا ، فان حقيقة وجود تلك القوى حقيقة ذات وجود تاريخي طويل له جذوره العميقة في تربة المجتمع الصهيوني الاسرائيلي . واذا ما تركنا جانبا المؤسسات الصهيونية المشار اليها سابقا (المنظمة الصهيونية ، الوكالة اليهودية ... الخ) على اعتبار انها **اطر لقوى** سياسية فاعلة داخلها ، أصبح من الضروري الاشارة اشارة سريعة محددة الى تلك **القوى بالذات** لكي نتمكن من فهم ادوات التقرير الرئيسية في الحياة السياسية الصهيونية وفي الحياة السياسية الاسرائيلية قبل العام ١٩٤٨ وبعده لما لذلك من اثر مباشر على موضوعنا .

الثقل السياسي الاول ، في المجتمع الصهيوني والاسرائيلي ، ومنذ العام ١٩٢٩ كان لحزب المباي الذي تمتع دوما بنصيب الاسد من أصوات الناخبين في اسرائيل تماما مثلما كان قد تمتع بالنسبة الاعلى من التمثيل في كافة الاجهزة الصهيونية التي سبقت قيام الدولة منذ العام ١٩٣٥(١٧). وقد احتل بن جوريون موقع القيادة الاول في هذا الحزب على امتداد الجزء الاطول من حياة الحزب السياسية . اما مكامن القوة في حزب المباي فمتعددة : **اولها** ان برنامجه استطاع، باستمرار ، ان يجذب القاعدة الاوسع من الجمهور الصهيوني وبالتالي امتلك دوما الثقل السياسي التقريري . **وثانيها** ان الحزب اصبح ، بحكم نجاحه السياسي ، مؤسسة ذات جذور تاريخية وتقاليد راسخة ومدرسة للعمل السياسي ومصدرا لقيم ومثل تركت بصماتها على الحياة السياسية في اسرائيل . **وثالثها** قيادته الكفؤة (من زاوية وضع وتنفيذ الاهداف الصهيونية) وبخاصة قيادة وشخصية بن جوريون التي امتلكت ، في وسط الجمهور الصهيوني ، سحرا خاصا(١٨). (ستكون هذه النقطة الاخيرة موضع بحث لاحق) **ورابعها** ، وقد يكون أهمها ، كون المباي قد امتلك دوما الجناح العسكري الاكثر عددا وقوة ، والمقصود بذلك منظمة الهاجاناه .

أما القوة السياسية الاساسية الثانية التي تهمنا(١٩) فهي ما اصطلح على تسميته بتيار التصحيحيين (او التحريفيين) أي تلك المجموعة المتأثرة بفكر وبرنامج وشخصية فلاديمير جابوتنسكي. ونتيجة لخلافات هذه المجموعة مع برامج المباي وجدناها تقيم لنفسها مؤسساتها الخاصة بها والمنافسة للمؤسسات الصهيونية المختلفة . فالى جانب الهستدروت أنشأ اتباع جابوتنسكي تنظيمهم الخاص الموازي له (١٩٢٤) ، ومقابل « المنظمة الصهيونية العالمية» أقامت هذه المجموعة ما أسمته « بالمنظمة الصهيونية الجديدة » (١٩٣٥)، هذا بالاضافة الى مؤسستهم العسكرية الخاصة (١٩٣٧) ، التي اشتهرت باسم المنظمة القومية العسكرية (الارجون تزفاي لئومي)(٢٠).

وطالما حددنا المنبت السياسي لاكبر تنظيمين عسكريين صهيونيين (الهاجاناه والارجون)(٢١) فان من المفيد التعرض — بشكل سريع — الى هذين التنظيمين بشكل مباشر .

الهاجاناه : من المعروف ان من اوائل صيغ التنظيمات الصهيونية شبه العسكرية في فلسطين هي تلك الصيغة التي جاءت مع مهاجري ١٩٠٥ الذين نزحوا الى فلسطين بعدما تعرضوا للاضطهاد في كل من كييف وكولون . وقد عرفت الصيغة هذه باسم « هاشومر » (أي الحارس وجمعها شومريم)(٢٢). واستمرت مجموعات (هاشومر) بممارسة دورها في التصدي للمقاومة العربية الفلسطينية الى ان باتت تشعر بالعجز ازاء تزايد تلك المقاومة . عندها وافق الهستدروت على توصية تقدمت بها احدى لجانه المختصة ، وبدأت بالاعداد لانبثاق اول منظمة سرية عسكرية في فلسطين . ونستطيع القول ان يوم الخامس والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٢٥ كان يوم تأسيس الهاجاناه(٢٣).

وبالجهد الخاص الذي اولاه حزب المباي للهاجاناه وتحت مظلة الحماية والتشجيع البريطانية(٢٤)، نمت الهاجاناه بشكل ملحوظ(٢٥). ولقد التزمت المنظمة العسكرية الجديدة بمبدأ هفلاجا (ضبط النفس) السائد اجمالا في وسط الجمهور الصهيوني(٢٦) حتى اواخر الثلاثينات حين اتبعت

الهاجاناه تكتيكا هجوميا استتبع مزيدا من نمو بعض أجهزتها المتخصصة(٢٧). وما ان جاء يوم الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ حتى كان مجموع عدد قوات الهاجاناه يقارب الـ ١١٥،٨١٠(٢٨). لهذا كان من الطبيعي ان تمارس الهاجاناه الدور الاكثر حسما في خوض معارك ١٩٤٨ ، وفي تأمين قيام الدولة عسكريا ، وفي التأثير على البناء العسكري الاسرائيلي . ان فهم النقطة الاخيرة هذه يقتضي وقفة سريعة أمام احد أبرز قطعات الهاجاناه المعروفة باسم « البالماخ ».

البالماخ : كانت وجهة نظر بيغال آلون في مطلع الاربعينات(٢٩) تشدد على ضرورة انشاء قوة خاصة تتولى الدفاع عن الوجود الصهيوني في فلسطين على أساس انتقاء أفضل الكفاءات العسكرية الصهيونية لهذا الغرض . ولهذا قررت اللجنة المناط بها مسؤولية الهاجاناه اقامة قوة ضاربة خاصة عرفت باسم البالماخ منذ ايار (مايو) ١٩٤١(٣٠). وفي هذا المجال يجب ان تذكر ايضا ضغوط « يتسحاق صاديه » ، القائد العسكري في الهاجاناه التي هدفت الى « اقامة نخبة عسكرية يهودية دائمة مستقلة ومحترفة »(٣١). وقد نجح صاديه هذا في كسب دعم كل من الياهو جولومب ، قائد الهاجاناه ، والدكتور موشيه سنيه ، رئيس اركانها ، الى جانب اقتراحه ، وهكذا انيطت به مسؤولية الاشراف على البالماخ من قبل قيادة الهاجاناه(٣٢).

ومع ان تنظيم البالماخ ضم في صفوفه عددا من الاتجاهات السياسية المختلفة ، الا ان الاغلبية كانت من أعضاء « حركة الكيبوتس المتحدة » المتعاضدة مع « حزب العمل المتحد » . فمن ضمن الـ ٢٨ مستوطنة التي شكلت منبع قوات البالماخ كان « لحركة الكيبوتس المتحدة » ١٧ منها . وطوال حياة البالماخ (١٩٤١ ــ ١٩٤٧) لم تقل نسبة اعضاء حركة الكيبوتس المتحدة في تنظيم البالماخ عن ٣٠٪ من مجموع الاعضاء(٣٣).

ان أهمية النقطة المشار اليها اعلاه تكمن في : **اولا** : وقوع اول قوة عسكرية صهيونية محترفة ضمن دائرة تأثير حزب سياسي واحد هو حزب العمل المتحد ، خاصة وان هذا الحزب معروف بتبلور افكاره وبرامجه وبانضباطية اعضائه . **ثانيا** : والذي زاد من أهمية ذلك هو ان الحزب **لم يكن** الحزب الصهيوني **الاقوى** في فلسطين مما ترك آثاره على مسالة توحيد القوى العسكرية الصهيونية في جيش واحد ، كما وخلق حالة من عدم التوازن ــ كما سنرى لاحقا(٣٤). **ثالثا** : وتزداد اهمية وخطورة النقطة المشار اليها اعلاه عندما ندرك ان تنظيم البالماخ شكل النواة الحقيقية للجيش الاسرائيلي لاحقا مما هدد ، في فترة من الفترات ، بحدوث حالة انفصام بين القيادة السياسية التي تنتمي الى حزب الماباي وبين أغلبية قيادة البالماخ التي تنتمي الى حزب العمل المتحد المنافس للماباي داخل حركة الصهيونيين ــ الاشتراكيين(٣٥).

الارجون وشتيرن : اسباب عديدة ، بعضها محدد بشكل دقيق وبعضها الاخر عام الطابع ، أدت ، بشكل مباشر او غير مباشر ، الى انبثاق منظمات عسكرية نتيجة لانشقاق بعض الاجنحة عن المنظمة الام ــ الهاجاناه : فلا « رابطة المزارعين » ولا « الصهيونيون البرجوازيون » ولا « الصهيونيون التصحيحيون » كانوا راضين عن السيطرة السياسية التي مارسها « اليسار الاشتراكي » الصهيوني على الهاجاناه(٣٦). ولا سياسة الهفلاجا (ضبط النفس) ، التي شكلت سياسة الهاجاناه ، حازت على رضاء التيارات المتطرفة الداعية الى ضرورة بدء القتال ضد كل من حكومة الانتداب والعرب(٣٧). ولا التركيب التنظيمي وطبيعة البناء العسكري للهاجاناه أرضت المجموعة المتأثرة بفكر جابوتنسكي الذي كان يدعو الى قيام منظمة عسكرية محترفة تضم عسكريين محترفين وتتمسك تماما بالروحية والتقاليد العسكرية(٣٨).

وفي مطلع العام ١٩٣١ ، وبسبب العوامل المختلفة آنفة الذكر ، قام جناح من الهاجاناه بقيادة افراهام تيهومي بالاستيلاء على مخزن للسلاح في القدس تابع للمنظمة . وقد اتبع تيهومي عمليته تلك بالاعلان عن قيام منظمة عسكرية جديدة مستقلة تعمل تحت اسم « الهاجاناه ب » .

وفي العام ١٩٣٨ التقت «حركة الشباب التصحيحي» المعروفة باسم « بيتار » والتي كانت قد بدأت « بعسكرة » نفسها لمدة خلت ، التقت مع منظمة « الهاجاناه ب » واعلنتا انشاء منظمة جديدة موحدة هي « المنظمة القومية العسكرية » التي اشتهرت ، تحت قيادة ديفيد رازيل ، باسم الارجون . وسرعان ما انتقلت مقاليد القيادة بعد

ذلك ليد افراهام شتيرن في العـام ١٩٤٠[٣٩]. وعندما وافقت بعض قيادات الارجون على الهدنة مع حكومة الانتداب اثناء الحرب العالمية الثانية ، وقف شتيرن ضد ذلك وانسحب (ساحبا معه العدد الاكبر من الاعضاء ومستوليا على الكمية الاكثر من الاسلحة) معلنا تشكيل منظمة « المقاتلون من اجل حرية اسرائيل » المعروفة باسـم « ليحي » او بعصابة شتيرن[٤٠].

وبوفاة جابوتنسكي ، « الاب الروحي » للمنظمة، عام ١٩٤٠، ومقتل قائدها الاول رازيل عام ١٩٤١، ومقتل شتيرن قائدها الثاني (المنشق عنها) فـي العام ١٩٤٢ ، اصيبت هذه المؤسسات العسكرية بصدمة كبرى استمرت الى حين استلم قيـادة الارجون مناحيم بيجن في العام ١٩٤٣[٤١].

أما النقطتان البارزتان اللتان تجدر ملاحظتهمـا ونحن بصدد الفروغ من حديثنا عن الارجون فهما : **أولا** : ان الارجون او المنظمات المكونة لهـا او المنشقة عنها ، كانت منظمات عسكرية ، تخضـع لقيادات عسكرية في كافة شؤونهـا وقراراتها السياسية والعسكرية على حد سواء . وهي بذلك كانت تختلف عن الهاجاناه التي وان كانت خاضعة لتأثير حاسم من قبل حزب المباي والصهيونيين — الاشتراكيين فانها كانت « تتلقى اوامرها مـن اليشوف (المجموعة اليهودية في فلسطين) وكانت نشاطاتها العسكرية تفرضها دائما القـرارات السياسية لليشوف »[٤٢]. اما علاقـة الارجون سواء بحركة « بيتار » او « بالتصحيحيين » اجمالا فكانت علاقات عائمة لدرجة ان الارجون كـانت فعلا منظمة مستقلة تماما عن التيارات السياسية التي كانت وراءها [٤٣]. ولهذا فانه بالقدر الذي كان فيه للهاجاناه تجربة في التعامل مع سلطات مدنية فان الارجون كانت مفتقدة لمثـل هـذه التجربـة والخبرة . **ثانيا** : ان الارجون اضطرت الى اتخاذ سلسلة من القرارات والمواقف السياسية التـي ميزتها لاحقا وعرضتها للعديد من المشاكل . ذلك ان عملياتها العسكرية كانت تجبرها دوما على اتخاذ مواقف سياسية لتبرير نشاطها العسكري وهـذا بدوره كان يعود فينحكم بنشاطهـا العسكـري ذاته[٤٤]. وهكذا وقعت الارجون في المستنقع الذي حذرت الاخرين من مغبة الوقوع فيه !

العلاقات بين المنظمات العسكرية الصهيونية

كان من الطبيعي ان تؤدي الاسبـاب الاجتماعية والعقائدية والسياسية ذاتها التي كانت وراء انشقاق المؤسسة العسكرية الصهيونية الى سيادة حالة من التوتر الدائم بين المنظمات المنشقة من جهة والمنظمة الام من جهة ثانية . وكان للتباين الفاضح في مواقف المنظمات المختلفة من كل من حكومة الانتداب وعرب فلسطين ، اثناء الحـرب العالمية الثانية ، اثره الكبير في رفع حرارة الخلافات الصهيونية وزيادة توتر علاقاتها .

ومنذ أن قامت الارجون بأولى عملياتها الارهابية الكبرى ضد عرب فلسطين في شباط (فبراير) ١٩٣٩ واولى عملياتها الكبرى ضد حكومة الانتداب في ايلول (سبتمبر) مـن العام ذاتـه ، وقع التناقض بين التكتيكين الصهيونيـين ، تكتيـك الهاجاناه الداعي الـى « الاعتـدال » وتكتيـك الارجون ومنظمة ليحي الداعي الى «التطرف»[٤٥]. ولكن قلـة العمليات وضعفها[٤٦] فـي سنوات الحرب الحاسمة (١٩٣٩ — ١٩٤٣) أخرت حدوث أية مواجهة حقيقية بين التيارين العسكريـين الصهيونيين[٤٧]. ولكن العام ١٩٤٤ جاء ليحمل معه ظروفا جديدة[٤٨] ارتفع معها عدد العمليات الارهابية بشكل ملحوظ مما دفع الهيئات الصهيونية الرسمية للاعراب عن « معارضتها » و« أسفها » و« رعبهـا » و« غضبهـا » من العمليـات الارهابية[٤٩]. وما أن قامت منظمة شتيرن باغتيال اللورد موين (الوزير البريطاني في منطقة الشرق الاوسط) في القاهرة ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ حتى شعرت الوكالة اليهودية بأن زمام الامور بات على أبواب ان يفلت من يدها فاصدرت اوامرها للهاجاناه لمحاربة كـل مـن الارجـون وشتيرن[٥٠]. وكان من نتيجة تعاون بعض قطعات الهاجاناه مع حكومة الانتداب ان سلمت الوكالة اليهودية للاخيرة أسماء ٤٠٠ ارهابي . كما قامت الهاجاناه بسلسلة من أعمال الخطف والاعتقال ضد الارهابيين بالاضافة الى افشائها معلومات لحكومة الانتداب عن عمليات ارهابية محتملة الوقوع . واستمرت الحرب معلنة من قبل بعض[٥١] اجزاء الهاجاناه ضد الارهابيين حتى نهاية العام ١٩٤٥ حين فكت الهاجاناه ارتباطها ببريطانيه[٥٢].

وكان من الطبيعي ان هذا الجزء من تاريخ العلاقات بين المنظمات الصهيونية ولد حالة من انعـدام الثقة بينها مما عكس نفسه ، مباشرة ، علـى مسألة توحيد المنظمات في جيش صهيوني واحد ومما

ادى الى عراقيل واصطدامات سنعرض لها في وقت لاحق(٥٣).

توحيد المنظمات العسكرية الصهيونية في « جيش الدفاع الاسرائيلي »

لا يمكن لاي حديث جدي عن توحيد المنظمات العسكرية الصهيونية وقيام « جيش الدفاع الاسرائيلي » ان يتم بمعزل عن الدور الخاص الذي لعبه دافيد بن جوريون في تحقيق ذلك . ان اهمية بحث دور بن جوريون ، بالذات ، تنبع من كونه اكثر الاشخاص اثرا في حسم تلك المسألة من جهة وكونه افعل الاشخاص الذين تركوا بصمات واضحة على الجيش ومسيرته وعلاقاته بالسلطات المدنية الاسرائيلية من جهة ثانية .

حول دور بن جوريون : يعتقد آموس بيرلماتور ، الخبير في شؤون الجيش والمجتمع الاسرائيليين ، ان الفضل في تحول المنظمات العسكرية الصهيونية من مؤسسات طوعية شبه محترفة ومسيسة(٥٤) الى مؤسسة واحدة غير طوعية ، محترفة ، وغير مسيسة ، عائد بالاساس الى « تصميم ومهارة دافيد بن جوريون » . ايضا فان تبوء بن جوريون لمنصبي رئيس الوزراء ووزير الدفاع منذ العام ١٩٤٧ وحتى العام ١٩٦٣ (باستثناء ١٥ شهرا بين ١٩٥٣ و١٩٥٥) ، ساعده على « ختم طابعه الراسخ على جيش اسرائيل ووزارة الدفاع . واكثر من اي عامل اخر ، صاغت شخصية بن جوريون ورؤياه القومية مجرى العلاقات المدنية ـ العسكرية في دولة اسرائيل الجديدة »(٥٥). وقد ساعد في تحقيق ذلك « فردية » بن جوريون « واصراره العنيد على تجاوز الايديولوجيات والسياسات » المختلفة بالاضافة الى « استعداده للمخاطرة » باتخاذ اجراءات ستؤدي حتما الى زيادة عدد خصومه واعدائه(٥٦).

ولكن جهد بن جوريون لتوحيد المنظمات الصهيونية لا يمكن ان يعزل عن الواقع الذي مارس فيه تلك الجهود . فقد سهلت بعض جوانب ذلك الواقع مهمته في حين ان بعضها الاخر عقدها : فبن جوريون ليس شخصية قوية فحسب بل هو رئيس ومؤسس الحزب الصهيوني الاقوى : الماباي . وهذا ، بحد ذاته ، عنى ان اذرع ذلك الحزب(٥٧) (بحكم سيطرته عليها وليس بحكم استفراده الكامل بها) كانت بمثابة السلاح في يد بن جوريون لتنفيذ سياسته . أما العقبات التي كانت تنتصب في وجه بن جوريون ووجه برنامجه لتوحيد المنظمات في جيش واحد فيمكن تلخيصها بالانقسامات الحادة (اجتماعيا وسياسيا وعسكريا) داخل المجتمع الصهيوني ذاته : فالفوارق الاجتماعية التي تركت آثارها على الحياة السياسية والعسكرية فوارق حادة . والمنظمات السياسية المنافسة عديدة . والمنظمات العسكرية، بالاضافة الى قواها العسكرية ، كانت قد اصبحت مؤسسات ذات جذور تاريخية عميقة في وسط بعض قطاعات الجمهور الصهيوني مما جعل مسألة تصفيتها مسألة غير سهلة على الاطلاق . ناهيك عن كون العلاقات بين هذه المنظمات وبين الماباي او الهاجاناه علاقات شابها ، ليس التناقض فحسب ، بل الصدام الفعلي كما سبق ولاحظنا . ايضا ، يجب ان تضاف الى هذا كله الخلافات المتعددة ، في الايديولوجية والموقف السياسي ، داخل الهاجاناه وغيرها من المؤسسات التي ينتمي بن جوريون وحزبه الى معسكرها(٥٨). ولكن التراث التاريخي للهاجاناه (تجربتها وانضباطيتها) (٥٩) كان عاملا مساعدا من زاوية التزامها برغبات وقرارات السلطة السياسية فوقها . غير ان انعدام مثل هذه التجربة لدى الارجون ، مثلا ، جعل هذه المنظمة غير قادرة على فهم ضرورة الخضوع للسلطة المدنية وجعلها تتشبث اكثر فاكثر باستقلاليتها . وما أن اقتضت الظروف خضوع الارجون للبناء السياسي الجديد ، الذي انبثق مع قيام اسرائيل ، حتى قاومت ذلك بشكل كاد أن يؤدي الى حرب اهلية !

الازمة الكبرى الاولى : تاسيس الجيش الاسرائيلي

ما أن استلم بن جوريون ، رئيس الوكالة اليهودية، مسؤولياته كمسؤول عن شؤون الدفاع في حزيران يونيو) ١٩٤٧ ، حتى حدد لنفسه مهمتين اساسيتين : **الاولى** : « اعادة تنظيم الهاجاناه لجعلها خاضعة (وخاضعة فقط) لسلطات قومية (اي غير حزبية) » . **والثانية** : « التعبئة السريعة والمكثفة للرجال والمصادر كي يكون بحوزة اليشوف جيش جاهز لمواجهة الغزو العربي المحتمل »(٦٠).

الهدف **الثاني** نجح بن جوريون ، سريعا ، في انجازه اذ حصلت الهاجاناه على اكبر ميزانية في تاريخها ، وكان لذلك آثار بعيدة المدى على صعيد

تركيب وقوة الهاجاناه(٦١). اما هدفه **الاول** فقد اقتضى جهودا خاصة بحكم وجود تنظيمات صهيونية عسكرية اخرى منافسة وغير راغبة في الغاء استقلاليتها . هذا من جهة . ومن جهة ثانية عانت الهاجاناه من وجود مراكز قوى متميزة داخلها . واهم هذه القوى كانت البالماخ التي كانت مترددة في الذوبان من ناحية وصاحبة وجهات نظر مغايرة لوجهات نظر الهاجاناه اجمالا ازاء مستقبل وتنظيم ومسؤوليات « جيش الدفاع » من ناحية اخرى . وهكذا نرى ان مسؤولية بن جوريون ازاء مراكز القوى العسكرية الصهيونية كانت مسؤولية مزدوجة : مع الارجون وليحي (شتيرن) اولا ، ومع البالماخ ثانيا :

بدايات الازمة : يقول بن جوريون : « وزعت الحقائب (الحكومية) يوم ٤٨/٤/٢٨ ، وتقرر ان استلم حقيبتي رئيس الحكومة والدفاع ... وكان قبولي لتلك المسؤولية ، كما اوضحت ذلك للحكومة المؤقتة ، على اساس شرطين : ا ــ يكون الجيش قيد الانشاء خاضعا بكل اقسامه لسلطة الشعب وفقط تحت سلطة وادارة الشعب ، على ان يخضع الجيش ، بعد شهرين ، لسلطة الحكومة المنتخبة . ب ــ كل من يعمل في الجيش او الهاجاناه يخضع للهيئات المحددة التي تقرها سلطة الشعب و (سلطة الشعب فقط) . ايضا فان كافة اعضاء الهاجاناه والبالماخ والجنود ، دونما اية اهمية للاسم الذي سيسمونه (لاحقا) ، سيخضعون بدرجة متساوية لسلطة واحدة ولسلطة واحدة فقط »(٦٢). ولكن الاحداث تتابعت ، بعد ذلك بشكل سريع ، وعلى النحو التالي : ● اعلنت الارجون ، في الشهر ذاته ، انها ستحل نفسها حال قيام الدولة(٦٣). ● اجتمع « مجلس الدولة المؤقت » في تل ابيب في اليوم الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ وانتخب حكومة مؤقتة من ١٣ عضوا واعلن قيام الدولة رسميا(٦٤). ● اصدرت الحكومة الاسرائيلية المؤقتة في ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٨ الامر رقم ٤ الخاص بانشاء « جيش الدفاع الاسرائيلي » المعروف اختصارا باسم « تساهل » . وقد كان ذلك القرار تكريسا قانونيا اصبحت معه الهاجاناه الذراع المسلح للسلطة الجديدة . وقد نصت اهم بنود الامر على ما يلي : « ١ ــ بهذا تنشأ قوات الدفاع لاسرائيل المؤلفة من قوات ارضية وجوية وبحرية . ٢ ــ يكون التجنيد ، في اوقات الطوارىء ، ساريا بالنسبة لكافة تشكيلات وخدمات القوات الدفاعية لاسرائيل ، على ان تقرر الحكومة المؤقتة لاحقا اعمار الذين يسري عليهم قانون التجنيد . ٣ ــ يقسم كل شخص يخدم في صفوف القوات الدفاعية لاسرائيل ، يمين الولاء لدولة اسرائيل ولدستورها ولسلطاتها الشرعية . ٤ ــ وعليه يحظر انشاء او الحفاظ على اية قوة مسلحة اخرى خارج اطار القوات الدفاعية لاسرائيل . هذا وقد كلف وزير الدفاع مسؤولية تنفيذ القرار » (٦٥). ● اصدر بن جوريون ، رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، يوم ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨ امرا نص على ما يلي : « بانشاء « القوات الدفاعية لاسرائيل » تتوقف الهاجاناه عن كونها منظمة سرية وتصبح جيشا نظاميا »(٦٦).

وهكذا نرى ان السلطة الجديدة ــ وخاصة رئيس الحكومة وزير الدفاع ــ كانت مصممة على ان لا تكون ضمن حدود الدولة الجديدة اية قوة مسلحة عدا قوات «تساهل» . وبالرغم من ان قرار ٢٨ ايار (مايو) منع ، بكلمات حاسمة ، استمرار وجود اي تنظيم مسلح ، الا ان السلطة الجديدة آثرت اتباع تكتيك متساهل لتنفيذ استراتيجيتها . ولهذا قبلت تعهدا وقعه قائد الارجون في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨(٦٧) واعلن بموجبه : « ١ ــ سينخرط اعضاء الارجون في تساهل (قوات اسرائيل الدفاعية) ، وفقا لقوانين التعبئة الصادرة من حكومة اسرائيل وسيقسمون يمين الولاء كما هو متعارف عليه في الجيش . ٢ ــ ستسلم الاسلحة والمعدات الحربية الخاصة بالارجون الى تساهل وستوضع تحت تصرف قيادته العليا . ٣ ــ ستتوقف الارجون وقيادتها العليا ، بناء على قرارها المعلن بشكل حر ، عن العمل والاستمرار في التواجد كمنظمة عسكرية داخل دولة اسرائيل وضمن المناطق التي تخضع لسلطة حكومة اسرائيل. ٤ ــ ستتوقف جميع نشاطات الارجون المنفصلة الخاصة بشراء او الحصول على الاسلحة والمعدات الحربية . كذلك فان جميع الاتصالات (التي اجرتها الارجون بهذا الصدد) ستحول الى تساهل ، لصالح المجهود الحربي »(٦٨). وبناء على ذلك الاتفاق ، تم انشاء مراكز مؤقتة للارجون لمدة شهر ، تتولى مهمات تحويل الرجال والاسلحة « لتساهل » بشكل منظم. اما منظمة ليحي (شتيرن) فكانت قد اعلنت حل نفسها بشكل رسمي وانضمت لقوات تساهل في وقت

سابق(٦٩). وبالفعل فان حوالي الف ، من اصل ٣ آلاف هم مجموع اعضاء الارجون ، بالاضافة الى مجموعات من منظمة ليحي ، انضموا الى تساهل . اما باقي الاعضاء فقد استمروا خارج الجيش لواحد من الاعتبارين التاليين او لكليهما: ١ ــ رغبة السلطة واكتفاؤها ، تكتيكيا ، بانتزاع موقف مبدئي من الارجون وليحي تعترفان فيه بالسلطة الجديدة . ولهذا ، وما ان حصلت السلطة على ذلك ، حتى تصرفت بشكل مرن ذي طابع مرحلي ، يحدوها في ذلك كونها راغبة ، ما امكن ، في اضعاف منافسيها دون صدام دموي من جهة ، ورغبتها في عدم بعثرة الجهد العسكري الصهيوني ، خاصة في فترة القتال والصراع مع القوى العربية من جهة ثانية . بل واكثر من ذلك ، وافقت الحكومة الاسرائيلية على فترة انتقال يشكل فيها اعضاء الارجون الذين انضموا الى تساهل « كتائب خاصة منسقة في الوية وجبهات مختلفة »(٧٠). وهكذا نشأ داخل الجيش جيش آخر(٧١). ٢ ــ ان الاتفاق مع الارجون نص ، في الفقرة الثالثة ، على عدم شمول الاتفاق للمناطق الواقعة خارج اطار السلطة الاسرائيلية الجديدة . وقد استثنى الاتفاق ، بذلك ، منطقة القدس التي كان قرار التقسيم قد اعتبرها منطقة دولية(٧٢).

وهكذا نرى ان الارجون وشتيرن ، بحكم ميزان القوى المختل ضدهما آنذاك ، لجأتا الى تكتيك خاص انتزعتا معه موافقة الدولة على ان تزاول المنظمتان الارهابيتان نشاطهما في منطقة القدس ، في حين ان السلطة الجديدة حصلت على اعتراف مبدئي بسيادتها . وكان من نتيجة ذلك ان ركزت كل من الارجون وشتيرن قواهما في منطقة القدس واستمرتا في اعمالهما الارهابية . ان ذلك الاتفاق يكشف بوضوح ان لعبة التنافس والصراع على السلطة كانت لا زالت على ما هي عليه بالرغم من ان الطرفين (الهاجاناه في جانب والارجون وشتيرن في جانب ثان) قررا ، لاعتبارات تكتيكية ، تأجيل المواجهة بينهما الى وقت آخر .

ولكن تصاعد عمليات الارهاب في منطقة القدس ، وخاصة حادث نسف فندق الملك داوود ، ادى الى الاقتراب من لحظة المواجهة الحاسمة التي جاءت مع ما عرف لاحقا باسم « قضية الالتالينا » . وتتلخص « قضية الالتالينا » هذه بما يلي : وصلت الى شواطىء فلسطين يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ سفينة تابعة للارجون تحمل الاسم «الالتالينا» وهو الاسم الرمزي الذي كان يستعمله جابوتنسكي في كتاباته الادبية . ولقد كان على متن السفينة ٩٠٠ متطوع تابع للارجون بالاضافة الى شحنة من الاسلحة المتنوعة . وقبل وصول السفينة الى شواطىء فلسطين ، جرت مفاوضات بين الارجون والحكومة المؤقتة ، حول نسبة توزيع الاسلحة ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة . وبعد مناورات متعددة ، جرى صدامان مسلحان بين الفريقين في « كفار فتكن » حيث حاولت الارجون في البداية انزال حمولة السفينة . ووقع الاصطدام الثاني في تل ابيب حيث قررت الارجون لاحقا انزال الحمولة بعدما فشلت في محاولتها الاولى . وقد بدأ الصدام عندما اصدر بن جوريون اوامره لوحدات من البالماخ لمنع الانزال ، ولو بالقوة ، الا وفقا لما تراه الحكومة . وفي الوقت ذاته ، كان مناحيم بيجن ، زعيم الارجون ، على متن السفينة ، يدير المعركة من الناحية الثانية . وما ان بدأ الصدام بين الطرفين حتى هجر اعضاء الارجون ، الذين « انضموا » سابقا الى تساهل،وحداتهم وثكناتهم وهبوا لمساعدة الارجون . واسفر الصدام عن غرق السفينة بما عليها من اسلحة وبلغ عدد القتلى ٤٠ شخصا وتوتر الجو الى درجة بالغة واصبحت البلاد تقف على شفير حرب اهلية تتمزق بين مؤتمر صحفي يعقده موشيه شاريت ، وزير الخارجية ، من جهة ، ومؤتمر صحفي مضاد يعقده بيجن ، من جهة ثانية . غير ان تجدد القتال ضد العرب وتمالك الاطراف المختلفة لنفسها عاد فجمد الموقف وهكذا انتهت المسألة مؤقتا(٧٣).

تكمن خطورة حادث « الالتالينا » في كونه يحمل عددا من الدلالات الهامة :

اولا : لم يكن الصراع ، في جوهره ، حول سفينة الالتالينا بقدر ما كان ، اساسا ، صراعا بين سلطتين تحاول كل منهما فرض نفسها على الاخرى. ولهذا لم يعد الصدام صداما بين تنظيمين عسكريين فحسب ، بل كان ، في ابعاده الحقيقية ، صراعا استهدف الغاء واقع غدا استمراره مستحيلا . فلم يكن ممكنا بعد ، على الاطلاق ، ان يستمر تواجد جيشين متصارعين داخل الاطار السياسي الواحد ، ولذلك انفجر الموقف بين الجيش الرسمي (الهاجاناه اساسا) والجيش الآخر خارجه وداخله (بعض وحدات الارجون وشتيرن) . ان هجر

الوحدات العسكرية الارجونية لتساهل (اثناء حادث الالتالينا) بعد ان كانت قد انضمت اليه ، يعبر عن ابستمرار ازدواجية الولاءات المتنافرة داخل الجيش الواحد . وهذا أمر بالغ الخطورة .

ثانيا : ان موقف الحكومة ، وبالذات موقف بن جوريون ، يعبر عن تصميم ، لا هوادة فيه ، في حسم الصراع بالرغم من كل المضاعفات الخطرة الكامنة في مثل ذلك الموقف المتشدد . ان الموقف الحاد المليء باحتمالات الانفجار والذي اصر بن جوريون على اتخاذه تعبير عن نهاية خط الليونة والمرونة في معالجة ذلك الواقع المتدهور .

لقد كان لحادث الالتالينا اثر حاسم في تحديد طبيعة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل اذ ان الحادث كان المناسبة العملية الهامة الاولى التي تطلبت تحديدا اكثر لتلك العلاقة داخل الاطار السياسي الجديد .

استمرت الارجون وشتيرن ، بعد هذا كله ، بممارسة نشاطهما الارهابي في القدس . ومع اغتيال الكونت برنادوت ، الوسيط الدولي ، في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، ضربت الحكومة المؤقتة ضربتها الاخيرة(٧٤). وفي جو حملة من المطاردة والاعتقال وجهت الحكومة : يوم ٤٨/٩/٢٠ ، انذارا تطلب فيه من القوى « الانشقاقية » : « ان تقبل ، نصا وروحا ، قانون الدولة الخاص بالجيش والتجنيد والسلاح وان تسلم للجيش الاسرائيلي كل الاسلحة التي بحوزتها وان تحل الكتائب الخاصة وان تحيل كافة الافراد الذين يسري عليهم قانون التجنيد الى الجيش الاسرائيلي. وانه في حال عدم تنفيذ طلبات الحكومة هذه ، **نصا وروحا** ، خلال ٢٤ ساعة ، فان الجيش سيستخدم كافة الوسائل التي بحوزته لتنفيذها »(٧٥).

خضعت المنظمات لطلب الحكومة وبهذا انتهت المحاولة الاولى للانشقاق العسكري في الدولة الجديدة . ولكن انتهاء محاولة الانشقاق تلك لم تعن ان جميع « مراكز القوى » قد صفيت . كان التحدي الذي تمثله قيادة البالماخ لا يزال قائما وكان لا بد من ايجاد حل له !

مسألة البالماخ : اذا كانت قضية « الارجون وشتيرن » قد شكلت رد بن جوريون على المحاولات الانشقاقية ، فان قضية « البالماخ » تكتسب اهمية اكبر لكونها شكلت ردة على وجهات نظر اساسية تتعلق بمستقبل الجيش الاسرائيلي من كافة نواحيه وبمستقبل العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل . فاذا كان الرد على القضية الاولى «ردا سلبيا » ــ اذا صحت التسمية ــ فان الرد على القضية الثانية كان « ردا ايجابيا » عكس نفسه على طبيعة دور ومستقبل الجيش الاسرائيلي وموقعه في المجتمع .

يعتقد احد اكثر المصادر خبرة في الشؤون المدنية ــ العسكرية الاسرائيلية ان برنامج بن جوريون الخاص بتحديد تلك العلاقة كان على النحو التالي : « ١ ــ اضفاء الصفتين القومية والترسيمية على الجيش ووضع نهاية لانغماسه في السياسة(٧٦). ٢ ــ اولوية (وهيمنة) السلطات المدنية في تقرير مسائل الحرب والسلام في اسرائيل . ٣ ــ (ان يكون) وزير الدفاع الحكم النهائي في النزاعات بين المدنيين والعسكريين . ٤ ــ الصلاحية المباشرة والدائمة لوزير الدفاع (في الشؤون التي تتعلق) بتماسك الضباط ومعنوياتهم ومستواهم المهني . ٥ ــ ان تكون سلطة التقرير في المسائل التي تتعلق بالدفاع والسياسة الخارجية ذات الارتباط ، سلطة ممركزة الى درجة عالية ومحصورة بمجموعة منسجمة قليلة العدد من المدنيين والعسكريين يختارهم وزير الدفاع ويأتمرون بأمره (أي سلطتهم خاضعة لسلطته) »(٧٧).

ولكن مشروع بن جوريون هذا لم يكن البرنامج الوحيد .. فقد كان يوجد ضمن القيادة الاسرائيلية تياران رئيسيان يحمل كل منهما وجهة نظر كاملة فيما يتعلق بمستقبل الجيش الاسرائيلي : مجموعة بن جوريون وتضم شاؤول اميجود ، قائد الهاجاناه، وياكوف دوري ، اول رئيس لاركان تساهل، ويجال يادين ، ثاني رئيس لاركان تساهل . وكانت هذه المجموعة تدعو الى انشاء جيش نظامي محترف ضمن نظام خدمة عسكرية دائمة وشاملة لاوسع القطاعات . ومجموعة قيادي ومنظري البالماخ التي يقودها يتسحاق صاديه ، مؤسس البالماخ ، ويغال آلون ، قائد البالماخ ، واسرائيل جاليلي ، من مؤسسي البالماخ ورئيس سابق لاركان الهاجاناه ونائب وزير الدفاع في العام ١٩٤٨ . وقد كانت هذه المجموعة تدعو الى تشكيل جيش شعبي ، على غرار البالماخ ، معتمد على وحدات آلية صغيرة ومستند الى نظام المستوطنات الزراعية(٧٨).

دفعت نقطة الافتراق الاستراتيجية النظرية هذه ، بالاضافة الى عوامل اخرى ، العلاقات بين التيارين نحو هاوية الطلاق الحاسم . اما العوامل الاخرى المشار اليها فهي : **اولا** : شخصية بن جوريون مجددا . فكل تطور في هذا المجال لا يمكن ان يعزل عن موقف وشخصية بن جوريون « الملحاحة ، العنيدة ، والاوتوقراطية »(٧٩). وقد تعزز هذا العامل بكل من العاملين الثاني والثالث . **ثانيا** : تزعزع ثقة بن جوريون وخيبة امله بقدرة كل من الحركة الاشتراكية الصهيونية والماباي عن قيادة اسرائيل نحو « التقدم والتحديث » . ولهذا بدا رهانه على اجهزة الدولة الاخرى وخاصة تساهل(٨٠). **ثالثا** : رغبته في ابعاد «اليسار» عن مواقع التأثير التي استطاع الوصول اليها داخل مؤسسة الجيش(٨١). وهو بذلك يتابع سياسته الخاصة بابعاد وتصفية اي موقع قوة خاص داخل الجيش . ولتحقيق ذلك الهدف كان اسلوب بن جوريون وسلاحه الدائم : النهج الاوتوقراطي والديكتاتوري في تصريف الامور . ولهذا اقام بن جوريون **بناء تنظيميا ممركزا للغاية يعنى بشؤون الجيش والامن وتكون خيوطه جميعا في قبضتيه شخصيا**(٨٢). ومن ناحية ثانية فصل بين صلاحيات رئيس الاركان وصلاحيات رئيس شؤون الحرب التي جعلها حكرا عليه باعتباره وزيرا للدفاع(٨٣).

كان طبيعيا ان تقود هذه الاجراءات الى ازمة حقيقية خاصة حينما حاول بن جوريون استخدام ما جمعه من اسلحة بين يديه لتحقيق اهدافه التي سبق وان اشرنا اليها . اما القشة التي قصمت ظهر التحالف المتوتر بين التيارين الرئيسيين فكانت قرار بن جوريون اعادة تنظيم الجيش ووضعه تحت امرة مجموعة من الضباط الذين خدموا وتدربوا في الجيش البريطاني . وقد اعتبر مخضرمو الهاجاناه والبالماخ ذلك الاجراء تهديدا لهم واعتداء على حقوقهم فردوا على ذلك القرار بان قدم جميع اعضاء هيئة القيادة العامة استقالاتهم . ولكن الحكومة رفضت الاستقالات وشكلت لجنة وزارية لبحث الموضوع . وعندما قدمت اللجنة تقريرها بعد ايام ، كان واضحا ان معظم توصياتها استهدفت تقييد يدي بن جوريون عبر تقليص صلاحياته ومشاركته المسؤولية التي كانت باكملها بين يديه(٨٤). ولكن بن جوريون « الذي لا يستعده التعرض للانتقاد » رد على ذلك بالاستقالة ورهن عودته عنها بموافقة الجميع على ان يمارس دوره ، كما يراه ، بشكل كامل ودون تدخل من احد . وبعد اخذ ورد طويلين انتهت الازمة بقبول اقتراح جديد من بن جوريون يقضي بان تساعده في اعماله « لجنة استشارية » شكلية رفض ، **بصرامة** ، ان يحدد واجباتها وصلاحياتها(٨٥). وهكذا انتصرت صيغة الاوتوقراطية وارادة دعاتها على الصيغ والارادات الاخرى وبدا زخم الاوتوقراطية لدى بن جوريون يدفعه نحو اجراءات اكثر حسما .

تصفية البالماخ : كان اصرار بن جوريون على ان يكون الآمر الناهي الاوحد في الجيش قد ولد ازمات حتى قبل انتهاء حرب ١٩٤٨ . ففي تلك الفترة توتر الجو بينه وبين اسرائيل جاليلي ، قائد « القيادة القومية » بسبب تشابك اعمال هذه القيادة مع اعمال الاركان العامة مما هدا ببن جوريون الى عزل جاليلي يوم الثالث من ايار (مايو) ١٩٤٨ . وما كادت تمضي ايام ثلاثة على ذلك حتى وصلت بن جوريون رسالة من جميع قادة الجيش يهددون فيها بالاستقالة اذا لم يعد جاليلي الى منصبه . ولكن بن جوريون لم يتنازل عن قراره الاصلي وان خضع لضغط الجيش الى درجة تعيين جاليلي نائبا له لشؤون التعبئة والتجنيد . ومن ضمن ما قاله بن جوريون لقادة الجيش حينذاك : « عندما وافقت على (استلام) حقيبة الدفاع ، كان ذلك وفي ذهني هدف واحد هو ضمان امن البلاد . وكقائد للقوات المسلحة لن اسمح ، بعد الآن ، بأية احزاب سياسية (داخلها) »(٨٦).

ولكن الاختلافات مع البالماخ استمرت . وكان للدور الخاص الذي لعبته البالماخ في حرب ١٩٤٨ (وخاصة على الجبهة المصرية) اثر واسع في تعزيز سمعة البالماخ واستقلاليتها بحيث اصبحت تشكل تحديا حقيقيا لقيادة بن جوريون . هذا بالاضافة الى تعاطفها الخاص مع جناح من اجنحة « الصهيونيين الاشتراكيين » (جناح هاكيبوتس هاميحاد ــ حزب العمل المتحد) المنافس لجناح بن جوريون . ولهذا ، اصدر ياكوف دوري ، رئيس الاركان العامة لتساهل ، يوم السابع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٨ ، وبناء على امر من بن جوريون ، امرا لقيادة البالماخ يدعوها فيه الى انهاء القيادة الخاصة بها والاندماج بالاجهزة المقابلة في تساهل . وبالرغم من النداء الذي وجهته قيادة البالماخ بالغاء ذلك القرار اصر بن جوريون على موقفه واصدر امرا ثانيا ونهائيا يوم ٢٩ اكتوبر

(تشرين الاول) يبلغ البالماخ فيه بضرورة الالتزام والتنفيذ قبل السابع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ . وهكذا كان ... وكانت تلك نهاية الوجود الرسمي للبالماخ(٨٧)!

بهذا يكون بن جوريون قد وضع نهاية لمختلف « مراكز القوى » في الجيش(٨٨) وخلا له الجو ، نهائيا ، ليضع الصيغة التي وطدت نفوذه ونفوذ الجيش لاحقا . فما هي صيغة بن جوريون ؟

صيغة بن جوريون والعلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل

بعد ان انتهى بن جوريون من التغلب على كل القوى المنافسة له واخراجها ، بشكل مباشر او غير مباشر(٨٩)، من دائرة التأثير على الجيش ، اصبحت تلك المؤسسة ، في السنوات الاولى التي تلت قيام اسرائيل ، وبدون مبالغة ، مجرد « مزرعة » له . واصبح بامكانه ان يفعل فيها ما يحلو له ضمن ما يعتقده هو ــ وليس احد غيره ــ افضل الاشكال والوسائل لخدمة الاهداف الصهيونية . تلك الاهداف التي كان هو نفسه احد واضعيها واشد المتحمسين لها وانشط المساهمين في تنفيذها .

يلاحظ من برنامج بن جوريون ــ الذي سبق الحديث عنه ــ ان ثلاثة من بنوده الخمسة خصصت لتوكيد الطابع الشديد التمركز في تنظيم السلطة داخل كل من مؤسستي الجيش والدفاع . ولكي نستطيع تبين حقيقة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل ، في تلك الفترة ، يجدر بنا بحث واقع السلطة والعلاقات بين ثلاثة مستويات فيها : مستوى الهيئات التشريعية والتنفيذية ، مستوى وزارة الدفاع ، ومستوى القيادة العامة للجيش .

ان القاسم المشترك بين هذه المستويات كان ــ ولا شك ــ بن جوريون ذاته . وفي المستويات الثلاثة كلها كانت كل الخيوط الاساسية تنتهي في قبضتيه القويتين : فقد كان ، بحكم رصيده التاريخي ، اقوى شخصيات المباي على الاطلاق . والمباي ، بدوره ، هو اقوى الاحزاب الاسرائيلية واكثرها مقاعد في الجمعية التأسيسية(٩٠) (والكنيست لاحقا)(٩١) وبالتالي فانه يتمتع بالرصيد الاقوى في الهيئات التشريعية . وبن جوريون ، ايضا ، هو زعيم حزب المباي ورئيس الحكومة وبالتالي فهو على راس السلطة التنفيذية سواء في مجلس الوزراء او في المؤسسات الاخرى التي تشكل مراكز قوى حقيقية مثل الهستدروت . اما في وزارة الدفاع والجيش فبن جوريون ــ حتى لو رضي ان ينافسه احد في اية هيئة او مؤسسة اخرى ــ فانه لم يكن من ذلك النوع الذي يرضى ــ ولو للحظات ــ منافسة له فيما يعتبره موضع اهتمامه الخاص ــ اي وزارة الدفاع والجيش . اما الصيغة التي وضعها بن جوريون والتي حدد على ضوئها موقعه داخل هاتين المؤسستين فقد املتها وجهات نظره الخاصة و « مصالحه الشخصية »(٩٢) ايضا ، وكانت على النحو التالي : ١ ــ رئيس الوزراء (الذي هو بن جوريون) هو ذاته وزير الدفاع . ٢ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) ضمن الوزارة ــ وفي شؤون الحرب والسلام ــ هو المرجع النهائي . ٣ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) هو « قائد الحرب » وبالتالي فان رئيس اركان الجيش لا يملك قدرة على اتخاذ اي قرار سياسي في مسائل الحرب والسلام (على عكس ما كان عليه الحال في الهاجاناه) . ٤ ــ مهمات المدير العام لوزارة الدفاع مهمات محض ادارية تتعلق بامداد وتسليح الجيش وهو ــ اي المدير العام ــ خاضع تماما لسلطة وزير الدفاع ــ بن جوريون . ٥ ــ تعيين كل من رئيس الاركان والمدير العام لوزارة الدفاع حق مكفول لوزير الدفاع (بن جوريون) او ليس لاحد غيره . ٦ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) ، ايضا ، هو المرجع النهائي في جميع التعيينات والترفيعات من منصب رئيس الاركان نزولا حتى منصب المقدم(٩٣).

هذه هي الخطوط الرئيسية الرسمية لمعادلة بن جوريون . وهي بمجملها توضح المدى الواسع والهائل للسلطة التي تجمعت بيديه . ولكي تكتمل الصورة ، لا بد من الاشارة الى ان عامل الشخصية والعلاقات غير الرسمية داخل الجهاز السياسي الاسرائيلي اضافت لبن جوريون قوة توازي القوة التي وفرتها له العوامل والعلاقات الرسمية المشار اليها . وهكذا استوى بن جوريون على عرش الجهاز السياسي باكمله ، بشكل عام ، وتتوج ملكا مطلقا على راس الحكومة ووزارة الدفاع والجيش ، بشكل خاص .

ان جوهر صيغة بن جوريون ــ سواء كان ذلك للافضل ام للاسوأ ، لا فرق ــ هو اولا : الاوتوقراطية وثانيا : الاوتوقراطية ... وعاشرا :

الاوتوقراطية . وهذه هي الوقائع والبراهين : **اولا** : الصلاحيات القانونية التي وضعها بن جوريون بين يديه شخصيا ، كافية وحدها للتدليل على ذلك . **ثانيا** : واقع « اللجنة الاستشارية » التي عينها بن جوريون « لتساعده » في شؤون الدفاع ، واقع بقي دوما محكوما لهيمنته وسلطته الفردية . فقد شكل بن جوريون لجنة « تتألف من عضو او اثنين من اعضاء الوزارة المفضلين عنده ومن « خبراء الجيش » في المباي (اي الحزب الذي يرأسه بن جوريون) ، ومن عدد من الموظفين البارزين ، ومن رئيس اركان تساهل (الذي يعينه ويقيله بن جوريون) ومن رئيس المخابرات (الذي يعينه ويقيله بن جوريون ايضا) ، بالاضافة الى عدد قليل من الضباط البارزين المختارين (من قبل بن جوريون) والمستشارين **الشخصيين** . ولم يحدث ان التقت هذه المجموعة الا بناء على طلب بن جوريون نفسه ... وكان الرباط المشترك بينهم ولاؤهم الثابت لبن جوريون »(٩٤). **ثالثا** : « كان الجيش ، **رسميا** ، مسؤولا امام حكومة اسرائيل التي هي تحالف مؤلف من المباي والاحزاب الاشتراكية والدينية والليبرالية الصغيرة . وفي **الحقيقة** ، لم يكن لوزراء المباي ولا لوزراء المابام، في الوزارة ، تأثير كبير على الجيش . ونادرا ما استشيرت الاحزاب الصغيرة في التحالف في قضايا الجيش والدفاع »(٩٥). **رابعا** : « كانت لجنة الكنيست الخاصة بالشؤون الدفاعية والخارجية مجموعة سهلة الانقياد وشكلية »(٩٦).

اما النتائج الاساسية لهذه الصيغة البيروقراطية الاوتوقراطية ، فيمكن تلخيصها على النحو التالي :

١ ــ تثبيت هذه الصيغة « البن جوريونية » واستمرارها طوال الفترة الممتدة منذ تأسيس اسرائيل وحتى حزيران من العام ١٩٦٧ (باستثناء فترة الـ ١٥ شهرا التي استقال اثناءها بن جوريون في الاعوام ١٩٥٣ ــ ١٩٥٥) . كذلك فان جانبا اساسيا من تلك الصيغة لا زال يحكم العلاقات المدنية ــ العسكرية منذ حزيران ١٩٦٧ وحتى الآن . ٢ ــ الاعتناء بالجيش على حساب وزارة الدفاع مما ادى الى تغليب سلطة الجيش على سلطة الوزارة(٩٧). وهذا الواقع له معنى واحد هو اضعاف الرقابة المدنية على الجيش(٩٨).

٣ ــ حرمان الجيش من عدد من ضباطه الاكفاء (من الزاوية الصهيونية) الذين اما ابعدوا او لم يبق امامهم الا مغادرة مواقعهم في كل من الجيش ووزارة الدفاع(٩٩). ٤ ــ قيام سلسلة من الولاءات الشخصية على مستوى القمة(١٠٠) شكلت ــ الى حد ما ــ مراكز قوى وتحالفات عشائرية الطابع .

الازمة الكبرى الثانية : قضية لافون

المرحلة الاولى : اشتهرت هذه القضية باسم بنحاس لافون احد ابرز العناصر المتصارعة في واحدة من اكبر الازمات التي مرت بها العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل . ولافون منظّر بارز وخطيب مفوه في كل من المباي والهستدروت واحد ابرز اتباع بن جوريون في فترة من الفترات(١٠١).

كان الصراع قد احتد بين تيارين رئيسيين داخل اسرائيل . التيار الاول يرأسه بن جوريون (ومن ابرز عناصره موشيه ديان ولافون وشمعون بيرس) ويتبنى هذا الاتجاه سياسة عسكرية عنيفة ضد العرب والدول العربية . اما التيار الثاني فيرأسه موشيه شاريت ، وزير الخارجية في مطلع الخمسينات ، وينتقد سياسة العنف والغارات الاستباقية والانتقامية ضد الدول العربية ويطالب بجهود اكثر « للتقارب » مع العرب . وقد وصل الخلاف بين التيارين لدرجة حادة انقسم معها مجلس الوزراء والمباي بين مؤيد ومعارض لهذا الفريق او ذاك(١٠٢). ازاء هذا الوضع ارتأى بن جوريون ان يقدم استقالته على ان يساوم على خطه الاستراتيجي والتكتيكي . وكان ــ باستقالته ــ يراهن على ان غيابه لن يطول على اساس ان التيار المنافس له سيستنفذ سياسته في وقت سريع. ولكن بن جوريون حرص قبل ان يعلن استقالته على زرع قنبلة موقوتة لمنافسه شاريت . لكن تلك القنبلة لم تنفجر كما اراد لها بن جوريون وكان ان اصابته هو بشظاياها اكثر مما اصابت منافسه . فقد زرع بن جوريون ثلاثة من اخلص اتباعه في ارفع المراتب التي تحيط بشاريت غريمه الذي اصبح الرئيس الجديد للوزارة لكي يضمن استمرار سياسته من جهة ولكي يعيق تنفيذ سياسة غريمه من جهة ثانية . فقبل استقالته بيوم واحد ، عين بن جوريون تابعه ديان قائدا اعلى للجيش كما عين بنحاس لافون ، احد اخلص اتباعه آنذاك ، وزيرا للدفاع بالاضافة الى تعيين شمعون بيرس ، احد اكثر المقربين اليه ، مديرا عاما لوزارة

الدفاع(١٠٣).

وبدل ان يطوق « الثلاثي البن جوريوني » رئيس الوزراء وسياسته ، انفجرت الازمة فيما بينهم وشكل ديان وبيرس محورا في حين شكل لافون المحور المناوىء . اما انفجار الازمة فمرده الى رغبة لافون في ان يمارس مسؤولية وزير الدفاع القوى بكل ما يعنيه ذلك من تدخلات يومية في شؤون «تساهل» التي كان بن جوريون قد عود تلميذه ديان على ان يعطيه فيها حرية واسعة . وفي الوقت الذي كان ديان يطالب فيه بفصل تام بين الشؤون المدنية والعسكرية ، بكل ما يعنيه ذلك من اضعاف لسلطة لافون ، كان لافون لا يقل طموحا ورغبة في السلطة عن ديان ، مطالبا بان يلعب هو نفسه الدور ذاته الذي كان يلعبه بن جوريون .

وهكذا — بوعي او بغير وعي — ساهمت تدخلات لافون في زيادة حدة الصراع الخفي على السلطة داخل المؤسستين (الجيش والوزارة) واصبح يقحم نفسه في تفاصيل الغارات العسكرية ضد الدول العربية التي كان ينظمها الجيش الاسرائيلي بكثافة في تلك الفترة . وقد زاد في تأزيم الموقف استفزاز لافون لمؤيدي بن جوريون عبر التغيرات التي احدثها في المؤسستين وهو في معرض زيادة نفوذه . وازاء الضغط المتزايد من لافون لضمان التنسيق اليومي والتفصيلي بين الجيش ووزارة الدفاع هدد قائد الجيش بالاستقالة(١٠٤).

كان التوتر يزداد ، في الوقت ذاته ، بين « الثلاثي البن جوريوني » من جهة ومجلس الوزراء برئاسة شاريت من جهة ثانية . اما سبب ذلك فهو استمرار المؤسسة العسكرية في انتهاج سياسة التصلب والعنف والغارات . ومما زاد الموقف التهابا اصرار لافون على انتهاج سياسة بن جوريون الخاصة بعدم السماح لمجلس الوزراء مشاركته المسؤولية . وجوهر المشكلة اذن هو صيغة العلاقات المدنية — العسكرية الاوتوقراطية التي وضعها بن جوريون ، ومحاولة لافون الوقوف في حذائي بن جوريون ممارسا صلاحياته وكانه « الرجل العجوز » ذاته . هذا في الوقت الذي لم تكن فيه لا الحكومة ولا محور ديان — بيرس مستعدين لتجاهل حقيقة كون حذائي بن جوريون فضفاضين — في نظرهما — على قدمي لافون .

رافق ذلك الصراع وعمقه فشل ذريع منيت به المخططات التخريبية(١٠٥) الاسرائيلية في كل من مصر وسوريه مما خلق ضجة هائلة وموجة استياء عارم داخل اسرائيل وخارجها . وقد شكل رئيس الوزراء شاريت ، بموازرة واضحة من لافون ، لجنة سرية مؤقتة (لجنة اولشان — دوري)(١٠٦) للتحقيق في اسباب الكارثة التي المت بمخططات اسرائيل التخريبية . هنا كانت المفاجأة ! فبدل ان ينجح لافون بالاطاحة برؤوس عدد من كبار الضباط في الجيش والمخابرات ، سارع هؤلاء الى محاولة الاطاحة برأس لافون ذاته . وفي هذا المجال لم يردع بعض رجال المخابرات او الجيش اي رادع ، فزوروا وثائق وادلوا بافادات كاذبة وكل هدفهم النيل من لافون . وقد ساهم بيرس وديان نفساهما في ذلك فادليا بافادات مليئة بشتى الاتهامات ضد لافون مما وضع هذا الاخير في موضع الاتهام والدفاع(١٠٧). وهكذا وبدلا من ان يقتصر عمل اللجنة على بحث مهماتها المحددة توسعت اعمالها بحيث شملت بحث علاقات الجيش بوزارة الدفاع مما ازم الموقف بين لافون وشاريت من جهة ثانية(١٠٨). وكانت المفاجأة الجديدة عندما لم تصل اللجنة الى اية نتائج (بحجة الوحدة الوطنية والامن والمحافظة على سمعة ضباط تساهل ومعنويات الجيش)(١٠٩) بالرغم من اقرارها بوجود وثائق مزورة وافادات كاذبة . كما رفض شاريت ، تحت مظلة الحجج ذاتها ، الموافقة على طلب لافون القاضي بطرد كل من بيرس وضباط المخابرات الذين تآمروا عليه(١١٠). عندئذ طالب لافون اجراء اصلاحات واسعة النطاق في وزارة الدفاع جوهرها الغاء التركة التي خلفها بن جوريون وراءه . اما اهم الاصلاحات التي اقترحها لافون فهي التالية : « تقوية سلطة وسيطرة وزير الدفاع وذلك بدعم (سلطة) الاقسام المدنية في الدفاع ، تحديد قوانين تضبط بدقة صلاحيات وعلاقات كل من وزارة الدفاع والجيش ، تشكيل مجلس امن قومي مؤلف من اعضاء مدنيين وعسكريين يمارسون صلاحيات اعلى سلطة امينة في وقت السلم (بالاضافة الى) انشاء نظام رقابي فوق رأس الجيش والوزارة »(١١١).

وما ان رفض شاريت قبول تلك المقترحات حتى استقط في يد لافون فاعلن استقالته من وزارة الدفاع . وما هي الا ايام قليلة حتى عاد بن جوريون فاعتلى سدة وزارة الدفاع في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٥٥ في حين بقي شاريت رئيسا للوزراء . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ عاد بن جوريون

فاستلم رئاسة الحكومة بالاضافة الى منصبه كوزير للدفاع . وهكذا انتهى الصراع وعاد بن جوريون واضع الاساس البيروقراطي ، ولكن عودته كانت الى حين وسرعان ما ادرك الذين اعتقدوا ان المسألة اصبحت منتهية انها انما كانت لا تزال في بدايتها .

المرحلة الثانية : عادت الازمة فاطلت برأسها في العام ١٩٦٠ عندما اتصل لافون ببن جوريون واضعا بين يديه ادلة جديدة طالبا منه تبرئة ساحته(١١٢)، واعادة الاعتبار لسمعته التي نيل منها في نهاية النصف الاول من الخمسينات .

طلب بن جوريون من مساعده التحقق من صحة ادلة لافون ومن صحة افادات ضباط المخابرات ولكنه عاد في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ فابلغ لافون انه غير راغب في نكء « جروح العام ١٩٥٤ » عارضا عليه استعداده (اي بن جوريون) للتحقيق في تحديد هوية الشخص الذي اعطى الاوامر في ذلك « العمل الكارثة » في ذلك العام . وقد كلف بن جوريون حاييم لاسكوف ، قائد الجيش آنذاك ، بالتحقيق في التهم الموجهة الى ضباط المخابرات وشكل لجنة عسكرية تولت تنفيذ ذلك . ولكن لافون احتج على اعادة التحقيق في موضوع يعتقد هو ان لا لزوم للتحقيق فيه بعد كل ما قدمه من براهين جديدة على براءته وطلب من بن جوريون حل اللجنة مصرا على تبرئة ساحته علنا وحالا(١١٣). وبرفض بن جوريون طلب لافون هذا اكتسبت القضية ابعادا جديدة واصبحت موضوعات عمليات التخريب ، واساليب حكم « شلة » وزارة الدفاع ، واسلوب بن جوريون بالذات موضع بحث ونقد ساهم فيه الرأي العام لاول مرة .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ قدمت لجنة وزارية خاصة شكلت لبحث المسألة تقريرا تضمن ما يلي : ١ ــ ان لافون « لم يعط امرا » بعمليات التخريب في العام ١٩٥٤ وان العمليات تمت بدون علمه وبدون تفويض منه . ٢ ــ ان اللجنة عجزت عن تحديد طبيعة العلاقات التي كانت سائدة آنذاك (١٩٥٤) في وزارة الدفاع . ٣ ــ ان اللجنة قبلت تقرير المدعي العام الذي اوضح ان عددا من الوثائق المقدمة للجنة في العام ١٩٥٤ كانت غير صحيحة(١١٤).

تبنت الحكومة تقرير لجنتها ولكن بن جوريون ، رئيس الوزراء ، اعلن رفضه لذلك وعدم استعداده لقبول اي قرار لا يتخذ من قبل لجنة قضائية(١١٥). اثناء ذلك كان لافون قد دعم قوته نتيجة لانبثاق « لجنة المئتين » المؤيدة لموقفه . وقد احتجت هذه اللجنة ــ ضمن ما احتجت عليه ــ على واقع « عبادة الفرد » وعلى اسلوب «الحرق السياسي» الذي اصبح يشكل « بشكل متزايد تهديدا للديمقراطية الاسرائيلية » .

عندئذ ، وكعادته ، هدد بن جوريون بالاستقالة . ولكن غالبية اعضاء الحزب الذي خسر في الانتخابات الاخيرة اكثر من ٥٪ من الاصوات التي اعتاد كسبها ، لم تسمح بتعريض سمعة الحزب ومستقبله للخطر . ولهذا دعمت « اللجنة التنفيذية للماباي داخل الحكومة » موقف بن جوريون ضد لافون واصدرت « اللجنة المركزية » للماباي قرارا يوم ٥ شباط (فبراير) عزلت بموجبه لافون من منصبه كسكرتير عام للهستدروت(١١٦). وهكذا استقال لافون بعد ان خسر المعركة مجددا .

ومع ذلك لم تكن الازمة الثانية هذه مجرد حادثة عابرة : ١ ــ فالوحدة داخل الماباي لم تعد كما كانت عليه اذ اصيب الحزب بشروخ واضحة في بنيانه(١١٧). وقد تأثرت وتقلصت زعامة وشعبية بن جوريون ايضا . ولكن بن جوريون ــ كما يبدو ــ كان مستعدا لدفع هذا الثمن على ان « يغضب » الجيش بالخضوع لطلبات لافون . ٢ ــ والاهم من ذلك ان الازمة لم تؤد الى انجاز اية اصلاحات اساسية . فلا تنظيم وزارة الدفاع اصلح ، ولا فعالية رقابة مجلس الوزراء او البرلمان على الجيش « زيدت او متنت » ، ولا جهود انصار توسيع « امبراطورية » وزارة الدفاع عوقت(١١٨). ٣ ــ ولعل الاهم من ذلك كله على الاطلاق كان ظهور ونمو تيار متململ ومتحرك رافض للاوضاع الخطرة السائدة . فقد نشأ تيار حمل لواء الدعوة ضد المركزية الشديدة والتبقرط والاسلوب الاجباري الابوي في ادارة الشؤون السياسية والعسكرية وطالب باعادة « الديمقراطية المفقودة » وردم الهوة التي اصبحت تفصل بين اسرائيل الماضي واسرائيل الحاضر ، اسرائيل الاشكنازيم واسرائيل السفارديم(١١٩).

اما التيار الآخر فقد برر سياساته واساليبه على اساس انها الافضل لضمان الفاعلية ضد مشاكل اسرائيل الداخلية والخارجية وانحاز الى وجهة

النظر القائلة بأن مؤسستي الجيش ووزارة الدفاع هما اساس عملية « البناء القومي وغرس المثل الديمقراطية والمدنية » في المجتمع ، وان وزارة الدفاع هي « رائدة » التحديث في اسرائيل ، وان احتياجات العصر تتطلب ان تكون وزارة الدفاع والجيش ، وليس الهستدروت او المباي ، اساس بناء المجتمع .

المرحلة الثالثة : اذن لم يكن مستغربا ان تكون العلاقات بين كل من الجناح المدني (المباي والهستدروت) والجناح العسكري (الجيش ووزارة الدفاع) قد بدأت بالتوتر والتردي . وبنوع من التظاهرة السياسية الضاغطة اعلن بن جوريون — كعادته — استقالته . ولكنه هذه المرة ترك يمضي عن المسرح السياسي دون ان يجد من « يرجوه ملحا » العودة عنها ، وهكذا خلف ليفي اشكول زميله بن جوريون بدءا من ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٣(١٢٠).

تحركت ازمة لافون، للمرة الثالثة، بعد ان اكتسبت ابعادا اوسع . فقد طلب اشكول من لافون العودة الى مجالات المباي القيادية والى اللجنة التنفيذية اعتبارا من يوم ٢ ايار (مايو) ١٩٦٤ . عندها ، وبعد تسعة ايام فقط ، استقال ديان البن جوريوني من الوزارة احتجاجا . وسرعان ما عاد بن جوريون مطالبا الحكومة بفتح ملف لافون ولكنها رفضت ذلك في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٤(١٢١). وهكذا عادت حالة التمزق — حول الموضوع ذاته — لتنخر الحزب (المباي) والهستدروت بل والحركة الاشتراكية — الصهيونية بكاملها . وانتظمت مجموعة بن جوريون في جناح خاص عرف باسم « القوة الجديدة » (بقيادة ديان — بيرس — وابا حوشي زعيم المباي في حينه) ولكن سرعان ما فشلت هذه المجموعة في كسب مؤتمر المباي الى جانبها(١٢٢).

وعندما انتخب حزب المباي اشكول في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ رئيسا للوزارة بدلا من المرشح المنافس بن جوريون عاد الصراع فاشتد بين التيارين المتصارعين داخل الحزب الحاكم . وفي ٢٠ ايار (مايو) ١٩٦٥ استقال بيرس من الوزارة وفي آب (اغسطس) ١٩٦٥ ، وبناء على ضغط من اللجنة التنفيذية للمباي ، اوصت «لجنة العضوية» بفصل بن جوريون من الحزب ولهذا استقال ديان من الوزارة في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ وتبعه بن جوريون فاعلن استقالته من المباي يوم ١٥ من الشهر ذاته واعلن الثلاثي بن جوريون — ديان — بيرس تشكيل حزبهم الجديد : رافي(١٢٣).

هذه الاحداث الهامة تثير سلسلة من التساؤلات المشروعة : أين كان موقف الجيش من هذا الصراع؟ الم يقف الجيش مع بن جوريون مؤسسه واكبر المدافعين عنه ؟ اما ترك موشيه ديان باستقالته آثارا على الجيش وهو احد واضعي اللبنات الاولى في بنائه ؟ ثم ما اثر استقالة بيرس على وزارة الدفاع التي خلق لها وجودا حقيقيا ونماها فغدت في عهده « امبراطورية » قائمة بذاتها ؟ باختصار : اي اثر تركه غياب هذا الهرم من المسؤولين الاسرائيليين (الذي يمثل بن جوريون قمته وكل من ديان وبيرس قاعدتيه الاثنتين) على الجيش ومؤسساته ؟

الجواب على هذا السؤال الكبير له جانبان : **اولهما** : مجموعة من الوقائع والحقائق. **وثانيهما** : التطورات التي كشفت عنها احداث ١٩٦٧ . ولنبدأ بالوقائع والحقائق :

١ — موقف الجيش من صراع اشكول — بن جوريون (ولافون) لم يكن موقفا موحدا . فمع ان قيادة الجيش وعددا من الضباط كانت اميل الى موقف محور بن جوريون — ديان — بيرس ، الا ان الضباط المتعاطفين مع حركتي الكيبوتس القومي والمتحد ، كانوا اميل للفريق الآخر(١٢٤).

٢ — ان انتصار محور اشكول — جولدا مئير — سابير لم يعن اطلاقا انتصارا لسياسة «الاعتدال» المناقضة لسياسة الجيش ازاء المواجهة مع العرب . هذا ساعد على « اخراج » الازمة ، من وجهة نظر الجيش ، على انها صراع بين افراد ليس الا(١٢٥).

٣ — والازمة ايضا لم تكن نتيجة لخلافات عقائدية حقيقية . ولا بأس من الاستشهاد بمصدر صهيوني في هذا المجال . يقول المصدر : « في حين كان رافي يدعو الى « ديمقراطية حزبية » كان ينفذ في الوقت ذاته ، سياسة جد مركزية في مؤسسة الدفاع . فبيرس ، رئيس (دائرة الدفاع) ادان اسلوب ومنحى الهستدروت الاحتكاري في الوقت الذي كان يمارس فيه (ما يدعو ضده) في مؤسسات وزارة الدفاع . ايضا تحدى (بيرس) سياسة التوسع التي يمارسها الهستدروت وادان اساليب المحاباة

و « طاعة البنوة » ، (والمصالح) الشخصية ، وفي الوقت ذاتـه كان مستخدمو وزارة الدفـاع يوظفون للاعتبارات ذاتها . وفي حين كـان بيرس يدعو الى قيام خدمة مدنية حرة سياسيا وكفؤة ، كان يتجاهل كون وزارة الدفاع مليئة بموظفين عينوا استنادا لمحاباة سياسية مع انهم غير كفؤين ومـع انهم موظفون فاسدون (١٢٦).

٤ ــ حين حاول الدكتور زيفي داينشتين ، نائـب وزير الدفاع الذي خلف بيرس في مهامه ، ان يجرد وزارة الدفاع من دوائر متعددة ويضعها في يـد الجيش ليجعل عملها « اكثر انسيابا » ــ علـى الطريقة الاميركية ــ قوبل بمعارضة قادها يتسحاق رابين ، رئيس اركان الجيش . فقد رفضت قيادة الجيش ان تتولى مسؤولية « اعمال المساندة تلك (التطويع ، التسليح ، التموين) وارادت ان تشغل وزارة الدفاع بها من ناحية وان تجنب نفسها مزلق التحول الـى مجموعة مـن « التجار » و « الكتبة » (هكذا ينظر الجيش لموظفي وزارة الدفاع) على اعتبار ان ذلك دون مستوى الجيش وينال من كرامته »(١٢٧).

٥ ــ ولعل اكثر الاسباب والوقائع اهمية إن غياب الثلاثي بن جوريون ــ ديان ــ بيرس ، المدافعون الاوائل عن الجيش لم يعن ، من الناحية العملية ، سيادة فريق آخر له موقف مضاد من الجيش . بل ان عكس ذلك هو الصحيح . فبن جوريون واقطاب محوره تميزوا بخبراتهم العسكرية الذاتية ، مما حد ، في كثير من الاحيان ، مـن قدرة الجيش في التصرف على هواه . وازاء انعدام خبرة اشكول العسكرية (بالمقارنة) بدا الجيش اقوى واصبح اعتماد رئيس الوزراء على « نصائح » رئيـس الاركان اكثر . وهكذا وفي حين كان اشكول ، بحكم كونه وزيرا للمالية ، ضابطا ماليا على الجيش في عهد بن جوريون ، اصبح عهده متميزا بعجزه عن قول « لا » لطلبات رابين والجيش الخاصـة بالحصول على امـوال اكثر واسلحـة احدث . « وبزوال الايدي القديمة (الممسكة بزمام الامـن والجيش) بن جوريون ، ديان ، وبيرس ، تدعم تأثير رابين في المسائل المتعلقـة بالامـن ، الى حد كبـير »(١٢٨). من ناحية ثانية فان قوة شخصيات بن جوريون ، ديان ، بيرس ، ورصيدهم الشخصي والتاريخي (وخاصة بن جوريون) لم تكن لتوازيه شخصية اشكول الذي اشتهر ، بالمقارنة ، بالضعف والتردد وفقدان القدرة على الحسم . والجيش ، اي جيش ، خاصة اذا ما اصبح مؤسسة قائمة بذاتها وله طموحاته ، فانه يفضل رأسا ضعيفا له على الرأس القوي القادر على الحد من طموحاته . ولهذا يجب ان لا نستغرب عدم استياء الجيـش الاسرائيلي من تطورات الاحداث في العام ١٩٦٤/ ١٩٦٥(١٢٩).

٦ ــ يضاف الى هذا وذاك انه ومع مجيء العام ١٩٦٥ كان الجيش الاسرائيلي قد اصبح **مؤسسة قائمة بذاتها** ولم تعد بحاجة ، كما كانت في الماضي في فترة التأسيس ، الى شخصيات من نسوع بن جوريون . « وفي الواقع ، فان بامكان المرء ان يقول انه ومع الوقت ، فان النهج الذي وضعـه بن جوريون اصبح جزءا من الروتين ذاته لدرجة انه حين حاول هو بنفسه (اي بن جوريون) ان يلجم ذلك النهج ... فشل في وقف (انسياب) تراث النهج الذي وضعه » **فالجيش « اصبح آلة كبيرة وفعالة ذات زخم خاص بها** وتتبع نهجـ مضى على قيامه عقدان من الزمان » (١٣٠).

اما تتمة الاجابة على ذلك السؤال الكبير فانهـا تقود الى السؤال الاساسي والاكبر حول موقـع الجيش الاسرائيلي في السياسة الاسرائيلية . ان ذلك يتطلب دراسة لاحداث ايار وحزيران من العام ١٩٦٧ على غـرار دراستنا لكـل من احـداث ١٩٤٨/١٩٤٩ من جهة ولتغطية لاحقة بمراحلهـا الثلاث من جهة ثانية .

الازمة الكبرى الثالثة : حرب حزيران ١٩٦٧

قبل الحديث عن ثقل الجيش وراء احداث حزيران ١٩٦٧ وسطوته في دفع الجهاز السياسي نحو اتخاذ قراراتها الحاسمة ، لا بد من الاشارة الى ان ثمة عوامل عديدة تحكمت واثرت ، بشكل او بآخر ، على تلك القرارات ايضا : « فتردد » اشكول من وجهـة نظر الاسرائيليين (وخاصـة العسكر) و « اصراره » الدائم علـى البحث عن مخـرج دبلوماسي ، وفشله وقيـادة المباي الحاكم في مواجهة الضغوط التي تعرضا لها ، ورفض كوادر الحزب اقامة حكومة ائتلاف وطني عشية الحرب ، والحملة المركـزة التي قادهـا شمعون بيرس ، السكرتير العام لحزب رافي ، وضغط الراي العام ، كل هذه العوامل شكلت خلفية للدور الذي لعبه الجيش في تلـك الازمة(١٣١). ضمن ذلك المنـاخ

السياسي والعسكري المتوتر ، لعب الجيش ، بالاضافة لقوى اخرى(١٣٢)، دورا بارزا في دفع القيادة السياسية حثيثا باتجاه اتخاذ قرارين رئيسيين هما : بدء الحرب ضد العرب ، وتعيين موشيه ديان ، الخصم المر للسلطة السياسية القائمة ، وزيرا للدفاع .

وبما ان اهتمامنا الاساسي ينصب ، بالذات ، على دور الجيش في اتخاذ ذينك القرارين ، ومع تأكيدنا على اهمية واثر العوامل والقوى والضغوط الاخرى ، نترك الآن المجال للوقائع تتحدث عن نفسها : كانت قيادة الجيش الإسرائيلي في البداية منسجمة مع موقف بعض السياسيين القاضي بمعالجة الموقف دبلوماسيا وسياسيا . وكان السبب المباشر وراء ذلك عدم شعور القادة العسكريين بخطورة الموقف . ولكن ، وما ان طلب الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية وموافقة اوثانت على ذلك يوم ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، حتى تغير موقف الجيش كليا(١٣٣). فقد بدأت قيادة الجيش الاسرائيلي تتخذ ترتيباتها العسكرية لمواجهة الموقف . وخلال الايام القليلة التي تلت بدأت القيادة تطالب ببدء العمل العسكري في اسرع وقت . وحين طلب الى ابا ايبان ، وزير الخارجية الاسرائيلية ، السفر الى اوروبه واميريكه لاجراء اتصالات سياسية ، لم يخف الجيش استياءه من تلك الرحلة(١٣٤). ويوم ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ قدم الجنرال عيزر وايزمن ، نائب رئيس الاركان ، لليفي اشكول خطة تفصيلية بالهجوم(١٣٥). وهكذا وقع اشكول ، ضمن ما وقع فيه ، بين مطرقة يتسحاق رابين ، رئيس اركان الجيش وغيره من الداعين الى بدء الحرب حالا ، وسندان ابا ايبان ومؤيديه المطالبين بالتريث قليلا . وما ان عاد ايبان من رحلته حتى توتر الجو بينه ، كممثل للسياسيين، وبين ضباط الجيش وامتلأ الجو بشتى الاتهامات . عادت الحكومة فصوتت (يوم ٢٨ ايار (مايو) ١٩٦٧) باغلبية ١٧ صوتا ضد واحد (موشيه كارمل) لصالح التريث . ولمواجهة الاستياء الذي يمكن لذلك القرار ان يعكسه على الجيش طلب رابين من اشكول ان يقوم هذا الاخير ، **شخصيا ، بابلاغ ضباط الجيش بذلك القرار . وهكذا كان .** ففي مساء ذلك اليوم ابلغ اشكول قيادة الجيش بقرار مجلس الوزراء فكان رد فعلهم « عنيفا » : قال الجنرال « وايزمن » ، مدير العمليات ورئيس الاركان بالوكالة ، : « قادتنا يستطيعون ان يلتقوا من اجل مواجهة خطر العرب » . اما الجنرال « ابراهام يوفي » ، احد قادة الجيش في الجبهة الجنوبية ، فقد صاح قائلا : « اذا ما استمررنا في استجداء الحماية من باريس وواشنطن (مشيرا الى موقف السياسيين) فاننا سنضيع ! » اما « آريل شارون » ، القائد المظلي ، فقد وجه كلامه لاشكول مباشرة ، وقال : « ان ترددك سيكلفنا آلافا من الموتى ! »(١٣٦). وعندما نهض اشكول ليغادر الاجتماع « مهموما ومدهوشا » ، قال رابين لزملائه : « يبدو ان الجيش هو القوة **الوحيدة** التي تستطيع البلاد الاعتماد عليها »(١٣٧).

ويوم الاول من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، دخل الجنرال وايزمن مكتب اشكول توجد عنده شمعون شابيرو ، وزير العدل الاسرائيلي ، ولكنه لم يتردد في قول ما جاء ليقوله لاشكول الذي كان منهكا بسبب الضغوط الممارسة عليه لتعيين ديان وزيرا للدفاع . قال الجنرال وايزمن الذي كان قد هدد برمي شاراته العسكرية في وجه رابين ، قال لاشكول : « ينتظر اوامرك اقوى جيش منذ مملكة داوود . اصدر اوامرك للجيش بالتحرك وستصبح اكبر منتصر في حرب اسرائيل . اما اذا لم تفعل فستكون مسؤولا عن دمار البلاد . ان سياستك ستقود مباشرة الى ابادة الدولة اليهودية الثالثة » : عندها انهار شابيرو وبدأ بالبكاء(١٣٨). وبعدها بلحظات ، دخل الجنرال «ييجال يادين» (مستشار رئيس الحكومة للشؤون العسكرية) مكتب اشكول وهو متوتر الاعصاب وقال لرئيس الوزراء : « كان **يجب** ان اراك . ان الحالة **لا** تدع لك **مجالا** للخيار . **يجب** عليك ان تعين ديان وزيرا للدفاع »(١٣٩). وهذا بالضبط ما حصل . كانت الساعة آنذاك تشير الى الثالثة وخمس دقائق بعد الظهر . وفي تمام الساعة الرابعة والربع ابلغ اشكول ديان ، شخصيا ، بعد ان استدعاه لمكتبه، بانه اصبح ، منذ اللحظة ، وزيرا للدفاع(١٤٠). اذن « اخيرا استسلمت القيادة المدنية »(١٤١). ولم تكد تمضي ايام ثلاثة فقط حتى نال الجيش في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ **ما كان يسعى اليه** : الهجوم والحرب ضد العرب !

والآن لنتساءل : ماذا كان يمكن ان يحدث لو لم يتم «ارضاء» الجيش ؟ يقول والتر لاكور ، الكاتب الصهيوني المعروف : « غادر الجنرالات الاجتماع

(اجتماعهم المشار اليه مع اشكول) بقلوب مثقلة وهواجس تنذر بوقوع كارثة . هذا الاستياء استمر في النمو خلال الايام القليلة التي تلت . حتى انه كان ثمة اشاعات عن **زحف على القدس (العاصمة)** وعن **انقلاب عسكري** ... و (حقا) ليس بامكان احد ان يعرف ماذا كان يمكن ان يكون عليه الحال لو طال الانتظار (قبل اتخاذ القرارات المرضية للجيش) بضعة اسابيع اخرى »(١٤٣). اما الصحفي الفرنسي « جان لارتوجيه » المتعاطف مع اسرائيل فيقول : « ماذا كان سيحدث لو ان حكومة اشكول لم تضع حدا لمماطلتها ؟ انقلاب عسكري ؟ اليوم ، هذا الاحتمال ينكر . ولكن بين ٢٠ ايار (مايو) والاول من حزيران (يونيو) وهو التاريخ الذي اصبح فيه موشيه ديان وزيرا للدفاع ... **فان انقلابا كان لا يعتبر ممكنا فحسب بل ومرغوبا فيه** . الانتصار جعل الناس تنسى تلك الايام السوداء ، ولكن اناسا كثيرين لا زالوا يفكرون بما قاله رابين (آنذاك) : في هذه البلاد ، القوة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها هي الجيش »(١٤٣). اما الجنرال « عيزر وايزمن » ، نائب رئيس الاركان الاسرائيلي آنذاك فقد قال : « لا اعتقد ان انقلابا كان سيحدث ، ولكننا **لم نكن في يوم من الايام اقرب الى الانقلاب العسكري مما كنا عليه آنذاك** »(١٤٤).

ولكي لا يقع البحث في شباك الآراء الذاتية القطعية حول « حتمية وقوع انقلاب » أو « حتمية عدم وقوعه » ، ولكي لا تتعامل الدراسة مع احكام مستندة الى لفظة « لو » ، فان البحث لن يخوض في تقرير « ما كان سيحدث » وانما سيكتفي — بما اورده حتى الآن — حول « **بعض**(١٤٥) ما حدث فعلا » . اما تقرير الاحكام القطعية الذاتية في هذه المسألة فتلك قضية للبحث فيها رأي سنقراه في الصفحات التالية(١٤٦).

خلاصة

ان اي تقييم علمي بهذا الخصوص لا بد له من الاجابة اولا على سؤالين رئيسيين يستطيع بعدها ان يخلص الى سلسلة من الاستنتاجات التي تشكل بمجموعها تقييما عاما للعلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل . اما السؤال الاول فهو : ما هي الصيغة **الرسمية** التي حددت علاقة الجيش الاسرائيلي بالحكومة ؟ اما السؤال الثاني فهو : ما هي الصيغة **الفعلية** التي حكمت موقع الجيش ضمن الاطار السياسي الاسرائيلي ؟ وقبل الاجابة على اي من هذين السؤالين الرئيسيين لا بد من التنويه بان الصيغتين — المشار اليهما اعلاه — (اي الرسمية والفعلية) هما صيغتان متمازجتان من الصعب فصل احداهما عن الاخرى . ضمن هذا التحذير يمكننا الانتقال للاجابة على السؤالين حالا .

من المعروف انه ليس في اسرائيل دستور مكتوب يمكن ان يرشد الى الصيغة الرسمية للعلاقات بين الجيش والحكومة . ايضا فلا « قانون الادارة والقضاء » الصادر في ١٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولا « القانون الانتقالي » الصادر في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ، يتضمنان اي اشارة لعلاقة الجيش بالسلطات المدنية . وعلى اية حال فقد اناطت التشريعات الخاصة بالقوات المسلحة اناطت بوزير الدفاع مسؤولية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القوانين الخاصة بمؤسسات وشؤون الامن. هذا مع العلم ان من الامور المتعارف عليها ان كل تشريع مقترح من اية وزارة ، ومن ضمنها وزارة الدفاع ، يجب ان ينال موافقة مجلس الوزراء قبل احالته على البرلمان (الكنيست) للبت فيه . والاستثناء **الوحيد** في ذلك هو ميزانية الدفاع التي لا تعرض للمناقشة في البرلمان لاعتبارات امنية مع ان تلك الميزانية تعرض على لجان الشؤون المالية والخارجية في الكنيست للموافقة عليها . ان ذلك ، من الناحية **الشكلية** على الاقل ، يتيح للاحزاب الممثلة في الوزارة امكانية **اسماع** صوتها حول مسائل الدفاع كما وان ذلك يتيح للاحزاب المعارضة امكانية **الاطلاع** ، من خلال لجان الكنيست ، على محوى الميزانية . « ويعارض (عدد) من الاسرائيليين المطلعين وبشدة اعتبار ذلك (نوعا من) الضوابط المدنية الملائمة (الكافية) للسيطرة على المؤسسة العسكرية »(١٤٧).

والواقع ان نقطة التقاطع فيما هو **رسمي** وما هو **غير رسمي** في العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل تكمن في الدور الذي يمارسه وزير الدفاع ووزير الدفاع بالذات . وهذا ما كرسته تركة بن جوريون على وجه الخصوص اكثر من اي عامل آخر دستوري او قانوني . بل واكثر من ذلك ، فان الارث الذي خلفه بن جوريون ، بهذا الصدد ، ليس بالضرورة منسجما مع او مستندا الى اي من

الحقائق الدستورية او القانونية — كما سنرى ، فوزير الدفاع في اسرائيل يمارس مسؤولية القائد الاعلى للقوات المسلحة « مع ان منصبه لا يحمل ، بوضوح ، هذا الاسم . ووفقا للقانون فان وزير الدفاع ليس بحاجة لاستمزاج راي زملائه في مجلس الوزراء او للحصول على موافقة الكنيست قبل ان يتخذ قرارات سياسية رئيسية ، بما في ذلك قرار (هام جدا) مثل تعبئة الاحتياط »(١٤٨). ان وزير الدفاع مطالب فقط باحاطة « لجنة الشؤون الامنية والمالية في الكنيست » علما بذلك وباسرع وقت ممكن . ومن حق اللجنة البرلمانية التصديق على الاجراء سواء بادخال تعديلات عليه او بدون ذلك ، كما ان من حقها رفضه واحالته على الكنيست للبت فيه . ويعتبر القرار لاغيا بعد ١٤ يوما اذا لم توافق عليه اللجنة او الكنيست . ومن المؤكد ان الكاتب الصهيوني هوريفتز محق في تساؤله : ولكن « الى اي مدى يحتمل ان يغير الكنيست امر وزير الدفاع هذا في حالة وجود حالة يظهر (وهي كلمة مطاطة للغاية) انها تستدعي التعبئة ؟!!! »(١٤٩). ان التحفظات هذه ، بالمعنى الحقيقي والعملي ، لا تعدو كونها تحفظات شكلية . ولا بد من الاقرار بان وزير الدفاع في اسرائيل ، واكثر من اي بلد آخر بالتأكيد ، يملك صلاحيات فعلية ، تكاد تكون بلا حدود . ولقد ثبت اثناء البحث ، من الزاوية التقييمية النقدية ، ان تجارب وزراء الدفاع الذين عرفتهم حياة اسرائيل السياسية حتى الآن تكشف ان العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل علاقات من نوع « فريد وخاص »(١٥٠). وان حلقة الوصول الرئيسية فيها هي ، بالتحديد ، شخصية وزير الدفاع . فحين كان بن جوريون وزير الدفاع لم يمارس دورا اوتوقراطيا في ادارة الشؤون السياسية والعسكرية فحسب ، بل كان قادرا ايضا على زرع صيغته الاوتوقراطية تلك في صدر الحياة السياسية الاسرائيلية بحيث غدا اسلوبه الاوتوقراطي الاسلوب الذي حكم العلاقات المدنية — العسكرية لاحقا .

وبالرغم من الغضب الدائم ازاء « فردية » و «دكتاتورية» ونزعة بن جوريون «غير الديمقراطية» فان احدا لم يستطع ان يغير من الواقع شيئا . وبالرغم من رضوخ بن جوريون ، اثناء بعض العواصف السياسية ، لاقتراحات تقضي بانشاء « لجان استشارية » تساعده في اعماله ، الا ان الوضع ، وبعد تلاشي العاصفة ، كان يعود الى سابق حاله بكل الدكتاتورية والفردية والاوتوقراطية التي كانت سببا في اثارة العاصفة اصلا(١٥١). ولسنا هنا بحاجة الى تكرار الاسباب التي مكّنت بن جوريون من فرض نفسه وصيغته واسلوبه ، فهذه الاسباب ورد ذكرها بشكل تفصيلي اثناء البحث .

ان الطبيعة « الفريدة والخاصة » للعلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل محكومة دوما بمفاجآت يمكن لها ان توتر تلك العلاقات من جهة ، او ان تدعم موقف وسلطة الجيش من جهة ثانية ، وكل ذلك يعتمد على شخصية وقوة فرد أوحد هو وزير الدفاع : فالجهاز السياسي الاسرائيلي لم يحتمل غياب بن جوريون طوال الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٣ اكثر من ١٥ شهرا لان وزير الدفاع البديل بنحاس لافون (بالرغم من كونه تلميذا من تلاميذ بن جوريون وبالرغم من كونه صنيعته) لم يكن يملك لا شخصية بن جوريون ولا ثقله السياسي والتاريخي . ايضا فان وجود رئيس قوي للاركان او مدير عام قوي لوزارة الدفاع (مثال موشيه ديان وشمعون بيرس على التوالي) يمكن ان يشكل منبعا اضافيا لتوتير العلاقات الى درجة الانفجار — كما سبق ولاحظنا . ايضا فان وجود رئيس وزراء ووزير دفاع ضعيف ولا يملك خبرة عسكرية (مثال ذلك عهد ليفي اشكول حتى حزيران ١٩٦٧) يؤدي الى تزايد غير مرغوب فيه في سلطة رئيس الاركان وقيادة الجيش اجمالا(١٥٢). ومرة ثالثة فان وجود رئيس وزراء ضعيف مع وجود وزير دفاع قوي(١٥٣) (مثال ذلك عهد ما بعد حزيران ١٩٦٧ حين كان اشكول رئيسا للوزارة وديان وزيرا للدفاع) يعزز سلطة الجيش . ومرة رابعة فان وجود رئيس وزراء قوي (جولدا مئير) ووزير دفاع قوي (ديان) في ظل منافسة سياسية بينهما يمكن ان يؤدي الى وضع الجيش في موقع يستطيع معه ان يناور ويستفيد من جراء تلك المنافسة . (عهد جولدا مئير منذ وفاة اشكول وحتى الآن مثال واضح على ذلك) .

ان تعامل الدراسة مع الوقائع الملموسة ، بحثا واستقصاء وتحديدا ، يؤكد جملة من الحقائق البارزة : **اولا** : ان عهد بن جوريون (وهو الذي يشكل الجانب الاطول من الحياة السياسية حتى الآن) ولاسباب ذاتية وموضوعية ، كان عهدا

اوتوقراطيا خاصة في قضايا الجيش والامن . **ثانيا** : ان الصيغة **الرسمية** للعلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل صيغة لا تشكل اية ضمانة حقيقية في يد الجهاز السياسي ضد تحالف وزير الدفاع مع الجيش . **ثالثا** : ان المسيرة العملية تؤكد على ان تحالفا نشأ بين وزير الدفاع ومؤسسة الجيش جعلت هذا التحالف ، وعلى امتداد الفترة الاطول من حياة اسرائيل السياسية حتى الآن ، قادرا على ممارسة دور مستقل الى درجة بعيدة في اتخاذ جميع القرارات الحاسمة والفرعية ذات العلاقة . **رابعا** : ان ثقل ووزن كل من وزارة الدفاع والجيش في المجتمع الاسرائيلي يتناميان يوما بعد يوم ... ولا يستطيع احد ان يقرر سلفا الى اي مدى سيصلان(١٥٤). **خامسا** : انه داخل تحالف وزارة الدفاع مع قيادة الجيش ، فان **قيادة الجيش** ملكت دوما الثقل الاوضح مما اضعف الرقابة المدنية ــ السياسية ــ الداخلية ضمن التحالف(١٥٥).

باختصار يمكن القول : ان وزارة الدفاع والجيش الاسرائيليين ، بحكم الصيغتين الرسمية والعملية اللتين تحكمانهما ، يتمتعان من زاوية علاقتهما بالجهاز السياسي الاسرائيلي بوضع لا يمكن القول معه ان الجهاز السياسي يملك ضبطا كاملا او رقابة حقيقية عليهما او حتى انه يشكل ضمانة ضد تصاعد ونمو وزنهما وثقلهما السياسي ــ المستقل خاصة في الظروف الطارئة الحرجة . ولعل غياب الرقابة الحقيقية كان ، اصلا ، سببا رئيسيا من اسباب نمو وتعاظم قوة الجيش وتأثيره السياسي. اما الحديث عن امكانية حدوث انقلاب عسكري في اسرائيل او عدمه او الحديث القطعي والتقريري عن « حتمية هيمنة السلطة السياسية على السلطة العسكرية » او العكس ، فهو حديث لا يمكن الفصل فيه الا باسلوب تعسفي لا مبرر له ، سواء كان الحكم في صالح هذا الاحتمال او ذاك . والجيش، اي جيش ، كي يقوم بانقلاب عسكري يجب ان يكون له حوافزه الذاتية والموضوعية(١٥٦).

اما العوامل التي تساعد على تنامي وتزايد دور الجيش في اسرائيل (ربما الى درجة الحكم العسكري الواضح والعلني) فهي : الانقسام في المجتمع الاسرائيلي(١٥٧)، النظام السياسي من زاوية تعدد الاحزاب وتصارعها(١٥٨)، الامبراطورية العسكرية ــ الصناعية القائمة فعلا(١٥٩)، تحول الجيش الى مؤسسة لها جذورها ونهجها المستقل (١٦٠)، الاوضاع السياسية والعسكرية في الشرق الاوسط (العلاقات مع الدول العربية بالذات) ودوليا . ومن جهة ثانية ، فان العوامل التي تخفف من احتمالات حدوث انقلاب عسكري تتلخص في : طبيعة الحياة السياسية الاسرائيلية (من زاوية وجود حزب قوى يملك اغلبية جماهيرية وتشريعية)(١٦١)، وجود قوى ضاغطة اخرى مثل الهستدروت لها ثقلها ووزنها السياسي(١٦٢)، تداخل الجيش مع المجتمع من خلال نشاطاته المختلفة ومن خلال نظام الاحتياط المعمول به(١٦٣)، قدرة الاقتصاد على استيعاب من يترك الجيش او يحال على التقاعد (وهو في سن مبكر جدا نسبيا)(١٦٤)، تطابق الاهداف السياسية ، بشكل عام ، بين الجيش والقيادة السياسية(١٦٥).

وهكذا نرى ان ترجيح كفة على الاخرى ، نظريا ، وفي هذا البحث ، مسألة مستحيلة . وتبقى مسألة تقرير خط تطور العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل ، بهذا الاتجاه او ذاك ، مسألة من اختصاص المستقبل ووفقا لتطور القوى المادية الفاعلة داخل المجتمع الاسرائيلي وخارجه .

---

١ ــ لفظة « الجيش » ــ حيثما وردت في البحث ــ يقصد بها اما مجموع القوات المسلحة او اجزاء منها .

٢ ــ Samuel Huntington, *The Soldier and the State* (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1957), Also in :
Morris Janowitz, *The Professional Soldier* (New York : The Free Press, 1960), Also in Samuel Huntington (ed.) *Changing Patterns of Military Politics* (New York : Free Press of Glenoe, 1962), Also in :
Morris Janowitz and Roger Little, *Sociology and the Military Establishment* (New York: Russel Sage Foundation, 1965).

٣ ــ S. E. Finer, *The Man On Horseback: The Role of the Military in Politics* (New York: Frederick A. Praeger, 1962), pp. 2-3.

أيضا راجع المصادر المذكورة عبر البحث وبخاصة :
Kurt Lang, *The Sociology of the Mili-*

tary: A Selected and Annotated Bibliography (Chicago, 1969).

٤ — هذه المناطق هي : الشرق الاوسط ، اميركا اللاتينية ، جنوب شرق آسيا ومنطقة البلقان .

٥ — من المفيد في هذا الاطار ، مطالعة مقالة « لادوارد شيلز » يصنف فيها أسباب الظاهرة ضمن ثلاث دوائر : اجتماعية وثقافية وسياسية:
Edward Shils, "Political Development of the New States," in Johnson (ed.), *The Role of the Military in Underdeveloped Countries* (Princeton: Princeton University Press, 1962).

راجع ايضا :
Lucian W. Pye, "Armies in The Process of Political Modernization," in Johnson, *op. cit.*, and :
Dankwait A. Rostow, "The Military in Middle Eastern Society and Politics," in Sydney Fisher (ed.), *The Military in the Middle East* (Colombus: Ohio State University Press, 1963).

٦ — ربع القائمة التي تحتوي على اكثر من الف دراسة وحصرها "Kurt Kang" كما سبق واشرنا ، يتعلق بالعلاقات المدنية — العسكرية، راجع :
Amos Perlmutter, "The Arab Military Elite," *World Politics*, Vol. XXII, Number 2, January 1970, p. 269.

٧ — راجع مثلا :
Ben Halpern, "The Role of the Military in Israel," in Johnson, *op. cit.*, pp. 318, 344, 350, 353, and 357. Also: Morroe Berger, *Military Elite and Social Change: Egypt Since Napoleon* (Princeton, N. J. : Princeton University Press, 1969), p. 32.
Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel* (London: Frank Cass and Co. Ltd., 1969), p. VIII; Also : Perlmutter, "The Israeli Army in Politics : The Persistence of the Civilian Over the Military," *World Politics*, Vol. XX, July 1968, No. 4, pp. 606-644.

٨ — مع ان مدلولات لفظة « الصهيونية » أوسع من اسرائيل وتشملها ، الا ان المقصود هنا — وعبر هذا الجزء من البحث — هو المؤسسات التي كانت ولا يزال بعضها — حتى الان — قائما منذ العام ١٨٩٧ .

٩ — *The Encyclopedia Americana*, 1693 Edition (New York: American Corporation), XVI, p. 100.

١٠ — Israel Cohen, *A Short History of Zionism* (London : Frederick Muller, 1951), p. 45.

١١ — Nahum Sokolow, *History of Zionism: 1600 - 1918*, Vol. I. (London: Longmans, Green, 1919), p. 269.

١٢ — راجع للكاتب : **المنظمة الصهيونية العالمية: تنظيمها واعمالها (١٨٩٧ — ١٩٤٨)** — (بيروت: مركز الابحاث ، ١٩٦٧) .

١٣ — J. M. N. Jeffries, *Palestine: The Reality* (London: Longmans, Green & Co., 1939), pp. 9.10.

١٤ — *Ibid.*, pp. 309-310.

١٥ — The Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine, *Reports of the Executives Submitted to the Twenty-Third Zionist Congress at Jerusalem, August 1951* (Jerusalem: The Executives, 1951), p. 212.

١٦ — Cohen, *op. cit.*, p. 225.

١٧ — Amos Perlmutter, *Military and Polotics in Israel*, p. 14.

١٨ — ما يعرف وفقا لتصنيفات ماكس فيبر بالقيادة الجذابة التي تمتاز بسحر خاص (حقيقي او وهمي ولكنه راسخ في ذهن ومخيلة الجمهور) بالاضافة الى ما ينتج عن ذلك من اتباع مرتبطين بالشخص وآرائه .

١٩ — بالرغم من وجود عدد من القوى السياسية الفاعلة والمؤثرة في الحياة السياسية قبل وبعد العام ١٩٤٨ ، الا اننا سنقصر البحث هنا على هاتين القوتين لانهما الاكثر تماسا بموضوع الجيش والسياسة في اسرائيل .

٢٠ — Cohen, *op. cit.*, p. 137.

٢١ — اما منظمة شتيرن (المقاتلون من اجل حرية اسرائيل) وكذلك فرع تنظيم « البالماخ » في الهاجاناه ، فسيرد ذكرهما عبر البحث .

٢٢ — Arthur Koestler, *Promise and Fulfilment* (London: MacMillan and Co., 1949), p. 39.

٢٣ — Perlmutter, "The Israeli Army in Politics: The Persistence of the Civilian Over the Military," *op. cit.*, p. 612.

٢٤ — Koestler, *op. cit.*, pp. 69-70, 72-73, 85-86.

٢٥ — Jean Larteguy, *The Walls of Israel*, tra. Ormonde de Kay (New York: M. Evans and Co., 1969), p. 55.

٢٦ — Perlmutter, "The Israeli Military in Politics: The Persistence of the Civilian Over the Military," *op. cit.*, p. 614; Also in Koestler, *op. cit., p. 72;* Also in Larteguy, *op. cit.*, p. 56.

ببطء شديد باتجاه قريتي راشيا الفخار وكفرحمام بينما اصبح الطيران اشد شراسة واعنف قصفا وفي حين تركز القصف على المواقع الامامية الا ان المواقع الخلفية لم يترك لها مجال الراحة حيث تعرضت هي ايضا لغارات جوية ورمايات من المدفعية الثقيلة البعيدة المدى والصواريخ الثقيلة ارض ــ ارض من عيار ١٣٠ و ٢٤٠ ملم . كان اليوم الثالث يوم الملحمة ، كان من الصعب على المراقبات الثابتة ان ترى تفاصيل ما يجري في الهبارية وراشيا الفخار وكفرحمام فقد سد الدخان وغبار القصف الاودية وحجب امكانية الرؤيا .

ادرك العدو انه ان لم يفلح في اليوم الثالث بدخول هذه القرى الثلاث على الاقل وهي اول القرى التي يمر عليها في تقدمه فان الامر سيغدو اهانة لغطرسته ومن المسلم به ان العدو يدرك ان بامكانه ان يحتل في النهاية معظم مواقع تواجدنا ولكن حين علم ان المدة اصبحت في تقديره تحسب بالاسابيع لا بالساعات ولا بالايام ناهيك عن اعداد الخسائر التي تعرضت لها قواته ، وهذا سيفرض عليه وضعا لا يستطيع معالجته كما انه ليس في صالحه وقد يقود في التالي الى معركة تتجاوز لبنان مما سيعزز موقف المقاومة بدلا من ان ينهي وجودها ، قرر الهجوم .

كانت الطبيعة مع ثوارنا حيث ضيق الطريق لم يكن يسمح بالتقدم الا برتل منفرد ــ دبابة تتبع الاخرى ــ بدلا من تقدمها بشكل خط حرب خارج الطريق . كان التقدم خارج الطريق مستحيلا ، ولهذا كان تقدم العدو بطيئا وضعيفا وكثير الخسائر ، وعندما كانت تتدمر له آلية ، دبابة او ناقلة جنود ، كان يضطر للتأخر مدة غير قصيرة لاخلائها من وجه التقدم .

دهش العدو لبطولة ثوارنا . هاجمنا بالكوماندوز فاتاح بخطته هذه لكافة المقاتلين ان يشتبكوا معه بعكس محور تقدم الدروع حيث من المعلوم ان الذين يشتبكون مع دروع العدو عادة قلة لان توزيع سلاح مقاومة الدروع في كل جيوش العالم لا يكون لجميع المقاتلين ولكن لعدد ينتقى من بينهم .

اما في الهبارية فقد كان كوماندوز العدو صيدا ثمينا لثوارنا بكل اسلحتهم ، لقد عجز العدو ولطيلة ثماني ساعات كاملة من دخول الهبارية ، رغم انه انزل قواته المحمولة جوا على بعد ٥٠٠ متر عنها كان جنود العدو يشاهدون وهم يقفزون من الطائرات العمودية التي تنقلهم على ارتفاع ٤ ــ ٨ امتار ، وكانت رشاشاتنا المتوسطة ومدفعية الهاون توجه اليهم اثناء الانزال فتوقع فيهم الخسائر ، كانت عملية الاسقاط تتم في نقاط منتشرة وبسرعة فائقة تجنبا لمقاومة ثوارنا حيث تم الاسقاط من طائرات معدة ذوات اربعة ابواب .

وعلى طول امتداد اليوم الثالث ورغم ان الساعات كانت تمر بطيئة ثقيلة في انتظار حلول الظلام كانت تلال الهبارية وراشيا وكفرحمام وصخورها تتعرض للقصف الشديد فتتفتت وتتحول الى شظايا تزيد على شظايا الاف الاطنان من القنابل التي تساقطت فوق ارض المعركة .

كانت معنويات ثوارنا في القمة وكان المواطنون يعبرون عن روح النخوة والحمية التي تجيش في صدور العرب ، كان الكل يريد ان يشارك . المليشيا حملت اسلحتها واشتركت في المعركة وما استشهاد مختار قرية الهبارية في اليوم الاول الا علامة مضيئة على طريق نضال هذا الشعب . كان الاطفال يغادرون منازلهم في القرى الخلفية وعلى بعد ٣ ــ ٤ كلم عن ارض المعركة فقط رغم القصف الشديد الذي يتناهى الى اسماعهم ورغم انهم يشاهدون الطيران باعينهم ، كانوا يخرجون الى قواعدنا في الخط الثاني يحملون لها الخبز والماء والفاكهة ، كان الكل معنا ، كنا نقرأ اصالة شعبنا العربي في عيني كل كهل ، في عين كل ام ، في عين كل طفل .

كان التساؤل الحائق يتردد لماذا انتم وحدكم ؟ ثلاثة ايام بلياليها والمعركة على اشدها وانتم ــ تقاتلون وحدكم دفاعا عن الامة العربية ، فلسطين ليست لكم وحدكم ــ قالها شيخ جليل جاوز السبعين ــ لقد عشت في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كنت خياطا في حيفا وكان من لبنان كثيرون في حيفا . شتت معظم اهلنا في فلسطين ، قلنا له يا عم لو لم نكن من الامة العربية لما قاتلنا دفاعا عنها ، نحن من هذه الامة وليس غريبا ان نقاتل ، انظر الى هؤلاء الشباب الذين ترتسم على وجوههم علامات البطولة انهم من ليبيا الحرة .

وانقضى اليوم الثالث او كاد قبل ان تتمكن قوات العدو من دخول قرية راشيا الفخار بالدبابات في حين ظل ثوارنا في كفرحمام يقاتلون حتى حل الظلام فانقسموا قسمين قسم بدل موقعه الى المواقع المعينة له في الخطة، والاخر انتظم في مجموعات صغيرة للاغارة الليلية وهذا كان في راشيا ايضا ، اما في الهبارية فقد تراجعت قوات العدو مدحورة ولم تتمكن من دخولها .

تثبت العدو بمشاته وآلياته وكمائنه في منطقة الشهيد صلاح وراشيا وكفرحمام وبـدات قواتنا تغير عليه في مجموعات صغيرة وتوقع به الخسائر . لقد استمر القتال المتقطع طيلة الليل كما ان وابل المدفعية لم ينقطع عن مواقعنا في الخط الثاني .

● **اليوم الرابع** : منذ بزوغ الضوء الاول لليوم الرابع استأنف العدو تقدمه بالاليات على الطريق العام باتجاه الفريديس . وعلى مدخل الفريديس دارت معركة بين ثوارنا ودروع العدو خسر فيها العدو دبابتين واستمر القصف والاشتباك في كل مكان من الجبهة وفي الساعة العاشرة صباحا اغار طيران العدو من جديد على مواقعنا الخلفية في طلعات محمومة بعد ان ادرك ان امكانية الاندفاع بالياته اصبحت ميؤوسة . وحـوالي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر كانت قوات العدو تنسحب من المنطقة .

سمات التكتيك العسكري في معركة العرقوب :

يتضح من مراجعة التكتيك العسكري الذي استخدمه العدو وذاك الـذي استخدمته قوات الثورة الفلسطينية ، في معركة العرقوب الاخيرة ، السمات التالية :

١ ــ استخدم العدو سلاحي الطيران والمدفعية بعيدة المدى كسلاحين تكتيكيين يشكلان جزءا اساسيا من الحركة التكتيكية في المعركة استهدفا : أ ــ ضرب مواقع الدفاع بنيران مركزة تمهيدا لحركة الدبابات والاليات . ب ــ تغطية دائرة محيط واسعة لمنـع حركة قوات الاحتياط الدفاعية والهجومية . جـ ــ شل قوات الثورة معنويا لاختزال فعاليتهـا ومبادرتها ، ودفعها الى الفرار .

٢ ــ استخدام سلاح الطيران (الهليوكبتر) لانزال قـوات كوماندوز في اية نقطـة في الجبهة ، مع بقاء الاتصال الدائم بها سواء من ناحية الامدادات او مـن ناحية سحبها او تحريكها الى نقاط اخرى . وهنا لا بد من الاشارة الى المقـدرة على انزال قوات آلية بالطريقة نفسها ــ ولو انها لم تستعمـل في معركـة العرقوب الاخيرة ــ حيث يحقق اختراق الخطوط الخلفية من الجو .

٣ ــ استخدام الدبابات وسلاح المشاة الآلي المحمول في عمليـة الاختراق والاحتـلال والتنظيف .

٤ ــ استخدام الجرافات لشق الطرق في اثناء سير المعركة .

ان التمكن من تركيز نيران الطيران والمدفعية بعيدة المدى على نقطة اختـراق او اكثر يتبعها فورا اقتحام بالدبابات والمشاة الالية المحمولة يجعـلان عملية الاقتحام مسألـة محتومة لا مفر منها في حالة غياب تفوق جوي مضاد . وقـد ثبتت صحة هذه التكتيك في الحرب العالمية الثانية وهو الذي اشتهر تحت اسم تكتيك بليتزغريغ الالماني . حيث اصبح خط الدفاع الجبهوي ــ مثلا خط ماجينو ــ ساقطا امامه لا محالة اذ لا مفر من حدوث الاختراق في نقطتين او ثلاث لان تركيز نيران الطيران والمدفعية على تلك النقاط ثم وضع ثقل هائل بالدبابات عليها يحتمان انهيارها واختراقها ، وبالتالي انهيار الخط كله ، بسبب قطع الخطوط الخلفية وعمليات الالتفاف ــ وقد ادى التطور الحـديث في سلاح الطيران الى احداث الاختراق الالي من الجو ــ ولهذا كان التكتيك السوفياتي الذي قابل تكتيك بليتزغريغ بالدفاع العميق ، لا خط الدفاع الجبهوي ، هو الجواب الـذي يفرض على الاختراق الاصطدام بنقاط دفاعية قوية موزعة جيدا في العمق تبقي الدفاع متماسكا حتى بعد نجاح الاختراق وبالتالي تتيح الفرصة لشن هجمات مضادة تأخذ اشكالا متعددة حسب توازن القوى ومدى قوة زخم الهجوم ، قد تبدأ بوحدات صغيرة لمناوشة المهاجمين وارباكهم وقطع طرق مواصلاتهم ، وتنتهـي بالهجوم المضاد الشامل بعـد كسر شوكة الهجوم .

ان تكتيك بليتزغريغ محدود الفعالية : (١) في المناطق الجبلية (٢) وفي الممرات الضيقة (٣) وفي المدن (٤) وفي الارض الضيقة التي لا تتيح فرصة المناورة وراء الخطوط . كما ان الدفاع المتحرك العميق والموزع بحصافة هو الجواب على تكتيك بليتزغريغ بشكله التقليدي ، او بشكله الجديد اي الاختراق الالي من الجو ، او الاثنين معا .

اذا كان تفوق العدو الجوي والارضي لا يجعل من الممكن للثورة الفلسطينية في الظروف الراهنة ان تواجهه بتفوق مقابل يقلب الصورة ، فان هذا لا يعني عدم توفر التكتيك العسكري المناسب الذي يستطيع مواجهته : ١ ــ اعتماد الدفاع العميق في توزيع القوات . ٢ ــ اخذ الاحتياطات الدفاعية الواسعة ــ انتشار ، تحصين ، تمويه ، تحرك . ٣ ــ زرع محاور هجوم الدبابات والقوات المحمولة بالالغام والشراك التدميرية . ٤ ــ القتال من مواقع ، والقتال بتكتيك الهجوم الغواري في آن واحد ، ومد الجبهة بدماء جديدة في اثناء القتال ، خاصة ، في الليل .

ان اعتماد الدفاع العميق في توزيع القوات يجعل عمليات الاختراق الارضي او انزال الكوماندوز او المشاة المحمولة من الجو في حالة اصطدام دائم بنقاط دفاعية ــ هجومية ، مما يتيح لقوات الثورة الصمود طويلا ، وانزال ضربات بالعدو فضلا عن اعاقة تقدمه واضعاف قوة المناورة لديه واطالة امد المعركة . وبالتالي عدم انهيار الجبهة خلال بضع ساعات بسبب تفوق العدو . وهذا بدوره يترك آثاره السياسية سلبيا على العدو وايجابيا على قوات الثورة وعلى الجماهير ، وبالتالي يخدم الجبهة عسكريا لمصلحتنا .

اما اخذ الاحتياطات الدفاعية الواسعة ــ انتشار ، تحصين ، تمويه ، تحرك ــ فيختزل اثر نيران الطيران والمدفعية او يخفف قدر الامكان من ذلك الاثر سواء من ناحية المحافظة على قوات الثورة ماديا ومعنويا او من ناحية اصطياد القوات الارضية المعادية دفاعيا وهجوميا .

ان زرع محاور هجوم الدبابات والقوات المحمولة بالالغام والشراك التدميرية سواء قبل المعركة او في اثنائها ــ في الليل ــ يشكل عنصرا هاما في اعاقة التقدم ، خاصة ، اذا أمكن تغطيتها بنيران ضد سلاح الهندسة .

اما القتال من المواقع والقتال بتكتيك الهجوم الغواري في آن واحد فلا يمكن ممارستهما الا بتوفر البندين الاول والثاني ــ الدفاع العميق ، والاحتياطات الدفاعية الواسعة ــ ويبدأ عملهما الاساسي بعد توقف طلعات الطيران والقصف المدفعي ومع بدء الهجوم الارضي لقوات العدو ، وفي الليل . ويتطلب هذا بدوره احكام تمويه المدفعية المضادة للطائرات وابعادها في توزعها عن المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والاليات ، وعن الوحدات الغوارية الهجومية . لكي يكون بالامكان استيعاب الهجوم التمهيدي الذي تشنه الطائرات والمدافع بعيدة المدى دون تعرض وانكشاف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والاليات ، وكذلك الوحدات الغوارية الهجومية لمفاجأة الهجوم الارضي بها بعد توقف القصف وبدء حركة الدبابات ، او مفاجأة الانزال وراء الخطوط . على ان لا تستخدم هذه وتلك دفعة واحدة وانما على وجبات لكي يتم تفادي انكشافها جميعا حرصا من الطلعة الثانية والثالثة للطيران والقصف المدفعي المضاد .

واذا كانت الجيوب العميقة ذات الفوهات الضيقة والموهة في المرتفعات والنقاط الاستراتيجية اساسية في مجال القتال من مواقع ، فان هنالك من الحالات ما يجعل زرع قوات صغيرة جدا مضادة للاليات قريبا من ممرات الدبابات ، بشكل لا يمكن معه اصطيادها الا بقصف مدفعي او جوي ثقيل ، يلعب دورا هاما في ارباك تقدم العدو ، خاصة اذا كان القصف الثقيل على مواقعها يؤدي الى انهيارات في الممرات الجبلية تصبح عائقا طبيعيا في وجه التقدم الالي .

ان الفكرة الجوهرية في التكتيك المضاد لتكتيك العدو هي ضرورة اقامة دفاع مفكر به جيدا لاختزال اثر الطيران والمدفعية بعيدة المدى ، مع اتاحة الفرصة لشن هجمات تكتيكية صغيرة وقتال مواقع محدود بعد دخول الدبابات والمشاة المحمولة او الانزال وراء الخط الامامي . وهذا يقتضي (١) تحريك نقاط الدفاع فور اكتشافها (٢) تزويد الوحدات الدفاعية والهجومية بذخائر وتموين واسعاف تكفي لمدة طويلة وذلك كاحتياط ضد احتمال انقطاع الامدادات والاتصال وتعسر الحركة نتيجة كثافة النيران المعادية والانزال وراء الخطوط (٣) الاشتباك مع العدو من نقاط متناثرة وعلى دفعات .

ولكن من الشروط الاساسية لنجاح مثل هذا التكتيك لا بد من توفر (١) رباطة جاش عالية جدا بسبب كثافة النيران وزخم الهجوم وسرعته (٢) الروح الهجومية المقرونة بحصافة دفاعية وامنية . (٣) الحصافة في توزيع التصدي والهجمات الغوارية .

ان ادراك السمات الخاصة بتكتيك قواعد الفدائيين في مناطق التماس حين تكون معرضة لهجوم واسع النطاق ، يتطلب ان يكون واضحا كل الوضوح انه غير مطلوب من قوات الثورة ان تصد هجوم العدو وتسحقه — او تمنعه من التقدم — فالعدو ، نتيجة تفوقه في النيران والطيران والدبابات والاليات والعدد ، لا بد من ان يحقق الاختراق وان يحتل ، ولهذا حين يستطيع تحقيق ذلك يجب الا يصاب احد بدهشة ، او يعتبر ان قوات الثورة قد هزمت . ولكن المطلوب من قوات الثورة ان تقوم بالمواجهة المحدودة المتحركة وتوقع في العدو خسائر قدر المستطاع . فاذا تمكنت قوات الثورة في مناطق الهجوم ان تتجنب السحق دون اللجوء الى الفرار من ارض المعركة ، واخذت تتصدى للعدو وتنزل به الخسائر — ابقاء المعركة مستمرة وحية — فهذا يعني انها حققت اقصى ما يمكن ان يطلب منها في هذه المرحلة وضمن الظروف الراهنة . لهذا يجب ان تسقط الحرب النفسية التي توحي بالهزيمة كلما استطاع العدو احتلال موقع او منطقة . لان الجوهر في سمات الوضع المعطى بما في ذلك توازن القوى ، في هذه المرحلة ، هو : (١) القتال الحصيف والفعال والمستمر (٢) استنهاض الجماهير واعادة المناخ الثوري للمنطقة وتكريس التصميم على مواصلة القتال دون توقف (٣) تمزيق هيبة العدو العسكرية تدريجيا . (٤) حماية الثورة المسلحة من السحق والتصفية وخلق شروط التقدم باتجاه تغيير نسب توازن القوى لمصلحتنا .

هنا لا بد من التوقف لمناقشة مسألة على غاية من الاهمية لها علاقة مباشرة بموضوع سمات التكتيك العسكري في هذه المرحلة التي تمر بها الحرب بين الثورة الفلسطينية وبين العدو الصهيوني . وهي : ان وجود القواعد العسكرية للثورة المسلحة على نقاط التماس ، بل وجود الثورة المسلحة من حيث اتى يعرض اجزاء من الارض العربية للاحتلال ، ما دام من غير الممكن صد هجوم العدو ومنعه من ان يدخل بقواته ويحتل . وهو اجراء طالما هدد به العدو ، بل جعله جزءا من استراتيجيته العسكرية والسياسية في اخضاع المنطقة واخماد ارادة القتال فيها .

الحقيقة الاولى التي يجب ادراكها هي ان العدو قادر على الرد بقوة ، وقادر على الاحتلال الجزئي . ولكن الحقيقة الثانية المرافقة لها هي ان فعالية هذه الاستراتيجية متوقفة على موقفنا منها فهي فعالة اذا رضخنا لها واستسلمنا ، مع التذكر ان الرضوخ والاستسلام لمثل هذه الاستراتيجية يشجعان على الاحتلال واستمرار الابتزاز . وهي مدمرة للعدو — اي تحمل نقيضها المدمر — اذا ما قررت الثورة الفلسطينية والجماهير العربية والثورة العربية ، والحكومات المعنية الا تخضع لهذا الابتزاز وصممت على القتال مهما حدث من احتلال جزئي لاراض جديدة . لان اي احتلال جزئي ، في هذه

الحالة ، سوف يسهم في عزلة العدو عالميا ، والاهم ، سوف يجعله مضطرا دائما على التوسع من جديد ، مما يحول استمرار التوسع الى مقتل للعدو : (١) جماهير جديدة مناضلة وراء خطوطه ، (٢) انخراط جماهير عربية اكثر فاكثر في القتال المباشر ضده ، (٣) اتساع جبهته وتوزع قواته وتعاظم التكاليف المادية والبشرية والمعنوية والامنية عليه . (٤) ضرب مصالح حلفائه في المنطقة .

ان الخطورة علينا من مسألة احتلال اراض جديدة تنبع من زاويتين : (١) فقدان اراض جديدة . (٢) التخاذل امام العدو خوفا على اراض اخرى او من اجل استعادة ما احتل مؤخرا . ولكن اذا اسقطنا هذين العاملين وكان الشيء الرئيسي الذي يهمنا هو حربنا ككل ضده ، ونتيجة هذه الحرب في نهاية المطاف . اي استمرارنا في القتال وتكثيفه ودفع قوات متعاظمة ابدا الى ساحة الحرب وتحويل الجماهير الى قوات مقاومة وزيادة اعباء العدو العسكرية والمالية والامنية وبالتالي استنزافه وانهاكه تدريجا . هنا فقط ، يصبح اي توسع جديد تأزيما لوضع العدو وحلفائه . كما تصبح استراتيجية المضي في القتال حتى النهاية من جانبنا تطويرا لقوانا ووضعنا في الطريق الموصل الى انزال الهزيمة النهائية بالعدو .

ليس صعبا ان يتصور المرء ان استمرار القتال من جانبنا ، بلا تردد او توقف ، ومهما بلغت التضحيات ومهما توسع العدو ، سوف يؤدي الى القضاء على استراتيجية العدو في التوسع واجباره على الانكماش حفاظا على تركيز قواته وتضييق حدوده وتخفيف نقاط الضعف في جبهته الخلفية . ولكن شرط ذلك ان نستمر في القتال والتعبئة المادية والبشرية والمعنوية دون ان يخطر ببالنا التراجع ، لان سياسة القتال ثم التراجع والتوقف تؤدي الى ضياع المزيد من الارض وتحقيق اهداف استراتيجية العدو .

لقد برزت مثل هذه المعضلة في غالبية الحروب الشعبية التي شنت ضد عدو متفوق . واستطاعت قوات الثورة فيها ان تحول تلك المعضلة ، الى معضلة بالنسبة للعدو وليس بالنسبة لها . حيث يجد جيش العدو نفسه ــ خاصة في حالة وجود مناطق محررة او شبه محررة ــ مضطرا على التوسع وكسب الارض ، وبالتالي الى انفلاش قواته مما يزيد من نقاط ضعفه . واما الى الانكماش من اجل تركيز قواته وتقليل نقاط الضعف وهذا يؤدي الى كسب الثورة للارض . وتحشيد المزيد من القوات وتنظيمها لضربه . ولقد مورست هاتان الاستراتيجيتان ــ التوسع لكسب الارض ، او الانكماش للتركيز ــ من قبل المستعمرين الفرنسيين في فيتنام ١٩٤٦ ــ ١٩٥٤ ، ولم تجد اي منهما بسبب استمرار القتال تحت استراتيجية مناسبة مضادة في كل حالة . هذا مع العلم ان الوضع عندنا مختلف من بعض النواحي ولكن جوانب الاختلاف هي لمصلحتنا اكثر من الحالة الفيتنامية . فمثلا لنتصور ان العدو احتل جنوب لبنان اي تغيرت حدود المواجهة ، وهب لبنان ليقاتل العدو ، بلا هوادة ، وليضرب مصالح حلفائه في لبنان فماذا يكون العدو قد كسب ؟ هل يستطيع ان يحتل ارضا اخرى ؟ فاذا فعل زادت معضلته ، واذا بقي فيما احتل من ارض عاش حربا لا نهاية لها الا بانزال الهزيمة به .

ان العدو يراهن في هذه الاستراتيجية على شيء واحد وهو تراجعنا وركوعنا اما ما عدا ذلك فستنقلب تلك الاستراتيجية عليه . وهنا لا مجال لنا للاختيار غير الاستمرار في القتال والرد على الاحتلال الجزئي باستنهاض اقطار عربية باسرها الى خوض القتال ضد العدو . والسؤال : الم تحدث تجربة مماثلة في فيتنام حيث كانت نتيجة توسيع رقعة الاحتلال الامبريالية الامريكية الى لاوس وكمبوديا دخول بلدين جديدين الى المعركة ضد جيوش الولايات المتحدة وحلفائها ــ وبالتالي ارتداد سهم التوسع الى صدور اصحابه ؟

شهداء الثورة الفلسطينية

باسم سرحان

لقد فرضت مسيرة الثورة الفلسطينية ونضال رجالها المرير والبطولي في ظل ظـــروف قاسية جدا ، والوضع الحالي الذي انتهت اليه المقاومة الفلسطينية ، سؤالا أساسيا ما لبث أن تحول الى موضوع بحث اجتماعي ــ سياسي . هذا السؤال هو : من هم الذين قاتلوا من اجل فلسطين ومن أجل الامة العربية ، ومن الذي اغتال طليعتنا النضالية وحطم ثورتنا واوقف اندفاعها مؤقتا ؟

للباحث ثلاث فرضيات حول هذا السؤال :

الفرضية الاولى : تنتمي الغالبية العظمى من المقاتلين الى الطبقات الكادحة المسحوقة ، والى سكان المخيمات بالذات .

الفرضية الثانية : هناك نسبة كبيرة من الشهداء من الشبان الصغار الذين ولدوا بعد عام ١٩٤٨ ، مما يثبت تعلق أجيال ما بعد النكبة بوطنها ، ومما يبطل ايضا فرضية موت قضية الشعب الفلسطيني بمرور الزمن .

الفرضية الثالثة : لقد قتل النظام العميل في الاردن ضعف ما قتلته اسرائيل من مناضلي الثورة الفلسطينية وبالتالي يكون النظام الأردني قد لعب دورا أكبر من دور اسرائيل في تحطيم المقاومة ووقف اندفاعة الثورة .

وهدف البحث الحالي ايجاد الجواب على السؤال الاساسي الذي يمثل موضوع البحث. وقد وجد الباحث ان أفضل وسيلة للاجابة على هذا السؤال المحدد تكون في مراجعة سجلات شهداء الثورة الفلسطينية منذ انطلاقها في ١٩٦٥/١/١ حتى ١٩٧١/١٠/٣٠ . ويرتكز البحث الحالي على تجميع معلومات اجتماعية ــ اقتصادية وسياسية عن شهداء الثورة . وقد تحددت هذه المعلومات بما يلي : ١) اسم الشهيد ، ٢) تاريخ ولادته ، ٣) حالته الزوجية ، ٤) مهنته قبل الانضمام للثورة ، ٥) مهنة والده ، ٦) مستوى تعليمه، ٧) مستوى تعليم والده ، ٨) مكان ولادته ، ٩) بلده الاصلي ، ١٠) مكان اقامته ، ١١) مدخول عائلته الشهري ، ١٢) مكان الاستشهاد وتاريخه ، ١٣) التنظيم الذي ينتمـــي اليه ، ١٤) رتبته في التنظيم .

للاسف ، لم تتوفر في سجلات الشهداء كل المعلومات المطلوبة ، لذلك اقتصر بحثنا على المعلومات المتوفرة منها ، وهي : ١) اسم الشهيد ، ٢) تاريخ ولادته ، ٣) حالته الزوجية، ٤) مستوى تعليمه ، ٥) مهنته قبل الانضمام للثورة ، ٦) مكان اقامته ، ٧) مكـــان استشهاده .

بعض الملاحظات الضرورية : اولا ، تجدر الاشارة قبل البدء بتحليل المعلومات المتوفرة عن الشهداء الى ان هذا البحث لا يتضمن اي معلومات عن شهداء الثورة في غزة نظرا

لظروف خاصة ، مع العلم انه لو توفرت تلك المعلومات لجعلت البحث الحالي اغنى مما هو بكثير .

ثانيا ، يعتمد البحث على السجل الرسمي لشهداء حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) والذي يتضمن شهداء المنظمات الاخرى نظرا لان مؤسسة رعاية أسر الشهداء تدفع مخصصات شهرية لكل شهداء الثورة . ويقتصر هذا السجل على الشهداء الذين تتلقى عائلاتهم مخصصات شهرية من المؤسسة . ويشكل هؤلاء معظم شهداء الثورة . ولا يتضمن السجل عددا من الذين استشهدوا في مجازر الاردن المتتالية ولم يقم احد بابلاغ اسمائهم للمؤسسة وتأكيد استشهادهم . كما أن اسماء الشهداء في الاردن ما زالت ترد الى المؤسسة حتى هذا التاريخ .

ثالثا ، لن تعطى اعداد الشهداء في هذا البحث نظرا لاعتبارات عسكرية بحتة .وسيقتصر البحث على النسب المئوية ، وهي تعطي صورة واضحة تغني عن الارقام .

تحليل المعلومات : المعلومات المطلوبة والمتوفرة عن الشهداء ، تشمل ٨٤،٦ ٪ من شهداء الثورة ، بينما لا تتوفر أية معلومات ، باستثناء الاسماء ، لدى مؤسسة رعاية اسر الشهداء عن ١٥،٤ ٪ من الشهداء لان علاقة المؤسسة بأهل هؤلاء الشهداء علاقة مادية بحتة (ينتمي هؤلاء الشهداء الى منظمات مختلفة ترسل اسماء شهدائها للمؤسسة وتحصل على مخصصات لاعالة عائلاتهم) .

يشكل شهداء فتح ٧٣،١٪ من مجموع شهداء الثورة . واذا اخذنا الشهداء الذين تتوفر عنهم المعلومات المطلوبة (٨٤،٦٪) لوجدنا ان شهداء فتح يشكلون (٨٦،٣٪) منهم، بينما يشكل شهداء المنظمات الاخرى النسبة المتبقية ، (١٣،٧) . ونحن مضطرون لقصر تحليلنا على المجموعة الثانية التي تتوفر عنها المعلومات المطلوبة . سوف نعطي في تحليلنا صورة عن شهداء فتح ، واخرى عن شهداء المنظمات الاخرى ، وثالثة عن شهداء الثورة ككل .

١ ــ فئات اعمار الشهداء : تتراوح اعمار الشهداء بين العشر سنوات والسبعين عاما، فهناك عدد من الشهداء ولدوا عام ١٩٠١ وعدد آخر ولدوا عام ١٩٦١ . وهذا يدل على ان الفداء والنضال غير مرتبطين بالسن حين يكون الالتزام بالقضية انتزاما وثيقا ومصيريا. لكن عبء القتال يقع على الشبان الصغار وعلى الرجال متوسطي العمر . ففي حال شهداء فتح نجد ان اعمار ٧١،٧٪ منهم تتراوح بين الخامسة عشرة والثلاثين . ونجد الامر نفسه في حال المنظمات الاخرى ، اذ أن اعمار ٨٠،٨٪ من شهدائهم تتراوح بين الخامسة عشرة والثلاثين . أما نسبة شهداء الثورة ككل من هاتين الفئتين من العمر فتبلغ ٧٢،٨٪ . فئة العمر الثالثة التي تضم اكبر نسبة من الشهداء هي فئة الثلاثين الى اربعين عاما ، وتبلغ نسبة شهداء الثورة في هذه السن ١٢،٠٪ من مجموع الشهداء (انظر الجدول رقم ١) .

بالنسبة للذين ولدوا في الاربعينات ، راعينا تقسيم هذه الفئة حول السنة ١٩٤٩ وليس ١٩٤٨ لكي نضمن ولادة الشخص بعد النكبة . وقد اظهرت سجلات الشهداء ان ٣٥،٧٪ من شهداء فتح و٤٢،٦٪ من شهداء المنظمات الاخرى ، و٣٣،٨٪ من شهداء الثورة ككل ولدوا بعد عام ١٩٤٨ . وهذه الارقام تثبت صحة فرضيتنا الثانية القائلة بأن هناك نسبة كبيرة من الشبان الصغار الذين ولدوا بعد عام ١٩٤٨ بين شهداء الثورة ، وبالتالي عدم صحة الفرضية القائلة بأن مرور الزمن سيزيل القضية الفلسطينية .

الجدول رقم (١)

تاريخ الولادة	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
١٩٠١ — ١٩١٩	١٫٤	١٫٤	١٫٤
١٩٢٠ — ١٩٢٩	٣٫٧	١٫٤	٣٫٤
١٩٣٠ — ١٩٣٩	١٢٫٤	٩٫٨	١٢٫٠
١٩٤٠ — ١٩٤٨	٤٠٫٦	٣٩٫٢	٤٠٫٤
١٩٤٩ — ١٩٦١	٣٢٫٥	٤٢٫٦	٣٣٫٨
غير معروف	٩٫١	٥٫٣	٨٫٦
المجموع	٩٩٫٧	٩٩٫٧	٩٩٫٦

٢ ــ حالة الشهداء الزوجية* : نتوقع ان تكون الغالبية العظمى من الشهداء من غير المتزوجين لان المسؤولية العائلية تؤثر على قدرة الفرد على الاستقلال بتصرفه وعلى قوة اندفاعه الذاتية ، ولانها تضطره للتفكير بغيره قبل ان يفكر بنفسه . وبالتالي فان اي قرار حاسم يتخذه المتزوج يأخذ بالاعتبار مدى تأثير ذلك القرار على الآخرين المرتبطين به . اما اتخاذ القرارات الحاسمة والمصيرية بالنسبة للعازب فهي أسهل بكثير نظرا لان تأثيرها في النهاية سيقع على فرد واحد .

اظهرت سجلات الشهداء صحة توقعاتنا الى حد كبير ، لكن نسبة الشهداء المتزوجين كانت أعلى مما هو متوقع ، اذ بلغ هؤلاء ثلث الشهداء تقريبا ، في حين كنا نتوقع الا يزيدوا على ١٠ ٪ من مجموع الشهداء . والتفسير الوحيد لذلك هو وجود دوافع وطنية ونفسية قوية جدا عند الشهداء المتزوجين جعلتهم يتركون بيوتهم وزوجاتهم واولادهم للالتحاق بالثورة والنضال من أجل الحرية والتحرير . (انظر الجدول رقم ٢) .

الجدول رقم (٢)

الحالة الزوجية	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
اعزب	٦٣٫٢	٥٥٫٨	٦٢٫٢
متزوج	٢٦٫٨	٣٢٫٥	٢٧٫٦
غير مذكور	٩٫٨	١١٫٣	١٠٫٠
المجموع	٩٩٫٨	٩٩٫٦	٩٩٫٨

٣ ــ مستوى تعليم الشهداء : بما أننا افترضنا كون معظم الشهداء من الطبقات الكادحة والمسحوقة ، فاننا نتوقع كون نسبة كبيرة منهم ذات مستوى تعليمي منخفض لا يتجاوز المرحلة التكميلية (الاعدادية) نظرا لعدم مقدرة اهالي هؤلاء الشهداء على ارسالهم الى مدارس خاصة ، وبالتالي اقتصارهم على تعليم الاونروا المجاني والمحدود بالمرحلة التكميلية .

اظهرت سجلات الشهداء ان اكبر فئة من شهداء الثورة ذات مستوى تعليمي لا يتعدى المرحلة الابتدائية (٣٤٫٢ ٪) وتليها الفئة ذات التعليم التكميلي (٢٢٫٦ ٪) ثم الفئة ذات التعليم الثانوي (١٧٫١ ٪) . كما ظهر ان نسبة الشهداء الجامعيين والاميين

* نسبة النساء اللواتي استشهدن قريبة من الصفر .

متساوية تقريبا (٤،٢ ٪ من الجامعيين و٥،٥ من الاميين) . يجب الا نأخذ نسبة الجامعيين بصورة مطلقة ،بالمقارنة مع الفئات التعليمية الاخرى ، لان نسبة الذين حصلوا تعليما جامعيا من مجموع الفلسطينيين اقل من نسبة الذين حصلوا تعليما ابتدائيا او تكميليا او ثانويا . وبما أن توزيع الشعب الفلسطيني حسب مستوى التعليم غير متوفر لدينا ، لا يمكننا الحكم اذا كانت نسبة الجامعيين الذين استشهدوا عالية او منخفضة ، خاصة بالمقارنة مع الفئات التعليمية الاخرى . (انظر الجدول رقم ٣) .

الجدول رقم (٣)

مستوى تعليم الشهيد	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
أمي	٥،٣	٧،٠	٥،٥
ابتدائي	٣٥،٢	٢٨،٢	٣٤،٢
تكميلي (اعدادي)	٢٢،٢	٢٥،٤	٢٢،٦
ثانوي	١٧،٢	١٥،٩	١٧،١
جامعي	٤،٢	٤،٥	٤،٢
غير معطى	١٥،٦	١٨،٧	١٦،٠
المجموع	٩٩،٧	٩٩،٧	٩٩،٦

٤ ــ مهنة الشهيد قبل انضمامه للثورة : يتبع الافتراض الاساسي للبحث القائل بأن الغالبية العظمى من الشهداء ينتمون الى الطبقات الكادحة والمسحوقة ، افتراض توزع غالبية الشهداء حول مهن بسيطة او متواضعة تأتي في أسفل السلم المهني ، وذلك لان الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والمهنية تكون مترابطة الواحدة بالاخرى بشكل ايجابي . وقد اظهرت سجلات الشهداء صحة فرضيتنا اذ توزع معظم الشهداء حول مهن بسيطة ومتواضعة وذات مستوى منخفض ، ولم يكن هناك تكافؤ في توزيع الشهداء على السلم المهني . وهناك بعض المهن التي لم ترد مطلقا في ميزان الشهداء المهني . اشارت الاحصاءات الى أن اقل من نصف شهداء الثورة بقليل (٤٥،١ ٪) وشهداء فتح (٤٤،٧ ٪) وشهداء المنظمات الاخرى (٤٧،٣ ٪) هم من العمال المهنيين والعمال اللامهنيين (العمال الذين لا يتقنون أية مهنة) ، وان اعلى نسبة من شهداء الثورة هي من العمال اللامهنيين (٢٣،٨ ٪) . اما العمال المهنيون فكانوا اصحاب مهن متواضعة لا تتطلب كفاءة تقنية عالية ، منها : بلاط ، سنكري، طوبرجي ، مواسرجي ، نجار ، خياط، حداد ، دهان ، وميكانيكي . الفئة الثالثة الكبيرة من شهداء الثورة والتي تحتل المرتبة الاولى مع فئة العمال اللامهنيين هي فئة الطلاب . فقد بلغت نسبة شهداء هذه الفئة (٢٣،٥ ٪) من شهداء الثورة ، و(٢٤،١ ٪) من شهداء فتح ، و(١٩،٤ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى .

يمكن القول اذن ان العمال والطلاب هم عماد الثورة اذ يشكلون معا اكبر قطاع من شهدائها (٦٨،٨ ٪) . ولم تحدد مهن (١١ ٪) من شهداء الثورة. يبقى لدينا (٢٠ ٪) من الشهداء موزعين على المهن التالية: (٦،٧ ٪) من المزارعين، (٥٥) من العسكريين . ؛ منهم ٢ ٪ من الفدائيين السابقين) ؛ ٤،٤ ٪ من الموظفين (وظائف بسيطة : كاتب ، حاجب ، مراسل) ؛ ١،٦ ٪ من التجار الصغار (صاحب محل نوفوتيه ، صاحب مقهى ، بقال ، صاحب محل تصوير الخ ..) ؛ ٠،٨ ٪ من المعلمين ؛ ٠،٥ ٪ من ذوي التخصص العالي (مهندس ، طبيب ، صيدلي ، صحافي) ؛ ٠،٣ ٪ لا مهنة لديهم (كانوا عاطلين

عن العمل باستمرار) . في الواقع ، كنا نتوقع ان تكون نسبة المعلمين اكبر مما هي بعشرة اضعاف على الاقل ، خاصة اذا قيست بنسبة الطلاب . وكنا نتوقع ان تكون نسبة العاطلين عن العمل اكبر مما هي بكثير ، خاصة بعد التهم الكثيرة التي ترددت حول كون الثورة مأوى للعاطلين عن العمل . أما نسبة المزارعين فتبدو معقولة نظرا للانخفاض الهائل في نسبة المزارعين الفلسطينيين بعد ضياع فلسطين . واذا قارنا نسبة المعلمين الذين استشهدوا بنسبة التجار الصغار لوجدنا امرا غير متوقع ، اذ بلغت نسبة التجار الصغار الشهداء ضعف نسبة المعلمين . الامر المتوقع هو ان تكون نسبة المعلمين اضعاف نسبة التجار الصغار ، لان المعلمين يعالجون الامور الفكرية ولان مادتهم تربوية حياتية سياسية ومثالية ، بينما يهتم التجار بعملهم المحدود والبعيد عن الفكر والسياسة . (انظر الجدول رقم ٤) .

الجدول رقم (٤)

المهنة	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
مزارع	٧،١	٤،٢	٦،٧
عامل	٢٣،٤	٢٦،٥	٢٣،٨
مهني	٢١،٣	٢٠،٨	٢١،٣
طالب	٢٤،١	١٩،٤	٢٣،٥
موظف	٤،١	٦،٧	٤،٤
مدرس	٠،٨	١،٠	٠،٨
عسكري (جندي ، ضابط وفدائي)	٥،٥	٥،٣	٥،٥
تخصص عال	٠،٦	٠،٠	٠،٥
تاجر صغير	١،٥	٢،٤	١،٦
لا مهنة له	٠،٤	٠،٣	٠،٣
غير معطى	١٠،٧	١٣،٠	١١،٠
المجموع	٩٩،٥	٩٩،٦	٩٩،٤

٥ ــ مكان الاستشهاد : الفكرة الاساسية من وراء معرفة مكان الاستشهاد هي معرفة نسبة الذين استشهدوا في معارك مع العدو الصهيوني ، ونسبة الذين قتلوا بأيد عربية، في مدن عربية ، وبطريقة الغدر والطعن في الظهر .

لم تثبت الفرضية القائلة بأن النظام العميل في الاردن قتل ضعف ما قتلته اسرائيل من مناضلي الثورة الفلسطينية من ناحية عددية ، لكن يمكن اثبات ان الفدائيين الذين قتلوا على يد العملاء في الاردن يساوي اضعاف الفدائيين الذين قتلوا في معارك مواجهة مع الاسرائيليين من ناحية نسبية زمنية. فقد أظهرت سجلات الشهداء ان النظام الاردني العميل قد اغتال (٣٨،٥ ٪) من شهداء فتح ، و(٧٦،٣ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى في قطاع الاردن ، و(٤٣،٧ ٪) من مجموع شهداء الثورة . اما اسرائيل فقد قتلت (٥٤،٧ ٪) من شهداء فتح ، و(١٥،٥ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى في قطاع الاردن و(٤٩،٣ ٪) من مجموع شهداء الثورة . فاذا اضفنا الفدائيين الذين قتلوا على ايدي عناصر لبنانية عسكرية ومدنية ، نجد ان (٤٥ ٪) تقريبا من شهدائنا قد اغتيلوا في مدن عربية وبرصاص جيوش عربية ، بينما استشهد في الارض المحتلة (٥٠ ٪) تقريبا من شهدائنا ، ولم يحدد مكان استشهاد (٥ ٪) من شهدائنا ، لكن مكان الولادة ومكان الاقامة يرجحان انهم استشهدوا في الاردن . وهكذا تكون اسرائيل والنظام الاردني

(بشكل رئيسي) قد تقاسما قتل مناضلينا (انظر الجدول رقم ٥) . هذه هي الصورة العددية . لكن هذه الصورة لا تصف الواقع ولا تظهر الحقيقة اذا لم تربط بالعامل النسبي الزمني . فقد استغرق استشهاد (٥٠ ٪) من مناضلينا في اسرائيل فترة ست سنوات (٦٥/١/١ الى ٧١/١٠/٣٠) تخللتها المئات من عمليات الاستطلاع العسكري وعمليات المواجهة والعمليات القتالية ضد القوات الاسرائيلية ، وتخللها اول نصر عربي على اسرائيل خلال ٢٣ عاما من الصراع ، وذلك في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ . اما النصف الاخر من مناضلينا فقد اغتيل في الاردن في فترات زمنية لا تتجاوز في مجموعها الثلاثين يوما . اي ان الاردن استطاع خلال شهر قتل ما عجزت اسرائيل عن قتله خلال ٧٢ شهرا . هذا باستثناء شهدائنا من المدنيين ، وخاصة النساء والاطفال ، وباستثناء الطريقة الوحشية التي اغتيل بها مناضلونا : اطلاق الرصاص في الظهر، الذبح ، السحق بالدبابات والشنق .

نستنتج من هذه الحقائق ان النظام الاردني ، وليس اسرائيل ، هو الذي لعب الدور الرئيسي في تحطيم المقاومة الفلسطينية ووقف اندفاعة الثورة . وهناك دليل حسي على ذلك : لقد سقط اول شهيد للثورة ، احمد موسى ، في اول اسبوع من انطلاقة الثورة (٦٥/١/٧) برصاص الجيش الاردني بعد عودته من عملية في الارض المحتلة. وسقط اول شهيد في قطاع لبنان ، جلال كعوش (٦٥/١٢/٢٦) تحت التعذيب على يد الاستخبارات اللبنانية بعد عودته من عملية في الارض المحتلة .

الجدول رقم (٥)

مكان الاستشهاد	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
الاردن	٣٨،٥	٧٦،٣	٤٣،٧
لبنان	١،٣	١،٠	١،١
الارض المحتلة	٥٤،٧	١٥،٥	٤٩،٣
غير معطى	٥،٣	٧،١	٥،٧
المجموع	٩٩،٨	٩٩،٩	٩٩،٨

٦ ــ **استنتاجات عامة** : ١ ــ ليس هناك اي اختلاف في تكوين ونوعية شهداء فتح وشهداء المنظمات الاخرى ، انما الفارق الوحيد هو في الكمية (عدد الشهداء وعدد المقاتلين) وليس في النوعية او الخلفية الاجتماعية ــ الاقتصادية للمقاتلين . وهذا دليل على وحدة نواة الثورة ووحدة عناصرها المقاتلة . كما ان هذه الحقيقة تلغي ادعاء اية منظمة بأنها تمثل الجماهير الكادحة المسحوقة دون غيرها .

٢ ــ رغم ان الثورة الفلسطينية ثورة وطنية وهدفها قومي (تحرير الارض واستعادتها)، فان طبقة واحدة او فئة واحدة من الشعب الفلسطيني هي التي قاتلت وتقاتل من أجل التحرير ، وهي طبقة العمال الكادحة المسحوقة (٨٢ ٪ من الشهداء من سكان المخيمات) . ورغم ان نسبة الطلاب الذين استشهدوا توازي نسبة العمال اللامهنيين، الا ان الغالبية الساحقة من هؤلاء الطلاب هم ابناء عمال وفلاحين ، اي ابناء الطبقة الفقيرة المسحوقة . فاذا كانت الثورة الفلسطينية ثورة وطنية ذات هدف قومي ، واذا كانت كل فئات الشعب الفلسطيني لها مصلحة في التحرير ، فلماذا تقاتل فئة واحدة نيابة عن كل الفئات الاخرى ؟ لماذا يكتفي بعض الفلسطينيين بدفع الفلوس بينما يقدم فلسطينيون آخرون دماءهم للحصول على نفس الشيء ؟ واذا كانت الارض « للسواعد التي تحررها » فمن الواضح لمن الحق في الارض بعد التحرير .

٣ ــ بناء على الاستنتاج الثاني ، واذا كانت الثورة ستتحول الى حرب تحرير شعبية ، يجب تعديل الصورة الحالية اما بفرض الخدمة الاجبارية ، او بايجاد نظام تمثيل يكون بموجبه لكل عائلة فلسطينية بعض المناضلين في صفوف الثورة . واذا لم يحدث هذا يجب ان نسمي الاشياء بأسمائها ، فتصبح الثورة الفلسطينية ثورة الطبقة الكادحة على الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الصهيوني والعربي الذي تخضع له .

٤ ــ في ضوء استشهاد نصف مناضلي الثورة في مدن عربية وبأيد عربية وفي ظل انظمة عربية رجعية عميلة ، لا يمكن للثورة الاستمرار في محاولة كسب تأييد هذه الانظمة والاعتماد عليها في مجالي المال والسلاح وفي مقاتلة « العدو المشترك » ، لان كما يبدو جليا من وقائع السنين الاربع الماضية لم تعد اسرائيل « العدو المشترك » ، بل ربما اصبحت الثورة الفلسطينية « العدو المشترك » . فاذا لم يتغير الواقع العربي الحالي فان اي كلام عن الوحدة الوطنية العربية وقومية المعركة يكون كالهواء في الطاحون . ولا يبقى من سند للثورة سوى الجماهير العربية الكادحة والمسحوقة .

صدرت الدراستان التاليتان عن مركز الابحاث

لبـــاسم سرحـــان

السعر ل.ل.

ــ الجالية الاميركية في لبنان والمشكلة الفلسطينية (بالعربية وبالانجليزية) ١

دراسة مبنية على مجموعة من الاسئلة وجهها المؤلف الى مجموعة من الاميركيين المقيمين في لبنان لمعرفة مدى وعيهم بالقضية الفلسطينية . ومصادر استقاء معلوماتهم قبل قدومهم الى لبنان وبعده والتغير في آرائهم من جراء ذلك ، وموقفهم من القضية الفلســـطينية وحلولها المقترحة .

ــ اطفال الفلسطينيين : جيل التحرير (بالانجليزية) ١

وهي دراسة سوسيولوجية لها هدفان رئيسيان هما : ١ ــ دراسة مدى الوعي الوطني والشخصي المميز للاطفال الفلسطينيين الذين ولدوا خارج فلسطين . ٢ ــ معرفة درجة ارتباط هؤلاء الاطفال بوطنهم الام ومدى استعدادهم للتضحية في سبيله . وتقوم الدراسة على ٥٠ طفلا اختيروا عشوائيا من لبنان والاردن من داخل المخيم ومن خارجه .

لقاء مع مكسيم رودنسون

داود تلحمي

مكسيم رودنسون من مواليد باريس عام ١٩١٥ وهو عالم اجتماعي ومستشرق ومدير دراسات في الكلية العملية للدراسات العليا (السوربون) . ورغم انه مختص بشكل محدد بتدريس لغات الحبشة وجنوب الجزيرة العربية القديمة ، الا انه نظرا لالتزامه السياسي ومنشئه اليهودي الاصل ، سرعان ما انكب على دراسة قضايا الشرق عامة، وقضية فلسطين بالذات ، وهو اليوم من كبار المطلعين على جذورهـا التاريخية وتطوراتها . وله مؤلفات ومقالات عدة معظمها ثمرة ابحاث دقيقة واحيانا بالغة التحديد (كدراسة من عشرين صفحة حول اللفظ القديم للقاف العربية) ترجم بعضها للانكليزية (ككتابه الاخير حول « اسرائيل والرفض العربي ») ولغات اخرى كالايطالية والعربية (كتاب « الاسلام والراسمالية » ومقالات متفرقة) . ويساهم كذلك في وضع « موسوعة الاسلام » التي تصدر بالانكليزية والفرنسية . كما اسس ويدير « مجموعة الابحاث والعمل من اجل حل للمسالة الفلسطينية » . وقد وجهت له شؤون فلسطينية اسئلة محددة حول قضية فلسطين والمشكلة اليهودية التي يلم بها بالطبع بحكم ظروف تاريخية على حد تعبيره . اجاب عليها بصراحة ، ورايئا ان ننشرها بصدق كما هي ، رغم ما قد يجد القارىء من اختلاف بين قناعاته ومواقف الاستاذ رودنسون ، ايمانا منا بضرورة الاطلاع على كافة الاراء المطروحة حول قضايانا لتغذية الحوار الدائر في هذه الفترة الصعبة من نضال شعبنا الطويل على طريق التحرير ، ولتعميق فهمنا لمعسكر العدو وبشكل اعم للمشكلة اليهودية وعلاقتها مع الصهيونية واسرائيل . وسنضيف في نهاية الاجابات بعض الملاحظات حول مواقف الاستاذ رودنسون وبعض ما جاء في كلامه .

د. ت.

ما هو موقفك من : الماركسية ، اليهودية ، الصهيونية ؟

الاسهل أن ابدأ باليهودية . فهي دين ، وبما اني لا ديني ــ مع احترامي لكافة الاديان واليهودية احدها لا اكثر ولا اقل ــ فلا علاقة خاصة لي بها . لكن ربما لانتماء اسلافي الى هذا الدين اشعر ببعض الاهتمام العاطفي بما يتعلق باليهود بشكل عام ، خاصة وان البعض يطلق عليّ هذا اللقب مهما كان موقفي من الدين . وكان هذا وضع والديّ اللذين قتلهما النازيون من غير ان يكون لهما ــ منذ طفولتهما ــ اي انتماء لتنظيم يهودي محض .

فيما يتعلق بالصهيونية يتحتم علي لنفس الاسباب ان أحدد موقفي . فبشكل عام كنا ، والداي وانا ، معادين للصهيونية ، اي اننا لم نرغب في الانتماء لدولة يهودية محض . وانا اعتبر نفسي فرنسيا ، والشعب الفرنسي هو الشعب الوحيد الذي اعتبر من واجبي الاخلاص له بشكل خاص . فلغتي اللغة الفرنسية وثقافتي أساسا ثقافة فرنسية ، وأنا استطيع الانشاد بالفرنسية بينما لا اعرف اية اغنية عبرية او ايديشية . فأنا اذا معاد

للصهيونية ، الا اني اتساءل احيانا اذا كان عدائي مطلقا للفكرة التي حملها بعض اليهود بانشاء دولة لهم . في العام الماضي ، دعيت الى مؤتمر قرب شيكاغو عقده بعض الامريكيين من اصل عربي ، وهناك سمعت رجلا متدينا جدا يدعى « فاروقي » يقول في خطابه انه معاد للصهيونية بشكل مبدئي بغض النظر عن احتلالها لفلسطين وان عداءه لن يتغير اذا قامت الدولة اليهودية في القمر . وهنا تدخلت مشيرا الى عدم معارضتي شخصيا لفكرة الدولة اليهودية في القمر — مما اثار ضحك الحاضرين — ولكنني تراجعت بعض الشيء ، لانني ادركت ان انشاء دولة يهودية حتى في القمر يؤثر على وضعي كمواطن من اصل يهودي مندمج في المجتمع الفرنسي . الا انني على استعداد لقبول هذا الوضع الجديد لو جاءت الصهيونية بحل حقيقي لمشكلة مجموعة من اليهود . ولكنها اقامت دولتها — وهذا مأخذي الرئيسي عليها — على حساب العرب عامة والفلسطينيين خاصة . وكل ما عدا ذلك ثانوي وقابل للمناقشة . فلو قررت مثلا مجموعة من الشاذين جنسيا اقامة دولة خاصة لذوي الشذوذ في احدى جزر المحيط الهادىء ، فان الموضوع كذلك قابل للنقاش .

واخيرا بالنسبة للماركسية لقد كنت في الماضي وخلال فترة طويلة عضوا في الحزب الشيوعي ، ولكني ابتعدت عنه ، واعتبر الان نفسي ماركسيا مستقلا . وهذا التعبير بحاجة الى تفسير لا مجال له هنا . حين استعملت نفس التعبير في احدى محاضراتي بالقاهرة منذ عامين ، طرح علي احد الحضور الاذكياء استفسارا حوله (واعتقد انه ابراهيم سعد الدين) . فامتنعت عن الاجابة في حينه لان الموضوع يحتاج الى تفكير طويل ، وسأرد عليه في كتابي الذي سيصدر قريبا . ببضع كلمات ، استطيع القول ان بعض القوانين الاجتماعية التي اكتشفها ماركس ، على الصعيد العلمي ، تبدو لي الان من المسلمات . وعلى الصعيد الايديولوجي ، فان القيم العليا التي دافعت عنها الماركسية — على الاقل نظريا وليس دائما في التطبيق — هي القيم التي احاول الاخلاص تجاهها . فالاممية وخدمة الانسانية تبدو لي افضل من القومية في خدمة شعب دون الشعوب الاخرى ، ومن الفكر الديني الذي لا تسمح لي شكوكي العديدة تجاهه الاستعاضة عن المثل العليا الانسانية به .

في مقالاتك ومحاضراتك العديدة ، وخاصة في مقال ((الازمنة الحديثة)) بعنوان ((اسرائيل، واقع استعماري ؟)) وفي كتابك ((اسرائيل والرفض العربي)) ، حددت تحليلك ومواقفك في المسالة الفلسطينية ، فهل بالامكان تلخيص هذه المواقف للقارىء على ضوء التطورات الاخيرة في المنطقة العربية وفي اسرائيل نفسها ؟

هذا موضوع واسع . سأكتفي بالخطوط الرئيسية ، لان التحليل الشامل يقتضي خاصة تحليلا دقيقا للوضع الراهن ، وهذا امر شاق ويحتاج لوقت طويل . بشكل عام ، لم تتغير مواقفي حول اسس الصراع : ما زلت اعتبر دولة اسرائيل ظاهرة استعمارية ، وكما اردد دائما ، فان فلسطين كانت عام ١٨٩٠ بلدا عربيا بقدر ما فرنسا بلد فرنسي . وفي هذه الفترة ، قام هرتزل بتأسيس حركته الداعية الى خلق دولة يهودية في فلسطين ، ولم يكن امامه لتحقيق هذا الهدف الا اسلوبان : اما قمع السكان والسيطرة عليهم ، او طردهم . ولم يكن هناك اسلوب آخر ممكن ، وهذا ما حدث فعلا . حينذاك ، يقال لي ان الاعتراف بالطبيعة الاستعمارية لاسرائيل يقتضي ازالة الاستعمار وذلك في منطق حركة تحرر الشعوب اليوم . وقد اجبت في مقالي المذكور وفي الكتاب بشكل مطول على هذا الطرح بالقول بأن ازالة الاستعمار تحتمل اكثر من معنى واحد . فالاستعمار يزول ، بشكل عام ، اذا زالت كافة علاقات السيطرة والاضطهاد والاستغلال . وهذا لا يقتضي في حالة الاستعمار الاسكاني ، ان يطرد السكان الجدد ويعادوا الى مناطقهم الاصلية ، او ان يصبحوا هم بدورهم تحت سيطرة السكان الاصليين . هناك اذا اساليب متعددة

لازالة الاستعمار ــ بالمعنى الذي حددت ــ وانا شخصيا افضل ، بحكم طابعي المسالم ، الاسلوب الذي يقتضي اقل التكاليف في الارواح ، سواء بين المضطهدين (بفتح الهاء) او المضطهدين (بكسر الهاء) . لان المضطهد ليس مضطهدا بشكل مطلق وازلي ، والانسان قد يجر بحكم ظروف او ايديولوجيات الى ممارسة الاضطهاد ، وكافة شعوب العالم مرت بمراحل مارست فيه اضطهاد الآخرين او عانت منه .

وباختصار ، اعتقد ان مطاليب الشعب الفلسطيني بحد ذاتها عادلة ومحقة . فهو شعب جرد من ارضه بفعل الحركة الصهيونية ، ومن الطبيعي ان يثور على هذا المصير . وهذا ما كنت احاول باستمرار اظهاره في محاضراتي قبل ١٩٦٧ ، اذ ان الراي العام الفرنسي كان جاهلا تماما لجذور التمرد العربي ، وكان يعتقد ان رفض الوجود الاسرائيلي عائد الى التعصب الديني او العنصري وما شابه من غرائز شريرة . وكنت اردد أن رد الفعل الفلسطيني والعربي ليس شاذا ، ولو تعرضت شعوب اخرى لنفس المصير لما اختلفت ردود فعلها . وانا أكرر اليوم ان المطالب الرئيسية للشعب الفلسطيني ــ ولا اتكلم هنا عن الاشكال الخاصة التي تتجسد فيها ، اي الاستراتيجية والتكتيك ــ هذه المطالب لا يمكن ان تلغى او تبطل طالما هناك فلسطيني واحد على وجه الارض .

ما رايك في تحليلات وشعارات منظمات المقاومة الفلسطينيـــة ، خاصة فيما يتعلق بالمسالة اليهودية ومصير المجموعة اليهودية في فلسطين ؟

هنا يكمن الاختلاف بين وجهات نظرنا ، واخص بالذكر البرامج التي قدمتها مختلف المنظمات الفلسطينية ، واسمح لنفسي بأن اجدها غير كافية . ولست بصدد الدخول في جدال حول هذا الموضوع مع ممثلي الشعب الفلسطيني ، فأنا اعتقـــد ان الشعب الفلسطيني من خلال تجارب شاقة وبطرق اصح كفيل بأن يحدد كل ما تقتضيه معركته . وبالانتظار ، سأحاول ان اشرح النقاط التي اعتبرها غير كافية وغير مقنعة لي .

لا بد من الاعتراف اولا بأن الشعارات الحالية تعتبر تقدما ملموسا على كل الشعارات التي سادت قبل ١٩٦٧ ، ولكنها كما قلت ليست الافضل . وقد حاولت التفكير طويلا في هذا الموضوع ، وخرجت باستنتاج اولي ان هناك مغالطات في اساس هذه البرامج تعود في الغالب لعدة عوامل : منها ضرورة تعبئة الجماهير ، وثم مفهوم شرق اوسطي خاص للطائفة الدينية لا ينطبق على الوضع الاسرائيلي حسب تقديري .

وقد قرات مؤخرا من جديد تصريحات لقادة فلسطينيين في نفس الاتجاه . فقد نشرت مجلة « القارات الثلاث » الكوبية في عدد اكتوبر مقابلة مع ياسر عرفات حيث يقول : « تعودنا ان نقول ان هناك جنسين Nationalités في اسرائيل ، الجنس العربي والجنس الاسرائيلي . وفي الواقع هناك ثلاثة اجناس : العربي واليهودي الشرقي واليهودي الغربي » . ولا اعلق الان على موضوع اليهود الشرقيين والغربيين ، وانما الاحظ في رد عرفات على سؤال آخر ما يلي : « والحل لهذه المشكلة تقدمه الثورة الفلسطينية التي تهدف الى اقامة دولة فلسطينية حيث يستطيع اليهود والمسلمون والمسيحيون ان يعيشوا بسلام تحت ظل المساواة والحرية » . وقد قرات كذلك تصريحا ليوسف صايغ يقول فيه ان اليهود ــ اي يهود اسرائيل ــ « شكلوا مجتمعـــا Communauté في بلدنا بتدمـــير مجتمعنا ، اما نحن فنهدف الى اعادة مجتمعنا الى وطنه دون تدمير مجتمعهم ، وطموحنا اذا هو تواجد المجموعتين على اساس تعايش متناسق » .

وبرايي ان هناك تناقضا في هذه المواقف ، يظهر خاصة في تصريح ياسر عرفات . فهو يذكر اولا ان هناك جنسين في فلسطين ثم يتكلم عـــن تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود . والتقسيمات الثلاثة الاخيرة تخص طوائف دينية وليس جنسيات او قوميات . ويبدو لي ان هذا الراي لا ينطبق على واقع اسرائيل . لقد اعتاد العرب ، وهي عادة

راسخة ومخلصة بدون شك ، أن يعتبروا اليهود طائفة دينية . كان هذا صحيحا في الاساس ، وما زال صحيحا بالنسبة ليهود دول المشرق خاصة والى حد ما بالنسبة ليهود الولايات المتحدة (كنت أرى دائما في تركيب المجتمع الامريكي — لاسباب أجهلها جزئيا لاني لا اعرف الوضع جيدا — تركيبا مشابها للمجتمع اللبناني . فليس الانسان هناك امريكي فقط ، كما اننا هنا فرنسيون فقط ، بل امريكي عن طريق مجموعة قومية أو دينية أو قومية — دينية . فنحن نقرأ احيانا في الصحف اخبارا نستغربها كتحالف الايطاليين والبولونيين ضد اليهود والايرلنديين في انتخابات بلدية نيويورك مثلا) .

اعود للموضوع الاساسي فأقول ان على العرب ان يحللوا وضع الكيان اليهودي بشكل دقيق ، وليس هذا بالطبع شيئا سهلا . ففي فلسطين التاريخية ، لا يشكل اليهود الاسرائيليون طائفة دينية حسب رأيي . وتحديد هويتهم ليست سهلة : فربما كانوا شعبا جديدا ، أو قومية او مجموعة Ethnie يهودية — اسرائيلية (أو أية تسمية اخرى) ذات ثقافة مميزة . ولا نستطيع ان نجزم من جهة أخرى ان هذه المجموعة ستستمر ابديا كما هي ، فلا مجال للتنبؤ هنا ، ولا يستحيل ان تنفرط كما تشكلت حديثا . ولكننا نتكلم الان عن الحاضر . وواقع الاسرائيليين اليوم ليس دينيا ، فالعديد منهم ليسوا متدينين ويعانون كثيرا من سيطرة العناصر المتزمتة دينيا على المجتمع الاسرائيلي .

واذا اعترفنا بتواجد مجموعتين على أرض فلسطين التاريخية ذات ثقافتين مختلفتين ، فالحل لا يمكن ان يكون في حرية الممارسة الدينية التي تقدمها البرامج الفلسطينية . لنأخذ مثلا وضع قبرص حيث يعيش شعبان (أو قوميتان او مجموعتان ثقافيتان اذا شئت) اليونانيون والاتراك . هم بالطبع ينتمون الى دينين مختلفين ولكن هذا ليس العنصر الحاسم في الخلاف القائم . ومن المؤكد ان اعطاءهم الحرية الدينية لن يحل المشكل على الاطلاق .

فمن البديهي اذا أن تواجد « قوميتين » أو اكثر في بلد واحد يقتضي لتفادي قمع احداها للاخرى تمثيل كل مجموعة قومية على المستوى السياسي كمجموعة مميزة واعطائها امكانية الدفاع عن مصالحها وأهدافها .

لنأخذ مثلا آخرا : الاتحاد السوفياتي حيث تتواجد أكثر من مائتي قومية او عدد كهذا . لا ادعي على الاطلاق — بل بالعكس — ان مشكلة تعايش هذه القوميات قد حلت نهائيا . ولكن على الاقل ، حاولت الدولة السوفياتية ايجاد حل نظري ، فعددت القوميات والمجموعات الثقافية — وربما ليس على الشكل الامثل — وأوجدت برلمانا خاصا يحمل اسم سوفيات القوميات الى جانب السوفيات الاخر حيث التمثيل نسبي بغض النظر عن القومية والجنس . واكرر ان هذا الحل النظري لم ينه في الغالب كل المشاكل ، ولكنه على الاقل يحاول تحسسها والاجابة عليها . وهذا ما لا أراه في البرامج الفلسطينية .

كلمة أخرى حول بلد آخر : لبنان . أعلم ان العديد من العرب واللبنانيين يحتجون ضد الطائفية والتمثيل النسبي في أجهزة الدولة حسب الطوائف . وأنا أقف معهم مبدئيا ، رغم اني اتساءل اذا لم يكن هذا الوضع انعكاسا للواقع اللبناني ، واذا ما كان الغاؤه فورا سيجري نوعا من الامتيازات لطائفة على اخرى . هذا مع أننا هنا نواجه تعددا في الطوائف الدينية وليس القوميات ، اذ ان اللبنانيين جميعا ذوو ثقافة عربية واحدة ، وهذا بالطبع ليس وضع فلسطين .

لقد حاولت التفكير مليا بموضوع البرامج الفلسطينية وطرحت على نفسي السؤال التالي : ما هو هدف أي برنامج ؟ وقد وضعت حتى الان أربع اجابات لتحديد فائدة البرنامج : **اولا** — يحاول البرنامج ان يكون مخططا لحل مثالي . وفي هذه الحال استنتج

من كل ما ذكرت أعلاه بأن الحلول المطروحة لا تتفق مع هذا المفهوم ، لانها لا تضمن لكافة الاطراف التمثيل الجماعي للدفاع عن مصالحها وأمانيها . **ثانيا** ــ يطرح البرنامج حلولا قابلة للتحقيق . وفي هذا الحال ، تبدو لي الحلول الفلسطينية غير قابلة للتحقيق على الاطلاق على الاقل في الوقت الحاضر ، وربما يتغير الوضع في المستقبل ، ولكن كما قال احد المتعاطفين مع الفلسطينيين جيرار شاليان ان ما سيجري بعد ٢٥ عاما لا يهمني كثيرا فليس علي أن أخطط بتحديد لمستقبل بهذا البعد . وفي الحاضر ، كما يقول المصريون ، تقف الدبابات الاسرائيلية على بعد كيلومترات من دمشق والقاهرة ، ولن تجد العروض الداعية الى انشاء دولة لا يمثلون فيها بشكل سياسي اي صدى لديهم . على اي حال ، فقد تتغير الامور ، وهذه مهمة المخططين السياسيين والعسكريين ، الا ان هذا هو الواقع الحالي . **ثالثا** ــ يعتبر البرنامج ملائما بقدر ما يساهم في التعبئة والدعاية . وفي هذا الصدد لا بد من الفصل في الاجابة حول تأثير البرنامج بين الفلسطينيين والعرب الآخرين ، فالعالم الخارجي (وسأتكلم هنا عن الاوروبيين الذين أعرفهم أكثر من غيرهم من الشعوب) بالنسبة للفلسطينيين يبدو لي انه نجح فعلا في تعبئتهم الى حد بعيد . أما بالنسبة للشعوب العربية الاخرى فالامر يبدو اقل وضوحا . فبما أن تحقيق هذا البرنامج سيكون ــ حسب اصحابه ــ عبر حرب ثورية شاملة وشاقة ستأتي بدون شك بخسائر جسيمة في الارواح والممتلكات ، اسمح لنفسي بالشك في استعداد العرب ــ اشقاء الفلسطينيين ــ لمواجهة هذا الاحتمال . أعلم ان هناك من يتهم الانظمة العربية المتاخمة لفلسطين والمتخوفة من هذا الاحتمال ، بانها بورجوازية صغيرة او رجعية او ما شابه ذلك . لكني اعتقد ان السكان البسطاء في كافة هذه البلدان ــ بغض النظر عن أنظمتهم ــ غير متحمسين لهذه الحرب . صحيح انهم يتحمسون أحيانا خاصة اذا كان الخطر بعيدا ــ وهذا شيء دارج في العالم العربي الذي لم يعرف الحروب الشاملة التي عرفناها في اوروبا والتي كلفت عشرات الملايين من الارواح ــ . وهنا اذكر ما قاله الدكتور لوران غاسبار* حول سكان القدس قبل ايام من اندلاع حرب ١٩٦٧ : كانوا يستمعون بنشوة الى البرامج الحماسية للاذاعات العربية ، وحين اشار عليهم بضرورة الاستعداد وحفر الخنادق ، كانوا ينظرون اليه بتعجب وكأن الحرب ستجري في قارة أخرى . وحين تقترب الحرب فعلا ، يبدو لي ان الامر يتغير ــ واحداث جنوب لبنان تظهر ذلك ــ ، والاخوة مع الفلسطينيين تتوقف عند حدود ارسال سيدات الجمعيات الخيرية الى المخيمات . اما بالنسبة لفعالية البرنامج بالنسبة لاوروبا ، فأعتقد انها تكاد تكون معدومة ، الا بالنسبة لبعض اليساريين المتطرفين . ذلك اننا من خلال تجارب مباشرة وغير مباشرة ، نما الشك عندنا حول امكانية تعايش المجموعات القومية ، وأمامنا اليوم مثل ايرلندة الشمالية من جهة وباكستان من جهة اخرى . فما عدا بعض المجموعات الثورية المشبعة بالايديولوجيات ، فلا أحد تقريبا يؤمن بفعالية هذا البرنامج . فالاوروبي يرى ان الفلسطينيين بطرحهم لهذا البرنامج اما يحاولون خداعنا او هم مخدوعون انفسهم . **رابعا** ــ البرنامج مفيد من حيث تأثيره السياسي . وهنا ايضا لا بد من الفصل بين الفلسطينيين والعرب والاجانب. بالنسبة للفلسطينيين والعرب فالموضوع يحتاج الى طرح مطول حول مواقف وردود فعل الدول العربية سأتجنب الخوض فيه لتعقيده وعدم استكمال المعلومات لدي . اما فيما يخص الاوروبيين ، فالتأثير السياسي كما ذكرت اعلاه محدود في أوساط ضيقة . فهناك مثلا بعض اليمينيين واللاساميين والانصار العاطفيين ، وقد رأيت منهم في بريطانيا من

---

* لوران غاسبار طبيب المستشفى الفرنسي بالقدس وصديق للشعب الفلسطيني . نشر في دار ماسبرو كتابين: « تاريخ فلسطين » و« فلسطين عام الصفر » .

حفظة تقاليد لورانس عدة سيدات من « المجتمع الراقي » . وهؤلاء في الغالب يؤيدون العرب على اساس ان البرنامج الفلسطيني غير صادق وان اليهود سيطردون في النهاية . وهناك ايضا بعض الاوساط اليسارية المتطرفة التي تقبلت هذا البرنامج كالماويين مثلا .

وهنا أطرح السؤال على الفلسطينيين : هل هذه هي الاوساط التي ترغبون في كسبها ؟ وفي حال كسبها هل يعتقد السياسيون الفلسطينيون انهم راهنوا على الحصان الرابح ، وان هذه المجموعات ستصل الى الحكم قريبا في أوروبا ؟ وهنا اسمح لنفسي بالشك في احتمال تحقق هذا الامر .

كيف تنظر إلى تطورات المسالة اليهودية في العالم (الدول الراسمالية ، الاتحاد السوفياتي ، فلسطين المحتلة الخ.) خاصة فيما يتعلق باستمرار تواجد اللاسامية من جهة وسيطرة الصهيونية على المجموعات اليهودية من جهة اخرى ؟

هذا أيضا موضوع شاسع وساكتفي بالخوض في قضايا عامة . لا بد من القول أولا بأن الدور الذي لعبته اللاسامية باتجاه تجميد الكيان اليهودي ، تحول اليوم على الصهيونية. استعملت كلمة كيان ولم استعمل كلمة طائفة ، لان بلداننا عديدة كفرنسا لا ينطبق على وضع يهودها اسم الطائفة . فالطائفة الدينية اليهودية في فرنسا قبل الحرب الاخيرة (قبل ١٩٣٩) كانت أقلية بين من يطلق عليهم بشكل اوسع لقب اليهود . وهذا يعني ان قسما كبيرا من اليهود لم يكن متدينا وكان مقطوع الاوصال مع الطائفة التي نشأ فيها ، رغم ان البعض منهم حافظ على بعض الاثار على درجات متفاوتة . فمنهم من استمر في ممارسة بعض التقاليد اليهودية — كالامتناع عن أكل لحم الخنزير مثلا او تعطيل يوم السبت — لاسباب عاطفية . وآخرون فقدوا اية صلة باليهودية دينا وتقاليد ومجتمعا ، والبعض تبنى دينا آخر (المسيحية طبعا) ، وغيرهم حتى اتخذ كنية جديدة ليفقد آخر دلالة على انتمائه السابق. وهناك أخيرا من لم يكونوا يعلمون ان لهم أصولا يهودية. ولم يكن هذا الوضع شاذا في اوروبا . وهنا لعبت اللاسامية الدور الرئيسي في لمّ شمل مجموعة كادت تتناثر . ولم تلعب الصهيونية دورا يذكر في ذلك الحين لان اعداد الصهيونيين كانت ضئيلة في الاوساط اليهودية قبل ١٩٣٩ ، وكانوا محاربين من قبل المتدينين والملحدين على حد سواء . ومن كان صهيونيا حقيقيا هاجر الى فلسطين ، ولم يترك أثرا . كان هناك بالطبع بعض العطف على الصهيونية عند عدد من اليهود الا انه لم يتعد ، كما كان الحال بالنسبة للعرب تجاه الفلسطينيين في بعض الاحيان ، القاء بعض قطع النقود في صناديق التبرع عند بعض البقالين اليهود . ولم تكن هناك صورة واضحة للاستعمال المحتمل لهذه التبرعات (فالكثيرون كانوا يعتقدون انها تستهدف شراء الاراضي بشكل شرعي ومحدود) . فالمتبرع لم يتخذ اذا موقفا ملتزما بالصهيونية .

باختصار ، اذا قامت اللاسامية بدور الموقظ للشعور اليهودي عند العديد ممن ابتعدوا عنه . وقد مارس الالمان هذه التفرقة اثناء الاحتلال ولكن بعض السكان الفرنسيين مارسوها ايضا بشكل من الاشكال . فأتى رد فعل « اليهودي رغم انفه » رد فعل القابل لمصيره ، فعاد الى تبني يهوديته والتف فيما بعد حول الصهيونية وهذا موقف مفهوم انسانيا رغم اني والكثيرمن أهلي واصدقائي رفضنا هذا الموقف واخترنا الجنسية الفرنسية وفرنسا موطنا أولا وأخيرا لنا ، ورفضنا الخيار الاسرائيلي . ذلك اني اعتقد انه من الصعب المحافظة على الازدواجية في الولاء رغم ما يدعيه الصهيونيون.

أصبحت الصهيونية اذا بعد الحرب العالمية هي العنصر الجامع للكيان اليهودي . وتزايد العطف اليهودي على اسرائيل بعد ميلادها . وفي ١٩٦٧ ، ساهمت الدعاية العربية الديماغوجية الى حد كبير في استقطاب اليهود من جديد (وليس اليهود وحدهم) واظهار

وضع يهود اسرائيل بشكل يشابه وضع يهود اوروبا في الحرب العالمية . كان القليل منهم على علم بمدى قوة الجيش الاسرائيلي ومقدرته ليس فقط على الدفاع عن اسرائيل وانما على احتلال اراضي الدول المجاورة . وكان يصعب علينا حينذاك كثيرا ان نحاول طرح الموضوع على حقيقته ، وكانت تهمة النازية سهلة الاستعمال .

فيما يتعلق بأوروبا الشرقية ، فالمسألة مختلفة لاسباب عدة منها استمرار المشاعر اللاسامية في الاوساط الشعبية رغم ما يقوله الحكام الشيوعيون هناك عن تلاشيها . وقد ظهر ذلك خاصة اثناء الاحتلال النازي للاراضي السوفياتية (١٩٤١ — ١٩٤٥) ، حيث حاول النازيون بعث اللاسامية باستعمال الشعارات القديمة التي كانت تظهر الثوريين والشيوعيين بالذات يهودا مقنعين . وقد أدى ذلك فيما بعد الى محاولة الحكام الشيوعيين ابعاد هذه الصورة عن اذهان الشعب ، فعارضوا اظهار اليهود كمجموعة اضطهدت بشكل خاص خلال الحرب وعملوا على الحد من نسب اليهود بين المثقفين وخاصة في اوساط الحكم ، وجر ذلك الى التمييز على حساب اليهود . ويجب ان نشير ايضا الى طبع ستالين نفسه الذي دفعه الى شيء من اللاسامية . ولكن الصهيونية لعبت دورا رئيسيا في احياء اللاسامية ، لان ازدواج الولاء الذي تتضمنه كان لا بد ان يؤدي الى تأزم أوضاع اليهود ، وخاصة في بلد يشدد على ضرورة الولاء لايديولوجية الدولة . فأحد الاحداث التي اثارت لاسامية ستالين كان الاستقبال الحافل الذي لقيته جولدا مئير (وهي من أصل روسي) من قبل يهود سوفيات حين وصولها الى موسكو كأول سفيرة لاسرائيل في اواخر ١٩٤٨ . من جهة أخرى ، أدت سياسة القوميات في الاتحاد السوفياتي التي كانت جيدة مبدئيا ، في موضوع اليهود الى عكس ما رمت اليه ، وهو منع اندماج اليهود بخلق قومية يهودية — وذلك يتعارض مع تعريف ستالين نفسه للقومية عام ١٩١٣ — مع ان غالبية اليهود السوفيات كانوا في ظروف طبيعية قابلين للاندماج في القوميات التي يتبنون ثقافتها (روسيا ، اوكرانيا الخ..) . فالاحصائيات الاخيرة تظهر ان ٢٠ بالمئة فقط من اليهود السوفيات يتكلمون اليديش التي تعتبر لغة القومية اليهودية . هذا الوضع الشاذ دفع بعض اليهود الى النظر نحو اسرائيل كبلد مثالي نوعا ما مثل ما ينظر الامريكيون السود الى افريقيا . ذكرت في كتابي « اسرائيل والرفض العربي » حادثة رواها الصهيوني الفرنسي ايلي فيزل ، ففي زيارة له للاتحاد السوفياتي ، طلب منه بعض اليهود المسنين بلهفة ان يقدم لهم شيئا ما من اسرائيل ، فأخرج لهم احدى صحف اسرائيل ، فما كان منهم بعد ان رأوا العناوين التي تشبه عناوين اية صحيفة في العالم الا وصدوه متهمين اياه بأعمالة للبوليس السياسي السوفياتي الذي يختلق صحفا عبرية لاظهار اسرائيل بصورة بشعة . وهكذا اندفع بعض اليهود السوفيات الى احضان الصهيونية او على الاقل هم ينظرون بعطف الى اسرائيل . كل هذا بالطبع أثار حفيظة السلطات السوفياتية ، وأدى الى الاحداث التي نعرفها اليوم . (الوضع في بولونيا يختلف قليلا حيث أن اللاسامية استعملت كأداة في صراع بين عدة قوى على السلطة) .

وفي الختام أود الاشارة الى نقطة يخطىء العرب مرارا في موضوعها : الا وهي استعمال نعت الصهيونية . فهناك في اوروبا يهود تتفاوت آراؤهم ومواقفهم السياسية ولكنهم في غالب الاحيان متعلقون باستمرار وجود اسرائيل . ويجنح العرب حينذاك الى نعتهم بالصهيونية ، وهنا لا بد من التساؤل عن تعريف الصهيوني . فاذا عنى ذلك الاعتراف بوجود اسرائيل (التي هي بلا شك ثمرة الايديولوجية الصهيونية) فلقب الصهيونية يشمل اذا بودغورني وديغول وربما بعض القادة العرب . ونحن بالطبع نستطيع ان نعطي التعاريف التي نشاء ، ولكن يجب ألا نغلق أعيننا أمام الواقع . فهناك في هذه المواقف فروق كبيرة ، وتجاه اسرائيل أو الشعب الاسرائيلي اختلاف كبير في الآراء ضمن هذا

المفهوم . ونعتهم جميعا بالصهيونية موقف سهل ويحول دون اداء العرب لمهامهم الدعائية بشكل مفيد . فبعض هؤلاء الناس الذين يقرون بوجود اسرائيل لا يمانعون في ظروف اخرى في ادانة بعض ممارسات الحكم الاسرائيلي وحتى في تبني المطالب الفلسطينية . وفي هذا المجال وصلني منذ فترة نص عريضة من بيروت حول الاجراءات الاسرائيلية في غزة وطلب مني التوقيع عليها . والعريضة تحتوي على ادانة تصرفات اسرائيل — وهذا لا يشكل اية مشكلة — ولكنها تنتهي بالمطالبة بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وانا اشك بان هذه العريضة وجدت تجاوبا كبيرا ، بينما لو اقتصرت على بند الادانة الاول للاقت موافقة اكبر . وباختصار ما ارجوه هو الا يعتبر الفلسطينيون والعرب ان الاشخاص الذين حملوا في فترة ما بعض العواطف تجاه اسرائيل او الشعب الاسرائيلي هم ميؤوس منهم وغير قابلين لتفهم المواقف العربية والفلسطينية بالذات .

ملاحظات :

لا بد قبل التعليق على كلام الاستاذ رودنسون من التأكيد على النقطة التالية : الاستاذ رودنسون يتكلم كصديق للشعوب العربية والشعب الفلسطيني بالذات ، ونحن الذين عرفناه قبل ١٩٦٧ ، وعرفنا الجهد الذي اداه في تلك الفترة لمحاربة سيطرة الصهيونية على الاعلام في فرنسا في ظروف صعبة جعلت منه الهدف الاول لشتائمها ، ورمز « خيانة الشعب اليهودي » و « انفصام التراث » و « كراهية النفس » الخ . ننطلق في حوارنا معه على هذا الاساس، مقدرين له جهوده في اثبات الحقائق التاريخية امام الرأي العام الغربي ، وثباته في محاربة الاعلام الصهيوني . وعلى هذا الاساس ايضا نستأذنه للتعليق على بعض ما جاء في اجاباته ، مع ادراكنا لاهميتها نظرا لتعبيرها عن مواقف قطاع واسع من الراي العام « الصديق » وليس فقط في الغرب :

١ — لا شك ان الثورة الفلسطينية لم تطرح بعد برنامجا متكاملا ومفصلا بالنسبة لفلسطين الغد ، رغم بعض المحاولات للخوض باسهاب في هذا الموضوع . ولا شك ايضا ان على الثوار ان يطلعوا بشكل علمي — وموضوعي — على طبيعة المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين وعلى مجمل المشكلة اليهودية التي ارتبطت — شئنا او أبينا — بالمشكلة الفلسطينية . الا انه لا بد من التأكيد على امرين وردا بشكل سريع في حديث الاستاذ رودنسون : الاول هو مدى التطور الذي احدثه شعار « فلسطين الديموقراطية » بالنسبة للمفاهيم السائدة سابقا التي كانت تهدف الى التخلص من غالبية المستوطنين اليهود (وما زالت هذه المفاهيم مسيطرة الى حد بعيد وربما لعدم وضوح شعار فلسطين الديموقراطية لدى الجماهير ، وعدم ايمان بعض الكوادر به) . والامر الثاني يتعلق بميزان القوى العسكري الحالي في المنطقة الذي هو والى حد بعيد لصالح اسرائيل ولغير صالح المقاومة وحتى الدول العربية مجتمعة . فأي برنامج استراتيجي مهما بلغ تحديده لن يجد تجاوبا يذكر في اوساط المستوطنين اليهود طالما ان الدبابات الاسرائيلية — كما جاء في كلام الاستاذ رودنسون — تقف وبعجرفة على مسافة كيلو مترات من القاهرة ودمشق . ومبرر وجود اية ثورة هو الاسراع في تغيير موازين القوى . ولا شك ان طبيعة القهر الذي لحق بالشعب الفلسطيني وباجزاء هامة من شعوب مصر وسوريا ولبنان والاردن، ستدفعها للنضال — مهما طال وتعددت صوره — لقلب الموازين الحالية . وفي ظروف متطورة وتحت تأثير وضع عسكري وسياسي اقل ثباتا بالنسبة لاسرائيل ، سيجد طرح الثوار الفلسطينيين صدى اوسع في المجتمع الاستيطاني وعلى المستوى العالمي بشكل عام . كل هذا لا يمنع اطلاقا ضرورة تحديد مواقف مبدئية منذ الان ترتكز على تحليل واف للمجتمع الفلسطيني والمجتمع الاستيطاني اليهودي ولتجارب الشعوب المتقاربة مع الوضع الفلسطيني (وهذه المواقف لن تكون

بالطبع ستاتيكية جامدة بقدر ما ان الوضع نفسه ديناميكي وسريع التطور) . والامر مطروح اخيرا امام اصحاب المسؤولية .

٢ ــ لا شك ان الحرب تجر العديد من الخسائر في الارواح وتحول العديد من الاصحاء الى اشلاء بشرية ، ناهيك عن الخسائر المادية التي تلحقها . وهنا بامكاننا ان نردد مع ماوتسي تونغ ، ان الامر لو توقف علينا ، لما قمنا بالحرب يوما واحدا . والشعب الفلسطيني بالذات شعب مسالم ومنفتح نظرا لتعاقب حضارات عدة وتعايش اجناس وعقائد عدة فوق ارضه على مر القرون . الا ان اي شعب في العالم يواجه عدوانا وتشريدا كالذي تعرض له لا يمكن الا ان يتمرد ويثور : وهذا هو اليوم حال الشعب الفيتنامي الذي عرف في الماضي بطبعه المسالم والذي يعطي اليوم للعالم دروسا في الثورة ومواجهة الغزو والقهر مهما بلغت التضحيات . وقد اثبت الشعب الفلسطيني في الخمسين سنة الاخيرة انه قادر على التضحية وتحمل عقبات التمرد من اجل استعادة حقه ، والسنوات القليلة الماضية اظهرت مدى استعداده للعطاء رغم تكالب قوى عالمية ومحلية عديدة للقضاء عليه ورغم النكسات المتتالية التي واجهها ويواجهها . كما اثبتت ان اللغة الوحيدة التي تستطيع ان تواجه لغة القمع والغطرسة الصهيونية هي لغة العنف الثوري ، وهي اللغة التي تفهم في انحاء العالم : فالشعب الفلسطيني لم يصبح « حقيقة لا جدال فيها » الا حين عاد وحمل السلاح بعد ١٩٦٥ وخاصة بعد معركة الكرامة . وهو لن يفرض وجوده على عدوه ولن يثبت حقوقه ضده الا بهذه اللغة . وهنا لا بد من التأكيد ثانية ان هذا العدو هو آلة القمع العسكرية السياسية الصهيونية وليس الافراد من المستوطنين كيهود ، الذين قد يتحول جزء كبير منهم في النهاية عن موقفهم العدائي الحالي تجاه الشعب الفلسطيني ومطالبه . ولكن ــ كما جاء في كلام الاستاذ رودنسون ــ اذا استمر القمع الصهيوني ، فان القضية الفلسطينية والتمرد الفلسطيني سيستمران طالما هناك فلسطيني واحد على وجه الارض .

اما بالنسبة للشعوب العربية الاخرى القريبة من المعركة ، فملاحظة الاستاذ رودنسون التي تعكس الواقع الحالي في ظروف وتحت تأثيرات محددة ، تثير أمرين : الاول ــ ان عدم اختبار الاجيال الحالية للحرب لا يعني انها غير قادرة على التمرس من خلال مواجهة الاعتداءات المتتالية وتبعات الرد عليها . والطبيعة العدوانية التوسعية للاحتلال الصهيوني كفيلة بأن تجعل اجزاء اكبر واكبر من الشعوب العربية في ظروف مشابهة لوضع الشعب الفلسطيني (كما هو الحال اليوم لسكان سيناء ومدن قناة السويس من جهة وسكان الجولان والجنوب اللبناني من جهة اخرى) . وهنا ايضا نستطيع ان نطرح مثل الهند الصينية ، فالشعبان اللاوسي والكامبودي ــ وربما شعوب تايلاند ودول اخرى غدا ــ لم تتعرض لاحتلال مباشر بكثافة الاحتلال الامريكي لجنوب فيتنام ولم تمارس كشعب فيتنام حرب مقاومة على امتداد عشرات السنوات ، الا انها تعلمت من خلال النضال ان تواجه العنف القمعي بالعنف الثوري وهي اليوم في مراحل متقدمة على طريق تحرير بلدانها من احتلال امريكا وسيطرة عملائها . والثاني ــ ان مشاركة الشعوب العربية الاخرى ــ رغم تعاطفها التلقائي مع الثورة الفلسطينية ــ سيكون بمقدار ادراكها لارتباط مصيرها وحياتها اليومية بالمعركة . اي اننا لا نستطيع ان نطالب هذه الشعوب ان تشارك في معركة التحرير الفلسطينية غاضة النظر عن القمع والاضطهاد الذي تواجهه في بلدانها سواء من الامبرياليين مباشرة او من عملائهم ومستغلي الشعب بشكل أعم . فالنضال الفلسطيني لن يجد تجاوبا حقيقيا وطويل النفس في العالم العربي الا اذا التقى وتضافر مع كافة النضالات في ارجاء العالم العربي لتحرير الانسان العربي . وربما كانت هذه احدى الدروس الاساسية التي استخلصتها المقاومة من نكسات ما بعد ايلول ١٩٧٠ ، وما تعلمنا اياه كل يوم تجارب الشعوب

الاخرى . فمعروبة المعركة الفلسطينية لا تعني انتقال كافة المناضلين العرب الى الساحة الفلسطينية ، وانما انتقال مثل المقاومة الفلسطينية الى انحاء العالم العربي وتكيفها حسب ظروف واوضاع كل قطر ، هذا مع العلم بأن المعركة المباشرة ضد الصهيونية لا تقتصر فقط على الشعب الفلسطيني نظرا لما ذكرناه من امتداد العدوان الصهيوني الى اقطار اخرى .

ونحن اذ نأمل مع الاستاذ رودنسون ان يتحقق كل ذلك بأقل التكاليف في الارواح والانشاءات ، الا اننا ندرك تماما ان ذلك يتوقف في النهاية على المضطهد (بكسر الهاء) واستمرار حالة الاضطهاد . وحتى القضاء عليها ، لا حيلة امام الشعوب الا ان تقاومها بكل ما لديها من امكانيات .

٣ ــ ملاحظات الاستاذ رودنسون حول الراي العام الغربي هامة نظرا لمعرفته وخبرته في هذا المجال . ونحن لا يسعنا الا ان نؤكد على ضرورة السعي لتوسيع حلقة اصدقاء الثورة الفلسطينية وعزل العدو الصهيوني اكثر واكثر في اوساط حلفائه الطبيعيين ، الامبرياليين والرجعيين بشكل عام . ونحن ، اذ ندرك أن للثورة الفلسطينية حلفاء ثمينين في العالم ممثلين في الدول والحركات الثورية (وحركات التحرر الوطنية منها) ، نرى ان لا بد من خوض المعارك ضد الصهيونية في معاقلها (سواء في الدول الغربية او في بعض الدول الشرقية والعالم الثالث) ومحاولة كسب العناصر الديموقراطية القابلة لتفهم قضايا التحرر وكرامة الانسان . ولا شك ان قطاعات واسعة من الشعب الفرنسي والشعوب الغربية بشكل عام قادرة على فهم مطالب الشعب الفلسطيني وحركة التحرر العربية اذا توفرت لها المعلومات الكافية واذا توفرت وسائل الاعلام القادرة على نقلها . ونحن اذ نقر الان بالتفاوت الشاسع بين الامكانيات الصهيونية والامكانيات الفلسطينية والعربية في هذا المجال ، علينا ان نعمل بصبر ونفس طويل مستعينين باصدقائنا في الغرب على تغيير هذا الوضع ــ وكما نجح قبلنا رفاق النضال الفيتناميون ، فنجاحنا ليس مستحيلا . والشرط الاول ــ كما اثبتت ذلك تجربة السنوات الاخيرة وتجربة الشعب الفيتنامي بالذات ــ هو استمرار النضال الفلسطيني وتصاعد حركة التحرر العربية . ونحن اذ نجدد شكرنا للاستاذ رودنسون لمجهوداته في هذا المجال ، نأمل ان يغني حوارنا تجاربنا المشتركة ويغذي نضالنا لتحقيق اهدافنا في الحرية وكرامة الانسان في العالم اجمع .

الصحافة الاجنبية وقضية فلسطين

جويس قاضي

سارت حركة التحرير الوطني الفلسطيني في مسارات عدة نحو تحقيق أهدافها ، فقد خاض الفدائيون معارك ضد الاسرائيليين في الاراضي السورية واللبنانية والاردنية ، كما أثروا على سير الحياة داخل فلسطين المحتلة (المحتلة منذ ١٩٤٨ او منذ ١٩٦٧)، وكذلك وضع الباحثون والمفكرون العديد من الدراسات التاريخية والقانونية والسياسية وتوصلوا الى استنتاجات مثيرة في كتبهم ومحاضراتهم حول القضية ، أضف الى ذلك ، ان الزعماء الفلسطينيين شاركوا في المؤتمرات والاجتماعات والندوات العالمية الهامة وذلك من أجل افهام العالم ، وخاصة دولة الاحتلال الاسرائيلية ، ان الفلسطينيين قد عقدوا العزم على العودة الى بلادهم . ومع ان الفلسطينيين غير متفقين حول أفضل السبل لتحقيق هدفهم المشترك الا أنهم يلتقون عند نقطة واحدة ، وهي انه ليس باستطاعتهم الانتصار لوحدهم ، لذا يجب الاتصال بالشعوب الاخرى ، افرادها وتنظيماتها وحركاتها لاقناعهم ، ان لم يكن بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم ، فبأن لهم دورا رئيسيا ، بل ومصلحة حيوية في حل أزمة الشرق الاوسط . ومنذ العام ١٩٦٨ ساهمت أجهزة الاعلام المختلفة في التعريف بالشعب الفلسطيني وتوضيح أهدافه للرأي العام العالمي ، ولكن المراقبين بدأوا يحسون ان تغطية انباء القضية بدأت تخف منذ ذلك الوقت . وهنا لا بد للمرء ان يتساءل : لماذا حدث ذلك ؟ ما هي العلاقات الراهنة بين الصحافة الغربية وحركة المقاومة ؟ وما هي اهمية تغطية أنباء الكفاح الفلسطيني في الصحف العالمية ؟ من خلال المقابلات التي أجريتها مع ثلاثة عشر مراسلا غربيا وتسع من الشخصيات العاملة في حقل الاعلام الفلسطيني ظهرت لي الفروقات الهامة في الرأي بين جميع هؤلاء حول مسؤولية المراسل ، ودور الصحيفة في تغطية انباء القضية ، والانباء العامة . وبعد عرض المشاكل التي يواجهها المراسلون في تغطية انباء القضية الفلسطينية ، سننتقل الى الحديث عن مقترحاتهم لحل هذه المشاكل . واخيرا سوف نستعرض أهمية أجهزة الاعلام والرأي العام بالنسبة لحركة المقاومة . والمقالة ترتكز على الفرضية القائلة بأن الصحافة العالمية والرأي العام لهما دور هام في مساعدة حركة المقاومة الفلسطينية في كفاحها من اجل العودة الى فلسطين .

لو وجهت للصحفيين سؤالا عن « مسؤولية المراسل الاجنبي » لتلقيت أجوبة مختلفة منهم ، مع انه قد يوجد بعض التشابه في أجوبتهم . وقد رد مراسلو الوكالات الصحفية الغربية بأجوبة مبسطة على هذا السؤال : « أنقل الاخبار كما أراها وأعتقد أنها كذلك » و« الحصول على الانباء بسرعة وبدقة » . ومن خلال اجوبتهم شعرت أنهم يؤكدون على الحقائق و«الحقيقة»، وليس على التفسير والرأي، وانهيجب أن يتم ذلك بموضوعيةتامة رغم الاعتراف بأنه من الصعب الوصول الى ذلك . وقد ذكر مراسلو وكالات الانباء التابعة للدول الاشتراكية أن مسؤوليتهم هي في نقل الاخبار واعطاء انطباعاتهم حول ما

تعنيه هذه الاخبار . أما مراسلو الصحف الغربية فقد حددوا مسؤولياتهم على نطاق أوسع وكانت أجوبتهم تشبه الوصف الذي أعطاه ج. ا. جيرارد ، الصحفي المشهور ، الذي يقول : «عندما يكتب الصحفي الاخبار ومن ثم يبعث بها الى صحيفته يكون كالتاجر، وعندما يسجل يكون بمثابة كاتب او كاتب حسابات لأحداث اليوم ، وعندما يفسر كمساهم وكاتب ومحرر تكون الصحافة كالادب ، ان لم تكن أدبا . والصحافة في ارقى مراتبها ليست حرفة او تجارة ، بل مهنة ، مهنة المفسر»(١). وقد أشار معظم مراسلي الصحف ، لا الوكالات ، الغربية ان مسؤوليتهم تتخطى جمع المعلومات ونقلها ، وأوضح احد المراسلين بأنه لضيق المكان ، عليه أن يختار أهم العناصر ، ويقيّمها ويفسرها ومن ثم يحدد علاقتها بالنسبة لغيرها من الانباء . وزاد ، ان عليه ان يلحظ أهم الاتجاهات ويركز عليها ويوضح أهميتها . ولقد وردت أمور اخرى في أجوبة المراسلين ، ولكن بشكل أقل من غيرها . فقد اكد احد المراسلين ان على الصحفيين أن لا « يكتبوا وفقا لأهواء الجماهير ورغباتهم » وقال آخر بأن عليهم ان يتجنبوا الانفعال وان يحافظوا على توازنهم لكي لا يتهموا بالتحيز لجانب ضد آخر وبالتالي يفقدون فعاليتهم . ويشعر مراسل احدى الصحف المحافظة انه لمن الاهمية بمقدار عدم نقل بعض الاخبار كما هو مهم نقل أخبار اخرى . ولم يكن هناك سوى مراسل واحد أثار مسألة الجانب الفني للكتابة الجيدة التي تعنى بتوضيح الاخبار وجعلها مفهومة عند اناس ليست لديهم معلومات كاملة حول موضوع معين . ولقد ظهر الفرق واضحا بين مراسلي الصحف ومراسلي الوكالات بالنسبة لمسؤولياتهم عندما أجابوا على السؤال التالي : « اذا كان المراسل يشعر ان لدى جمهوره فكرة خاطئة او مقولبة وغير أصيلة عن منطقة معينة او شعب معين ، فهل عليه واجب تصحيحها ؟ » كان جواب معظم مراسلي الوكالات تقريبا بالنفي ، اي انه من الخطأ العمل على بذل مجهود خاص لاظهار او تصحيح صورة ما . وبالمقابل ، اعرب مراسلو الصحف عن اعتقادهم بأنهم اذا كانوا على اقتناع تام بأن أهواء قرائهم وتحاملاتهم كانت في غير موضعها ، يرون أن من واجبهم محاولة تقديم صورة أكثر دقة . وفي حين يؤكد بعض الفلسطينيين ان تغطية الصحف الغربية لانباء القضية الفلسطينية ليست موضوعية أبدا، كما انها مفعمة بالافكار المقولبة المعادية للعرب ومكتوبة من وجهة النظر الصهيونية ، يشعر آخرون بأن المراسلين الاجانب ، خوفا من أن يسيئوا الى الحركة وبذلك يفقدون اتصالاتهم بها ، لم يكتبوا بطريقة انتقادية تماما . ولان العرب بشكل عام « مرتبطون ذهنيا بالعرب » بسبب التأثيرات الثقافية والتربوية للاستعمار الغربي ، ويعتقدون اهمية كبيرة على الرأي العام الغربي ، اعتقد انه كان من المحتمل ان يقوم الفلسطينيون بتصحيح أخطائهم لو أن الصحفيين دلوهم عليها من قبل . ويختلف الفلسطينيون أيضا بالنسبة لكمية الانباء التي ينقلها المراسلون ، ويقول معظم ممثلي حركة المقاومة ان العمليات الفدائية لم تغطَّ بشكل كاف ، كما ان المراسلين لم يوضحوا لقرائهم في الغرب الذين يجهلون القضية دوافع الفدائيين من وراء عملياتهم في اسرائيل . ويشعرون بأن السبب وراء هذه التغطية السطحية هو ان النتيجة التي سيتوصلون لها في النهاية ، بأنه يجب القضاء على الكيان الاسرائيلي قبل تسوية أزمة الشرق الاوسط ، لا ترضي صحفهم . وبالمقابل هناك عدد من الفلسطينيين الذين أعربوا عن رضاهم لتغطية انباء القضية منذ ١٩٦٨ . وحتى ان هناك قلة يعتقدون انه تم تغطية الحركة صحفيا أكثر مما تستحق ، أولا كنشاط عسكري وثانيا كقوة سياسية صاعدة ، ويعتقدون ان السبب وراء هذه التغطية الواسعة للمقاومة هو عدم وجود أحداث أخرى في المنطقة تستحق التغطية . ويشعرون ان الصحفيين ألفوا قصصا وروايات عن الحركة وبالغوا كثيرا في قوتها ، الامر الذي كان له أسوأ النتائج على الفدائيين الذين صدقوا هذه الاخبار مما اضطرهم الى أن يحاولوا ان يثبتوا دائما انهم في مستوى الآمال التي يعقدها عليهم

العرب والعالم بأسره . وكذلك فان التغطية الهائلة لانباء نشاطات الحركة جعلت فصائل المقاومة ، وهي في اشد الحاجة لتوضيح اهدافها ووسائلها ، تحوّل جهودها الى حقل العلاقات العامة عوضا عن الجوانب الاخرى لنضالها . ويشعر فريق آخر من الفلسطينيين ان المراسلين لم يكونوا شاملين في تحقيقاتهم اذ ركزوا مقالاتهم على فصيل دون الآخرين وكأنه المنظمة الوحيدة التي لها عمليات ، مما أعطى صورة غير صحيحة عن الحركة ، بل وأدى الى ايجاد نوع من الاحتكاك بين الفصائل المتنافسة . وهذا التنافس المتزايد بين فصائل الحركة لكسب ودّ الصحف والجماهير ادى الى تصورات غير واقعية عن قوتها واعماهم عن الحكم على انفسهم بشكل صحيح ، مما سهل مهمة الجيش الاردني في هجمة أيلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ . ولم تكن الآراء المتباينة بالنسبة لمسؤوليات الصحفيين الاجانب هي وحدها التي تسببت في هذا التباعد في الراي حول تغطية الصحف لانباء الحركة الفلسطينية ، اذ أن أحد أسباب هذا التباعد هو الاختلاف حول ما هو النبأ.

ما هو النبأ ؟ لماذا تبرز قصة ما بشكل صارخ في الصفحة الاولى للصحيفة في حين تحشر اخرى في احدى زوايا الصفحات الداخلية ، أو حتى ان بعض الحوادث لا يرد عنها أي شيء ؟ في الحقيقة ان ما يحدد ما هو النبأ هو راي المراسل في ما هو للشيء المهم في العالم ، ومدى قدرته على الحصول على المعلومات ومصلحة الصحيفة في ذلك الوقت والحالة الذهنية للجمهور . وقد نالت القضية الفلسطينية التي تشكل العنصر الرئيسي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي حصة الاسد من حيث التغطية الصحفية خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ولكن منذ ذلك الوقت تم تجاهلها عمليا ، وتحولت الانظار بدلا عن ذلك الى قناة السويس . ويعطي المراسلون اسبابا مختلفة جدا لكون القضية الفلسطينية مثار اهتمامهم ، فبعضهم يعزو ذلك الى حركة المقاومة الفلسطينية في حين يرفض آخرون حتى ذكر الشعب الفلسطيني . وفي معظم الحالات كانت ردودهم تعكس مصالح بلادهم وقرائهم . ويعتبر كثير من المراسلين ان حركة المقاومة الفلسطينية كانت تشكل موضوعا صحفيا ناجحا منذ معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨ حتى هجمة ايلول ١٩٧٠ ، فقد كانت معركة الكرامة التي استغرقت خمس عشرة ساعة بين القوات الاسرائيلية والفدائيين نقطة انعطاف هامة في تاريخ الحركة من الناحيتين العسكرية والسياسية . فسرعان ما انتشرت انباء المعركة بين الفلسطينيين كما ان التلفزيون الاردني أظهر صور الدبابات والاعتدة التي تم الاستيلاء عليها بعد أن خلفها الاسرائيليون وراءهم في الميدان. وحتى ان الملك حسين، الذي أدرك اهمية المعركة، قال في مؤتمر صحفي عقده بعد ثلاثة أيام من المعركة : « كلنا فدائيون » . وبعد اسبوعين فقط اعلنت فتح ان عدد اعضائها ازداد من ٧٠٠ مقاتل الى عدة آلاف . وهكذا فان الكرامة سلطت الاضواء على الفلسطينيين واقنعت المراسلين الاجانب ، وبالتالي قراءهم وحكوماتهم ، بأن الشعب الفلسطيني أصبح يشكل قوة لا يمكن الاستغناء عنها عند بحث أي حل للصراع العربي ـ الاسرائيلي . وبشكل مماثل ، نرى انه بعيد عدوان ١٩٦٧ أصبحت اسرائيل موضع اهتمام الصحافة أكثر من ذي قبل . فقد اصبح جيشها وشعبها الموضوع الرئيسي للعديد من المقالات والبرامج والريبورتاجات الخاصة لدرجة ان أحد الصحفيين الاميركيين قال بأن « الجمهور قد سئم تبجح وغطرسة داود الصغير المنتصر . » ومن هنا بدا الصحفيون في الشرق الاوسط يفتشون عن قصة من شأنها اثارة اهتمام قرائهم . واعلن عدد من المراسلين ان الانظمة العربية قد هزمت في ١٩٦٧ ، وان الشرارة الوحيدة والجديدة التي تبعث على الامل في الصراع السياسي في الشرق الاوسط ، وان « الجماعة الوحيدة التي تحدث ضجة » هي الحركة الفلسطينية ، وهكذا ، وبدون أي تصميم مسبق منهم ، نجحوا في القفز الى قلب الانباء . وقد كان الفدائيون في ذلك الوقت يقومون ببعض

الغارات المزعجة ضد اسرائيل ، وكانوا يعتبرون ، كما يقول احد المراسلين الاميركيين ، بمثابة روبن هود عصري ، أي مثل ذلك الفتى الصغير الطيب القلب الذي ينجح في التسلل الى قلب اسرائيل الكبيرة والسيئة والمحتلة والتي كانت تتجاهل الرأي العام العالمي بكل وقاحة وتتحدى قرار الامم المتحدة بالانسحاب الى خطوط ما قبل حزيران . وبالنسبة للمراسلين الذين ينتمون لدول ثورية ، فانهم يعتبرون ان الصفات الثورية لحركة التحرير واسلوب حرب العصابات الذي تتبعه وايديولوجيتها اليسارية هي التي تجعلها موضع اهتمام وبالتالي تستحق التغطية في بلادهم التي تؤيد ليس فقط النضال ضد اسرائيل بل وايضا ضد الولايات المتحدة والامبريالية العالمية . والحركة الفلسطينية ، كأول حركة وطنية في العالم العربي تحاول تعبئة جماهيرها ، قد أعلنت بصراحة على لسان جناحها اليساري ان هذه الصفات هي التي تسببت في ملاحقة النظام الاردني للحركة وادت الى هجمة أيلول ١٩٧٠ . فبالنسبة لهم ، فانهم يعتبرون ان العمليات العسكرية التي يقوم بها الفدائيون اقل اهمية من الوعي القومي الشعبي المتصاعد الذي من شأنه رفع المعنويات العربية وبالتالي تهديد الانظمة العربية ومن ثم تقويضها . وكذلك فان عددا من المراسلين الغربيين ذكروا ان هذه السمات الثورية هي موضع اهتمام قطاعات معينة من الرأي العام الغربي ، ولكن غالبية الشعب تهتم بأنباء حركة المقاومة ، كما يقول أحد المراسلين ، على اساس « انهم يشكلون ابتعادا عما يعتبره المواطن الغربي العادي حياة عادية وانظمة حكومية قائمة . » وهم يعتبرون عمليات المقاومة مثيرة بصرف النظر عما اذا كانت بناءة أو هدامة . وبالاضافة لذلك ، يشعر معظم المراسلين الغربيين ، وبشكل خاص الصحفيون الاميركيون ، ان الحالة في الشرق الاوسط هي موضع اهتمام الصحافة لان الولايات المتحدة ملتزمة عسكريا واقتصاديا ومتورطة مع اسرائيل . وأي حركة تنجح في كسب مزيد من الشعبية والقوة في المنطقة تهدد مصالحها ، لذا فانها تصبح موضع اهتمام الجمهور . وكذلك فان مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية ، وبشكل خاص النفطية ، تجعل اي نشاط يهدد الوضع الراهن موضع اهتمام الصحف . وذكر المراسلون البريطانيون والاميركيون ايضا ان دعم الاتحاد السوفياتي لمصر وسوريه مما يهدد المصالح العربية في المنطقة هو من العوامل التي تجعل الوضع في المنطقة موضوعا ناجحا من الناحية الصحفية .

وبالاضافة لما تقدم، يعتبر عدد من المراسلين ان الجانب الانساني من القضية الفلسطينية يجعلها موضع اهتمام الصحف . فالبؤس والشقاء الذي يعاني منه الفلسطينيون المشردون وكفاح الفدائيين اليائس ضد اعداء اقوياء ومن اجل اعادة شعبهم الى وطنه ، كل ذلك خلق نوعا من الاهتمام والعطف ، رغم ان اساليبهم لا تنسجم مع المقاييس الغربية . ولكن ، كما قال أحد المراسلين الليبراليين ، ليست حالة اللاجئين الفلسطينيين مثيرة للشفقة كالفييتناميين ، كما أن عددهم وحاجاتهم ليست ماسة كاللاجئين الباكستانيين . لذلك نرى انه رغم عدالة قضية اللاجئين ، فان التغطية الصحفية لانباء مخيماتهم هي الان في أدنى درجاتها . وقد أوضح أحد المراسلين الاميركيين ان « حالتهم ساكنة ، وعدا عن مقاومة اهالي غزة للاحتلال الاسرائيلي ولما يتضمنه هذا الاحتلال من عنف وقسوة ومحاولات لاخراجهم من بلادهم ، ليس هناك اية أنباء — لا مشاريع أو تطورات أو نشاطات جديدة — لنقلها عن اللاجئين » .

ومن ابرز النشاطات التي قامت بها الحركة الفلسطينية ونالت قسطا وافرا من التغطية الصحفية الاجنبية كانت خطف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للطائرات في ايلول ١٩٧٠ . وقد كان لعمليات الخطف تأثيرات كبيرة على المراسلين ، سواء سلبا او ايجابا. وعلى أي حال، يتفق جميع هؤلاء المراسلين ان هذه العمليات وما نجم عنها من قصص

الرهائن هي التي استحوذت على اهتمام القارىء في العالم الخارجي وجعلته يعلم بوجود الشعب الفلسطيني ويعرف شيئا عن قضيته. ويشعر عدد من المراسلين ان قراءهم، رغم وصفهم لهذه العمليات بالقرصنة وبالبربرية ، تاثروا كثيرا بالنضال اليائس الذي يخوضه الفلسطينيون . وبشكل اكثر اختصارا من المراسلين، اعطى رجال الحركة تقريبا الاسباب ذاتها حول اهتمام الصحافة بالقضية الفلسطينية ومنهـا : « القوة » و« العمليات العسكرية » و« البندقية » ، ويقولون ان مسألة اللاجئين الفلسطينيين ، والاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والمصالح الغربية هي العناصر التي تكونت منها ازمة الشرق الاوسط منذ العام ١٩٤٨ ، ولكن لم يصبح الفلسطينيون مصدرا رئيسيا للانباء الا منذ آذار ١٩٦٨ عندما برهنت حركة التحرير الشعبية الصاعدة انها قوية لدرجة يمكنها ان تستخدم القوة في نضالها . واذا لم يقتنعوا من قبل ، فان هجمة أيلول لم تترك اي مجال للشك في اذهان الفلسطينيين بأن المقاومة النشطة والعمل العسكري هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين وابقائها حية في الصحف .

الحصول على الانباء

ان كمية ونوعية التغطية الصحفية للقضية الفلسطينية تعتمد الى درجة كبيرة على كمية المعلومات المتوافرة للمراسل ونوعيتها . وكما يشير عدد من المراسلين ، فان المعلومات المتعلقة بخلفية القضية وتاريخهـا متوافرة في مركز الابحـاث الفلسطيني ومؤسسـة الدراسات الفلسطينية وجمعية الخامس من حزيران ولجنة السيدات العربية للاعلام . وقد قال احد الصحفيين : « ان الشرق الاوسط منطقة معقدة ، وهناك حاجة للمعلومات لفهمه ، ولكن اذا ما تسنى للمرء أن يدرس المنطقة ، لا يعود بحاجة كبيرة الى الآخرين — هذا اذا ما اطلع على آخر الانباء . » واصدار الانباء بشكل سريع ومنظم من شأنه أن يفتح الباب واسعا لمزيد من التعاون ولتغطية افضل من جانب الصحف العالمية . وليس هناك سوى قلة من الصحفيين يرون ان هناك أية فروقات بين مواقف المنظمات الفدائية المختلفة من الاعلام أو من الصحفيين الاجانب . فباستثناء بعض التعليقات الجانبية مثل : « فتح بيروقراطية لدرجة لا تمكنك من الحصول على مساعدة كافية » و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعتبر اكثر احترافا في طريقتها وللوقت قيمة عندها أكثر من غيرها » ، أو « حتى لو لم تستطع الحصول على أية معلومات من منظمة التحرير الفلسطينية ، على الاقل تشعر أنهم يرحبون بك لو عدت لزيارتهم » ، نرى ان تفضيل الصحفيين لمنظمة على اخرى يعتمد على العلاقات الشخصية التي نجحوا في اقامتها مع عناصر من هذا التنظيم او ذاك . ويقول احد المراسلين : « ما يقرر نوعية الاعلام في حركة المقاومة الفلسطينية هم الافراد وليس السياسات التي تضعهـا المنظمات » . ويقول آخر : « ليس هناك نموذج جماعي موحد . فبعض العناصر وديون في علاقاتهم في حـين ان آخرين ليسوا كذلك . » وعادة نرى انه من السهل على المراسلين الاتصال بالمنظمات وبالعناصر ، كما انهم يستقبلون استقبالا وديا رغم ان عددا قليلا من المراسلين الاميركيين يشكون من المحاضرات التي يلقيها على مسامعهم اليساريون عن الماركسية والماوية وعن شجبهم للمساعدات الاميركية لاسرائيل واتهامهم بالتجسس (مع ان مثل هذه الشكاوى لم ترد على لسان اي من الصحفيين اليساريين). وذكر عدد قليل من المراسلين انه لم تصادفهم اية مشكلة في الحصول على المعلومات التي يريدونها من المنظمات الفلسطينية ، ولكن ردودهم على الاسئلة الاخرى التي وجهت لهم تدل على انهم ليس فقط لا يعرفون الكثير عن القضية الفلسطينية ولكنهم أيضا يشعرون انه ليس من المهـم بالنسبة لهم معرفة المزيد — اي انهم كانوا بشكل عام جاهلين وغير مهتمين . اما بقية المراسلين ، الشرقيين منهم والغربيين ، فلهم آراء مماثلة حول العقبات التي تعترض طريق المراسل في نقل أخبار

القضية الفلسطينية ، ويشعرون ان جميع المنظمات تعاني من الثغرات نفسها . واكثر ما يزعج المراسلين الاجانب بالنسبة للعالم العربي هو عدم احترام العرب عموما للوقت وسوء تنظيمهم للامور . فبالنسبة لعدم احترام الوقت احتفظ احد المراسلين الاميركيين ممن له اهتمامات بالاحصاء بسجلات حول مقدار الوقت الذي يستغرقه المراسل في الحصول على الانباء وكتابة المقالات في كل من نيويورك وباريس والشرق الاوسط حيث كان مجال عمله . وقد قال بأن نقل الاخبار في فرنسه يستغرق ضعفي الوقت في الولايات المتحدة،اما كتابة المقالة في الشرق الاوسط فتستغرق ثمانية أضعاف الوقت الذي يستغرقه في الولايات المتحدة. وقد أعرب عدد من مراسلي الصحف الصغيرة عن استيائهم لما سموه « احتكار » مراسلي الوكالات للانباء المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وقالوا انه لا توجه لهم الدعوات عند ادلاء قادة المقاومة بتصريحات هامة . ووصفوا ذلك بانه يضعف الانتاجية المطلوبة وذلك لانه ليس فقط لدى مراسلي الصحف حيز أكبر بل ورغبة أكثر في توضيح الحدث واعطاء خلفيته من مراسلي الوكالات . وبسبب ذلك ، عليهم ان يتكلوا على مصادرهم الخاصة أو على الوكالة نفسها للحصول على رواية موجزة لهذا التصريح او ذاك مما يدلي به الناطقون الفلسطينيون . ومع ان مراسلي الوكالات يتمكنون من الحصول على الانباء اليومية اسرع من مراسلي الصحف بسبب توجيه الدعوات لهم عند اصدار اي بيان هام ، فان عدم احترام الوقت وسوء التنظيم يسبب لهم مشاكل أقسى لانهم مرتبطون بمواعيد اكثر تحديدا لتسليم تقاريرهم . فلو حدث ان وصل نبأ متأخرا عن ساعة ما ، لا يمكن توزيعه في اليوم التالي ، بل يستفاد منه فقط عند رسم الخلفية في مقالة تكتب في وقت لاحق ، وحتى يرفض بعض المراسلين نقل أنباء فات أوانها . وبالنسبة للاخطاء الناجمة عن سوء التنظيم فهي عديدة . وقد قال عدد من المراسلين الذين يعتبرهم الفلسطينيون موضوعيين أنه لا توجه لهم الدعوات وقت الادلاء ببيانات هامة ، فقط لان اسماءهم تسقط سهوا . وقد حدث هذا لمراسل من دولة يسارية وذلك عندما صدر أول بلاغ عن حادثة السفينة « كورال سي » . وطبعا تعتبر مثل هذه الهفوات ، رغم انها غير مقصودة ، مصدر ازعاج للمراسلين علما بأن عليهم نقل الانباء يوما بيوم . ومن المشاكل الاخرى التي يسببها سوء التنظيم عدم التنسيق بين المكاتب . وعلى سبيل المثال ، حدث ان فريقا سينمائيا اميركيا منح اذنا من مكتب احدى المنظمات في بيروت للذهاب الى الاردن وتصوير شريط سينمائي عن مخيمات الفلسطينيين وقواعد الفدائيين ، ولكن مكتب المنظمة نفسها في عمان رفض السماح لهذا الفريق بالوصول الى قواعد هذه المنظمة ، الامر الذي تسبب ليس فقط في اضاعة وقت منتج الفيلم وتبديد أمواله ، ولكن أيضا في حرمان قطاع مهم من حركة المقاومة من الظهور في شريط سينمائي ممتاز لصالح القضية الفلسطينية . وهناك ايضا بعض المشاكل التي تسببها الحكومات العربية التي ترفض التعاون . فقد حدث أن ألغت الحكومتان السورية واللبنانية الرحلات الى مرتفعات الجولان وجنوب لبنان وغيروا رأيهم وأحيانا سياستهم في اللحظة الاخيرة . ومع ان خركة المقاومة لا تلام على ذلك ، فمن شأن مثل سوء التنظيم هذا حرمان القضية الفلسطينية من التغطية الصحفية المطلوبة . وقد ذكر المراسلون انهم عانوا ايضا من عدم وجود سياسات متوافقة تجاه المراسلين الاجانب . ومن المشاكل الخطيرة التي لا تزال عالقة الى اليوم منذ بدء حركة المقاومة هي قطع العلاقات مع الصحافة . فعدم الاتصال بالمراسلين يضطرهم في كثير من الاحيان الى استقاء معلوماتهم من مصادر غير رسمية او بواسطة الاتصالات الشخصية . وحتى ان بعض المراسلين يفضلون الاتصال بالعناصر الفدائية بدلا من رجال الاعلام لانهم أكثر رغبة في الافضاء بالمعلومات المطلوبة . ومع ان المقابلات غير المعدة للنشر تكون أكثر اتزانا وتعطي معلومات افضل ، لا يعرف الكثيرون ما هي المعلومات التي يجب الاحتفاظ بها ، ونتيجة

لذلك يسيئون لحركة المقاومة نتيجة عدم درايتهم . ويفضل بعض المراسلين المصادر الحيادية غير الرسمية على الناطقين الرسميين لان هؤلاء ، كما يقول المراسلون ، وهم تحدوهم الرغبة لتقديم افضل صورة ممكنة « غالبا ما يخفقون في تقديم الصورة الصحيحة عن الوضع . » وبعد أن اعترف احد المراسلين بأن المصادر الرسمية كانت في بعض الاحيان ضنينة في تقديم المعلومات قال بأن الزعم بأن الحصول على الانباء في بيروت صعب المنال أمر مبالغ فيه كثيرا ، وقال بصراحة : « ان العرب يحكون كثيرا » . وعلى اي حال ، فان مراسلي الوكالات لا يعتمدون كثيرا على الاتصالات غير الرسمية وذلك لان مهمتهم هي استقاء اخبارهم من البيانات الرسمية ومن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها عادة . ومع ان المراسلين من الدول الاشتراكية لم يكونوا راضين دائما عن مكاتب الاعلام الرسمية فانهم نادرا ما كانوا ينقلون اخبارا من مصادر غير رسمية ، واكدوا بأن الحركة الثورية يجب أن تكون متقدمة في كل مجال من مجالات نضالها ، واعربوا عن اعتقادهم الاكيد بوجوب تحسين اعلام المقاومة وضبطه . وقد قال احد المراسلين الاشتراكيين ان حركة المقاومة بحاجة الى « افكار ثورية عصرية حقا » وذلك لان عناصرها يعتقدون انه يجب الاحتفاظ سرا بكل شيء في الثورة كما انهم لا يفقهون ما هي المعلومات التي يجب الافضاء بها . وعزا مراسل آخر موضوع السرية الى الاشتباه المبالغ به بالجواسيس الامر الذي هزأ منه معظم المراسلين وقالوا انه لامر « سخيف ». ويعرب معظم قادة المقاومة عن اعتقادهم الشديد بأن بعض المراسلين والاشخاص ، الذين يدّعون بأنهم يرمون الى جمع المعلومات لكتابة المقالات او الكتب ، يوجهون اسئلة دقيقة جدا واستراتيجية عن قضايا ليست موضع اهتمام القارىء الاجنبي ، اما كأنباء او كنشاط سياسي . وهم يوجهون اسئلتهم بشكل ملحّ ويطلبون معلومات « خاصة » بطريقة توحي للفلسطينيين بأن هؤلاء لا يريدون جمع معلومات لكتابة مقالة عن فلسطين بل لنقلها الى مؤسسة معادية للفلسطينيين . وبالفعل تأكد ذلك من خلال ما قامت به دانا زوهار ، تلميذة الفلسفة ، الاسرائيلية ، التي نجحت في اجراء مقابلات مع عدد من قادة المقاومة بصفتها تعمل كمراسلة لصحيفة « نيويورك تايمز » . وقد نشرت المعلومات التي حصلت عليها ، مع بعض الاضافات من جانبها ، في مجلة « ليليت » التي يصدرها اتحاد طلبة الجامعة العبرية ، كما انها القت محاضرات في الولايات المتحدة تسخر فيها من حركة المقاومة(٢). لذا ، يشعر عدد من الفلسطينيين انهم كانوا كرماء جدا في تقديم المعلومات في الماضي مما ترتب عليه كثير من المساوىء لحركة المقاومة ، الامر الذي يوجب الان ضبط الاعلام اكثر من السابق . وفعلا اعترف احد المراسلين ان لبعض الصحفيين صلات بالحكومات ويرسلون تقارير عن المنظمات « ربما ليس عن قضايانا استراتيجية ، ولكن بكل تأكيد عن الافراد والمنظمات . » ويعزو أحد المراسلين التمسك بالسرية الى محاولة تنظيم معين تمويه « منظمة هزيلة وغير نشطة . فلو كانت الحركة قوية ، اي شعبية كما يقولون ، يكون من المفيد الاعلان عن نشاطاتها . والا فانها ستعرف باي شكل من الاشكال . وعليهم ان يتقبلوا الاخطار المترتبة على ذلك أو أن يكونوا على استعداد لمنع وقوعها . » وتغيير الناطقين الاعلاميين هو ايضا من الامور المزعجة للمراسلين الذين كثيرا ما يعتمدون على علاقاتهم الشخصية مع هؤلاء الناطقين. وتغيير المراكز لا ينجم عنه فحسب اقامة صلات جديدة ولكنه يؤدي ايضا الى كسر قنوات الاعلام ، مما يجعل الانباء لا تصل الى جميع الصحف ، الامر الذي يحرم المنظمة من التغطية الصحفية الشاملة . وعدم اصدار اول ايضاح للحدث يفقد المنظمة تقديم اول تفسير للقارىء ، وهذا الاسلوب ، اي توضيح الحدث ، اثبت فعاليته في اقناع القراء خاصة بالنسبة للمواضيع القابلة للنقاش . وذكر بعض المراسلين ان من الصعوبات التي يواجهونها الصعوبة في تلقي ايضاحات أو تفسيرات لحدث ما ، أو تلقي ردود غامضة لا

يمكن الاعتماد عليها ونقلها فقط لعدم تواجد الشخص المسؤول . وقد قال أحد المراسلين الاشتراكيين انه لم يتلق ردودا على ثلاثة ارباع أسئلته تقريبا لان الناطقين امـا انهم رفضوا التعليق او اجابوا بأنهم لا يعرفون او قالوا بانهم ليسوا مخولين للاجابة على مثل هذه الاسئلة . وبشكل عام يعتقد المراسلون في مثل هذه الحالات ان الناطقين ليسوا متجاوبين ، ليس لاسباب تتعلق بالسياسة العليا للمنظمة ، ولكن لاسباب تتعلق اما بمرتبته الدنيا في المنظمة او ببعده عن الحدث . ومن الصعوبـات التي تضر بالتغطية الصحفية هي الصعوبة التي يواجهها المراسلون في اجراء مقابلات مع قادة المقاومة خاصة منذ أيلول ١٩٧٠ . فقد ذكر احد المراسلين انه انتظر ما يزيد على تسعة اشهر للحصول على مقابلة مع « ابو عمار » . وليس فقط ان المراسلين لا يتمكنون من مقابلة المسؤولين الفدائيين ولكنهم يشعرون ان الاجراءات المتبعة لتحديد موعد هذه المقابلات مع كل ما يتضمن ذلك من تقديم الاسئلة قبل اجراء المقابلة تتجاهل ابسط معاني العمل الصحفي اذ انه بعد مرور اسبوع اذا لم تحدث المقابلة، وهذا ما يحدث مراراً ، فان الاسئلة تصبح غير صالحة ، من الناحية الزمنية على الاقل . وخطورة هذه الشكوى بالنسبة للمقاومة هي في عدم امكان الاتصال بقادة المقاومة . وقد قال احد المراسلين : « بعد اكتوبر ١٩٧٠ ظهر ان هناك تغييرا في السياسة — لم يعد هناك اي شخص يرغب في مناقشة اي موضوع — ويظهر انهم لم يكونوا مرتاحين للوضع ، لذا فرضوا قيودا عامة على الاعلام . » ويشعر آخرون ان سبب ذلك هو أزمة في الزعامة بعد أيلول ، فقد قال أحد المراسلين : « بكل بساطة فقد القادة قدرتهم على القيادة والتوجيه — وبكل بساطة لا يدرون ماذا يريدون ان يفعلوا . » وحتى لو كان الضن بالمعلومات ناجما عن « النزول تحت الارض » كما يقول بعض عناصر المقاومة ، ولو اعتبر المراسلون ذلك نوعا من المراوغة ، فانهم سيتحدثون عنه كذلك . وعلى أي حال ، فان معظم المراسلين متفقون بأن الفلسطينيين افضل « قليلا » من سائر العرب بالنسبة لموقفهم من الاعلام ، وهم « يهتمون » ، كما يقول الصحفيون الغربيون ، « اكثر من العرب الآخرين بما يقوله الغرب عنهم » ، ولكنهم « ليسوا متقدمين ما فيه الكفاية ليعتبروا ثوريين حقيقيين » كما يقول احد المراسلين الاشتراكيين . واعتبر القسم الاكبر من المراسلين ان المسؤولين في الحكومات العربية « غير متعاونين » و« لا فائدة منهم » خاصة بالنسبة لعدم تقديرهم لقيمة الوقت(٢). وكما يقول احد المراسلين الساخطين ، ان « العرب عمومـا ليسوا منظمين وغير متعاونين ، كما انهم لا يرغبون في المحافظة على المواعيد ولا يتكلمون الا وفقا للخط الرسمي لانهم يخشون ان يعطوا آراءهم الخاصة . » ويعتقد آخرون انه ليس باستطاعة هؤلاء المسؤولين ان يكونوا اكثر تعاونا بسبب السياسة العليا المفروضة عليهم ، ولكنهم في الاحاديث الخاصة يكونون اكثر تعاونا . وبرغم شكاوى المراسلين التي قدموها من اجل تحسين الوضع ، أظهر الكثيرون منهم اهتمامـا كبيرا في المنطقة ومشاكلها ، واعرب عدد منهم عن عطفهم وتأييدهم للقضية الفلسطينية ، وحتى ان بعض الغربيين كانوا على اقتناع كالاشتراكيين بأن الحل الوحيد للنزاع في الشرق الاوسط هو في تقويض الكيان الاسرائيلي . وحتى لو كان اهتمام المراسل بالمقاومة الفلسطينية باعتبارها قصة شيقة ، يبقى ذلك هو أوفر صلة عملية بين الحـركة ومناصريها الممكن ايجادهم في العالم الخارجي . وبمحاولة الفلسطينيين حل المشاكل التي تواجه المراسل وتبعده عن الحركة ، يكونون في الوقت نفسه يخدمون قضيتهم ويكسبون مزيدا مـن الانصار بتحسين تنظيمهم .

دور الصحيفة في تقديم الانباء

ان ما يساعد المراسل على تحديد نوع الانباء أو المقالات التي يبعث بها الى صحيفته او

مجلته او محطة الاذاعة التي يعمل لحسابها هو نظرته لعمله وفهمه لماهية الخبر وكمية المعلومات المتوافرة . وما يؤثر ايضا على تغطية القضية الفلسطينية هو موقف محرري الصحيفة ومالكيها والدور الذي يلعبونه في تقديم الانباء . وهنا تجدر الاشارة الى ان هناك فرقا بين وسائل الاعلام العامة في الشرق وتلك التي في الغرب .

ويشير كتاب **الدليل السياسي وأطلس العالم** الى ان الصحف في معظم الدول الشيوعية هي في الحقيقة اما ملك الحكومة او الحزب الشيوعي او خاضعة لسيطرتهما(٤). اما الصحافة الغربية فانها تعتبر اقل خضوعا لسيطرة الحكومة. ومع ذلك فان تقديم الاخبار « يتأثر » بعدد من العوامل . وكما يقول البروفسور هارووود ل. شيلدس ، استاذ العلوم السياسية في جامعة برينستون ، لاصحاب الصحف ومالكيها « تأثير عميق على محتوى هذه الصحف » في الافتتاحيات ومعالجة الاخبار وتقديمها(٥) . وتعتبر الجماعات الضاغطة من العوامل القوية التي تشوه النبأ الحقيقي عن طريق « الاستخدام الزائد للانباء الزائفة والمختلقة »(٦). وللمعلنين كذلك مصلحة مالية في الانباء . ويقول البروفسور شيلدس ان « الصحف ، اكراما للمعلنين ، تمنع نشر الانباء وتفسح المجال في اعمدة افتتاحياتها للاعلانات »(٧). ومن الاتجاهات الحديثة التي تؤثر على تقديم الاخبار هو ان « رؤساء التحرير يؤكدون كثيرا على تفسير الانباء لكي يقدموا لقرائهم فهما افضل لخلفيات الانباء »(٨). لذا ، فباستثناء تفسيرات رؤساء التحرير والمخبرين ، ومصلحة المعلنين والجماعات الضاغطة والتأثير العميق للمالكين ، يتمتع القراء الغربيون بصحافة حرة وموضوعية . وقد شعر بكل هذه المؤثرات والضغوطات عدد كبير من الكتاب المناصرين للعرب اذ واجهوا صعوبات لا تحصى في نشر مقالاتهم او رسائلهم او تعليقاتهم في الصحف او المجلات الغربية الحرة ، وخاصة في الولايات المتحدة(٩) .

والآن كيف يتسنى للمراسلين الاجانب الذين يبغون حقا نقل انباء موضوعية ومنصفة في مقالاتهم عن العالم العربي التعامل مع هذه الصعوبات الهائلة التي تواجهها المهنة الصحفية ؟ انهم وبكل بساطة يرفضون الاعتراف بوجود هذه المؤثرات او بأنها تؤثر على كتاباتهم . ولم يعترف اي مراسل اجنبي ان صحيفته قد رفضت او ادخلت بعض التعديلات على احدى مقالاته او قدمت اية نصائح فيما يتعلق بما يعتقد او لا يعتقد . وقد كانت جميع الردود على السؤال « هل حدث ان رفضت أية مقالة لك ؟ » بالنفي باستثناء واحد . وقد قال ذلك المراسل ان الصحيفة لم تكن « مهتمة تماما » بالمقالة . وعندما سئلوا ان ادخلت تعديلات على المقالات اجابوا بالنفي كذلك ، مع بعض التعديلات مثل : « احيانا يتم اختصارها بسبب عدم وجود حيز كاف » ، أو «احيانا تلغى جملة او اثنتان»، الخ ، ولكنهم اعترفوا جميعا بأن التغييرات كانت على الصعيد الفني فقط . وذكر مراسل احدى مجلات الانباء الاميركية ان مقالاته كانت دائما تصاغ من جديد ، ولكن دون اي تحيز مقصود لجانب على آخر . وفقط صرح صحفي واحد من بلد اشتراكي ان ايضاحاته للانباء كانت تصاغ من جديد اذا ما رأت الوكالة انها كانت خاطئة ، ولكن ٩٠ بالمئة منها كانت تنشر كما هي تماما . ولكن بالنسبة للايحاءات او التوجيه من المستخدمين (بكسر الدال) اعترف معظم المراسلين انهم يتلقون احيانا طلبات للحصول على انباء معينة او كتابة مقالات وفق مقترحات معينة ، ولكنهم جميعا اجابوا بالنفي بالنسبة لكلمة «توجيه» التي يعتبرونها بمثابة تعدّ على استقلالهم ونزاهتهم. ولم يقبل سوى اثنين من المراسلين بمناقشة الموضوع بحرية ، اما الباقون فقد اجابوا بسرعة وبايجاز ، ربما لان التلميح بتدخل الصحيفة كان قريبا جدا من الحقيقة . واحد هؤلاء ، وهو مراسل لاحدى الصحف البريطانية الليبرالية تحدث بحرية عن رؤساء التحرير « عموما » ، وقال بأنه يشعر ان « رؤساء التحرير ربما يتفحصون بدقة المقالات المؤيدة للعرب وربما يرفضون نشر المقالات

المؤيدة للعرب اكثر من تلك المؤيدة لاسرائيل . » وزاد ان مفهوم رؤساء التحرير الغربيين للراي الموزون اقرب بكثير لوجهة النظر الاسرائيلية من راي المراسل الاجنبي العادي في الشرق الاوسط . واقترح بأن افضل طريقة لتكييف الراي الموزون واحداث تحول تدريجي نحو وجهة النظر العربية هو في ان يقوم المراسلون في الشرق الاوسط بالكتابة « عند اقصى حد يمكن أن يسمح به رئيس التحرير بمناصرة العرب . » وهنا لا بد من اثارة نقطة اخرى حول راي الصحفي في نزاهة مستخدمه (بكسر الدال) ، وهي انه ليس هناك اي انسان ذي ضمير يمكنه ان يرضى بالعمل لحساب مستخدم لا يراعي اصول المهنة ولا يتبنى مواقفها . وفي الوقت نفسه يتحدد مستقبل اي انسان كمراسل ليس فقط بناء على تقاريره وتفسيراته ، بل ايضا بمقدار التزامه بوجهة نظر رئيس تحرير الصحيفة التي يعمل لحسابها . واذا ما طالب باحداث تغيير سريع في الموقف ، يمكن ان يخاطر بمكتسبات التقارير الموضوعية التي نجح في تحقيقها وذلك اما بطرده من عمله ، او بالتغير نحو الاتجاه المعاكس . وليس لدي اية وسيلة لمعرفة مـــا اذا كان المراسلون حقا يعتقدون ان رؤساء التحرير واصحاب الصحف لا يؤثرون على تقديم الاخبار، لمصالح خاصة ، أو انهم يخافون من الاستشهاد بآرائهم . ولكن ان ندرك انه ليس هناك وجود لما يسمى الاستقلال التام للمراسلين ، بصرف النظر عما اذا كانوا يعترفون بذلك او لا يعترفون ، يشكل عنصرا هاما يجب اخذه بعين الاعتبار عند حكمنا على المراسل من خلال ابرازه للقضية الفلسطينية .

الدولة الديمقراطية : من يؤمن بها ؟

ان الهدف النهائي لحركة التحرير الفلسطينية هو اقامة دولة ديمقراطية غير طائفية في فلسطين . وتتفق فصائل الحركة الرئيسية على هذا الهدف على اساس انه الحـــل الانساني الوحيد العادل للمسألة العربية ــ اليهودية . وتطبيق هذا الهدف يحتاج الى تقويض الكيان الاسرائيلي الحالي واعادة بناء المجتمع والحكومة في فلسطين على الاسس التي كانت قائمة قبل البدء بتنفيذ البرنامج الصهيوني بالاستيلاء على الاراضي والهجرة الجماعية .واذا استمرت الحركة الفلسطينية في الاعتماد على الصحافة العالمية لحمل انباء نضالها الى العالم، في هذه الحالة تكون آراء ومعتقدات المراسلين الاجانب بالنسبة للدولة الديمقراطية ذات اهمية، خاصة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار القيمة التي يضعها المراسلون على تفسيراتهم للانباء .ومن اكثر الامور المثبطة التي توصلت اليها هذه الدراسة، ما يتعلق بآراء المراسلين حول الدولة الديمقراطية، فجميع الصحفيين الذين تسنى لي مقابلتهم متفقون على انها تشكل افضل برنامج يمكن العمل من أجله، كما انه اكثر الحلول قبولا في الغرب، **ولكن** لا يشعر اي منهم ان في الامكان تطبيقه ، والكثيرون منهم لم يتناولوه في كتاباتهم ، وتقريبا ثلث الذين قابلتهم يعتبرونه مجرد مبادرة سياسية لا يقبل بها الزعماء الفلسطينيون حقا . وقد اعرب المراسلون عن اعتقادهم انه لا يمكن الدفاع عن هذا الشعار لانه لم يحظ بتأييد جميع الفرقاء المعنيين ، فهم يشعرون ، اولا ، أن الفلسطينيين منقسمون حوله وان بعض الفلسطينيين الذين ذاقوا المرارة بعد ما يزيد عن العشرين سنة مـــن التشريد لن يقبلوا التعايش بوئام مع المواطنين الذين كانوا اسرائيليين في السابق. وكذلك فان الحكومات العربية ، وبشكل خاص الاردن ، تعارضه لانه يفترض بشكل مسبق وجود حركة فلسطينية شعبية يمكن ان تغري الشعوب العربية الاخرى للاقتداء بها . والاهم من ذلك هو المعارضة القوية التي تبديها الحكومة الاسرائيلية والتي تعتبر ان ذلك ليس سوى برنامج آخر للحصول على البلاد ، والتي باتت ايضا تخشى من التأييد الذي يناله هذا الشعار من قبل اليسار الاسرائيلي . ويشعر معظم المراسلين ان الاسرائيليين لن يتخلوا عن دولتهم اليهودية من اجل اقامة دولة غير طائفية حتى لو كان ذلك يعني

السلام مع الدول العربية الاخرى . وقد اشار عدد من المراسلين الى المرارة التي يشعر بها الجانبان والتي تراكمت بعد عدة حروب منذ ١٩٤٨ واعربوا عن شكهم بامكانية تعايش الشعبين في سلام ، وقالوا ان هذا الحل جاء في وقت متأخر فقد كان يجب ان يقدم في ١٩٤٨ وليس ١٩٦٨ . وقال عدد من المراسلين انهم لم يتناولوا موضوع الدولة الديمقراطية في مقالاتهم لانه لا يزال غامضا ولان دعاته لم يوضحوه بما فيه الكفاية كما لم يقدموه للصحافة بشكل محدد وواضح ، وكذلك فان توقيته والاعلان عنه لم يكونا في الطريقة الصحيحة . وقال قلة منهم انه لم تقدم لهم اية صيغة رسمية ، لذلك اعتبروه غير رسمي . وشعروا ان الموضوع بحاجة ، بشكل خاص ، الى مزيد من التفاصيل حول الطريقة التي يريد الفلسطينيون تنفيذه بها . وقال مراسل بريطاني : « حتى انهم لم يوضحوا كيف سيقوضون الكيان الاسرائيلي ، فكيف سيقيمون دولة ديمقراطية جديدة ؟ » وعند مناقشة مسألة التنفيذ مع مراسل يمثل وكالة انباء تابعة لدولة اشتراكية اثار هذا المراسل مسألة اساليب العنف او السلم التي ستتبع . وقد اعرب عن شعوره ان كلا الاسلوبين غير ممكن التطبيق ، لان العنف يتطلب ان يكون الفلسطينيون او مصر او سوريه قوية لدرجة يستطيعون معها هزيمة اسرائيل وفرض الدولة الديمقراطية (وهذا برايه يناقض طبيعة الدولة في ازالة علاقة المضطهد (بفتح الهاء) ــ المضطهد (بكسر الهاء) القائمة حاليا) ، او ثورة شاملة داخل اسرائيل وخارجها الامر الذي لا يعتبر واقعيا في المدى القريب . وكذلك فان الاسلوب السلمي ، اي اجراء استفتاء بين الفلسطينيين والاسرائيليين في فلسطين وخارجها تعترضه عقبات كثيرة . واكثر ملاحظة لاذعة حول التطبيق اثارها مراسل شيوعي آخر عندما قال ان الوحدة الوطنية الفلسطينية هي اخطر مشكلة تواجه الحركة الفلسطينية . وزاد « بانه اذا لم يكن باستطاعتهم توحيد صفوفهم للدفاع عن انفسهم في وجه خصم مشترك كالنظام الاردني ، فكيف بامكانهم الاتفاق على اقامة دولة وادارتها ؟ » .

وقال احد المراسلين الكنديين : في التحليل النهائي ، فان الموقف الثقافي الغربي من التنظيم يدفع المراسلين الى تفضيل انظمة قائمة فعلا على انظمة جديدة لم تحدد وتنظم بوضوح . ومع ان الدولة الديمقراطية الفلسطينية سوف تكون افضل سبيل نحو سلام عالمي دائم فان الغرب لا يزال يفضل دولة اسرائيل القائمة فعلا .

مسألة ثقة

ويمثل القسم السابق حول الدولة الديمقراطية اخطر مشكلة قائمة في الوقت الحاضر بين المراسلين الاجانب وحركة المقاومة الفلسطينية ، الا وهي الثقة . فبكل بساطة لا يصدق معظم المراسلين الاجانب الذين قابلتهم كل ما يصدر عن حركة المقاومة من بيانات وتصريحات . وقال عدد منهم انهم اعتادوا على نقل اقوال الطرفين ولكنهم الان يهملونها ما لم يؤيدوا تقاريرهم ببيان او عمل اسرائيليين . ولان معظم المراسلين يشعرون ان واجبهم هو نقل الاخبار وتفسيرها يرفضون ان ينقلوا اخبارا يعتقدون انها غير صحيحة. وقد وصفوا البلاغات العسكرية الصادرة عن المنظمات الفدائية بانها «مبالغات مذهلة » ، و« ادعاءات متفائلة جدا » و« سخافات » و« خيالات فيها خيط رفيع من الحقيقة » و« غير قابلة للتصديق » ، وكان جميع الصحفيين على اتفاق بأن هذه البلاغات ليست فقط عديمة الفعالية ولكنها ايضا مدمرة بالنسبة لحركة المقاومة اذ تسبب لها ضررا اكثر مما تنفعها . واذا كانت هذه البلاغات تحقق اهدافها على صعيد الجماهير الفلسطينية ، فانها لا تجد سوى آذانا صماء على الصعيد الدولي وذلك لانها نادرا ، ان حدث ذلك ، ما تتخطى حدود بيروت . واحد الاسباب التي ذكرت مرارا لعدم تصديق هذه البلاغات هو ان الصحف الاسرائيلية لم تورد شيئا عنها ، مع ان قلة من المراسلين

اتهموا اسرائيل باغفال بعض الانباء احيانا . وقد اعطى احد الصحفيين مثالا على ذلك التسلل الاسرائيلي داخل الاراضي الاردنية جنوبي البحر الميت في ٢٠ يناير ١٩٧٠ . ومع ان القوات الاسرائيلية خاضت معركة في الاردن استغرقت ٢٤ ساعة مع القوات الاردنية والسعودية والفدائية بالاسلحة الثقيلة بما في ذلك ٢٠ دبابة ، فان اسرائيل نفت اشتراك القوات الاردنية والسعودية وزعمت انها لم تتكبد اية اصابات مع « اننا كنا نشاهدهم وهم يجرون دباباتهم وضحاياهم عبر الحدود » ، كما قال مراسل اميركي(١٠) . وفي محاولة لتقييم البيانات الفلسطينية والاسرائيلية قام احد المراسلين بمقارنة عمليات فتح في احد الاشهر كما نشرتها صحيفة « فتح » مع ما ورد في الصحف الاسرائيلية عن هذه العمليات خلال ذلك الشهر فوجد « فروقات هائلة » في عدد العمليات والاصابات . ولان عدد ضحايا حوادث السيارات في اسرائيل ازداد كثيرا في السنوات القليلة الماضية (اصبح عدد السيارات اربعة اضعاف ما بين ١٩٦١ و١٩٦٩) ، يظن بعض المراقبين ان بعض ضحايا حوادث الحرب (فقط ١،٧ شخص من كل ١٠٠ الف مواطن) قد شملتهم ارقام حوادث السيارات (١٣،٢ شخص من كل ١٠٠ الف مواطن في ١٩٦٨)(١١) . وعندما ذكرت هذه النظرية لاحد المراسلين ، اعترف بامكانية حجب اسرائيل للمعلومات ، ولكنه قال انه لم يخطر له ذلك ، وزاد : « يرجع الامر كله الى ما يعتقده المرء » ، وانه بسبب صغر حجم اسرائيل، وكون شعبها « ثرثار » وجميع المراسلين الذين يقيمون في اسرائيل غير متعاطفين معها ، من الصعب تغطية جميع خسائر الاسرائيليين . ولكن باعتراف المصادر الاسرائيلية نفسها ، تمارس السلطات الاسرائيلية رقابة مشددة على الانباء التي يرسلها المراسلون الى خارجها . وقالت صحيفة « جروسالم بوست » انه يجب « اعتماد مزيد من الحيطة » في الانباء المتعلقة بالامور العسكرية وان ما يعتبره المراسلون في اسرائيل «اكثر اغاظة ليس سوى قرارات تتخذ على اعلى المستويات لحجب او مراقبة الانباء التي تكون قد انتشرت في الخارج ، او محاولات لمد الرقابة العسكرية الى القضايا السياسية . ومن الامثلة على ذلك اسقاط الطيارين السوفيات فوق مصر ، وانباء آخر اجتماع عقده بيجال الون ، نائب رئيسة الوزراء مع الملك حسين ... وضرب الباخرة كورال سي »(١٢) . واحد العوامل الاخرى التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند الحكم على مدى الثقة بالفلسطينيين باعتماد البيانات الاعلامية التي تصدرها اسرائيل هو انه منذ البداية ، كان جزء من الاستراتيجية التي وضعها مؤسسو دولة اسرائيل تجاهل « الشعب الاصلي » واستبعاد عرب فلسطين من مخططاتهم . وقد شاركت دول غربية اخرى ، اما لمساعدة الاسرائيليين عن قصد او لان الدعاوة الصهيونيـــة قد ضللتها ، في جريمة مساعدة الصهيونيين عن طريق تجاهل الشخصية الفلسطينية . فالبريطانيون، في وعد بلفور ، وصفوا الـــ ٩١ بالمئة من اهالي فلسطين ، بانهم « الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين » . والتقرير المقدم الى مؤتمر السلام من لجنة كينج ـــ كرين التي اوفدها الرئيس ويلسن الى فلسطين في ١٩١٩ ، يستخدم تعبيرا مشابها عندما يشير الى معارضة « الاهالي غير اليهود في فلسطين وسوريه » . والاعلان الذي اصدره الكونجرس الاميركي في ١٩٢٢ ويؤيد فيه اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يدل على ان النواب والشيوخ لم ينسوا مواطنيهم عندما اشاروا الى حقوق « المسيحيـــين والطوائف غير اليهودية الاخرى في فلسطين » . وحتى ١٩٦٩ ظل الزعماء الاسرائيليون متمسكين في موقفهم المتجاهل لوجود الشخصية الفلسطينية ، وقد تمثل ذلك في العبارات المشهورة التالية : « اي عرب ؟ ليس لهم بالكاد اي اثر » و« اي فلسطينيين ؟ انهـــم لم يوجدوا ابدا » . ولكن اسرائيل اضطرت الى الاعتراف بحركة المقاومة الفلسطينية عندمـــا تصاعدت هجماتها في قلب اسرائيل الى درجة لا تطاق . ومع ان يوسف تكواه ، رئيس وفد اسرائيل لدى الامم المتحدة ، يعترف بوجود الفلسطينيين الا انه ينكر ان لهم شخصية

ذاتية . ففي رسالة احتجاج بعث بها الى رئيس مجلس الامن ، ينحى فيها باللائمة على مصر لوجود «منظمات المقاومة التي هي في الحقيقة من صنع القاهرة ومن توجيهها »(١٣) . وحتى ديسمبر ١٩٦٩ استمرت رئيسة الحكومة الاسرائيلية بسياسة التقليل من اهمية الفلسطينيين . وقالت صحيفة «جويش كرونيكل» : (في رد جولدا مئير على اولئك الذين يطالبون بالاعتراف « بالشخصية الفلسطينية » قالت ان هذا «صداع غير ضروري»)(١٤) . وقد استمرت الرقابة في اتباع هذه السياسة في الاشهر التي سبقت هجمة ايلول ١٩٧٠ في الاردن . وتقيدا « بتعليمات رئيسة الحكومة بأن على وزراء حكومتها الاحجام عن اعطاء اي تعليق على التطورات في الاردن ... » منعت الرقابة اذاعة مقتطفات من مقابلة على شاشة التلفزيون مع عيزر وايزمن ، قائد السلاح الجوي الاسرائيلي ، ووزير المواصلات الاسرائيلي السابق ، وذلك « بأمر من جولدا مئير ... في الاسبوع الفائت . اما الاجزاء التي قطعت فكانت الردود التي اعطاها وايزمن على الاسئلة المتعلقة بردود الفعل في اسرائيل ازاء سيطرة الارهابيين الفلسطينيين على الحكم في الاردن ، أو تدخل القوات العراقية المرابطة هناك »(١٥) . وفي اعقاب الانباء التي تواترت عن الفدائيين الذين عبروا نهر الاردن الى الضفة الغربية في تموز ١٩٧١ هربا من ملاحقة الجيش الاردني ، صدر عن اسرائيل مثل آخر ينزع الثقة عن الحركة الفلسطينية بشكل يجافي الحقائق وابسط مبادىء المنطق . ويجدر الاقتباس هنا بشكل مطول : « الحقيقة هي ، بالطبع ، ان الحركة الارهابية لم تكن ابدا كبيرة او قوية على شكل ابطال الصحراء الملثمين الذين خلقهم العالم الغربي في حنينه الى بوادي الشرق الاوسط الشاسعة ، وهذه خرافة شعبية جدا في انجلتره والى حد ما في فرنسه والمانيه ، واقل من ذلك في الولايات المتحدة . ففي حين ظهر ياسر عرفات على غلاف مجلة « تايم » كالزعيم الاول للكفاح في هذا الجزء من العالم ... كان الملك حسين مدركا منذ زمن طويل انه لم يكن في الحقيقة باستطاعة هذه القوات الارهابية ان تشكل اي تهديد عسكري لاسرائيل »(١٦) . والتقليل من اهمية الغارات الفدائية في الاراضي التي تحتلها اسرائيل وحتى التجاهل اذا كان ذلك ممكنا يتفق والسياسة الاسرائيلية في اخفاء البينات بأن هذا « الشعب غير الموجود » منظم ونشط سياسيا وعسكريا ويعمل لاستعادة بلاده . ولم تنجح استراتيجية الحكومة فقط في السيطرة على الخوف في اسرائيل ومنع العالم من الاعتقاد انه يجب اشراك الفلسطينيين في أية مفاوضات للتسوية السلمية بل ساهمت ايضا في خلق مشكلة الثقة التي تعاني منها الحركة . والاثبات ان اسرائيل تحجب المعلومات المتعلقة بهجمات الفدائيين وموت جنودها لا يعني ، بالطبع ، ان البلاغات العسكرية الفدائية تخلو من المبالغة او حتى الاختلاق ، ولكنه يزيد من احتمال كون الحوادث التي لا تعلن عنها اسرائيل قد حدثت فعلا . اما الثغرات الاخرى الموجودة في بيانات المقاومة والتي تضعف الثقة بها فيمكن تصحيحها عن طريق الحركة نفسها . ويقول عدد من المراسلين ان البلاغات العسكرية نادرا ما تشتمل على اي دليل على العملية ، فانها تخلو من صور المعدات الاسرائيلية او الجنود الاسرائيليين القتلى ، كما انها لا تشير الى عدد الاسرى او القتلى او الجرحى والوقت الذي تمت فيه العملية ، الخ . وقد أعرب أحد المراسلين عن شكه في أن يكون ابو عمار هو الذي قاد المعركة ضد القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان في ١٠ آب ١٩٧١ ، لانه لم يتم عقد اي مؤتمر صحفي لشرح الهجوم . وقد أحس بأنه اذا كان القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية هو الذي قاد المعركة بالفعل فان الامر يستحق جهدا اعلاميا اكثر من مجرد بلاغ عسكري . وفي حروب العصابات ، على أي حال ، يعترف معظم المراسلين بأنه من الصعب جدا الحصول على أعداد مضبوطة للقتلى او على صور او اية بينات أخرى ، وان عدم التنظيم والتخصص تسببا في عدم الدقة في البيانات الصادرة عن هذه العمليات . ومن الامور التي تجعل المراسلين اقل تصديقا

للبلاغات اللغة المبتذلة التي تكتب بها . فقد استخدمت البيانات التي تصف القتال في الاردن بعض التعابير مثل « قتال يدا بيد » ، والذي وصفه مراسل احدى الوكالات بأنه « سلام بالايدي » ، وقال عن احداث تموز ١٩٧١ ان « اي شخص كان هناك لم يكن يرى سوى عدد قليل من الصواريخ من هنا وهناك » . والتعابير العامة مثل « وقتل وجرح عدد من الاسرائيليين » و« تكبد العدو خسائر فادحة » و« عـاد جميع الفدائيين الى قواعدهم سالمين » تتكرر باستمرار لدرجة ان مراسل احدى الاذاعات قال « انها تبدو كالدمى الناطقة » . وذكر عدد من المراسلين ان مكاتب المنظمـة الواحدة في بيروت وسوريه والاردن كثيرا ما كانت تورد حقائق متباينة عن العملية نفسها مما يهز الثقة بما يقوله كل مكتب . ومن العوامل الرئيسية الاخرى في زعزعة الثقةكانت نسبة العملية ذاتها لاكثر من منظمة ربما بسبب التنافس بين المنظمات المختلفة . وحول اعادة الثقة مع الصحافة والراي العام قدم مراسلان من بلدين ليس بينهما علاقات ديبلوماسية منذ عشر سنوات بسبب اختلاف الآراء السياسية النصيحة ذاتها تقريبا وهي ان « افضل وسيلة للتوجه الى الغرب اعلاميا هي في الحقائق وليس الكلمات » و« تعلقوا بالحقيقة وبالحوادث التي يمكن اثباتها ولها استراتيجية تهدف الى ارغام الطرف الآخـر على الاعتراف بالحقيقة » .

آراء المراسلين : ما مدى اهميتها ؟

من العوامل الهامة التي يجب اخذها بعين الاعتبار عند معالجة قضية الصحافة هي ان مواقف المراسل ومعتقداته تلعب دورا حاسما في تقاريره . ودقة البلاغ العسكري او الامانة في عرض فكرة الدولة الديمقراطية لا تحدد ما اذا كانت الانباء ستتحدث عنها ، اذ ان العنصر الذي يحدد ذلك هو مدى اعتقاد المراسل بأنها صحيحة وممكنة التنفيذ وهامة . لذلك يجب توجيه الجهود لاعادة الثقة ليس فقط نحو عرض افضل للحقائق ولكن أيضا في التعامل مع معتقدات المراسلين ومحاولة استعادة ثقتهم . ويمكن تحقيق ذلك باتباع الطريقتين التاليتين في الوقت نفسـه . المخطط الاول يهدف الى تدمير الثقـة الاسرائيلية عن طريق جمع المعلومات بأن اسرائيل في الحقيقة تخضع الانباء السياسية والعسكرية للمراقبة وتمنع الصحفيين من التواجد في بعض المناطق التي لا تعتبر حساسة بالنسبة لامن الدولة ، كما حدث ابان معركة الكـرامة ، وفي ٢٢ آذار ١٩٦٨ نشرت « جروسالم بوست » ثلاث مقالات مطولة عن معركة الكرامة داخل الاردن وكانت كلها تشكل المصدر الذي استقى منه المسؤولون الاسرائيليون معلوماتهم ، كما جرت العادة في الانباء المتعلقة بالعرب . وقد حملت هذه المقالات العناوين التالية : « اسرائيل تقضي على قواعد فتح في الاردن » ، « حرب اليوم الواحد » و« اهداف صريحة تحققت : يقول بارليف » ، وفي زاوية من احدى الصفحات الداخلية هناك خبر صغير بالكاد يلاحظ يحمل العنوان التالي : (يكتبون عن « الحرب ») ويقول : « لقد تم امس نقل ستين صحفيا يمثلون الصحف العالمية ومحطات الاذاعة والتلفزيون الى اريحا ، ومن ثم اعيدوا منها . وقد انطلقت سيارتا الباص اللتان كانتا تحملان هؤلاء الصحفيين ، الاولى من القدس والثانية من تل ابيب ، في وقت متأخر كما وصلتا الى غير المكان المقصود واستمع ركابهما الى تقرير من غير الشخص المسؤول... فقد قدم ضابط التعليم في القيادةالوسطى تقريرا بلغتين سرعان ما انتهى،وظهر انه نفسهلم يكن على علم بكل ما يجري كما انه كانمحفظا بالنسبة للمعلومات التي لديه » . ويقول الكاتب انهم من المنطقة التي اخذوا اليها تمكنوا فقط من رؤية دخان ضئيل على مسافة بعيدة . ومضى يقول : « حاول بعض الصحفيين المحليين ، بمبادرة ذاتية منهم ، الوصول الى مسرح العمليات الحقيقي ، ولكن وحدات الامن أرسلتهم الى المؤخرة » . وبصرف النظر عما اذا كانت مثل هذه الحوادث وقعت

صدفة او عن تصميم مسبق ، فان جمع امثلة كافية عن تعامل اسرائيل مع الصحفيين والمراقبة يمكننا من صياغة وجهة نظر قوية ضد الثقة باسرائيل . ولكن افضل سبيل لاعادة الثقة بين المقاومة والمراسلين الاجانب ليس فقط في تقديم معلومات صادقة بل ايضا تعيين ناطق مصداق. واختيار الرجل الذي يتمتع بالصفات التي يراها المراسلون انفسهم ضرورية يزيد الثقة بهم وذلك طبقا لدراسات في علم النفس الاجتماعي حول الدعاوة والاقناع : « المهم بالنسبة لمثل هذه المعلومات التي تنقل اجتماعيا هو ان يقيّم الموضوع (أي المراسل) ليس فقط المعلومات التي يبثها المصدر (أي الناطق) بل المصدر نفسه كذلك . والاهم من ذلك ايضا ... يؤثر تقييم المصدر على تقييم الرسالة المقنعة ومن هنا يؤثر على احتمال تغيير الموقف »(١٧). لذلك فان الصفات التي يتمتع بها الناطق ذات اهمية في تحديد ما اذا كان المراسل سيصدق ما يقوله ، وبالتالي يكتب لمصلحة المعلومات التي تلقاها من الناطق . وقد اشار معظم المراسلين الى ان الناطقين الفلسطينيين يجب ان يكونوا من الشخصيات النافذة التي على اطلاع بالخطط والوسائل والنشاطات التي تقوم بها الحركة ، كما ان عمل الناطق ومركزه في المنظمة يجب ان يكون بمثابة وزير الاعلام . وعليه ان يتمتع بثقة واحترام الآخرين في الحركة ، ومن خلال اتصالاته مع الصحافة الاجنبية يعتاد عليه الراي العام العالمي مما يجعل التغذية الاسترجاعية للمنظمة اكثر دقة . ومن شأن مثل هذه الصفات في الناطق ان تساعد في خلق الثقة وتغيير المواقف في اتجاه المقاومة ، وهناك مبدأ مثبت جدا في علم النفس يقول ان التغيير في الراي في الاتجاه المرغوب يكون اكثر لو كان المتصل يتمتع بثقة عالية مما لو كان يتمتع بدرجة ادنى من الثقة ، وبعض العوامل التي تحدد مستوى الثقة هي : الاعتبار والتخصص والصدق(١٨). ومن المقترحات الاخرى التي قدمها المراسلون الغربيون ويبررها علم النفس هي ان على الناطق الفلسطيني ان يكون متفهما للغرب وانظمته وشعوبه وصحافته . وان الفرد الذي يدرك ان عمل المراسل يتطلب منه البحث عن الحقائق والذي لا يشتبه بالجواسيس لدرجة انه لا يفضي حتى بمعلومات عامة يخفف بعضا من المشاكل التي يواجهها المراسل . ويكون بذلك كالانسان الذي يفهم الفعالية والتنظيم واحترام الوقت وغيرها من الامور التي اعتاد عليها الغربيون . ويفضل عدد من المراسلين ، وخاصة مراسلي الاذاعة والتلفزيون الرجل الذي يتقن التحدث بالانجليزية والفرنسية ، فالمستوى الثقافي المتقدم وفهم اللغة من شأنهما ازالة الرهبة التي قد يشعر بها المراسلون عندما تكون الاسلحة امامهم على المناضد ، وكذلك الاثارات التي يحسون بها عندما يشجب الناطقون اعمال حكوماتهم ، وايضا سوء التفاهم الذي عادة ما يحدث بسبب الاخطاء في الترجمة الناجمة عن اختلاف اللغة . فالدراسات اثبتت ان الناس يقتنعون اكثر بما يقوله انسان يشعرون انه قريب منهم ، خاصة اذا كان في الاساس يعرض آراء يشاركه فيها مستمعوه . لذا فان حركة المقاومة يمكنها خدمة قضيتها بتقديم ناطقين مثقفين ثقافة غربية ، هذا اذا ما ارادوا لاجهزة الاعلام العامة في الغرب ان تتحدث عن هذه القضية . واشار المراسلون الاجانب من الدول الثورية الى جهل كبير لدى الثوريين العرب بما يجري في العالم الشيوعي ، فعلى سبيل المثال ، سئل مراسل كوبي ان كان شعب كوبه يتكلم بالفرنسية . واما الاقتراح الثالث الذي قدمه المراسلون فهو ان يكون للناطقين علاقات مع هيئات الاعلام الفلسطينية الاخرى مثل جمعية الخامس من حزيران ولجنة السيدات العربيات للاعلام ومع مراكز الابحاث مثل مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية وذلك لكي يتمكنوا من ارشاد المراسلين الذين يهتمون بمعلومات عن خلفيات الانباء لمقالاتهم . وهذا يكون لصالح الحركة وذلك مع ان الاعلام بحد ذاته لا يغير الاتجاهات تقريبا ، فان المعلومات الجديدة والمقبولة من شأنها ان تدعم الآراء التي يتبناها الناس . وهنا لا بد ان نلاحظ ان الاخذ

بهذه المقترحات عند اختيار الناطقين ليس من شأنه فحسب تحسين الثقة بحركة المقاومة عن طريق جعل مصدر الاخبار اكثر تصديقا ، بل ايضا ، عن طريق ارضاء رغبات المراسلين ، والدفع في اتجاه اقامة علاقات شخصية افضل مع اهم حلقة اعلامية للمقاومة مع العالم الخارجي بشرقه وغربه . ومن المقترحات الهامة التي قدمها عمليا جميع المراسلين واحد يشير الى ثغرة رئيسية اخرى في حركة المقاومة ، ليس فقط في الاعلام بل ايضا في التنظيم كذلك ، وهو الوحدة . فقد اقترح المراسلون ان تتفق جميع فصائل المقاومة على تعيين ناطق واحد « يمثل جميع المنظمات تمثيلا صحيحا » ، وان يتم انشاء مكتب اعلامي مركزي لاصدار المعلومات وترجمة البيانات وتقديم تقارير موجزة عن الانباء للمراسلين . واوضح احد المراسلين ان انشاء وكالة على نسق ما فعلته الثورة الجزائرية من شأنه ان يساعد المراسلين كثيرا في نقل الانباء عن حركة المقاومة . ومن الفوائد الجلية التي يمكن لحركة المقاومة ان تجنيها من وراء اقامة مكتب مركزي هي تنظيم الاعلام بعناية وتخفيف سوء التفاهم بين المنظمات وتنافسها من اجل الاهتمام الصحفي . وعن طريق تقريب الفروقات بين المنظمات والتركيز على نقاط الالتقاء فيما بينها يمكن ايضا المساعدة في مجابهة بعض الصحفيين المعادين والاسرائيليين الذين يحاولون ابراز الفروقات بين مختلف المنظمات .

وسائل الاعلام العامة والرأي العام

لا اعتقد ان هناك الكثير من الناس الذين يجرؤون على الادعاء بان ليس للرأي العام في الدول الراسخة والمتطورة دور هام في اختيار القادة وتحديد السياسة ووضع الاهداف . فالرأي العام تمكن من ارغام الملوك على الغاء مراسيمهم والرؤساء على سحب قواتهم من اراضي الدول الاخرى والزعماء الثوريين على مراجعة اعمالهم واساليبهم . وكثيرون هم السياسيون الذين اصبحوا شعبيين فقط لانهم فهموا الرأي العام وجعلوا انفسهم يظهرون كالزعماء عن طريق السير وفق اهواء الجماهير ورغباتها. وقد عزا احد المحاضرين الاسرائيليين في دائرة العلوم السياسية بجامعة تل ابيب السبب الذي جعل حزب العمال يتسلم القيادة في اسرائيل الى هذا النوع من الانتهازية ، فقد قال : « من اسرار نجاح النخبة المسيطرة في حزب العمال الحاكم هو تفهمهم للآراء المختلفة بين الجماهير وادراكهم ما هي المواضيع التي يمكن طرحها في الساحة السياسية وما هي المواضيع التي يمكن تأجيلها »(١٩). وكثير من الكتب التي تتحدث عن الصحافة تركز على اهمية وسائل الاعلام العامة في خلق رأي عام وتوجيهه . فمثلا : الكتاب الذي يدرّس في دائرة الصحافة في الجامعة الاميركية في بيروت يقول : « تستطيع الصحافة وغالبا ما تؤثر على مجرى الاحداث التي ينقلها المراسلون وذلك لانها توجه نظر الرأي العام الى البؤرة واحيانا تخلق هذه البؤرة » . ومن المعروف ان الصحفيين انفسهم يلعبون دورا هائلا في التأثير على الاحداث : « في هذه الايام من الاتصال العام الآني تقريبا يمكن اعتبار مهمة رجال الاعلام العام اكثر من مجرد تسجيل للتاريخ ، انهم يساعدون على صياغته ، ولا شك انها لمسؤولية مثيرة »(٢٠). وفي توضيح بعض المراسلين للسبب الذي لم تعاملهم المقاومة فيه معاملة ودية ، اعربوا عن اعتقادهم ان الفلسطينيين اما انهم لا يدركون قيمة العلاقات العامة الناجحة ، ولا يستطيعون توظيف الدعاوة للحصول على افضل النتائج ، او انهم لا يفقهون ما قد يجنوه عن طريق الاعلام . وقال احد المراسلين الاميركيين : « لقد اثبت العرب دائما انهم اسوأ اعداء لانفسهم في مجال الاعلام » . واشار الصحفيون الى ان عدم وجود سياسة موحدة وعدم الاهتمام بالتنظيم والوقت ، وعدم توافر الناطقين والمسؤولين يدل على ان الفلسطينيين لا يعملون على الاستفادة من رجال الصحافة الاجنبية على افضل وجه . ومع ان الفلسطينيين قد

عبروا عن ادراكهم لقيمة الاعلام بالنسبة للحركة الثورية لمساعدتها في تعبئة الجماهير وحشدها وتقديم حقائق النضال للقواعد وتثقيف الكوادر المعبئة ، يظهر عدم وجود نوع من المتابعة ان لم يكن عدم فهم للوسائل والطرق التي يمكن من خلالها كسب الانصار في الصحف ، وخاصة منذ اكتوبر ١٩٧٠ . وبالامكان الاستخدام بفعالية اكثر بعض المبادىء الرئيسية لفن الاقناع وتغيير المواقف ، ليس في اختيار الناطقين فحسب ولكن في تقديم الانباء كذلك . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، على الشخص الذي يعمل لكسب الانصار ان يعرف : (١) متى يستخدم الخوف والمناشدة العاطفية ومتى يستخدم المناقشات العقلانية ، (٢) متى يقدم الاستنتاجات بصراحة ومتى يترك ذلك للجمهور ، (٣) كيف يستخدم الآراء التي تدعم رايه سلبا او ايجابا خلال محاولته اقناع الاخرين برأي ما ، (٤) متى عليه ان يعرض وجهتي النظر في موضوع ما ومتى يعرض وجهة نظر واحدة ، (٥) بأي ترتيب يجب عرض وجهة النظر ، (٦) كيف يمكن للشخصية والمستوى الثقافي ان يؤثرا على المستمعين . وهناك اسلوب لكسب الانصار تؤكد عليه منظمات امريكية عدة بما في ذلك الفهود السود والمتظاهرون من اجل السلم والطلبة في الجامعات ، وقد اتبع هذا الاسلوب في السابق ولكنه توقف عمليا بعد اكتوبر ١٩٧٠ ، وهو دعوة الهيئات المختلفة والاشخاص الى زيارة المخيمات والقواعد واجراء مناقشات عامة عوضا عن المقابلات والمؤتمرات الصحفية . ومن شأن هذا الاسلوب ليس فقط زيادة احتمال تغيير الآراء لانه يجعل المستمعين مشتركين شخصيا ، ولكن التأثير الدائم للتغيير يكون اكبر(٢١). وعلى أي حال ، هناك سؤال هام لا بد من طرحه وهو : هل حقا باستطاعة الاعلام العام ان يغير الراي العام ، وهل باستطاعة نقل الاخبار المؤيدة لوجهة نظر الفلسطينيين كسب انصار جدد لحركة المقاومة الفلسطينية ، وهل الاشخاص الذين يؤيدون القضية الفلسطينية كلاميا على استعداد للعمل من اجل تحرير فلسطين ؟ ولما كان الكثير من الدراسات يشير الى ان القراء يميلون الى قراءة ما يتفق مع آرائهم ، ما هو التغيير الذي يمكن ان تحدثه المقالات المؤيدة للعرب علما بأن الذي يؤيد الصهيونية يتجاهل المقالات المؤيدة للعرب عند قراءته للصحف الغربية ؟ في الحقيقة ، يمكن رفض الرسالة التي تتحدى معتقدات القارىء وقيمه ، كما يمكن اساءة تفسيرها او حتى تشويهها . والاسوأ من ذلك هو ان الشخص الذي تخضع معتقداته حول موضوع ما لضغوط معينة يفضل قراءة الرسائل التي تعزز وجهة نظره ، لذا فان المقالات التي تؤيد العرب بقوة يمكن ان تعطي مفعولا عكسيا(٢٢). ويعتقد كثيرون من علماء النفس ان رجال الاعلام العام عملوا على تضخيم قضيتهم ، ويقولون : « للصحافة قوة سلبية ــ لدغدغة، وارهاب ، واثارة ، وتسلية وتحقير وازعاج وحتى ارغام الفرد على الانسلاخ عن مجتمعه او عمله . ولكن بالنسبة للقوة الايجابية التي تدّعيها والتي يحلم بها ملوك الصحافة ــ التسبب في الحروب ، قلب الحكومات ، تغيير مجرى الانتخابات ، ايقاف حرب معينة أو التسبب في قيام ثورة ما ــ فليس هناك بينة ملموسة على نجاحهم في ذلك»(٢٣). ولسوف يقول كثير من المسؤولين عن الاعلام في الدول العربية ان الدعاوة الصهيونية هي المسؤولة عن وصول اسرائيل الى حيث هي الان، وان ضعف العربي في مجال الصحافة هو بمثابة مقتله. ولكن اية نتائج كان باستطاعة الدعاوة الصهيونية ان تحقق بدون القوة السياسية والاقتصادية التي تساندها ؟ وهل كانت النداءات العاطفية المستمرة من اجل اليهود في المانيه تطبع في الصحف لان المقالات كانت تعتمد على الحقائق والبحث الدقيق ومكتوبة بطريقة صحيحة ، أو لان لليهود قضية عادلة ؟ ليس هناك اي رئيس تحرير على استعداد لفتح صفحات جريدته لمثل هذه المقالات المكررة عن شعب معذب ومضطهد (بفتح الهاء) ما لم يكن هو او صحيفته على يقين بأن سيكسب او سيخسر بطبعها او عدم طبعها(٢٤). ومن الاسباب الرئيسية لنجاح الدعاوة الصهيونية هو ملكية الصهيونيين

للصحف وسيطرتهم على الاعلانات . فقد كان النفوذ والقوة والاموال والتهديد بتهم من مثل « معاد للسامية » و« معاد للانسانية » التي كان يملكها الصهيونيـــون في الدول المختلفة ، وليس فقط النداءات المشبعة بالعواطف والتي كانت تبث عن طريق الاعلام العام ، هي السبب في نجاح الصهيونيين في ارغام وليس اقناع الحكومات النافذة بقبول فكرة ان اليهود يستحقون دولـــة تقام لهم في فلسطين . والواقـــع ان عـــالمي النفس مظفر وكارولين شريف، المتخصصين في حقل تغيير الراي، لا يشجعان الفلسطينيين الذين يحاولون التودد للمراسلين الاجانب على امل تحويل الراي العام الاجنبي وحكوماتهم لتأييد عودة الفلسطينيين الى بلادهم ، ويقولان : « لقد اجريت محاولات هائلة في البحث التطبيقي للتأكد من فعالية الاعلام العام من قبل اولئك الذين يعملون في مجالات التسويق والاعلان والسياسة ... وكانت النتيجة محيرة تماما لدعاة استخدام الاعـــلام العام وذلك بسبب حدوث تغيير بسيط في المواقف واقل من ذلك في السلوك العام ... وفي الحقيقة ، تدل بعض النتائـــج على ان حملات الاعـــلام العام يمكن حتى ان تؤدي الى عكس النتيجة المتوخاة ...»(٢٥).

لقد استعرضنا بالتفصيل في هذا البحث مواقف المراسلين الاجـــانب من عملهم ، ومن الانباء ، ومن حركة المقاومة الفلسطينية واهدافها ، ومن مهمة الاعـــلام . وبايجاز تم ايضا استعراض اهمية مواقف الصحفيين والراي العام وتاثير الاعلام العام على الراي العام ، والان لا بد من استعراض تاثير الاعلام العام على الحركة الفلسطينية .

ماذا قدم الاعلام للقضية الفلسطينية ؟ هل قرب الراي العام من الموقف العربي ؟ يشك معظم المراسلين في ذلك . هل اكسبهم انصارا جددا ؟ بدون شك يعلم معظم الناس من هم الفلسطينيون وفي سبيل ماذا يقاتلون ، وحتى ان البعض يؤيدونهم كلاميا ، ولكن ماذا فعلوا من اجل هدف تحرير فلسطين ؟ ويصرخ بعض الفلسطينيين الملتزمين : « نريد من العالم ان يعرف عن الفلسطينيين » ، « لنا الحق في بلادنا » ، « على العالم ان يهتم بنا » . وما ينساه هؤلاء هو انه يجب اشراك غير الفلسطينيين شخصيا قبل ان يبدوا اهتمامهم . وقد اظهر استفتاء اجرته مؤخرا مؤسسة جالوب في الولايات المتحدة ان اغلبية الاميركيين يهتمون بالاقتصاد الاميركي اكثر من الحرب في فيتنام ، تلك الحرب التي كان يعارضها في السابق عدد كبير من الاميركيين بما في ذلك الطلبة والجنود السابقون ودعاة الانسانية والناس الذين تاثرت حياتهم بالحرب . وكذلك فان الاوروبيين يميلون الى الاهتمام بمشاكل دولهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . والمعروف ان اول ما يتذكره الانسان العادي هو حاجاته الضرورية ، وعندما يتم اشباع هذه الحاجات يمكن ان يهتم بمشاكل الاخرين . لذلك من السخف الاعتقاد انه يمكن جعل الاجانب الذين لا يهتمون ســـوى بمشاكـــل دولهم وبمشاكلهـــم الشخصيـــة يهتمون كثيرا بنضـــال الفلسطينيين ضد الانظمة العربية واسرائيل ، فقط عن طريق تزويدهم بالمعلومات . واذا لم يكونوا متورطين ولا يحسون انهم مرتبطون شخصيا بالوضع لن يبادروا الى القيام بأي عمل ، علما بأن التأييد الناشط وليس العطف السلبي هو ما تحتاجه الحركة الفلسطينية . لقد نشر اسم فلسطين على صفحات الجرائد والمجلات منذ مارس ١٩٦٨ حتى اكتوبر ١٩٧٠، ولكن ما هي النتائج الايجابية التي حصلت عليها الحركة ؟ بالعكس ليس الحركة الان اكبر بعدا عن اسرائيل من السابق ، ولكن وحدتها لا تبدو وكأنها في تقدم ، وبدأ زعماؤها يحجبون انفسهم عن الصحافة ، وهكذا اصبحت الثقة بالحركة ككل معرضة لخطر شديد . واذا كان هناك اعتقاد بأن للاعلام الموجه للاجانب تأثيرا ما هل يوظف هذا الاعلام بأفضل الطرق الممكنة ؟ كم من اولئك العاملين في حقل الاعلا الفلسطيني وضعوا لانفسهم اهدافا بعيدة المدى وقاموا بتقييم تقدمهم حتى الان ؟ هل

مقياس النجاح الوحيد هو عدد النشرات التي تباع أو الاشخاص الذين يستمعون الى المحاضرات التي تدور حول القضية الفلسطينية ؟ اعتقد ان أحد أساليب الادارة الذي يطلق عليه اسم « الادارة بالاهداف » يمكن ان يكون ذا فائـــدة للمسؤولين في الاعلام الفلسطيني . ووفقا لهذا الاسلوب يجب اولا تحديد الاهداف ، ومن ثم وضع المخططات لتحقيق هذه الاهداف ، وتأتي بعد ذلك المرحلة الهامة وهي تحديد معالم للتقييم في مراحل مختلفة لقياس مدى نجاح المخططات . واذا لم يتم تحقيق اية مكاسب عن طريق هذه المخططات يجب تغييرها . وما لم تكن النشاطات ذات هدف محدد وتنفذ وفقا لخطة محددة ومن ثم يتم تقييمها لمعرفة مدى فعاليتها تصبح هذه النشاطات دون اتجاه أو قوة كالريشة في مهب الريح . وهناك اسلوب اخر لكسب الانصار اقترحه بعض المراسلين ويتفق مع جملة قالها عضو في مجلس العموم البريطاني في العام ١٩٣٨ وهي : « لا يمكن ان يستمع العالم للعرب الا عن طريق العنف»(٢٦). ومن الطريف ان هؤلاء المراسلين اشاروا على المقاومة ان تغلق جميع مكاتب الاعلام وان تتوقف عن اصـــدار البيانات والبلاغات العسكرية للصحافـــة الاجنبية وان تضع بندقية في كـــل يد مدربة وتبدأ في « الاعمال بدلا من الإقوال » . والسبب الذي جعلهم يقولون ذلك هو ان شوطا كبيرا قد تحقق في جعل العالم يدرك وجود الفلسطينيين ، كما ان الابحاث والهيئات الاعلامية تعمل على توضيح القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير . لذا على حركة المقاومة ان تركز جهودها على الكفاح المسلح . والمسؤولون في حركة المقاومة الذين يتفقون مع ذلك من حيث المبدأ يعطون فييتنام كمثل عملي . لقد بات العالم يعرف الكثير عن ذلك الشعب الذي يعيش في الشرق الاقصى ويناضل ضد اعتى قوة في العالم. ونتيجة لذلك تشكلت حـــركات لتأييدهم في مختلف ارجاء العالم . ولم ينجم هذا التأييد بسبب الكتابات الكثيرة عن شعب فييتنام الشماليـــة على يد رجال العلاقات العامـــة أو سفراء فييتنام . وهناك القليلون الذين يعرفون الشيء الكثير عن المنظمات القائمة في فييتنام والفروقات فيما بينها ، ولم يتنافس زعماؤهم على تصدر صفحات الجرائد العالمية ــ وفي الحقيقة ، يسمح لعـــدد قليل من الصحفيين بزيارة المنطقة المحررة ، واولئك الذين يسمح لهم غالبا ما يكونون شيوعيين يمكن الثقة بهم . لقد نجح شعب فييتنام الشمالية في تصدر انباء الصحف العالمية وكسب الانصار في العالم لان نضالهم ، وليس مكاتبهم الاعلامية ، هو الذي لفت الانظار . والقطاع الوحيد من الفلسطينيين الذي يشعر العالم باحترام مماثل له هو شعب غزة الذي يقاوم الاحتلال الاسرائيلي باخلاص وشجاعة تجعل انباء هذا القطاع الصغير تصل الـــى الصحف العالمية كل يوم تقريبا .

ان التغطية الصحفيـــة المتزايدة تنجم عـــن مزيد من المقاومـــة ، واقامـــة علاقـــات افضل مع المراسلين الاجانب نتيجة لتنظيم واعلام افضل من شأنه ايضا ان يساعد في نشر المعلومات عن حركة المقاومة الفلسطينية . واذا كانت الاموال أو الطاقة البشرية متوافرة ولكن بشكل محدود ، فيجب اعتمادا على التجربة السابقة تحديد افضليات لاية خطط للمستقبل . لماذا تحاول الحركة اقناع المراسلين الاجانب بقدرتها على الحياة في الوقت الذي لا تستطيع فيه التحدث عن أية قوة اظهرتها في وجه النظام العربي الذي كان خصمها الرئيسي خلال العام المنصرم ؟ واخيرا يجب التأكيد بأن الاعلام يجب ان يكون جزءا لا يتجزأ من خطة شاملة لتحرير فلسطين ولكن بناء على اهميته كما تتحدد من خلال ما يقدر له من نجاح أو من خلال قيمته الممكنة وليس من خلال الحكم عليه من بعيد . وقليلون هم الذين يمكن ان ينكروا ان الاعلام يمكن بل ويجب استخدامه بفعالية كأداة لكسب التأييد العام ، ولكنه ازميل وليس مطرقة .

الحواشي :

١ — J. Edward Gerald, *The Social Responsibility of the Press*, East West Center Press, Honolulu, 1966, p. 158.

٢ — « **نيو آوت لوك** » ، « الفدائيون : اسرائيل ليست أمة » ، آذار ١٩٧١ ، المجلد ١٤ ، عـدد ٢ (١٢١) ، ص ٣٦ — ٤٢ .

٣ — كتب روي ايسويان من « الاسوشيتدبرس » مقالا انتقاديا حول الصعوبات التي يواجهها المراسلون الاجانب في تعاملهم مع الحكومات العربية لـ : مجلة **الجمعية الاميركية لرؤساء تحرير الصحف** ، آذار ١٩٧٠ .

٤ — والتر هـ. مالوري ، محرر ، هاربر ورو ، نيويورك ١٩٦٧ .

٥ — *Public Opinion: Nature, Formation and Role*, Von Nostrand, Princeton, 1965, p. 171.

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧٦ .

٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧٧ .

٨ — Edwin Emery, Phillip H. Ault, and Warren K. Agee, *Introduction to Mass Communications*, Dodd, Mead, and Co., New York, 1970, p. 121.

٩ — لاحظ روبرت هومان في « مراقبة الصحف في اميركه » ، **العالم الاشتراكي الوطني** ، الصيف ، ١٩٦٧ ، ان نصف التوزيع المشترك للصحف الاميركية ملك لليهود — يبلغ العدد ١٢٠٦ مليـون عدد . ولمزيد من التفاصيل حول الصعوبات التي يواجهها الكتاب العرب ، انظر خالد قشطيني ، « القضية في الصحافة » ، من كتاب : **الحكم غيابيا** ، مركز الابحاث — م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٦٣ — ٧٧ .

١٠ — انظر **جويش كرونيكل** ، ٢٣ يناير ١٩٧٠ .

١١ — الارقام مأخوذة من الموجز في الاحصاء الصادر عن الامم المتحدة ، الجدول ٤٥ : الموت ومعدلات الموت بسبب ما ، ١٩٦٩ .

١٢ — العدد الاسبوعي من **جروسالم بوست** ، ٢٠ يوليو ١٩٧١ .

١٣ — **انترناشيونال هيرالد تريبيون** ، ١٤ فبراير ١٩٦٩ .

١٤ — **جويش كرونيكل** ، ٢٣ يناير ١٩٧٠ .

١٥ — **جويش كرونيكل** ، ١٩ يونيو ١٩٧٠ .

١٦ — **جروسالم بوست** ، ٢٠ يوليو ١٩٧١ .

١٧ — Theodore M. Newcomb, Ralph H. Turner. and Philip E. Converse. *Social Psychology*, Holt, Rinehart, and Winston, New York, 1965, pp. 99-100.

١٨ — كارلينز (انظر الحاشية ٢١) ، ص ١٠٨ .

١٩ — الن اريان ، « الاستقرار والتغير في الرأي العام والسياسة في اسرائيل » ، مجلة **الراي العـام الدورية** ، مجلد ٣٥ ، ربيع ١٩٧١ ، عدد ١ ، ص ٣٤ .

٢٠ — ايمري ، اولت واجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦ .

٢١ — كتاب ممتاز لغير المتخصصين في علم النفس يشرح بالتفصيل المبادىء المشار اليهـا سابقـا هو : *Persuasion: How Opinions and Attitudes Are Changed*, Marvin Karlins and Herbert I. Abelson, Springer, New York, 1970.

٢٢ — ايمري ، أولت وآجي ، **المصدر السابق** ، ص ٨ .

٢٣ — T. S. Mathews, *The Sugar Pill*. Simon & Schuster, New York, 1959, p. 166, taken from Harwood L. Childs, *op. cit.*, p. 182.

٢٤ — انظر الفرد م. ليلنتال ، **ثمن اسرائيل** ، ريجنري ، شيكاجو ، ١٩٥٣ . ص ١٢٣ .

٢٥ — Muzafer Sherif, Carolyn Sherif, *Social Psychology*, Harper & Row, New York, 1969, p. 468.

٢٦ — مايكل ايونيدس « الصهيونيون والارض » ، « **من اللجوء الى الغزو** » . وليد الخالدي ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٦٠ .

الادب الاسرائيلي لجيل حرب ١٩٤٨ بين الالتزام الصهيوني والبحث عن الذات

رشاد الشامي

بعد أن أصبحت القومية اليهودية عنصرا حاسما في تحديد ملامح الحياة اليهودية في « الدياسبورا » (الشتات) ، وبعد أن فقدت اللغة العبرية قدسيتها واصبحت لغة الانتاج الادبي شعرا ونثرا ، أصبحت هناك ارهاصات لانتاج عبري شكل بداية فترة الادب العبري الحديث . والمقصود أساسا بالادب العبري هو ذلك الانتاج الذي كتب باللغة العبرية ، أو بحروف عبرية مع أن اللغة التي يكتب بها قد تكون لغة اخرى ، وذلك على غرار انتاج موسى بن ميمون الذي كتب باللغة العربية ولكن بأحرف عبرية — ويدخل ضمن هذا التعريف كذلك الانتاج المكتوب باللغة الارامية، وذلك لصلة القرابة الوثيقة التي تربطها باللغة العبرية . وهناك كذلك ما يسمى بالادب اليهودي ، ويقصد به ذلك الانتاج الذي يكتبه اليهود في شتى انحاء العالم وبمختلف اللغات ، وعلى هذا الاساس هناك أدب يهودي انجليزي ، وأدب يهودي أمريكي ، وادب يهودي فرنسي ... الخ . أما الادب الاسرائيلي فيقصد به ذلك الانتاج الذي أنتجه الادباء والشعراء في فلسطين سواء كان ذلك خلال فترة الانتداب البريطاني ومرحلة الهجرات اليهودية الى فلسطين، أو بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . ولكن مع هذا فان الادب العبري الذي أنتج بعد قيام اسرائيل هو الممثل الاكمل لما يسمى بالادب الاسرائيلي(١).

كان من السهل دائما عمل تمييز دقيق بين عصر أدبي وآخر بالنسبة لتاريخ الادب العبري عامة وبصورة قاطعة ، حيث يقسم ذلك الادب الى : عصر الادب العبري القديم (عصر تدوين العهد القديم والتلمود والشفا والشروح التي كتبت عليها) ، وعصر الادب العبري الوسيط (العصر الذهبي للادب العبري في اسبانيا حيث اقتفى اثر الثقافة العربية في كل المجالات) ، والعصر الحديث للأدب العبري (مع بداية ظهور القومية اليهودية) ، ثم الادب العبري المعاصر (وهو الادب الذي انتج بعد قيام دولة اسرائيل مع بداية الخمسينات) الا انه من الصعب بوجه عام التمييز بين مرحلة ادبية واخرى تالية لها ، وعلى الاخص بالنسبة لفترة الادب العبري الحديث والمعاصر . ويرجع السبب في ذلك الى أن الخط الفاصل بين هذه المراحل لا يكون واضحا تماما ، ومن السهل تجاوزه بسرعة وسهولة . والواقع انه لو كان هناك مبرر للتمييز ووضع الفواصل ، فان هذا المبرر يقوم على أساس الحاجة الى عمل تصنيف مبدئي للاعمال المختلفة التي تمثل هذه الفترة عبر تطوراتها . وعلى هذا الاساس يمكن تقسيم فترة الادب العبري الحديث والمعاصر الى ثلاث مراحل رئيسية :

---

١ — رشاد الشامي ، **حييم نحمان بياليك ، حياته — اتجاهاته الادبية** ، (رسالة ماجستير في الادب العبري الحديث من جامعة عين شمس ، ١٩٦٩) ، الباب الاول .

المرحلة الاولى ، وهي مرحلة « ادب عصر الاحياء القومي » : وتضم اعمال اولئك الكتاب الذين كانوا اطفالا في القرى اليهودية في « منطقة الاستيطان » اليهودية في روسيا ، وتربوا في كنفها وكنف ثقافتها ، والذين تتركز اعمالهم حول تحلل الحياة الروحية اليهودية « الديا سبورا » ، وتدمير الرمزين اللذين يمثلان الحصون العتيدة لهذه الحياة وهما : «بيت همدراش» (المدراس ــ الكنيس) و« المعبد » ؛ مع التطلع الى فلسطين باعتبارها رمزا للخلاص اليهودي ، مما اصطلح على تسميته باسم « المشكلة اليهودية » . ومن ابرز ممثلي هذه المرحلة الشاعرين « حييم نحمـــان بياليك » (١٨٧٣ ــ ١٩٣٤) ، وشاؤول تشرنحوفسكي (١٨٧٥ ــ ١٩٤٣) .

المرحلة الثانية ، وهي مرحلة « ادب الهجرة الثانية والثالثة » : وتضم اعمال الكتاب المولودين في الشتات ، والذين راوا في فلسطين حلا لمشكلتهم . وتعالج اعمالهم فلسطين على اعتبار انها الطريق للخروج من الشتات اليهودي ، وهناك سمة يمكن ادراكها على الفور من خلال الانتاج الادبي لهذه المرحلة او الذي ينتمي اليها ، وهي العلاقة الوثيقة بين الايديولوجية والتعبير الادبي .

ان هذين العنصرين يندمجان معا في الصورة الادبية لمرحلة الهجرتين (١٩٠٤ــ١٩٣٦) . وهذا بالطبع ليس محض مصادفة لان الهجرة الى فلسطين كانت خطوة اتخذت مـــن خلال موقف ايديولوجي معين ، وكان لا بد وان تكون المعركة الايديولوجية جزءا لا يتجزأ من التجربة الموصوفة في العمل الادبي . ويهتم ادب هذه المرحلة بوصف بدايات الحياة اليهودية في فلسطين مع تعاقب موجات الهجرة اليهودية اليها ، والعقبات التي صادفتها والانجازات التي حققتها والصراعات النفسية والروحية التي خاضتها هذه الجماعة في محاولة التكيف مع الحياة الجديدة . ويظهر الانسان اليهودي في ادب هذه المرحلة في صورة اسطورية مثالية ، وتظهر الى جانبه كذلك عملية التلاحم التاريخي اليهودي بين الشتات وفلسطين بكل ما ينطوي عليه ذلك من محاولة لتجسيد الاحساس العميـــق بالوحدة اليهودية ، بالاضافة الى محاولة التغلب على الغربة النفسية والروحية والسعي للتغلب على محاولة ابعاد الجيل اليهودي عن امكانية تعويض ما ينقصه من وعيـــه اليهودي . ومن ابرز ممثلي هذه المرحلة : يوسف حييم برينر (ولد عـــام ١٨٨١ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٩ ، وتوفي عام ١٩٢١ خلال الاضطرابات بين العـــرب واليهود) ، وش. شالوم (ولد عام ١٩١٤ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٢) ، واوري نسفي جرينبرج (ولد عام ١٨٩٤ بجاليسيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٤ ، وما زال حيا وهو من انصار حركة اسرائيل الكبرى) ، وابراهـــام شالونسكي (ولد عام ١٩٠٠ وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١) ، واهارون دافيد جوردون (ولد عام ١٨٥٦ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٤ ، وتوفي عام ١٩٢١)، ولينة جولدبرج(ولدت عام ١٩١١،وهاجرت الى فلسطين عام ١٩٣٦ وتوفيت في يناير ١٩٧٠) ، وناتان الترمان (ولد عام ١٩١٠ بوارسو ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ وتوفي في مارس ١٩٧٠) ، وشموئيل يوسف عجنون (١٨٨١ ــ ١٩٧٠) ، وحييم هزاز (١٨٩٧ ــ وما زال حيا) .

وتتلاحم مع هذه المرحلة دون فاصل واضح على الاطلاق الانتاجات الادبية الممثلة لما يسمى « بالادب الكيبوتسي » ، وهو الادب الذي يصف محاولات صياغة الحياة اليهودية في اطار تجربة المستعمرات اليهودية الاشتراكية « الكيبوتسيم » . ومن ابرز ممثلي هذا الادب : س. رايشنستاين (ولد في بولندا عام ١٩٠٢ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠، وتوفي عام ١٩٤٢) ، ود. ميلتس (ولد في بولندا عام ١٩٠٠ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠) ، وهما اللذين يصفان بداية مستعمرة « عين حيرود » . وما زال هذا القطاع الخاص « بالادب الكيبوتسي » كتجربة يهودية مستقلة داخل فلسطين المحتلة مستمرا كمظهر من مظاهر الادب الاسرائيلي المعاصر ، وان كان لم يعد يشكل قطاعا ادبيا ذا اهمية خاصة .

المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة « أدب السابرا » : وتضم أعمال اولئك الكتاب الذين ولدوا في فلسطين والذين كسروا نظريا روابطهم مع اسلافهم واصبحوا يستخدمون موضوعات مختلفة تماما . وما يميز ادب « السابرا » عموما هو الموضوع . ان « الدياسبورا » بالنسبة لادباء هذه المجموعة أصبحت مجرد حقيقة تاريخية لم تعد تؤثر عليهم تأثيرا مباشرا . وبالتالي فان فلسطين لم تعد بالنسبة لهم هي بلد الهجرة ، بل الوطن بما يعنيه ذلك من وجود علاقة جدلية بين المواطن الاسرائيلي وتلك الارض التي يعيش عليها ويصارع من اجل استمرار بقائه فيها . وهذه المرحلة في حد ذاتها يمكن ان تقسم الى مرحلتين لكل منهما ادبها وممثلوها واتجاهاتها الادبية المميزة ، وهما :

أ ــ مرحلة أدب حرب ١٩٤٨ ، وهي المرحلة التي تجلى فيها تماما الصراع بين التمشي مع مطالب الايديولوجية الصهيونية والالتزام الصهيوني ، اي انتاج ما يسمى بأدب الدعوة او الادب المجند ، وبين البحث عن الذات . وهي المرحلة التي سنتناولها اليوم بالدراسة .

ومن ابرز ممثلي هذه المرحلة : اسحق شنهار (الذي هو بمثابة « أديب الانتقال » بين الجيل الذي وضع لغته في « المنفى » والجيل الفلسطيني) ، ويوناتان راطوش ، واستير راب ، وسميلانسكي يزهار ، وموشي شامير ، وناثان شاحام ، ويجال موسينسون ، وأهارون ميجدن ، وي. هليل ودافيد شحر ، ومردخاي طبيب ، وحييم جوري ، ويهودا عميحي (الحلقة الواصلة بين هذه المرحلة والمرحلة التالية) . ويطلق عليهم الدكتور جرشون شيكد (باحث الادب ورجل الجامعة العبرية في تل ابيب) اسم « جيل في البلاد » (دور بآرتس)(٢) .

ب ــ مرحلة ادب « الموجة الجديدة » (حسب تعبير جرشون شيكد) ، وهي المرحلة التي تميزت بالتعبير عن القلق ومحاولة البحث عن الهوية الاسرائيلية الجديدة من خلال التمرد على مظاهر العزلة والعنف في المجتمع . ويمثلها : ابراهام بن يهوشع ، وأهارون ابيلفيلد ، واسحق أورباز ، وعاموس كهنا كرمون ، وعاموس عوز وغيرهم ، وفي خلال هاتين المرحلتين المميزتين لادب « السابرا » برز تيار أدبي فرض وجوده بين تيارات الادب الاسرائيلي المعاصر ، وهو ما يسمى بتيار « أدب النكبة » ، الذي يعبر عن المعاناة اليهودية في مواجهة موجة « معاداة السامية » النازية ، ومعسكرات الاعتقال في « أوشفيتز » وغيرها ، ويسعى من خلال تصويره لهذه المرحلة الى استدرار العطف والتباكي على اليهودية الجريحة التي ما زالت تنزف دماء جرحها القديم هذا حتى اليوم .

حرب ١٩٤٨ والتمزق النفسي

من المعروف أن اعلان قيام دولة اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ قد تم بعد أن اكتملت أبشع مؤامرة اغتصاب في القرن العشرين لارض وممتلكات وميراث وتراث الشعب الفلسطيني استنادا الى ايديولوجية لا عقلانية تستند الى زعم بوعد الهي ميتافيزيقي من ناحية، وعلى منطق القوة وتحدي قانون العدل الانساني ، من ناحية اخرى . وخلال فترة وجود هذه الدولة وعلى امتداد سنوات وجودها الاربع والعشرين خاضت على التوالي ثلاث حروب ضد الدول العربية المحيطة بها . وقد جعل هذا المعدل في خوض الحروب ، من الحرب عنصرا رئيسيا في المجتمع الاسرائيلي تصاغ بموجبه كل أوجه الحياة بحيث اضبح « مجتمع اسبارطة المعاصر » ، كذلك فان الحرب أصبحت هي السمة التي تشكل الاتجاه النفسي

---

٢ ــ جرشون شيكد ، **موجة جديدة في الادب العبري** (عبري) ، مكتبة العمال ، تل ابيب ، ١٩٧١ .

العام للانسان الاسرائيلي ، وهو الامر الذي انعكس بدوره وترك بصماته بشكل واضح وملموس على الانتاج الادبي الذي كتب بعد نشوب حرب ١٩٤٨ ، ومرورا بحـرب ١٩٥٦ ، وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ .

ويرى الاديب الاسرائيلي ، اهارون امير ، انه « من المهم اعتبار هذه الحروب الثلاث بمثابة حلقات في سلسلة واحدة متصلة من الصراع العسكري مـع البيئة المحيطـة باسرائيل من ناحية ، ومن تكوين المجتمع القومي الجديد في حدود أرض اسرائيل الذي تعتبر الحرب الدائمة احد العناصر الحاسمة في بلورته ، مـن ناحيـة اخرى »(٣). ونظرا لهذه الحقيقة المريرة الخاصة بتحول الحرب الى سمة رئيسية للمجتمع الاسرائيلي، فان الكتاب والادباء الاسرائيليين قد حاولوا تبريرها واضفاء صفة الشرعية عليهـا . وهذا التبرير مهما تعددت مداخله وصور مقدماته ينتهي دائما بموقف اللاخيار الذي وضع فيه الانسان اليهودي . وهذا بالطبع منطق مقلوب توضع فيه العربة امام الحصان عن وعي وادراك . فالاديب الاسرائيلي حانوخ برطوف يقول مثلا في معرض تبريره للعدوانية الاسرائيلية : « حينما جاء الى هنا أوائل الطليعيين والاشتراكيـين ، وذوو الافكـار الاخلاقية الراقية جدا ، واقاموا المجتمع الكيبوتسي ، اعتقد الجميع انهم بالبنطلونات الكاكي والقمصان الزرقاء سيقدمون الى العالم بشرى المساواة الحقيقية . وماذا حدث ؟ ان شهرتنا قد ذاعت في العالم كأحسن مظليين، وكأحسن طيارين، وليس لنا خيار !»(٤). ويكرس اديب آخر، هو يورام كنيون، وجود الحرب كعنصر رئيسي في المجتمع الاسرائيلي، ويبرره كذلك باللاخيار فيقول : « اننا مرغمون على ان نعتبر ان طريقنا هو الطريـق العادل . وليس لدينا خيار الا ان نهتم بالعدل الخاص بنا . انهم لم يرضوا بنا هنا في الشرق الاوسط منذ بداية الاستيطان اليهودي في البلاد »(٥).

وقد اصبح الاحساس بالذنب بمثابة رد فعل طبيعي لمثل هذه العدوانية التي تفجرت داخل الانسان الاسرائيلي ووجهها الى الانسان العربي في فلسطين ، حينما يعبر عن ذلك مرة اخرى حانوخ برطوف بقوله : « ان التغيير هو أننا نعرف كيف نقتل . والمشكلة هي مشكلة وجود يهودي . فاذا حاربت من اجل حياتك ونجحت في التغلب علـى القاتل وقتلته ـ فانك تذهب الى المنزل وتبكي لانك قتلت انسانا . ولكنك تفعل ما تفعل لانه لا خيار . ولكي نستطيع الوجود فنحن مرغمون على القتال »(٦). ويقول الاديب الاسرائيلي الشاب « ابراهام بن يهوشع » أبرز ممثلي « الموجة الجـديدة » في الادب العبـري المعاصر ، « ان هذا الاحساس بالذنب هو احد الاسباب الرئيسية بالفعـل للروح العدوانية ، ولعدم الراحة التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي»(٧). ويكمل الاديب الاسرائيلي يوعز عفرون الصورة بكلمات اخرى يؤكد بها ما قاله بن يهوشـع حول ان الاحساس بالذنب هو السبب الرئيسي للروح العدوانية عند الانسان الاسرائيلي رابطا ذلك مع مبدأ اللاخيار فيقول « ان هذا الاحساس بالذنب قد اختبأ وراء الاحساس بالوجود »(٨). وهكذا ، نرى ان هناك تسليما وادراكا للحقيقة التي يعيشها مجتمع اسرائيل متمثلة في الروح العدوانية بكل ما ينطوي عليه ذلك من انعكاسات وردود فعل على المجتمع ككل وعلى الانسان كفرد بصفة خاصة .

---

٣ ـ اهارون امير ، من الخوف الى الاقتحام ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ، ص ١٣ .

٤ ـ حانوخ برطوف ، المنتصرون والمحاصرون ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٩ ، ص ١٣ .

٥ ـ يورام كنيون ، معارك في مرآة الادب ، **معريف** ١٩٦٩/٤/٢٥ ، ص ٢٧ .

٦ ـ حانوخ برطوف ، **المرجع السابق** .

٧ ـ حديث مع ابراهام بن يهوشع ، **هآرتس** ١٩٦٨/٥/٢٤ .

٨ ـ يوعز عفرون ، النقد الداخلي دليل القوة ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ، ص ٢١ .

وبالرغم من الانتصار الذي حققه الجيش الصهيوني عـــام ١٩٤٨ وفاجأ به الجميع فانه مما يثير الدهشة ان التفاخر بالنصر لم يكن هو الموضوع الذي استخدم كاطار للانتاج الادبي شعرا ونثرا بعد حرب ١٩٤٨ . لقد كان الموضوع الرئيسي تقريبا ، فيما عدا استثناءات الادب الدعائي الملتزم او المجند ، هو تخبطات المحارب الصهيوني ومعاناته الهائلة لانه قد وضع بواسطة مخططات الصهيونية أمام اختيار صعب ، وهو اما ان يتراجع عن فكرته ويعود من حيث أتى ، واما ان يواصل ويخوض حربا دموية انسانا ضد انسان ، وشعبا ضد شعب . ومعنى هذا، انه بالرغم من ان آلة الحرب الاسرائيلية قد حولت الانسان اليهودي في فلسطين الى اداة عسكرية ، الا ان ذلك الانسان الذي اعتصره ذلك الجهاز الآلي والانضباطي لم يكف الادب عن تصويره كشخصية ذات عالم روحي ونفسي خاص بها . ولذلك فقد أصبح العالم الداخلي ، والفردي ، والحساس لدى الجندي الاسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لادب حرب ١٩٤٨ .

ويرى يحيئيل هلفرين ، ان شعر حييم جوري قد عبر بصدق عن ذلك الالم الذي اصاب الجيل اليهودي الشاب في اسرائيل ، وعن البكاء الذي بكته نفوس ابناء هذا الجيل على الرفاق الذين فقدوهم ، وعلى العالم الذي اظلم عليهم ، لدرجة ان كثيريـــن منهم قـــد فقدوا القدرة حتى على البكاء على ما يحدث ، وعلى الثورة ضد الواقع الغريب والمحطم للغاية : « لم يعد هناك بكاء كاف يبكيه الباكون .. » (ع. هليل) . لقد ترك الفتيان والفتيات من اعضاء « البالماخ » والوحدات الاخرى ، خلفهم قبورا لا حصر لها للاصدقاء ، وخاضوا الحياة دون رفاق من ايام الطفولة والصبا تقريبا ، كما لو كانوا قد ولدوا عجائز ومتقدمين في السن . وهل هناك ما يدعو للدهشة لان الشيخوخة حلت بهم في صباهم ؟ او ما يدعو للدهشة لانهم اصابوا بالعدوى كذلك من أتوا من بعدهم فولدوا هم الاخرون عجائز في كل شيء ، وولد الجيل الشاب في اسرائيل عجوزا ؟ : « ورأيت في نهاية الطريق عجوزا تنتحب على حجر ، وعرفت أنها نفسي » (ع. هليل)(٩).

وهكذا واجه الجيل الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ محنة التناقض السحيق وظروف العزلة والاغتراب ، والانفصال شبه المطلق عن المجتمع الذي يعيش فيه . وكان من الطبيعي ان يحاول أولئك الكتاب والادباء الذين شبوا وتربوا داخل حركات الشباب الاشتراكي الصهيونية والذين اعتادوا على الخضوع لمتطلبات الادب المجند ، تكييف انفسهم مـــع الظروف الجديدة والمناخ الجديد الذي فرضته حرب ١٩٤٨ . وفيما يلي سنحاول بقدر الامكان تصوير تلك المحنة التي واجهت الادباء الاسرائيليين بعد حرب ١٩٤٨ والتي تجلت في الصراع بين الالتزام الصهيوني أي الاتساق مع دعاوي الادب المجند وبين البحث عن الذات .

وفي البداية يجب ان نشير الى ان السمة الغالبة للادب العبري قبل حرب ١٩٤٨ كانت هي سمة الادب الفكري المجند ، وهو الادب الذي عبر عنه جيل فترة « الهجرة الثانية والثالثة » ، وجيل « البالماخ » . وقد تميز هذا الادب بالالتزام بالبعد عن ابراز اي نوع من التناقض بين الايديولوجية الصهيونية ، وبين تجربة الفرد في واقع الحياة ، كما تميز كذلك بالسعي نحو خلق المبررات لكل القضايا التي واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير رفض الاندماج اليهودي في مجتمعات الشتات اليهودي بالتركيز على موجات العداء للسامية وكراهية اليهود ، او تبرير محاربة الانتداب البريطاني ، واغتصاب فلسطين من العرب ، بالرغم من الوضوح الكامل لحقيقة ان عناصر الايديولوجية الصهيونية التي تلتزم بها هذه المجموعة في خلق نماذجها الروائية وصور ابداعها الفني ليست نابعـــة

---

٩ ــ يحيئيل هلفرين ، **الثورة اليهودية** (عبري) ، دار نشر عم عوفيد ، تل ابيب ١٩٦١ ، الجزء الثاني ص ٣٦١ .

بصورة مباشرة من التجربة الحية التي يعيشها او يعانيها الفرد الاسرائيلي . ومن هنا فان أدب حرب ١٩٤٨ قد ولد في ظروف صاغته في اطار هذا الادب الفكري المجند ، وهو ما يسمى أدب « النحن » ، ولكنه ما لبث ان اخذ في تلمس طريقه نحو « الأنا » ليعبر عن الفرد وصراعاته وتخبطاته في مواجهة التناقضات التي يعانيها . ولكن هذا الادب ما ان وصل الى « الأنا » حتى عاد كتابه وتساءلوا عن الصلة بينهم وبين « النحن » ، وعن حق الوجود الذي يمكن ان يمنح « للأنا » دون ارتباط بالواقع الاجتماعي ايا كان . وتصارع هذا الادب مع نفسه ، وقام جيل جديد من القصاصين حـاول أن يقطع الرابطة بين « الأنا » والمجتمع ، وجعل « الأنا » في مركز الوجود . وكان منهم من حاول ان يطهر الابطال من أي ارتباطات اجتماعية وسعى الى « الأنا » الخالصة ، وكان منهم من كان عالمهم اكثر توازنا . ولكن بالرغم من هذا الصراع الذي نتج في اعقاب ازمة حرب ١٩٤٨ من اجل التخلي عن « النحن » والسعي نحو « الأنا » ، فان جرشون شيكد يرى ان « أدب التحرير » [الاصطلاح الذي يطلقه الصهيونيون على حرب ١٩٤٨] هو من عدة نواح استمرار للاتجاهات الرئيسية التي ميزت أدب الهجرة الثانية والثالثة . وعلى غرار معظم أدب هذه الهجرات ، كان هذا الادب هو الاخر أدب « ملتزم » . وقد تجلى هذا الالتزام في الانتاجات نفسها وكذلك في الموقف الواعي للادباء من مشاكل الادب والحياة » (ص ١٢) . واذا أردنا ان نتعقب التيارات المختلفة في أدب حرب ١٩٤٨ ، فانه يجدر بنا أن نعود الى الاصول الاولى لهذا الادب . وأول هذه الاصول المعبرة عن احد التيارات الهامة لارهاصات هذا الادب هي اقوال الاديب الاسرائيلي موشي شامير (ولد عام ١٩٢١ في روش بينا) . قصته الاولى « هوسار في الحقول » تدور حول حياة الكيبوتس والبالماخ . كتب العديد من القصص التاريخية مثل : « ملك اللحم والدم » ، ومسرحية « حرب بني أور » و« نعجة الفقير » ، وقد صدر له بعد حرب حزيران ١٩٦٧ كتاب بعنوان « حياة شعب اسماعيل » (١٩٦٩)) في « حقيبة الاصدقاء » التي صدرت عام ١٩٤٦ ، بعنوان « مع ابناء جيلي » . وشامير في مقالته الدراسية هذه يكرر بعض الافكار الايجابية ــ الماركسية ، التي سادت في فلسطين بتأثير الادب السوفياتي (رجال فانفيلوف !) ونقده (فلخانوف ، ولوكاتش) بعد الحرب العالمية الثانية . والمظهـر المتطرف لهذا الاتجاه النقدي هو « الواقعية الاشتراكية » على طريقة جيدانوف . وهو لا يحاول فقط أن يحدد نظريات لاهداف وقيم الادب ، ولكنه يرفض كذلك اي انتاج لا يقبل هذا الحكم . والعنصر الرئيسي في أقوال شامير عام ١٩٤٦ يتطرق الى مسألة العلاقة بين الادب وعناصر الواقع . ويتبع شامير طريقة محايدة ــ بأنه ليست هناك مـادة وموضوع في الواقع غير جدير بالصياغة الادبية . وشعار « لا يمكننا الانعزال عـن الحياة » يتكرر بصورة مختلفة في بيان شامير ، وهو كذلك أساس ومبدأ وجهة النظر القائلة بأن الادب يجب ان يستقي موضوعاته من كل أركان الحياة وان يصوغ بواسطتها عالما من الكلمات قريبا بقدر الامكان من العالم خارج الادب . ويبحث شامير موضوعات الادب وغاياته ويطلب من الادباء « السير الى الشعب » : « فلنذهب الى الازقة ، والى منازل الحمالين ، ولندق على الابواب المتداعية » الخ. وخلاصة الامر « ان العالم لم يخلق من اجل مليحي الوجوه ، والحكماء ، والطيبين ــ بل خلـق من اجل غاسلات الملابس » . ومثل بيلينسكي او بيساريف في حينهم (أو أ. أ. كوفنر) ، يطالب شمير بفتح كل المجالات أمام الادب وبالوصول الى الاركان المنعزلة جدا من الحياة الانسانية سواء كمستهلك « للحياة » او كمنتج يوجه انتاجه الى جماهير الشعب . ويستطرد شامير فيقول في سياق بيانه : « ان الادب يجب ان يحمل العبء التعليمي لحركة العمال وان يتماثل مع الشعب دون فاصل » « لقد تطورت الحركة الصهيونية ــ الاشتراكية لسنوات كثيرة في اطار واحد مع الادب والحركة الطليعيـة في الشعب والبلاد » .

و« الارتباط المخلص بهذه الحركة هو رسالة جيلنا في الادب ». وهو يعني بذلك استمرار الخط العام للادب الفكري المجند ، المرتبط « بالنحن » تماما .
ويعلق جرشون شيكد على ما ورد في بيان شامير حول رسالة الادب العبري فيقول : « ان اقوال شامير تحيد عن الدقة من اساسها . ان تماثل الادب العبري مع قيم الحركة الصهيونية ومع حركة العمال يسود أدب فلسطين منذ بدايته في فترة الهجرة الثانية (مثل : قصص مائير فيلكانسكي وشلومو تسيمح ، ورواية موشي سميلانسكي « هداسا ») وحتى كتاب الهجرة لاسحاق دوف بركوفيش (« أيام المسيح ») ، وعلى الاخص لدى بعض ادباء الهجرة الثالثة ، الذين يتصارعون على مسالة التماثل (مثل يهودا يعاري ، واسحق شنهار ، ودافيد ميلتس وغيرهم) . ومن ناحية اخرى ليس هناك شك في ان مسالة التماثل مع معايير حركة العمل ، التي طرحها شامير هنا بصورة فتالية وساذجة الى حد ما ، هي احدى المشاكل الرئيسية في الادب العبري المعاصر . لقد خصصت كتب وقصص من أجل مسالة الاخلاص لهذه القيم وخيانتها ، وغيرها من اجل التقدير المتجدد لها في مواجهة الواقع الجديد . وكتابات موشي شامير ، وس. يزهار ، وحانوخ برطوف ، واهارون ميجد تتصارع مع هذه المسائل باشكال مختلفة ، وتتطرق اليها كتابات ادباء آخرين . وحينما يتوجه ادب الخمسينات الى تيارات جديدة، فانه يعود ويتصارع مع بعض هذه المشاكل بصورة ديالكتية — (« لا من الان ولا من هنا » ليهودا عميحي) . وعالم الشعور العميق لدى الابطال يدور حول موضوعات مثل: ارض اسرائيل العاملة ، والكيبوتس ، والبالماخ ، و«حرب التحرير» ، ومطالب الساعة. وهذه التشكيلة من القيم تحدد بشكل او بآخر ابطال القصة أيضا ، وطرق رسم الشخصية وطرق البناء الفني . لقد حددت لهذا الادب مجالاته . ويجب فهم هذا الادب اعتبارا من الان وفقا للاطار الذي حدده لنفسه (وفق رغبته او مقدرته) . » (ص ١٤ — ص ١٥ — المرجع السابق) .

وقد كان النموذج الواضح للمناقشة الدراسية حول هذا الموضوع هو سلسلة المقالات : « نحو توضيح مبادىء في المناقشة حول الفن والادب والمجتمع » التي ظهرت على صفحات مجلة « ماسا » (قول) نصف الشهرية عام ١٩٥١ (« ماسا » عدد رقم ٦ ، ١٧ سبتمبر) . ومن المجلات الادبية الرئيسية (غير المرتبطة) للجيل الشاب التي ظهرت بعد حرب ١٩٤٨ مجلة « عين » التي كان يحررها نسيم الوني (اشترك في تحرير العدد الاول : اوري سيلع ، وشولاميت هر ايبن ، وموشي دور ، وموشي بن شاؤول وغيرهم) وبدأت في الظهور في ٧ يونيو ١٩٥١ . واعلان الهوية الخاص بهذه المجلة ، حسبما تؤكد ذلك هيئة تحريرها ، لا يختلف كثيرا عن الاسس التي حددها شامير عام ١٩٤٦ — ولكن الاقوال اصبحت نضالية أكثر ، لان روح العصر تغيرت . وهذه المجلة تنحاز الى حركة العمال . واهدافها : النضال ضد خليط اللغات ، وتحقيق جمع المنافي ، وتعليم الشباب على ان « تقليد الغير » يؤدي به الى « الارجاء الفسيحة للسطحية والذل » .

وكان الافتراض ، هو ان الشحنة الفكرية التي احضرها الرجال معهم الى الحرب ، والتي اخذوها منها ، يجب ان تتصارع مع الواقع الجديد ، الذي يسوده بالفعل جو التخلص من سنوات التوتر الطبيعي. وكان أسلوب الكتابة الاجتماعي لرجال « حقيبة الاصدقاء » يتناسب مع روح العصر ، ولم يكن اولئك الذين تحدثوا باسمها الا بوقا للجماعة كلها . وقد قبل الادباء الذين تجمعوا حول مجلة « عين » هذه القيم ، ولكنهم اعتبروا انفسهم بمثابة استثناءات وابطال ابعدوا الى هامش العصر ويريدون العودة لكي يأخذوا مكانهم تحت الشمس . وكانت هذه الجماعة جماعة تحارب ضد التيار ، في مواجهة جماعة « الاصدقاء » التي سبحت مع التيار . وبالاضافة الى ذلك فان « الاصدقاء » حققوا في

كتاباتهم الادبية (الشعر هو قضية في حد ذاته) البيان الشاميري ، وان كانوا لم يحققوه برمته فانهم قد اقتربوا منه بعض الشيء . اما رجال « عين » فلم يحققوا ما اعلنوا عنه. لقد ارادوا نظريا ان يجندوا الادب من اجل الصراع الاجتماعي ضد العصر ، اما من الناحية العملية ، فان كتاباتهم كانت انعكاسا لواقعهم . وبيان المجلة ليس هو الوثيقة الوحيدة المعبرة عن نواياها الاجتماعية الطيبة . ففي العدد الثاني ، الصادر في ١٤ يونيو ١٩٥١ ، نشر « نسيم الوني » مقالا بعنوان « الابراج العاجية والمناديل الحريرية » في الركن الذي يحمل عنوان « جيل وثقافة ما بعد الحرب » . وفي هذا المقال يفضل الوني قيم المجتمع على قيم الفن . وتبريره هو انه لم تكتب في فترة الحرب كتابات فنية هامة ، ولكن الادب كان في ذلك الحين جزءا من الحياة . واليوم (١٩٥١) تغيرت الامور وبصورة خاصة علاقة الادباء بمجتمعهم. وهو يعارض هرب الادباء الى الابراج العاجية: « نقد اتضح للادباء الشبان ، انهم لا يفكرون على الاطلاق . انهم يعيشون حياتهم في المقاهي ، غير مبالين بالعالم الجديد الذي يتشكل حولهم . ان الادب لا يقوم بدوره الرئيسي — وهو التوجه الى الشعب . » وكان نسيم الوني بذلك يحمل فوق الهضبة لواء الادب المجند . وقصته « هجرة اليشع » (التي نشرت في « عين ») ومسرحيته « أقسى من الملك » ، ما زالتا تعبران عن المطلب التعليمي والمطلب الاجتماعي . والاراء التي أدلى بها الوني في عام ١٩٥١ هي آراء ذات اهمية خاصة بالنسبة لهذه المناقشة ، وذلك لان تطوره ككاتب مسرحي وكمفكر يشير الى مفترق الطرق الذي مر به الادب العبري المعاصر في الخمسينات والستينات — اي انه اذا تأملنا اقوال نسيم الوني في العدد الخاص عن المسرح الذي أصدرته مجلة « كيشت » (قوس قزح) ، او اذا تذكرنا فقط « ملابس الملك » و« الاميرة الامريكية » ، لادركنا الى اي مدى تغيرت الامور . ان نسيم الوني لم يعد يعتبر نفسه مجرد مجند ولا يحصر نفسه في كتابة اعمال بسيطة ومفهومة لكل انسان . ولكن كل من يقرأ انتاجه المتأخر يجب الا يتجاهل انتاجه السابق. لقد ظل الاحتجاج الاجتماعي في اساس الامر اتجاها اساسيا جدا في انتاجه ، ولكنه كان يكيف احتجاجه مع مشاكل وطرق التعبير العصريـــة ويعرضه في أرديـــة جديدة . و« تطورات » الوني تفسر التغيير الهائل الذي حدث في موقف الجيل الجديد من الادب وكذلك التغيير في العلاقات بين أدب « حرب ١٩٤٨ » وبين « روح العصر » .

ويتجلى التحول الكبير في الجو العام وفي وجهة نظر الجيل الشاب من مسالة العلاقة التي بين الادب والمجتمع ، في بيان مجلة « لكرات » (نحو ..) التي جمعت حولها بعض الشبان الذين أصبحوا بمثابة المتحدثين بلسان « الاتجاه الجديد » في ادب الخمسينات والستينات . وقد سبقت هذه المجلة مجلات « أوجدان » و« عخشاف » و« يوخاني » . ولكنني لا اخطىء القول اذا قلت انها الاب الروحي لهذه المجلات . وقد صدرت لاول مرة في القدس في عام ١٩٥٢ وكان يطبع منها ٤٠ نسخة من الاستنسل بمثابة « مجلة داخلية لمجموعة الادباء الشبان » . وكان المشتركون الاوائل فيها هم : يجآل افراتي ، وموشي دور ، وبنيامين هروشوفسكي ، وناثان زخ ، وبيسح ميلين ، واريه سيفان ، وجرشون شيكد . وبعد فترة انضم اليها يهودا عميحي ، ودافيد ابيدان وغيرهم . وفي البيان كتب المحررون باسم المجموعة :« يبدو لنا أن هذه هي المحاولة الاولى من أجل تجميع مجموعة من رجال القلم ، الذين نضجت باكورات اعمالهم بعد حرب ١٩٤٨ ، اي في نهـــاية الاربعينات . ان واقع هذه الايام ليس هو الواقع المثير للحماس خلال سنوات الحرب التي أثارت مجموعة متعددة الالوان من الكتابات شعرا ونثرا . ان واقعنا كئيب وباهت ومتجهم ، وعلى ضوئه بالذات يفحص مستوى الانتاج الادبي . والتجربة خطيرة جدا... لقد زالت البراءة من القلب ، وزالت عقيدة أيام الصبا في انه من الممكن (ان نحتل العالم) بقوتنا الذاتية . وحل محلها الشك والسخرية والحيرة السيئة . اذن فلنأخذ الحذر من

التصريحات المتصدعة ومن الالتزامات التي قد تنتهي بخيبة أمل » (جرشون شيكد ، المرجع السابق ص ١٧) . ولم يكن البيان على هذا النحو تصريحا اجتماعيا ، بل اشارة غامضة الى محاولة فنية جديدة . ومجلة مثل « مبوئوت » (مداخل) (صدرت في ١٧ يونيو ١٩٥٣) لم تكن تجمع ذوي الآراء المتقاربة او المتشابهة بل اصبحت منبرا أدبيا فنيا مفتوحا ، يقبل كل قدرة او محاولة . (كان يحررها يشعياهو بن فورات ومردخاي طبيب) . وقد اخذت ردود الفعل في الظهور في اعقاب هذه الموجة الجديدة من محاولة تحديد الخط العام والملامح الاساسية للادب الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ . واحد التصريحات الجديرة بالاهتمام والمحيرة للغاية في هذا الموضوع هي محاضرة س. يزهار امام مؤتمر الادباء الثامن والعشرين ، والتي نشرت في « ماسا » في عددها الصادر في ١٠ ابريل ١٩٥٨ . ويرجع سبب أهمية التصريح الى المقارنات المذهلة بين الحيرة الروحية المنعكسة فيه وبين ما يتجلى في روايته « أيام تسيكلاج » — التي تشكل ما هو بمثابة خلاصة تاريخية ودراسية للعصر — التي ظهرت في ذلك العام . ان ايمان الاديب ببرنامج القيم الخاص بجيل الحرب وكفره اللاحق بذلك يستخدمان في تداخل في هذه الرواية . وهذه الحيرة الداخلية ، التي ترجع الى موقف الادباء الذين ظهروا في الاربعينات من الواقع الجديد في الخمسينات ، يستدل عليها من حديث الاديب اكثر مما يستدل عليها في روايته ، التي يعرض فيها تفاصيل التشكيل (والتفاصيل مثيرة للدهشة !) الخاصة بوجهة النظر الشاملة ، التي طمست ملامحها . وفي مستهل حديثه يقول يزهار ، انه لا يتحدث باسم جيله ، بل يعبر عن رأيه هو فقط . وهذا التحفظ هو من الامور المميزة الى حد ما ليزهار ، ولكنه تحفظ لا يؤكد نفسه في سياق المحاضرة ، التي يلقيها بالفعل بضمير « الغائب » (واحيانا بضمير « الغائبين ») ، ولكنه لدى تطرقه الى المسائل المبدئية التي تتناول علاقات الجيل الشاب والواقع الجديد تطل الى حد ليس قليلا لهجة الواعظ . وفي مستهل حديثه يتناول المسائل الهامشية — مثل مسألة احتياجات الادب وصورة جمهور القراء . وهو يؤكد ان جيله هو الجيل الاول الذي يملك جمهورا من القراء لغة الحديث والقراءة عنده متساوية . وفي السياق يطرح أسئلة على غرار أسئلة رجال « لكرات » ، ولكن اذا كان هؤلاء قد قبلوا فقدان القيم على انها مسألة بدهية ولم يتطرقوا مطلقا الى « المشكلة » ، وبدأوا بما عندهم وكأن هذه المسألة ليست قائمة من أساسها ، فان يزهار ابن الجيل الذي تربى على قيم المجتمع لم يكن على هذا النحو ، وكان ملزما بالتصارع مع المسألة . وعلى هذا النحو ، يعتبر يزهار ان اصطلاح « الادب التعليمي » قد اكل عليه الدهر وشرب . وقد اعتبر شامير في « حقيبة الاصدقاء » ان الادب يحنق « بشرى » مجموعة من « القيم مثل الصهيونية والاشتراكية والانسانية » . وواصل الوني هذا الخط في « عين » . ولكن يزهار يؤكد ان كل الافكار الكبيرة قد خيبت الآمال . وعلاوة على ذلك فانه يشك في امكانه « كسب ود ابناء الجيل الشاب ، في العالم وهنا ، نحو فكرة كبيرة وطيبة لعقيدة تامة » . اذن فالاستهلال يدل على يأس مطلق من تلك الافكار التي كرس ابناء جيل يزهار انفسهم من اجلها والتي اخصبت انتاجهم . وفي هذا الجزء كذلك من خطبة يزهار لا يدعو للفن من اجل الفن ، بل يؤكد ان لا بد من تغيير الاحصنة بعد ان تعثرت الاحصنة العجوزة . ومعنى هذا ان يزهار يبدي موقفا يقظا في مواجهة القديم ويطالب بالبحث عن حقيقة جديدة . وفي سياق المقال تتغير لهجة الحديث وتتناقض مع ما قاله سابقا . لقد كنا نعتقد انه قد أزاح الحقائق القديمة عن مائدة البحث من اجل شق طرق جديدة ، ولكن يتضح لنا انه قد كرر الحقيقة القديمة بطرق غير مباشرة . وهكذا يتكشف التناقض في عالم يزهار ، ذلك التناقض الموجود سواء في التصريحات « البرنامجية » او في كتاباته الادبية . فهو يحاول من ناحية ان يرفض الافكار القديمة وان يقف على رأس طليعة جديدة حديثة ، ولكنه من ناحية أخرى يحترم

القديم في العالم العملي .

ويبدو ان يزهار لا يتمتع بالطابع الهجائي (الساخـــر) للادب في الخمسينات ، ادب الاحتجاج الاجتماعي (أهارون ميجد ، وحانوخ برطوف ، ودافيد شحر ، وبنيامين تموز)، الذي يقدر الموجود بمعايير المناسب . ويزهار يطالب الادب برد الاعتبار لموضوعات الحياة ويرى ان الادب ليس في حالة منافسة مع الحياة ، لان الحياة اثرى منه ، كما انه لم يخلق لنفسه الادوات الجميلة لمصارعتها . والتفرع الثنائي للادب والحياة ، والخيال والواقع ، هو من الامور المميزة الى حد ما ليزهار . والبيان يشهد ، بالذات ، على مدى ارتباط الرجل بالمهام التاريخية لجيله . ان شعارات « النكبة » و« الصحراء » ، و« جمع المنافي » و« العمل العظيم » هي شعارات مستقاة من القاموس السياسي . وبالرغم من ان يزهار يتخلص تماما من « العقائد » التي خيبت الآمال ، فانه يعود ويؤكد في « عقيدته الذاتية » ان هذه الشعارات ، طالما انها تنطوي على التحقيق ، فانها تبقى كما هي . والتحفظ حسب روح الجيل من « العقائد » والآلهة التي خيبت الامال لا يزيد ولا ينقص من الامر شيئا. وفي حقيقة الامر يقف يزهار في مواجهة العالم المتغير وهو ما زال مزودا بالقيم المحددة لجيله .

«وتتطرق اقوال الادعاء ضد الادب كذلك الى موقفه من الانسان كفرد وكنموذج. انخفايا الانسان قد خفيت عن هذا الادب ، ولم يعد يدرك عالم الانسان النموذجي العادي . ويستمر الادعاء كذلك في اتجاه آخر : ليست لدى هذا الجيل رؤية خاصة به. انه موجود فيما وراء رفض المنفى وتأييد الصهيونية ، ينبش في تراب الاجيال السابقة ولا يجد لنفسه مكانا خاصا به . وهو لا يحمل معه عصرا (مثل جيل بيا ليك) ، بل يقف فارغا في مواجهة الفضاء الخالي ويملأه « بلا شيء على الاطلاق » . انه جيل دون صلة نسب بالآباء ، ولديه أب مادي فقط (أصبح بالتالي أبا روحيا هزيلا) ، ولكن ليس لديه الارث الروحي الذي تمنحه الأمة القديمة لابنائها . والطريق للتوبة الدينية موصود هو الآخر في وجه الانسان العلماني المتشكك » (شيكد ص ٢٠) . ويقوم يزهار هنا بعمل اختصار متطرف لكل القيم المحتملة ويحصي المجلات المختلفة التي هجرها الجيل الشاب كلا تلو الاخرى . وهو يعرض نفسه كخبير في تشخيص العلل ، لا يصف الا ما تراه عيونه ويشعر به قلبه. ولكن الوصف ليس تشخيصا فقط . وكذلك فانه لا يعرض الحقائق فقط بل يقدرها . وهذا التشخيص يرتكز على الحنين الى القيم والى عناصر الحياة التي ضاعت . ويزهار يحذر سامعيه من الرومانسية ، ولكنه مع هذا ظل رومانسيا قلبا وقالبا . وفي سياق حديثه يسأل : ماذا بقي له بعد كل هذا ، ويجيب قائلا : « لم يتبق الا صوت الرعب » . ان هذا هو الصوت الوحيد الذي يلائم الواقع . وبعد ان يحدد هذا يواصل قائلا : انه فيما وراء الرعب توجد نقطتان مضيئتان لا بد من التعليم على هديهما والايمان بهما ، وهما ايمان أهارون دافيد جوردون بالعمل اليدوي ، والترقب الصادق للايمان (شيكد ص ٢١) . ان الارض والاشواق الرومانسية الى الايمان هما المنارتان اللتان يضعهما يزهار لنفسه ولابناء جيله . وهنا نجد اختلافا موضوعيا في اقوال يزهار ، وهو الاختلاف الذي يتضح كما ذكرنا من قبل في روايته (« أيام تسيكلاج ») . فمن ناحية هناك رغبة للتعبير عن الشعور الحديث بالرعب ، ومن ناحية اخرى هناك رغبة في العودة لطرح الموضوعات الرومانسية التي تهتم بالاشواق الى الايمان الخالص والايمان بالعمل في الارض . ويزهار هنا يريد الاقتراب من « روح العصر » ، ويريد ان يفهمها ويصبح لها معبرا وبوقا ، ولكن هذا الاقتراب لا يعبر عن جذور نفسه . وبيان يزهار هذا مليء بالثقوب والتناقضات ، ويبدو فيه كما لو كان غير مخلص لعالمه ، حيث يقف موقفا دفاعيا ضد شيء ما ، يبدو أقوى منه ومن عالمه ، وفي هذه الحرب الدفاعية يفقد يزهار القاعدة الاصلية التي يرتكز عليها انتاجه الادبي .

والبيان الاخر المثير للاهتمام الى حد ما هو محاضرة موشي شامير في المؤتمر التاسع عشر (بعد المؤتمر الذي القى فيه يزهار بيانه) . وعنوانه « الاديب والدولة » . واقواله في هذا البيان تختلف اختلافا مطلقا مع اقوال شامير الشاب في « حقيبة الاصدقاء » . ومن الممكن القول بأن الاديب يثور على آرائه القديمة ، لدرجة ان اقواله تبدو غريبة على أسماعه هو ذاته . وكما حارب في الماضي بحماس متطرف من اجل تماثل الادب مع قيم المجتمع ، فانه يحارب الان بحماس فائق من اجل عدم تماثل الادب مع الدولة . لقد وصل الى راي شامل يقول ان الادب هو خارج الارتباط بالحياة السياسية وحياة الانسان كانسان في المجتمع عامة : « بالنسبة للاديب ليس هناك أمر مضحك ومثير اكثر من الانسان في تكاثره ... ان الادب لا يعرف الجغرافيا ولا التاريخ ... وبالنسبة له كل ما هو اصغر هو حقيقي اكثر ، على عكس الدولة التي بالنسبة لها ما هو حقيقي اكثر هو الاكبر والاشمل » . ويحاول شامير ان يحدد للادب اطارا مطلقا وذاتيا : « انه ليس قطعة من نسيج الحياة الاجتماعية والسياسية والتنظيمية — بل هو توسيعها الى خارج هذا النسيج ... » . واقوال شامير هذه تتناقض تماما مع كل ما كتبه منذ ان خاض في عالم الادب . ان ابطاله (اوري ، اليك ، الكسندر يناي ، اوريا الحثي ، موشي ورفائيل اورلان) موجودون في مركز العملية التاريخية . ولكن شامير يحاول التأقلم مع « روح العصر » ولذا فقد اختط لنفسه منهجا جديدا يختلف عما ميزه في الماضي . وهذه المحاولة لا تتضح فقط في البيان ، ولكنها تجلت كذلك في انتاجه الادبي بعد ذلك .

والبيان الاخير الذي من الجدير تناوله والاشارة اليه في مجال هذه الدراسة، هو محاضرة اهارون ميجد في مؤتمر الادباء الحادي والعشرين ، في ٣٠ مارس ١٩٦٤ ، والذي ظهر بعنوان « الادب بين الازمنة » . وهذا البيان حسبما يقول عنه جرشون شيكد « يوجه سهامه ضد الزمن . ان الزمن يمر بسرعة الى حد ما ، ويجرف معه تلك الاشياء الثابتة التي تمنح الانسان احساس البيت والوطن : عندما تأتي المجمعات السكنية وتمحو ما بني منذ ثلاثين سنة . ومن الممكن ان يذهب انسان الى القرية التي ولد فيها فلا يعرف فيها منزلا ولا فناء » (شيكد ص ٢٣) . وبالطبع فان لهجة الاقوال هنا هامة بصورة لا تقل عن اهمية مضمونها . ان مقالة ميجد هي مقالة عاطفية بالمفهوم الذي اعطاه شيكد لهذا الاصطلاح : فقدان البراءة والاشواق الى الكمال الذي كان ولم يعد موجودا . والموقف العاطفي يميل الى ثلاثة انواع رئيسية من الادب : الادب الرثائي ، والادب الساخر او الهجائي والادب المثالي (اليوتوبيا) . ومن بين الثلاثة يظهر هنا قدر كبير من النضال الهجائي ضد « الزمن » . لقد خان العصر الفكرة (البراءة الخالصة) الخاصة باسرائيل ، قبل اقامة الدولة . وهذه الخيانة تتجلى في التناقض بين الادب والموقف التاريخي . لقد توقف الادب عن فهم الموقف ولا يقوم بالاهتمام به على اي نحو . وميجد يفضل المحلية الاصيلة عن العالمية المقلدة حسب المودة . انه يفضل الكتب الاقل جودة ، والتي تستقي موضوعاتها من الزمان والمكان ، عن الكتب الجيدة المنعزلة عن البيئة المحيطة بها . « هناك شك في ان من سيقرأ هذه الكتب خلال عدة سنوات سيمكنه ان يلم ولو بقدر ضئيل بفكرة عن الواقع في هذا العصر » . وهو يطالب بعلاقات مميزة ومشتركة لكل جيل ادبي ، لقد كانت لادب الاجيال السابقة صفات مميزة مشتركة ، على عكس الادب المعاصر (منذ الخمسينات فصاعدا) الذي تفتت كله وتكيف مع مجتمعه المفتت الذي فقد هو الاخر جزءا من ممتلكاته المشتركة . ولا يختلف ميجد عن سابقيه في تحليل الموقف الاجتماعي : انه يعتقد مثل يزهار وشامير ان الموقف الاجتماعي قد تعقد وساء ولكنه ، على عكسهم ، لا يتساهل بل يخرج للصراع ، وهو يرتكز في هذا الصراع على روح « زمن » اخر، ، روح الزمن الذي يحمله الاصدقاء معهم . وميجد لا يصوغ قيما على غرار ما قام به شامير في بيانه . ان هذه القيم تتضح من خلال الصدام بين

الماضي المرغوب فيه والحاضر الموجود . وقيمه هي : الطليعية ، والارتباط بالمواقف الاجتماعية ، ووعي الوجود القومي (الوعي الوجودي للمجموع ، على عكس الوجودية التقليدية) وعلى الاخص المبالاة . والموضوع الاخير معناه ان الادب يجب ان يكون « ملتزما » وأن يتصارع مع مشاكل العصر .

وعلى هذا النحو فان ميجد لا يتأقلم مع الموقف الجديد . انه لا يحاول مثل يزهار أن يعبر عن « روح العصر » الحديث من خلال أشواق رومانسية نحو العالم الذي كله خير ، ولا يخلق مثل شامير جهازا دفاعيا يبرر به الموقف القائم والانفصال القائم بين الادب والمجتمع ، بل ينفر من روح العصر دون ان يصوغ بصورة مكتملة موقفه بمثابة ابن الماضي الذي يمتثل للصراع مع الزمن . ومن خلال اقواله لا يمكن ادراك اي مجال حقيقي يكون فيه الادب مجندا ، وما الذي يهمه هنا والان ، سوى نفس ضرورة تجنيد الادب ، والصراع من أجل اصالته ومن اجل العلاقات المميزة المشتركة فيه . ومعيار اقوال الهجاء والرثاء عنده هو الماضي . ان ميجد يعرف جيدا ما سببت له السعادة في الماضي ولماذا يمقت الحاضر ، ولكن يبدو انه لم يتبلور لديه بعد وعي الصدام ومغزاه . الى اين يؤدي هذا ؟ هل هو يشتاق الى نوع من « العودة الى الوراء ؟ » أم يشتاق الى نوع جديد من تواحد الاضداد ؟ لقد ظلت هذه الاسئلة دون اجابة في مقالته وكذلك في انتاجه . ان الاعتراف بالحاح هذه المشكلة هو من الاشياء الرئيسية في انتاجه ، كما هو موجود في الشعور العميق لبعض ادباء جيل حرب ١٩٤٨ . ويبدو ان الحيرة التي اثارها هذا السؤال هي حيرة حقيقية جدا وهي تنمو من الداخل وفق الديالكتيك الداخلي لهذا الجيل من الادباء (ومن هنا اهمية رواية « الحي أبقى من الميت » لفهم ميجد ولفهم الجيل كله) .

وبعد هذا العرض لوجهات نظر اشهر الادباء الممثلين لجيل ادب حرب ١٩٤٨ وهم : موشي شامير ، ونسيم الوني ، وس. يزهار ، وأهارون ميجد ، يمكننا ان نقول ان الوعي الذاتي لدى ادباء حرب ١٩٤٨ يشير الى انهم تكلموا عن « القيم » الاساسية للاستيطان اليهودي في فلسطين : قيم « حركة العمال » ، وحركة الشباب ، والارتباط الاجتماعي بالعصر والوعي بالعلاقة بين الاديب والجمهور . وقد زاد الاتجاه لدى هذه المجموعة نحو الواقعية ــ الطبيعية ــ ووجهات النظر المبدئية هذه تحدد طرق اختيار الموضوعات (الانسان في المجتمع) ، وطرق تشكيل الشخصية (الاتجاه الى الشخصية النموذجية) ، والصفات الادبية الاخرى . وقد كان هؤلاء الادباء في بداية طريقهم في مركز العصر ، ومع مرور الزمن ، وظهور ادباء شبان يختلف الاساس الوجداني والقيمي عندهم عن تلك المجموعة ، أزيح الاوائل الى ركن قصي . ومع تغيير الظروف والموقف حدث تغيير في وعيهم الذاتي . لقد عمتهم الحيرة وانطلقوا الى طريق مغلق . ولكن حيرتهم تختلف عن حيرة الجيل التالي لهم (جيل عميحي وافيلفيلد ويهوشع وعوز) . انهم يتأرجحون بين الاخلاص لماضيهم وبين التكيف الداخلي مع الواقع الجديد . ان يزهار يتحدث عن الرعب الوجودي وعن الجوردونية (نسبة الى أهارون دافيد جوردون) في آن واحد ، وشامير يتحدث عن الانفصال المطلق عن اي واقع اجتماعي وعن الارتباط المعارض به . وميجد يستخدم المبادىء الرثائية والهجائية في تداخل ، من اجل تقدير موقف جيله في مواجهة « الموجة الجديدة » . ويتضح لدى ثلاثتهم نوع معين من العدوانية النقدية المختلطة بالتبريرية او الحزن الصامت . وبالرغم من انه من النادر ان يكون هناك تماثل مطلق بين ما يعلن عنه الاديب في بيان او مقال يعبر فيه عن رأيه تجاه مشاكل الادب وصلاته بالانسان والمجتمع وسائر القضايا ، وبين انتاجه الادبي ، الا ان الوعي الذاتي المعلن من جانب الاديب يساعد كثيرا في فهم عالمه الانتاجي ؟ سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة . وبالطبع فان دراسة مثل هذه البيانات هي بمثابة اساس لفهم

نبض جيل من الاجيال الادبية المميزة في الادب الاسرائيلي المعاصر وهو جيل أدب حرب ١٩٤٨ .

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من خلال هذه المجموعة من البيانات المعبرة عن أبرز تيارات أدب جيل ١٩٤٨ في اسرائيل هي ان الحرب وفظائعها قد طبعت طابع الحزن والضياع والقلق في نفس الجيل الاسرائيلي الشاب ، ولم يستطع الخلاص منه . وقد أدى هذا الى ظهور أدب القلق والشكوك الذي لا يصل الى حد التمرد الفعلي ضد أيديولوجية الجيل السابق ، ولكنه يعبر عن العجز الوجودي في التمشي مع مطالبها ، وذلك بتوكيد الهوة بين الايديولوجية والواقع ، ولو حتى من خلال الشعور بالذنب . وهكذا يمكن شرح أهمية حرب ١٩٤٨ في أدب هذا الجيل اليهودي في اسرائيل . ان هذه الحرب تشكل التجربة المستقلة الاولى للحياة التي استطاع الاديب الاسرائيلي عن طريقها ان يختبر نفسه في حياد . لقد اضطر في مواجهة المشكلة الشخصية واحتمال الموت ، وفي مواجهة المشكلة الاخلاقية ، والموقف من العدو المهزوم ، اضطر الى ان يقيم من جديد رابطته « بالمثل العليا » التي شب عليها . وهي المحنة التي واجهها هذا الجيل من ادباء حرب ١٩٤٨ وجعلهم يعانون صراعا نفسيا داميا بين « الالتزام » بالتيار الادبي المجند ، وبين التجاوب مع ضرورة الساعة التي تستلزم البحث عن الذات وتحديد الهوية من جديد . والحقيقة التي يجب اثباتها رغم هذا في نهاية هذه الدراسة ، انه بالرغم من هذا الصراع بين الالتزام بعناصر الادب المجند الصهيوني ومتطلباته وبين التعبير عن الذات لدى هذا الجيل من أدباء اسرائيل ، وبالرغم من ظهور نماذج ادبية تعلن عن تحللها من هذا الالتزام عند اكثر الادباء تمثيلا لهذا الجيل (« أيام تسيكلاج » ليزهار) حيث نجد ان قيمة الوجود الجماعي محل شك ، وحيث تأخذ قضية الانسان كانسان مكانها ، رغم كل هذا فان هؤلاء الادباء بعد فترة متواصلة من البحث والصراع يعودون دائما الى مصدرهم مثل أحصنة القتال المحنكة لدى سماعها صوت النفير . والدليل على ذلك هو ما حدث في حرب حزيران ١٩٦٧ ؛ حيث عاد المبرزون من ادباء جيل البالماخ وجيل حرب ١٩٤٨ من امثال شامير وجوري والترمان وس. يزهار وعميحي ، فانتصبوا في مواقع العدوان مجندين كما كانوا في البداية بالرغم من كل تمرداتهم السابقة .

افتتاحيات الصحف العربية وحرب فلسطين ١٩٤٨

الدكتور وليم حداد

البحث التالي هو ملخص دراسة جامعية طويلة وضعت باللغة الانكليزية حول آراء عدد كبير من الصحف العربية بالحرب العربية الصهيونية في العام ١٩٤٨ . وهذه الصحف هي : الاخبار (سورية) الف باء (سورية) الانشاء (سورية) الاهرام (مصرية) الاوريان (لبنانية) الايام (سورية) بردى (سورية) البلد (سورية) بيروت (لبنانية) الحياة (لبنانية) الدفاع (فلسطينية) الديار (لبنانية) الزمان (مصرية) السوري الجديد (سورية) العلم (سورية) فلسطين (فلسطينية) الفيحاء (سورية) القبس (سورية) الكفاح (سورية) اللجور (لبنانية) المصري (مصرية) المنار (سورية) النذير (سورية) النصر (سورية) النضال (سورية) النهار (لبنانية) .

قبيل تبني الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، لم يختلف رأي مقالات وافتتاحيات الصحف العربية كثيرا عما يعتقد انه كان الرأي العربي العام من فلسطين . وركز نقاش الصحف العربية عموما ، قبيل ذلك التاريخ حول المناقشات الفكرية ، غير العسكرية في جوهرها ، فيما يتعلق بحقوق العرب ومزاعم اليهود . ودار مثل ذلك الرأي في الافتتاحيات ، كما بدا قبل نوفمبر ١٩٤٧ ، حول المزاعم اليهودية ورفض مسعي اليهود الموجودين في اوروبه للمجيء الى فلسطين لان ذلك يقض مضاجع الحياة العربية بشدة « ان المسعي من اجل الحصول على هوية قومية اخرى ، لهو من اقل الاهداف السياسية اليهودية التي يمكن الدفاع عنها . ان جميع البلدان التي يعيشون فيها تمنحهم جنسيتها . ألا يكفيهم كونهم من الانكليز او الفرنسيين او الاميركيين او السويسريين او الهولنديين او الدانمركيين ، ليكونوا محترمين بما فيه الكفاية ؟ كيف يمكن ان ينقل يهود شرق أوروبه الى فلسطين بالالاف ومئات الالاف دون ان يزعجوا عرب فلسطين وجيرانهم ؟ وكيف يمكن للسلام ان يتحقق في ظل مغامرة وقحة ومحفوفة بالمخاطر كهذه ؟ »(١). الا ان الجملة الاخيرة في هذه الافتتاحية تبين ، حتى في العام ١٩٤٥ ، انه كان هناك يقظة في الجانب العربي من أن صراعا عسكريا من نوع ما قد يتطور بسبب تدفق اليهود الى فلسطين ، والنتائج « قد تصبح دموية ورهيبة على أشد صورة »(٢).

وبعد أن واجه العرب الحقائق الواضحة في العام ١٩٤٧ وقبله اخذ العرب يضمون في افتتاحياتهم ، بصورة متزايدة ، رأيهم الذي يمكن تقسيمه لعدة خطوط رئيسية : أولا ، شعر العرب بأن الضغط الخارجي الذي كان يفعل فعله في الامم المتحدة فرض على العالم تقسيم فلسطين . وثانيا ، مع هذا الادراك وتحديد اللوم تأكدت للعرب وحدتهم . ثالثا ، كان هناك اتفاق اجماعي تقريبا على رفض تقسيم فلسطين لان ذلك لم يكن عادلا .

وبما أن الصحافة العربية قد اعترفت بوحدة فلسطين وشخصيتها العربية فان المناقشات التي دارت والمقررات التي اتخذت في الامم المتحدة نالت نظرة يكتنفها الكثير من الشك . ومن بين الوفود المرتبطة بفلسطين تعرض وفد الولايات المتحدة لاشد النيران . فقد اعتبر وفد الولايات المتحدة في كافة ارجاء البلاد العربية خاضعا للضغط اليهودي(٣).

الا ان الاساليب التي اتبعتها الافتتاحيات تجاه هذا الضغط كانت تتميز احيانا بالاسف واحيانا اخرى بالنقد اللاذع للقرار الذي نال الدعم الامريكي . وكانت افتتاحيات اخرى تتساءل عما اذا كان بروز الولايات المتحدة كقوة عالمية في القرن العشرين يشكل رصيدا للامم الاخرى . وهناك نقطة اخرى أثارت المرارة في نفوس الصحافيين العرب ، بالاضافة الى دور الولايات المتحدة ، وهي أن دول النصف الغربي من الكرة الارضية الى حد بعيد ، وكذلك دول أوروبه الغربية ، هي التي صوتت ضد مصالح بلد شرقي . « بل كيف تستطيع الولايات المتحدة ان تطمئن الى قرار يتخذ بالضغط او بالرشوة ويرجح الكفة فيه دول مثل البارافوي والاورغوي وترفضه وتثور عليه دول مثل الباكستان والهندستان وتركيه فضلا عن السدول العربية التي تمثل سبعين مليونا يقيمون في قلب هذا الشرق وعلى شواطىء البحر المتوسط »(٤). « ... راينا دول الشرق بأسره تتضامن وتقترع ضد التقسيم او تلتزم الحياد ، بينما تألبت دول الغرب ، باستثناء دول شريفات معدودات ، على تأييد الصهيونية . كان تقسيم فلسطين العربية دليلا على اختلاف مقاييس الحق والعدالة بين الشرق والغرب ، اختلاف الروح عن المادة ، وبرهانا على أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنغ »(٥).

من الواضح ان الكتاب العرب أفزعهم ما شعروا به من الانتهاكات التي ارتكبت ضد فلسطين . الا ان اهمية هذا الشعور تتضاءل عندما يقارن بشعور الغرب في الفترة نفسها . ولم ينظر الغربي عادة الى المسألة على انه من الحق أم لا أن تعطى فلسطين للمهاجرين اليهود وانما شعر ان المسألة هي حول اللعبة السياسية في الامم المتحدة . اما بالنسبة لبعض الكتاب والدبلوماسيين الغربيين فان ما حدث في الامم المتحدة اثناء التصويت على قرار التقسيم أقلق وأزعج ضمائرهم(٦). وبالنسبة للكاتب العربي فان المعضلة الغربية حول المسألة الادبية في اجبار الامم قسرا على التصويت مع القرار او ضده في الامم المتحدة هي في معظمها أمر لا علاقة له بالموضوع . فتقليص الناحية الادبية او الاخلاقية لتقسيم فلسطين الى مستوى التصويت في الامم المتحدة لم يكن أمرا قابلا للفهم لديه . وقد كانت نظرته اقرب التصاقا بالواقع ورأى فلسطين تتمزق اربا اربا . وهنا جاء دور الناحية الاخلاقية . فلم تكن المسألة ماذا قد تقرر الدول الكبرى ، وانما كيف يحتفظ بفلسطين العربية سليمة والحؤول دون تحولها الى دولة صهيونية . « ان موقف الدول العربية لا يترك مجالا للتأويل . ولسوف يدافعون عن فلسطين ضد الصهيونية بشكل او بآخر . وسوف يقاتلون الدولة الصهيونية بكل الوسائل . ان العرب يعتبرون انفسهم في حالة دفاع مشروعة، ولا يستطيع اي شخص عالم او عادل ان يقول بانهم ليسوا على حق . ولا أحد يوافق على القول بأن كون اليهود قد استقروا على أرض فلسطين مدة ثلاثين عاما وباعداد كبيرة سيعني نهاية الضيافة الكريمة في فلسطين عند ممارسة السيادة اليهودية على التراب [الفلسطيني] »(٧).

وهكذا رفض كتاب الافتتاحيات العرب بالاجماع قرار التقسيم بعد ان رفضوا « حق » الامم المتحدة في التصويت على ذلك القرار . ويفكر المرء الان فورا بالجملة المشهورة التي أشار بها ديبلوماسي عربي الى مشروع التقسيم الذي جزأ فلسطين الى سبعة اجزاء محددة : « الموت بألف ضربة » . وقد نبه كتاب الافتتاحيات بصورة تنم عن بعد نظر ممتاز من ان اية محاولة لتطبيق قرار التقسيم قد تؤدي الى حريق هائل شامل في فلسطين ينتقل الى البلدان العربية وقد يمتد في النهاية الى بقية العالم(٨). وبالاضافة الى ذلك كان هناك اعتقاد بأن قيام دولة يهودية في فلسطين يهدد في النهاية وجود البلدان العربية — مصر وسورية ولبنان والاردن — التي لها حدود قريبة من الدولة الجديدة(٩).

وبعد أن صرف كتاب الافتتاحيات العرب النظر عن قرار التقسيم بصفته عملا ارتكبه المفلسون أدبيا وبعد ان وافقوا بالاجماع تقريبا على رفض هذا القرار اخذوا يتجهون الى جانب ثالث وهو التأكيد على الوحدة العربية في وجه عالم معاد والاصرار على معارضة التقسيم بأية وسيلة ضرورية بما في ذلك استخدام القوة . ويستحسن ان نلاحظ ان الرأي العربي في هذه المرحلة من مراحل المسألة الفلسطينية ، أي في تشرين الثاني وكانون الاول من العام ١٩٤٧ ، أظهر وحدة مدهشة على الاقل على صعيد الرأي في الافتتاحيات . ولقد قيل الكثير عن الخلافات التي ساعدت على حصول النتائج المسؤولة التي حلت بالعرب في العام ١٩٤٨ ، ولكن هذه الخلافات لم تظهر بصورة واضحة في الافتتاحيات في بداية الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها . والحقيقة انه عندما نقارن أشد

الصحف حماسا في تاييد الفلسطينيين ، صحيفة «فلسطين» ، مع اشد الصحف محافظة «الاوريان» نلاحظ ان راي الافتتاحيات كان متشابها جدا . قالت « الاوريان » : « ان تمسكنا الشديد باستقلال لبنان وسيادته لم يمنعنا ولن يمنعنا ابدا من ان نمارس ، في المستقبل ، التعاون المثمر الى ابعد حد مع جيراننا او ان نقبل بالدفاع عن مصالحهم عند الحاجة »(١٠). وقد تعجب مراقبون كثيرون من ظهور هذه الوحدة النادرة في الراي في الافتتاحيات العربية عند نهاية العام ١٩٤٧ ، تلك الوحدة التي اخذت تنهار مع اقتراب ايار ١٩٤٨ . ولم تشذ صحيفة عن هذا النوع من الوحدة بالرغم من انه كان يظن ان بعض المسيحيين في لبنان كانوا اسهل انقيادا لفكرة تاسيس دولة يهودية في فلسطين ، لانهم ظنوا ، خطأ ، ان تاسيس دولة يهودية في فلسطين سيؤمن الحماية والدعم لهم . لكن هذا الاعتقاد لم يظهر في الصحف التي غطتها هذه الدراسة ، باستثناء البيان الذي نشره رئيس اساقفة بيروت الماروني ، الاسقف اغناطيوس مبارك في الصحف اللبنانية ، ومما قاله رئيس الاساقفة : « ان هناك اسبابا رئيسية اجتماعية وانسانية ودينية تقضي بانشاء وطنين للاقليات ، وطن مسيحي في لبنان كما كان دائما ووطن يهودي في فلسطين ... ان لبنان يطالب بالحرية ليهود فلسطين كما يتمنى حريته الخاصة واستقلاله»(١١). ومهما يكن ، فان هذه الحالة الاستثنائية التي مثلها مبارك لم تفسح المجال امام افتتاحيات مماثلة في الصحف العربية المسيحية . وقد حافظت الافتتاحيات على خطها السابق وكذلك استمر العزم قائما على مواصلة الحرب في فلسطين حتى بعد انتهاء الانتداب البريطاني .

وبالاضافة الى ان افتتاحيات الصحف كانت معارضة للصهيونية فان كتاب الافتتاحيات العرب قد بدأوا يطالبون اولا بحياد العالم وخاصة بريطانيه في فلسطين . واخذوا يدعون الدول العربية للاتحاد . واخيرا اخذوا يناشدون العرب مقاتلة الصهيونية في فلسطين بالقوة ، في حين ان الحملات الاخيرة ضد الاجانب قد تركزت بشكل خاص على الولايات المتحدة . اما بريطانيه فقد انفردت جانبا لكونها الدولة المنتدبة على فلسطين في هذه المرحلة ، ولان العرب كانوا يعتقدون ان تجريد السكان العرب من السلاح وابقاءه في ايدي الصهاينة هو خروج على الحياد(١٢). ولم يكن في نظر الصحافة ادنى شك حول من سينتصر ، لو ان القوى العالمية الكبرى تركت الشرق الاوسط بمفرده لان العرب كانوا اشد نظامية ، واخلاصا ، واقوى من اعدائهم(١٣). ان المشكلة الوحيدة التي يمكن ان تعيق الانتصار ، لو ترك العرب يستعملون وسائلهم الخاصة في تلك الحرب القاسية التي لا تعرف الرحمة والتي كان العرب سيجرون الصهاينة اليها في البر والبحر والجو(١٤)، لا تكمن في نقص في البطولة من جانب الذين يقاتلون ، ولكن في الافتقار الى الوحدة على الجبهة السياسية . وعندما يحاول الغربي عادة ان يستحضر في ذهنه صور العرب ، فان الصورة الاولى التي تقفز في المقدمة هي افتقارهم الى الوحدة ، والنزاع العنيف بينهم. وهذا المفهوم الغربي حول العرب هو المفهوم نفسه الذي يحمله العرب انفسهم . لقد كان العرب يشعرون بشيء من السمو طالما ان ساستهم يقومون بادوارهم على الوجه الصحيح .

ومع اقتراب العام ١٩٤٨ ظهر هناك نوع من الاستياء في الافتتاحيات الصحفية . وحاولت بعض الصحف ، انطلاقا من الخوف من حدوث انشقاق في الراي على الجبهة العربية ، ترويج الدعاية بقولها ان الروايات التي تتحدث عن الخلافات الداخلية مبالغ فيها ومحض مصطنعة . لقد صوروا ما قيل من اشاعات حول افتقار الجبهة العربية للوحدة على انها « افلاس سياسي يلجأ اليه اليائس »(١٥). وبالرغم من هذه المحاولة لتغطية الخلافات في القيادة العربية فان الكثير من الصحف العربية شعرت بأن هذه الخلافات هي اكثر من مصطنعة . لقد كان الشعور السائد لدى عدد لا بأس به من الصحف بأن السياسيين العرب كانوا يعملون من اجل الظهور في الصحف ومن اجل ان يكتب عنهم بالخط الاحمر العريض ، وانهم لم يدركوا ان ما حدث في فلسطين كان في الحقيقة مسالة حياة او موت . وكان هناك شعور بالخيبة من جراء التواني الذي كان يكتنف(١٦) اعمال الساسة العرب ، « في الوقت الذي كان عرب فلسطين يحترقون بقنابل اليهود وبيوتهم تدمر لا ترى في الشام غير الخطابات والمظاهرات وصور المتطوعين . وفي الوقت نفسه لم ير من وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة سوى صور الاحتفالات والولائم والخطب التي يتوعدون بها الصهاينة ومؤيديهم ، وهذا كله لم يعد بشيء

على عرب فلسطين ... »(١٧).

ومع ذلك ، فان الانطبـاع الذي تتركه الجرائد اليومية عند دراستها ، هو انه بالرغم من مواطن الضعف وخاصة في الجناح السياسي فان الامـة العربية مجتمعة بامكانها ان تتوقع وتأمل بالانتصار ضد الصهيونيين في فلسطين . وكان هذا الامل يرتكز على التفوق العددي الذي كان يتمتع به العرب ، وعلى الاعتقاد بأن العالم اذا حافظ على حياده ، فان العرب هم المنتصرون في اية معركة عسكرية . وبالرغم من العلامات التي تشير الى ان بعض القطاعات من الشعوب العربية كانت تؤمن بأن الحرب لن تقع ، الا ان هذا كان ينطلق من التفاؤل من جانب العرب لاعتقادهم بأن اليهود في فلسطين سيستسلمون للعرب قبل اعلان القتال وذلك عندما يواجهون بالتفوق العربي الكاسح . وظهرت الى جانب الرأي في الصحف الدعوة للعمل العسكري في فلسطين . وربما كان يدور في خلد بعض كتاب الافتتاحيات انه باقتراب الخامس عشر مـن ايار ١٩٤٨ سيستسلم اليهود وان العمـل العسكري العربي لن يكون ضروريا(١٨).

ومع قدوم العام الجديد، بدا الكتاب العرب ينظرون الى الاسباب التي ادت الى حدوث ازمة ١٥ ايار ١٩٤٨ . ولا يأخذنا العجب هنا ، اذا رأيناهـم يصورون اسباب المشكلة الفلسطينية على انهـا ليست من صنع العرب وحدهم(١٩). كان عام ١٩٤٨ عام انتخابات الرئاسة الاميركية وهذه الحقيقة لم تغب عن ذهن كتاب الافتتاحيات العرب . فقد شعر الكثيرون ان الرئيس ترومان ، في محاولة منـه لاعادة انتخابه ، قد ضحـى بالمبادىء والاخلاق الانسانية في فلسطين . لقد كان الاعتقاد السائد انه مقابل الاصوات والاموال الاميركية اليهودية كان ترومان راغبا في اعطاء الصهاينة وطنا لهم في فلسطين(٢٠). وهناك بعض التعليقات الافتتاحية التي ركزت لومها على الامم المتحدة ومجلس الامن لتصويته على قرار التقسيم في فلسطـين(٢١). ورددت بعض الافتتاحيات الاعتقاد « بأنه لو كانت المسألة مسألة حرب بين العرب واليهود فقط فان العرب سيدافعون عن انفسهم وعن ميراثهم . ولكن حربا محلية حول مكان صغير ومحدود تحولت الى حرب صليبية ضد العرب ... بزعامـة الدول المسيحية الاوربية »(٢٢).

ان الشعور العام لدى كتاب الافتتاحيات ، هو ان الصهيونية تساعدها الدول الغربية (وفي بعض الاحيان العكس) كانت تحاول اقامة نوع من الدولة الاستعمارية في فلسطين. وهذا الاعتقاد ، الطبيعي جدا ، فتح المجال لمقارنة هاجاناه القرن العشرين مع فرسان الصليبيين في القرن العاشر . اذ للمرة الثانية يتعرض الشرق العربي للغزو بجحـافل الغرب وهناك امكانية ضئيلة في ان تكون النتيجة واحدة كما حدث منذ عشرة قرون خلت(٢٣). نتيجة لهذا الاعتقاد ، الذي يرى في الصهيونية عنصرا مدمرا داخل الشرق الاوسط ، والذي يلمس تأييد اغلبية يهـود العالم للصهيونيـة ظهر في بعض الافتتاحيات اتجاه للحذر من يهود « الشتات » الذين حافظوا على ولاءاتهم لليهود الاخرين ممـا جعلهم ، سواء أكانوا صهاينة ام لا ، يشعرون بالسعادة حالمـا يرون دولـة صهيونيـة فـي فلسطين(٢٤). ومن الصفات التي اعطيت لليهود الصهيونيين الحقارة والهمجيـة بسبب الاساليب التي اتبعوها في قتل العرب في فلسطين(٢٥). وترك هذا الشعور آثاره على الاراء التي عرضت في الافتتاحيات حول العرب واليهود . وكان هناك قناعة تامة ، بالرغم من انها كانت محدودة ، بأن اليهود مهما اعلنوا عن رفضهم للصهيونية فان ذلك ليس التعبير الصحيح عما يجول في صدورهم : « حين تنشر بعض الصحف ونحن في مقدمتها برقيات الولاء والتأييد لعروبة فلسطين من قبل بعض اليهود السوريين او جمعياتهـم الطائفية ورؤسائهـم الروحيين يتساءل الناس : هل تصدق الحكومة او يصدق اصحاب هذه الصحف اخلاص موقعي هذه البرقيات وصدقهم فيما يقولون ؟ والا يكون هؤلاء من البلاهة بمكان عظيم اذا صدقوا بأن اي يهودي في الدنيا يسوءه قيام دولة يهودية او يحزن على ما يرتكبه اليهود في فلسطين من وحشية وبربرية في تقتيل النساء والاطفال والغدر بالرجال مـن العرب والمجاهدين ؟ »(٢٦).

ان الشعور العربي نحو اليهـود لم يكن سلبيا تماما ، وهناك كاتب افتتاحيات لبناني استطاع ان يفرق بين الصهيونية واليهودية ، وبالاضافة الى ذلك كان بامكانه ان يخط معتقدا لبنانيا خالصا خاصة عندما كتب يقول بأن لبنان بلد للاقليات . وقد شعر كسروان لبكي ان مبرر وجود لبنـان سيزول اذا لم ينل يهود لبنان حريتهم ، ولذلك نراه يحتـج قائلا « اتركوا يهـود بيروت فـي سلام »(٢٧). ومع ذلك فان كاتبا مصريا حاول ان

يعالج المشكلة ليس من وجهة نظر وطنية صرفة ولكن من وجهة نظر عربية شاملة : ليس علينا ان نؤكد بأن العرب ، سواء كانوا فلسطينيين ام لا ، لا يخامرهم اي شك او ريبة في اليهود . لقد كان الشرق العربي دائما معروفا بضيافته وكرمه . ان اليهود يشكلون اقلية صغيرة ، فقد عاشوا مع اخوانهم من المسيحيين والمسلمين في سلام ووفاق ، ولم يضطهدوا كما اضطهدوا في اوروبه (١٨). ان المواضيع التي رأيناها في الفقرات السابقة ليست الا جزءا من رأي الافتتاحيات . ان النسبة العظمى من الافتتاحيات كرست للمسألة الفلسطينية ، وكانت تتركز حول مستقبل فلسطين والدعوة القومية للدفاع عن فلسطين العربية ، ويمكن ان تلخص كما يلي : « رفض التقسيم ، طرد الارهابيين ، وقف الهجرة اليهودية ، حل منظمة الهاغاناه ، انهاء الانتداب البريطاني ، اعلان استقلال فلسطين الفوري ، خلق دولة عربية — يهودية في فلسطين حيث يتساوى جميع السكان في الحقوق والواجبات »(٢٩).

ولكي يتم تنفيذ هذه الخطة في سبيل فلسطين نصح العرب بالدفاع عن فلسطين وهزم الصهيونية . وعندما قارب الانتداب البريطاني على الانتهاء ، اظهر كتاب الافتتاحيات العرب اجماعا في الدعوة الى الحل العسكري . فقد صدرت جريدة (القبس) في ١٦ أيار ١٩٤٨ تحمل عنوانا بارزا تقول فيه ان عهد الكلام والكتابة قد انتهى ، وبدأ عهد الدم والشجاعة . وهذا تعبير عن رأي الافتتاحيات العربية بالضبط .

وهنا يستحسن ان نعرف كيف نظرت الدول الاربع المحيطة بفلسطين الى الصراع الناشب في فلسطين. فعلى العموم ، كان كتاب الافتتاحيات السوريون يتميزون بعاطفيتهم امام قرائهم . فقد حاول السوريون ان يستعيدوا امجاد صلاح الدين في محاولة منهم لجعل الشعب السوري يتهيأ للحرب(٣٠). لقد كانوا متلهفين لبدء المعركة ولا يرغبون في انتظار الانسحاب النهائي للجيوش البريطانية كما كان مقررا في منتصف أيار . وفي الواقع ، ان العديد من الصحف السورية قد أيدت قطع رأس الامعى قبل ان تكبر(٣١). وقد عزز هذا الموقف الاعتقاد بأن القوة كانت ولا زالت وستبقى الى الابد المنطق العملي الوحيد الذي يؤكد حقوقه في هذا العالم(٣٢). لذلك فقد كان على القارىء السوري ، تحت تأثير الافتتاحيات المحلية ، ان يندفع لقتال الصهاينة في فلسطين ويدرك بأن القوة تهزم الحق في هذا العالم . واذا لم يفعل ذلك هو ورفاقه ، ففي المستقبل سيبكون كالنساء على وطن لم يستطيعوا ان يحافظوا عليه كالرجال(٣٣). وقد رافق هذا النصح والحض تحذير من صعوبة الطريق والقتال اذ ان العدو قوي ومنظم ومدعوم بقوى خارجية مهمة(٣٤).

اما بالنسبة للبنانيين ، فقد كانت لديهم قناعة بأنهم من الناحية العسكرية اضعف الدول الاربع التي لها حدود مجاورة مع فلسطين . ولذلك ، فان الافتتاحيات في دعوتها لتحرير فلسطين من الصهاينة لم تكن تفتقر للوطنية بقدر ما كانت مدركة وواعية للاخطار التي تهدد لبنان من جراء نشوء دولة اسرائيلية عسكرية قوية على الحدود الجنوبية : « اسرائيل تقف على ابوابنا وتضطرنا ان نأخذ بعين الاعتبار كل مظاهر ونتائج هذا القرب . انها ليست لعبة عندما يحاول بلد صغير ان يصطنع الاخطار لكي يعرف وزنه . ان ترنيمة داود التي ينشدها العبرانيون تتزدد في انحاء الشرق كله . ان ثقل اسرائيل وقوتها العظيمة تبدو ثقلا شديدا ومحملا بالاخطار للدول ذات الموارد المحدودة »(٣٥).

وفي مقابل الموقف المحدود والضيق للصحافة اللبنانية كانت افتتاحيات الصحف المصرية ذات نظرة تدل على خبرة ومعرفة بالعالم والناس . لقد رأت ان ما يجري في فلسطين لا يعكس معركة محدودة بين مجموعة من العرب ومجموعة من الصهاينة ، بقدر ما يعكس معركة ذات مستوى ابعد من ذلك. انها صراع بين الامة العربية في ولادتها الجديدة وبين العالم الغربي وبقايا الاستعمار ومخلفاته . وهذا الموقف في بعض جوانبه ناتج عن بعد المسافة النسبية بين القاهرة وتل ابيب اذا ما قورنت بالمسافة التي تفصل الشام وعمان وبيروت عن تل ابيب . ولربما كان السبب المنطقي والممكن لهذه النظرة المصرية والبعيدة لمشكلة فلسطين هي انشغال مصر في حروبها مع قوات الاحتلال البريطاني فيها . والنتيجة الطبيعية لهذا هي دمج اسباب الاحتلال البريطاني لمصر مع الاسباب التي ادت لظهور الصهيونية في فلسطين . لقد دعت الصحافة المصرية لقتال الصهاينة في فلسطين ، ولكنها كانت دعوة باردة وكانت تنظر الى قضية فلسطين على ضوء الاحتلال البريطاني لمصر . لذلك فان الصحافة المصرية رسمت خطا موازيا بين قضية فلسطين

ومصر وشعرت بأن اي قتال يحدث في فلسطين ، بالرغم من اهميته ، ليس اكثر من مقدمة لتجربة اعظم ، وهي قتال الاستعمار في كل مكان . ان القتال الجاري في فلسطين هو الجهاد الاصغر ، ولعل الامة العربية تعود من الميدان اقوى واقدر على الجهاد الاكبر(٣٦).

اما الصحافة الفلسطينية فقد كانت على ارض المعركة . وكان كتاب (الدفاع) و(فلسطين) يدركون جيدا الاخطار المحدقة بهم في فلسطين . ولهذا فقد حضوا قراءهم على الدفاع عن اجزاء فلسطين التي يحتفظ بها اليهود او التي يدعون انها لهم . « ونحن مقتنعون بالنهاية الحسنة في هذا الكفاح الذي نخوضه لحماية وحدة بلادنا ولنيلنا حقوقنا وحرياتنا . ونحن مقتنعون ان خصومنا يخوضون معركة خاسرة ، وان طبيعة الموقف والظرف في غير جانبهم . ونحن مقتنعون ان الحل سيكون في بلادنا ، لا في نيويورك كما تحاول القوى المعادية ، ولا في لندن . وفي نفس الوقت ، نحن مقتنعون باننا سنواجه ظروفا قاسية، وسنتكبد تضحيات وخسائر ، وان الحالة ستتراوح معنا بين المد والجزر ، الى وقت ما . غير ان العبرة دائما بالنهاية »(٣٧).

لقد قيل مرارا ان سبب نزوح العرب عن فلسطين في اواخر سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ يعود الى دعوة الصحافة العربية للسكان لكي يتركوا فلسطين . وكما اشارت الفقرات السابقة ، فان الصحافة العربية كانت تحض الفلسطينيين والشعوب العربية على المشاركة في القتال من اجل فلسطين ، ولم تحض الفلسطينيين على الهروب من فلسطين ابدا. ان هذه الخرافة الصهيونية لا تلبث ان تتبدد اذا درسناها على ضوء الحقائق كما تنعكس في الافتتاحيات العربية . وفيما يختص بهذا الموضوع ، فان من الاهمية بمكان ان نعرف ردة الفعل في الصحافة الفلسطينية نفسها تجاه الحرب الناشبة في فلسطين . ان هناك ، بدون ريب ، شواهد وبراهين قوية تبين ان (الدفاع) و(فلسطين) لم تحثا القراء على ترك بيوتهم ابدا . بل على العكس فان الافتتاحيات الفلسطينية شعرت ان على الفلسطينيين ان يقدموا اعظم التضحيات ويكونوا مثلا للاخرين وانه لن يضحي احد من اجل فلسطين ما لم يضح الفلسطينيون من اجلها اولا(٣٨). ومع ان كتاب الافتتاحيات العرب حاولوا ، وفي بعض الاحيان بذلوا مجهودا كبيرا لغرس الشعور بالوحدة بين الشعوب العربية لمواجهة الصهيونيين فان هؤلاء الكتاب لم يتعاموا عن الطبيعة السلبية التي لاحظوها في طريقة العمل والسير في الحرب من اجل فلسطين . وقبل دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين في ايار ١٩٤٨ ، حاول الصحافيون ان يلفتوا انتباه قرائهم الى الاخطاء العديدة التي ارتكبت . وظهر نقد افتتاحي لطريقة تدريب الجيوش العربية واستخدام المتطوعين ، والافتقار الى التنسيق بين الدول العربية ورغبة السياسيين العرب في الكلام اكثر من العمل وغياب الفلسطينيين عن مسرح الدفاع عن بلادهم وجشع العرب في السعي من اجل تحقيق مصالح محلية وشخصية فوق المصلحة العربية او على حسابها .

ومع ان انباء المعارك خلال نيسان وايار من عام ١٩٤٨ تركت انطباعا بأن المتطوعين العرب يحققون نجاحا عظيما في فلسطين الا ان الافتتاحيات لم تكن تعكس ذلك التفاؤل الذي كانت تنقله روايات الاخبار . ان الانطباع النهائي الذي ادى اليه فقدان دعم الافتتاحيات لروايات الاخبار تلك هو ان الاخبار كانت محاولة لنشر الاشاعات ورفع المعنويات . وكانت اكبر مجموعتين من المتطوعين العرب الذين كانوا يقاتلون في فلسطين قبل ١٥ ايار هما المجموعة التي كان يقودها عبد القادر الحسيني والمجموعة التي يقودها فوزي القاوقجي. وكان الحسيني يتلقى الاوامر من الهيئة العربية العليا ، اما القاوقجي فقد عينته الجامعة العربية. وقد تألف من هاتين المجموعتين جيش تحرير عرف بـ « جيش الانقاذ » . وكانت قوات عبد القادر الحسيني اكثرها فاعلية وذلك بفضل مقدرة قائدها(٣٩). ولسوء حظ العرب ، استشهد عبد القادر الحسيني في فلسطين في الاسبوع الاول من نيسان ١٩٤٨ . ويتساءل البعض : هل كان بامكان قوات التحرير الفلسطينية ان تؤثر في مجرى حرب ١٩٤٨ لو لم يقتل عبد القادر الحسيني اثناء تادية واجبه . لقد شكل جيش الانقاذ بسرعة وتهور ، ولم يكن مدربا بشكل جيد وكان يأمل بانتصار ساحق سريع يظهر فيه امام العرب ، وقد اندفع الكثير من السياسيين الى الالتحاق بقوات المتطوعين(٤٠). « وفي مقابل عدو تسلح وتنظم لمدة طويلة فان المجموعة العربية الاولى قد ضمت عناصر غير متكافئة أدخلت المعركة بسرعة ، وبدون التدريب الكافي كما كان ينقصها السلاح

الثقيل »(٤١). وبالاضافة الى ادراك بعض كتاب الافتتاحيات لعدم خبرة قوات المتطوعين الذين دخلوا فلسطين ، كان هناك اعتراف بالنقص لعدم وجود فلسطينيين مسلحين قادرين على الدفاع عن بلادهم. وقد تركز هذا التذمر من الفلسطينيين ، مع انه كان محدودا ، وبشكل واسع في سورية . وقد المحت عدة صحف وبشيء من السخرية الى انتقال الهيئة العربية العليا من القدس الى الشام في بداية عام ١٩٤٨ ، وابدى العديد من كتاب الافتتاحيات دهشتهم لان القيادة لم تبق في القدس . وقد كررت الصحف السورية على نحو ممل عزمها على النضال لتحرير الفلسطينيين ولكنها كانت تصطدم بعجز القادة الفلسطينيين عن تحرير انفسهم من جهتهم . وقد انتقدت احدى الافتتاحيات القادة الفلسطينيين لانهم كانوا يديرون العمليات ويوجهون المعارك من صالوناتهم الفخمة وهم جالسون على كراسيهم ، يستعملون المناظير المقربة لان ابتعادهم عن جو المعركة لا يمكنهم من النظر بأم عيونهم(٤٢). لقد كان دور الجيوش العربية النظامية ودور السياسيين العرب مهما جدا في تقرير المصير النهائي لفلسطين . وليس غريبا ان نكتشف ، بعد ذلك ، ان راي الافتتاحيات كان يعود بالفائدة على المشاكل التي نجمت عن اقتراب تدخل الجيوش العربية النظامية ، كما كان يوضع في خدمة السياسة العرب ، وسوف نقول الشيء الكثير بعد قليل عن دور الجيوش النظامية في حرب ربيع ١٩٤٨ . وهنا نكتفي بالقول ان الافتتاحيات التي كانت تعالج دور الجيوش العربية قد اعطت انطباعا بأن الجيوش العربية كانت قوية بما فيه الكفاية لمقاتلة الصهيونيين في فلسطين ، ولم يكن هناك اي شك في قوة هذه الجيوش او ارادتها ، ولكن التساؤلات كانت حول التنسيق بين جيوش البلاد العربية المشتركة . وهنا ايضا ، فان الانطباع العام هو ان تفاصيل التعاون لتحرير فلسطين كانت قد اكتملت وكانت الحكومات متفقة على ذلك تماما(٤٣). وحتى هنا نجد بعض الملاحظات السلبية في بعض الصحف ، وقد وصفت احدى الصحف المسالة بايجاز بليغ : « في خلال ثمان واربعين ساعة ستسدد قائمة حساب الفلسطينيين ، واللبنانيون في جهل تام عن الاستعدادات العربية ... أين نحن ؟ واين سنصبح غدا ؟ هل تم الاتفاق بين عمان والرياض ؟ وهل تسلم الملك عبد الله السلطة المطلقة للتدخل في الاراضي المقدسة . لقد حط الجيش العربي الآن في فلسطين، ولكن هل سيعمل وحده ضد الهاغاناه ؟ وهل ستمارس السلطة الحكومية والادارية ، بعد ١٥ ايار باسم الملك عبد الله ام باسم الجامعة العربية ؟ ان هذه الاسئلة جميعها التي تشغل بال اللبنانيين الى حد كبير لم تجد لحد الآن جوابا . هل سيدخل جنودنا الى فلسطين ؟ وهل سيقاتلون الهاغاناه في فلسطين ؟ نحن جاهلون كل هذا ؟ »(٤٤).

ولو فهم كتاب الافتتاحيات العرب قبل ايار ١٩٤٨ الموقف العسكري فهما جيدا لكان الموقف السياسي والمطامع الخصوصية للقادة السياسيين قد توضحت وفهمت بشكل افضل . ان الادراك السياسي المتأخر كان صفة اساسية من صفات كتاب الافتتاحيات . ومع ذلك فان بعد النظر كان واضحا وخاصة في الصحف السورية . ومن الصعب ان نحكم على بعد النظر ذاك ، هل هو بعد نظر بالفعل ام انه افتراض عاطفي حالفه الصواب بطريق الصدفة . وكانت الصحافة السورية تركز اهتمامها بشكل خاص على الملك عبد الله في محاولاته الخفية لضم تلك الاجزاء من فلسطين التي كانت ستصبح طبقا لقرارات الامم المتحدة ، الدولة العربية الفلسطينية . لقد شعرت الصحافة السورية ان نية الاردن المعلنة في ضم فلسطين كانت في الواقع محاولة لالحاق فلسطين ببريطانيه وربطها بغلوب باشا ، الضابط البريطاني في الجيش الاردني(٤٥). ان ارتباط الاردن ببريطانية بمعاهدة وتزويدها الجيش الاردني بالموظفين والضباط ودفع معاشاتهم لم يغب عن ذهن افتتاحيات الصحف السورية . وقد صورت احدى الصحف السورية الخطط الاردنية بأنها « مهنة العبيد ، لان الاردن كان مرتبطا ارتباطا شديدا ببريطانية »(٤٦).

اما الشخصية الاخرى ذات الاهمية في فلسطين فكانت مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ، الذي كان موضع هجوم حاد ، وقد استاء كثير من الكتاب من قبل من انتقال منظمته من القدس الى الشام . بينما تساءلت بعض الافتتاحيات حول مقدرته القيادية بريبة وحول الطريقة التي كان يصرف بها الاموال التي يقبضها من اجل توزيعها على المقاتلين ضد الصهيونيين . وقد كتبت احدى الصحف في تعليقها على المفتي قائلة انه قبض مبلغ ٢٥٠ الف

جنيه مصري ، صرف منها مئة الف جنيه على منظمته ، ومئة الف جنيه اخرى على الدعاية ، والباقي فقط صرف على شراء مواد حربية(٤٧).

ولم يقتصر النقد على عبد الله والحسيني ، فمع وقوع الهزائم العربية في حيفا ويافا والمذابح الصهيونية التي جرت في دير ياسين بدأ كتاب الافتتاحيات العرب يوسعون نطاق هجماتهم على القادة السياسيين . وباستطاعة المرء ان يعد مئات من الصحف التي قالت : كفانا كلاما وبلاغات رسمية(٤٨). لقد كان الانذار واضحا تماما . ان مسؤولية مستقبل فلسطين تقع على عاتق السياسيين العرب . فاذا نجحوا نعموا بالمجد واذا فشلوا كانوا هم الذين يتحملون المسؤولية . ولكي ينقذوا انفسهم ، فقد حث كتاب الافتتاحيات العرب القادة السياسيين على أخذ زمام المبادرة في ساحة المعركة ، وان يستمعوا الى الراي العام الذي كان غاضبا بسبب تأجيل موعد الهجوم الى ما بعد ١٥ ايار وان يدخلوا فلسطين بقواتهم المسلحة باقصى سرعة ممكنة(٤٩). ومع ذلك ، فانه يبدو ان نداءات التحذير التي نشرها كتاب الافتتاحيات لم تلق اي اهتمام في مقابل البلاغات العسكرية التي صدرت لتعلن النصر في المعركة . لقد ترك القارىء يعيش على الانطباع العام بأن النصر بعد الخامس عشر من ايار سيكون تاما وسريعا . وفي اليوم الذي دخلت فيه الجيوش العربية فلسطين لخص كسروان لبكي الموقف بدقة حيث كتب يقول : « في منتصف الليل مات الماضي. ليس من الضروري ان نحييه . اخطاء ... اخطاء شنيعة ارتكبت . وبين القادة العرب ، كثيرون فشلوا في مهمتهم »(٥٠).

وفي مراجعة لآراء الافتتاحيات العربية حتى نهاية الانتداب البريطاني في فلسطين ، يكتشف المرء نماذج مميزة من الافتتاحيات التي كتبت في الجرائد العربية : قبل عام ١٩٤٧ ، اظهرت المناقشات في الصحف نظرة موضوعية وبعيدة بعض الشيء ، وبعد النظر ذاك سمح لهم ان ينظروا الى المشكلة على انها ليست عسكرية فقط . ولكن بانتهاء عام ١٩٤٧ واقتراب ايار ١٩٤٨ ، بدا ان هناك علاقة مباشرة بين اقتراب نهاية الانتداب ونهاية النظرة الموضوعية التي أملتها فترة البرودة والركود في الماضي . وكانت النتيجة تغيرا في راي الافتتاحيات خاصة بعد تبني قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة . وقد أثر هذا التغير على ما رآه الكتاب وعلى ما تنبأوا به من نتائج . ولقد اخذوا يلاحظون وجود تأثيرات خارجية خصوصا من جانب الانكليز وصهاينة الولايات المتحدة والامم المتحدة . أما النتائج التي توقعوها لهذه الاسباب فكانت امكانية وقوع العنف في الارض المقدسة . ولم يتهرب كتاب الافتتاحيات لدى رؤيتهم للمعركة امامهم ، بل اعربوا عن اعتقادهم ان الحرب في فلسطين قد تقضي الى الابد على احلام الصهاينة وتمكن العرب من الحفاظ على الشخصية العربية في فلسطين . لذلك ، فانهم شجعوا على التدخل العسكري بالقوة وايدوه معتقدين بأن ذلك قد يكون السبيل لاسترجاع الحقوق وشعروا بأن نجاح ذلك وتحقيقه أمر ممكن . الا ان الوحدة في الراي التي لاحظناها قد حملت في طياتها تيارين خفيين من الشقاق . واستمرت الدعوات الى الوحدة في الافتتاحيات واستمر الاعتقاد العام بامكانية النصر، وربما يعود ذلك الى التفاؤل الذي اثارته التقارير الرسمية النابعة من الحرب التي لم تعلن بصورة رسمية .

وبقيت كل دولة تنظر الى القتال الناشب من وجهة نظر محلية محدودة . وشعرت سورية انها كانت تقدم اعظم التضحيات وتطالب بالحاح بضرورة العمل العسكري . وكانت تكن شعورا خاصا غير ودي نحو الاردنيين والفلسطينيين لعجزهم عن مساعدة انفسهم ، ومع ذلك فانها الحت على ضرورة العمل العسكري . وكان اللبنانيون يدركون ضعفهم العسكري ويخافون دخول الحرب بالرغم من تأييدهم لها . اما المصريون فكانوا متأثرين بالانكليز ونظروا الى قضية فلسطين كجزء من القضية الشاملة للوجود البريطاني في الشرق الاوسط . اما الصحافة الفلسطينية فقد عكست قربها من القتال . والصحف التي ظهرت من اجل النضال ضد الصهاينة الحت على ضرورة خوض المعركة حتى الموت .

ان هذا التفسخ في الوحدة العربية ظهر ايضا على مستوى آخر غير المستوى القومي . وهكذا ساد اعتقاد بأن المتطوعين العرب ، والجيوش النظامية والقادة السياسيين ، ربما لم يستعدوا لمواجهة الاحداث التي تقف امامهم . وعندما نشبت الحرب بصورة رسمية كان هناك نوع من الرغبة من جانب الكتاب العرب في التسامح والتناسي لاعتقادهم بأن

الجيوش العربية قد تنتصر . ولكن كان هناك انذار اكيد بأن المسؤولية ستقع على عاتق القادة السياسيين اذا لم ينجح العرب في المعركة .

لم يلعب رأي الافتتاحيات دورا كبيرا خلال حرب فلسطين التي بدأت رسميا في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨ . وقد خصصت عدة اعمدة للحوادث الجارية في فلسطين وخاصة في حيفا والنقب والقدس لكنها كانت مجرد قسم من اية جريدة معينة . وكانت الصحف تمتلىء باخبار حوادث فلسطين . وكانت الافتتاحيات المتعلقة بفلسطين في ذلك الوقت تشكل اكبر جزء من النشرة اليومية المخصصة لفلسطين . ولكن هذه الحالة تغيرت في نيسان وايار من عام ١٩٤٨ . ومع ذلك يجب ان لا يقلل من شأن دور كتاب الافتتاحيات . لقد حثوا قراءهم على الدفاع وطالبوهم بمزيد من الالتزام الوطني . وزودوهم بافكارهم حول كيفية كسب الحرب التي ستشن ، وحذروهم من النتائج المترتبة عن خسارة العرب . وبالاضافة الى القول بأن فلسطين كانت تقريبا الموضوع الوحيد الذي اتفقت الدول والحكومات العربية في الرأي حوله(٥١) نزيد فنقول ان رأي الافتتاحيات كان ايضا موحدا عندما بدأت الحرب . الا ان مراقبة المطبوعات حددت المواضيع التي يمكن بحثها بحرية وجعلت الصحافة السورية واللبنانية تكتب بعض المقالات التي يصعب استيعابها . واذا استثنينا بعض الحوادث الخاصة ، كالصدمة التي احاطت بسقوط حيفا ، فقد بقيت المقالات تتميز بتفاؤلها بالرغم من فقدان الاصالة في المحتوى . وعندما اصبحت الحوادث اهم من اي تعليق عليها، أخذت العناوين الرئيسية في الصحف تعكس رأي الافتتاحيات اذ انها كانت تفسر محتوى الرواية التي ستليها .

لقد خصصت صحيفة (فلسطين) بصفتها صحيفة فلسطينية كل عناوينها الرئيسية للحوادث داخل فلسطين . وجريدة « القبس » لكونها تمثل السوريين وربما لانها كانت اكثر الجرائد عاطفية من ناحية ارتباطها بفلسطين كما انها تحتل المرتبة الثانية من حيث نسبة تخصيص عناوينها الرئيسية للقضية الفلسطينية . اما صحيفة « اللوجور » اللبنانية فكانت اكثر الصحف هدوءا في عناوينها الرئيسية . واما جريدة « الاهرام » المصرية ، اذا ما قورنت بالجرائد الاخرى ، فانها تبدو منفصلة ومبتعدة عن القضية الفلسطينية . ان موقف « الاهرام » يبدو غير عادي ، وخاصة في نيسان ، حيث خصصت عناوينها الرئيسية لمدة خمسة ايام للانتخابات الايطالية . وبالرغم من الشعور العام بالثقة والاعتقاد بأن العرب كانت لهم اليد العليا خلال ايام القتال ، فان الحرب التي استمرت من ١٥ ايار حتى ١١ حزيران ١٩٤٨ لم تنته بالانتصار العسكري لصالح العرب . انهم لم يهزموا ولكنهم لم يكسبوا المعركة . لماذا اصبح النصر السريع وهما ؟ لقد تضمنت الافتتاحيات عدة اجوبة على ذلك . كان الرد السوري العادي هو ان الشعب ، وخاصة الموسرين منه ، لم يضحوا بما فيه الكفاية . « نتعجب ، اين هو شعبنا الغني واين هو كرمه ؟ »(٥٢). اما السبب الآخر الذي تدم للجواب عن هذه الخيبة فكان : « حقيقة لا مجال لنكرانها ، وهي أن الوحدة القائمة بين اليهود كانت اشد من الوحدة الظاهرة بين العرب (البقية خضعت للمراقبة) »(٥٣). والسبب الثالث هو ان القتال كان فقط جزءا من الرواية التي بدأت تتكشف . لقد كانت الجيوش العربية تسير بعملها بشكل حسن ولكن هناك معركة اخرى كان يجب خوضها وهي المعركة السياسية . وابتدأ الشعور باهمية التعاطف العالمي مع عدالة القضية العربية لضمان النصر العسكري ، لان الوقت الذي كانت فيه الامور تتم بأوامر الوزراء والسياسيين قد ولى ودخلت مرحلة جديدة لا يمكن فيها نكران قوة الرأي العام وتأثيره على الحكومات(٥٤). واخيرا فان كتاب الافتتاحيات العرب قد عزوا الفشل العربي للقوى العالمية الكبرى ، وخاصة روسية والولايات المتحدة ، ولذلك القوا باللوم عليهما . والذي الهب صدور العرب كان سرعة اعتراف روسية والولايات المتحدة بدولة اسرائيل الجديدة . ومرة اخرى ، فقد نظرت الصحف الى اقتراب موعد انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة على انها السبب الذي دفع الرئيس ترومان على ذلك العمل. « انهم باندفاعهم المتهور في الاعتراف بالدولة اليهودية قد شجعوا الحرب الاسرائيلية بشكل حاسم . ان هذه الدول العظمى قد سعت للحرب ولم تسع للسلام . ولا ريب ان الاسباب التي دفعت بهما لذلك ليست واحدة ، ولكن الحقيقة القاسية قائمة ، وسيسجل التاريخ ضد الولايات المتحدة انها لاسباب دعت اليها السياسة الداخلية ، ولاسباب انتخابية ، مع بعدها حوالي ستة او

سبعة آلاف من الكيلومترات ، انهـا الدولة ذات الحضارة المسيحية التي سعت للتضحية عمـدا بالارض المقدسة »(٥٥).

اذا حاولنا ان نستعيد التعليقات والتحليلات التي قدمها الكتاب العرب للاحداث التي كانت تجري في ذلك الوقت في فلسطين لظهر لنا انها لم تتعمـق للاصول والجذور . وطبيعي ان الزمن سيكون كفيلا بتوضيح ما حدث . ورغم ذلك ، فانه من المستحسن ان نشير الى ان بعض الاسباب الرئيسية للعمل العربي الهزيل في الحملة العسكرية الفلسطينيـة الاولى لم يكن موضع تعليق في الصحافة وربما لم يكن معروفا لدى المعلقين . واحد الامثلة هو فقدان الاستعداد الكافي في الجيوش العربية وافتقادهـا للمقدرة الهجومية(٥٦). وكانت نقاط الضعف فـي الجيوش العربية واضحة منذ الايام العشرة الاولى من التدخل العربي في ايار(٥٧). ولم يكن هناك اي ذكر في الصحافة ، على الاقل في فترة الحرب ، للفضائح التي كانت ترتكب اثناء تلك الفترة . فمثلا كانت هناك قضية المقدم فؤاد مردم ، قريب رئيس الوزراء السوري ، الذي كان في مهمة شراء اسلحة في ايطالية . وبعـد ان اشترى السلاح اختطـف الاسرائيليون سفينته المحملة بالاسلحة بينما كانت متوجهة الى سورية . وفي ايار وحزيران من عام ١٩٤٨ لم يرد ايضا ذكر للاجتماعات السرية التي تمت بين الملك عبد الله وبعض الزعماء الصهاينة . وهذه الاجتماعات وما اعقبها من اجتماعات اخرى ستظهر في فترة لاحقة . لقد كانت الاتصالات السرية بين القائد العسكـري العربي اسميا واعدائه مجهولة تماما . الا ان هذا النقص في المعلومات في مجالات معينة لم يمنع كتاب الافتتاحيات مـن الحكم على الحوادث التي كانت تنكشف . لكـن حكمهم كان محدودا ومتحيزا بفعل الحقائق الناقصة التي كانت في متناولهم . وفي فترة الحرب كانت الرقابة على المطبوعات عاملا آخر منع قيـام مناقشات اوسع للحـوادث في الشرق الاوسط .

واستطاع الكونت برنادوت ، وسيط الامم المتحدة ، ان يجري مفاوضات حول هدنة تستمر اسابيع وتبدأ في ١١ حزيران . ولا تزال اسباب قبول العـرب بالهدنة موضع نقاش حتى اليوم . وقد اثـيرت الاسئلة حول اسباب قبول الهدنة في عام ١٩٤٨ . وشعر عدة معلقين ان العرب قد قبلوا بالهدنـة لاظهار نيتهم ورغبتهم في الدخول في مفاوضات : ان قبـول البلاد العربية بوقـف القتـال لا يعني الضعف ، ولكنه يعني ان البلاد العربية تقـدم فرصة اخرى لمجلس الامن ، وبهذا قدم العرب الدليل على رغبتهم المخلصة في التعاون مـع الامم المتحدة للوصول الى حل(٥٨). واعتقد كتاب آخرون انه ربما طبق الضغط الغربي على العرب لجعلهم يقبلون بالهدنة . والمقصود هنـا هو ان كـون بريطانية مرتبطة بعلاقات خاصة مع مصر والعراق والاردن مارست ضغطا لتحقيق القبول . « ولانهم لم يستطيعوا ان يفعلوا غير ذلك فقد قبل العرب بالهدنة »(٥٩). اما على الصعيد العملي فقد اجمع الكتاب العرب على ادانة الهدنة الاولى . اذ ان الشعور العام ، هو ان العرب كانوا في موقـع الهجوم وان قبولهم بالهدنة اثر على القوة الدائمة التي كانت تحفزهم على السير نحو النصر النهائي ، مع ان سيرهم كان بطيئا . « مساكين ايها العرب ! ما اطيب قلوبكم »(٦٠). هذا هو الاعتقاد السـذي ساد صفوف كتاب الافتتاحيات .

وبالاضافة الى ان الهدنة جعلت العرب يفقدون تلك القوة الدائمة فقد رأوا ان الهدنة كانت وسيلة مارسها الاسرائيليون لكي يزيدوا امداداتهم ويكملوا استعداداتهم العسكرية . كان هذا في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية على ابواب تل ابيب(٦١). « كل يوم يمر ، وكل ساعة تنقضي يكسبهمـا اليهود . ان الدولة اليهودية ستعيش بدءا مـن الغد ، اسابيعها الاربعة الاولى مـن السلام . وستضمد جراحها ، وتنظم نفسها بهدف استئناف اعمالها العدائية النهائية . ان هذه الفترة نفسها مفتوحة امام العرب . ولكن العرب كانوا ، ومـا زالوا حتى اليوم ، في موقف الهجوم . ونأمل ان يحافظوا على هذا لمدة شهر »(٦٢).

وبينما كانت الهدنة تمـر ، انصرف الاسرائيليون والعرب لمعالجة جراحهم واستعدوا للمعركة القادمة عند انتهاء الهدنة في ٩ تموز . ولكن هذان الخصمان لم يكونا وحدهما في شغل شاغل في فلسطين . فقد كان الكونت برنادوت مشغولا بالسفر بـين الاطراف المتحاربة . واخيرا اقترح خطة لحل مشكلة فلسطين . وقد تضمنت مقترحاته دمج الجزء العربي الذي حددته خطة التقسيم مع شرق الاردن . وقد دعا ايضا الى ضم القدس بكاملها الى هذه الدولة العربية التي كان يفترض ان تكون تحت سلطـة الهاشميين . ومن المقترحات التي تضمنها مشروع

برنادوت الهجرة اليهودية غير المحدودة الى دولة اسرائيل لمدة عامين واعطاء العرب منطقة النقب مقابل الجليل(٦٣). ومن المعروف الآن ان الملك عبد الله كان راغبا فيعقد صلح مع الاسرائيليين وكان يسعى للصلح بكل الوسائل وبالرغم من رغبة الشعوب العربية وارادتها . اما الحكومات العربية الاخرى فلم تكن راغبة في السماح للملك عبد الله بزيادة حجم بلاده واتساع نفوذه في الشرق الاوسط. وقد كان كتاب الافتتاحيات العرب خارج شرق الاردن صوتا واحدا في رفضهم لمقترحات الكونت برنادوت ، بالرغم من انهالخوف من تفوق شرق الاردن لم يظهر . اما السبب المهم لرفض مقترحات الوسيط الدولي فهو ان القبول بتلك المقترحات ، سيجعل الدول العربية ترتكب اثم الاعتراف بالواقع غير الشرعي للدولة اليهودية التي قامت على الارض العربية . وليس هناك اي مجال للشك بأن الخوف من توسع شرق الاردن ، كان يرافقه عامل آخر ، وربما كان العامل الاهم ، الا وهو الخوف مما يحمله المستقبل للشرق الاوسط لو ان دولة صهيونية قامت هناك ... وليست هناك حكومة تستطيع ان توافق على مقترحات الكونت برنادوت . وكيف يكون الامر غير ذلك طالما ان العرب يعلمون ان قيام دولة يهودية سيكون ضربة مميتة لآمالهم ، وسيشكل خطرا دائما على مستقبلهم القومي(٦٤).

وطالما ادرك العرب ان الصهاينة يستغلون الهدنة لتعزيز وتقوية دولة اسرائيل ، فقد وقف كتاب الافتتاحيات العرب ضد تمديد الهدنة . وقد دعوا العرب لمقاتلة « الصليبيين اليهود »(٦٥). لان « المسالة بسيطة وهي ان فلسطين ارض عربية ويجب ان تكون ملكا لابنائها الشرعيين »(٦٦). وقد اعلن كتاب الافتتاحيات العرب بصراحة عن دعوتهم لاستئناف القتال . لقد حذروا الوسيط والصهاينة من ان العرب سيلتقون مرة اخرى في تل ابيب . ولذلك فقد دعوا الجيوش العربية لمتابعة القتال حتى يتحقق النصر(٦٧).

واستؤنف القتال ، مع نهاية الهدنة الاولى ، في ٩ تموز ١٩٤٨ . وكانت نتائج حرب الايام العشرة هزيمة منكرة للقوات العربية . ففي الشمال استولت القوات الاسرائيلية على الجليل الغربي واجتازت الحدود اللبنانية حيث احتلت ١٤ قرية . وفي القسم الاوسط من فلسطين ، احتلت اللد والرملة ، بالاضافة الى مدن اخرى ووسعت الممر المؤدي من الساحل الى القدس الجديدة . وفي الجنوب توغلت القوات الاسرائيلية الى النقب . وبحلول هذه الهزيمة ، كشف القادة العرب عن رغبتهم في عقد هدنة ثانية . وكانت ردة الفعل تجاه الهدنة الثانية غير واضحة . وكما يمكن ان نتوقع فقد كانت الصحافة السورية في طليعة الصحف التي شجبت هذه الهدنة . اما الكلمة التي انطلقت من كثير من هذه الصحف فهي ان الشعب يريد القتال ، ولا يريد الهدنة(٦٨). وقد شعرت احدى الصحف السورية بأن وقف اطلاق النار يجب ان لا يلتزم به ودعت مجلس الامن الذي كان في مقدمة الداعين الى الهدنة « مجلس الظلم »(٦٩). وابدت صحف اخرى ضرورة القبول بوقف اطلاق النار في فلسطين ، ولذلك قدمت وجهات نظر مختلفة حول نتائج الهدنة . اما بالنسبة للصحف المصرية فقد كانت الهدنة الثانية مجرد خطوة على طريق الصراع الطويل القادم . وفي النهاية استطاع الشعب العربي ان يتوقع الانتصار(٧٠). ومن ناحية اخرى فقد كانت الصحف اللبنانية اكثر تشاؤما : في مساء الثامن عشر من تموز تلاشت احلامنا ... وسمرت فلسطين الحبيبة على الصليب . كأن اولئك الذين صلبوا المسيح ارادوا ايضا ان يصلبوا الارض التي ولد فيها(٧١).

وبالرغم من محاولات التبجح التي قام بها الناطقون الرسميون في الدول العربية المختلفة ، فانه كان واضحا ، عندما بدأت الهدنة الثانية ، بأن النصر الذي وعد به الشعب العربي لم يكن له اي اثر . وشعر العرب بالخيبة مرتين خلال شهرين ، عندما وجدوا ان دولة اسرائيل لا تزال قائمة . هذه الحالة دفعت بكتاب الافتتاحيات العرب الى التفكير بما حدث ، ولماذا لم يحققوا النصر . لقد اعطيت اسباب كثيرة لعدم الانتصار . ولقد القوا باللوم على الدول الغربية لمساعدتها اسرائيل . وتعرضت الجامعة العربية لنيران الصحافة واصبح دور شرق الاردن موضع تساؤل . ووجد القادة العرب انفسهم يتعرضون لحملات النقد في الصحف . واصبح دور بريطانية موضع تدقيق خاص في الصحافة العربية . وانصبت اللعنة على الانكليز لان العرب احسوا انهم خدعوا في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ عندما اتفق الانكليز والفرنسيون على تقسيم الشرقالاوسط الى مناطق نفوذ . واحسوا بأن الانكليز قد خدعوا العرب مرة ثانية بمساعدتهم للصهاينة عام ١٩٤٨(٧٢). وفي الوقت نفسه فقد اصبح دور

الولايات المتحدة مصدر تساؤل : في هذه المناسبة نود ان نوجه كلامنا الى بريطانيـــة واميركة . ان العـــرب يعتقدون ان الصهاينـــة لا يستطيعون ان يحققوا بمفردهم اي امل من آمالهم ، ولولا دعـــم القوى العظمى ومساعدتها لما كـــان باستطاعتهم (اي الاسرائيليين) ان يفعلـــوا ما فعلـــوه فـــي فلسطين(٧٣).

كان الانتقاد الذي وجه للدول الاجنبية لدورها في خلق قضية فلسطين قليلا نسبيا . وكان الشعور الذي ساد الافتتاحيات هو : من المستحسن والجيد القول ان اسرائيل قامت على أيدي القوى الاجنبية، ولكن لماذا لم يكن العرب قادرين على تحطيم دولة صغيرة ناشئة وضعيفة ؟ وتعرضت الجامعة العربية لكونها محط انظار الشعوب العربية لحملات عنيفة ونارية . ان كون الجامعة العربية وامينها العام عبدالرحمن عزام قد تصرفا كمانعة صواعق يعود في قسم منه الى ان رئاسة الجامعة العربية فـــي القاهرة ، كانت في الشهور الثلاثة التي سبقت الهزيمة اشبه بمصنع ورق ، فقد توزعت مئات التقارير والبيانات تحمل اخبار الانتصارات العربية العظيمة في المعركة. وعندما عجزت هذه الانتصارات عن الظهور والتحقق على صعيد الواقع ، انصب غضب الكتاب العرب على الذين ضللوهم . كتبت « النهار » تقول : « نجد ان اللجنة السياسية لا تزال تتأرجح ، وهي تهيء المستقبل ، بين اعتماد القوة والاتكال على مبادىء السلم والعدالة : فهي تقول ان وقف القتال ليس الهدنة وان هذه الهدنة ــ اذا قامت ــ لن تكـــون سوى مرحلة جديدة في سبيل استخلاص حقوقنا وصون عروبة فلسطين . ثم تعود لتؤكد ان قواتنا ستبقى مرابطة في البلاد المقدسة الى ان « يعود السلام الى ارض السلام . » ! اتعتقد اللجنة السياسية ان هذه « القوات » التي ستبقى مرابطة في فلسطين ستكفل لها الحصول على حقها ، اذا فشلت المفاوضات التي تفسح مجالا لها ؟ واذا كانت هذه القوات كفيلة بذلك ، فلماذا لا تمضي في المعـــركة التي بدات ، وتحصل على هذه الحقوق بعد ان اقتنعت اللجنة السياسية ان للقوة وحدها القول الفصل ، وان الهدنة خـــداع وتسويف ؟ ام ان اللجنـــة السياسية تقصد من ابقاء هذه الجيوش « تخويف » مجلس الامن والضغط على الوسيط حتى «يعطينا» من الشروط ما يتناسب مع قوتنا ؟ ام هي تريد من الهدنة مجالا جديدا لدعم قواها ورص صفوفها حتى تجلي في السباق المقبل اكثر ما جلت في السباق الماضي ؟ اما نحن ، فاننا نرى ان اللجنة تستسلم الان لـــ «الامر الواقع» وتسعى جهد الطاقة الى انقاذ المظاهر مضللة من يسهل عليها تضليله . فاذا كان لنا ، وللشعوب العربية قاطبة ، ما نقوله لها ، فهو ان سياستها قد فشلت ، وان ما تقوم به لا يخدع احدا بعد إليوم ، اذا كان ثمة من انخدع بالامس ! »(٧٤).

وهذا تعليق غاية في السخرية حول دور الجامعة العربية وامينها العام : « دعنا نعترف ... بأن السخيف في الشرق لا يقتـــل ابدا . ولو كـــان للسخافة ان تقتل ، لكان عبدالرحمن عزام ، الامين العام للجامعة العربية قد مات ١٠٧ مرات . لقد كان عبدالرحمن عزام رجلا ميتا في كل مرة افنى فيها اسرائيل بكثرة الكلام المغرق في عاطفته ، وفي كل مرة كان يعبر عن تفاؤله فيما يختص بتطورات الشأن الفلسطيني في الامم المتحدة . وفي كل مرة كان يعلن للعالم المقررات السرية والقرارات الخفية لمجلس الجامعة وللجنة السياسية ... ولا يبدو ان عبدالرحمن عزام وسادة الجامعة العربية قد تعلموا اي شيء . لم يتعلموا ، على اية حال ، ان النصر في فلسطين لم تقرره العوامل الاجنبية ، بل كان ايضا والى حد بعيـــد يعود الى تفكك سياستهم الخارجية »(٧٥). ان هذا الشعـــور بالمرارة قد ظهر في دعوة بعض الصحف الى الغاء الجامعة العربية . وبما ان الجامعة قد مارست سياسة اكبر من وسائلها ، فان العديد من الصحف شعرت بأن الجامعة يجب ان تدفن حتى لا تعرف الاجيال العربية في المستقبل كم كانت ضعيفة هذه الجامعة(٧٦).

والى حد بعيد لم تكن الحملة الكبرى من التوبيخ في الافتتاحيـــات موجهة للجامعة العربية ولا للنفوذ الاجنبي ، بل تركزت حول مسؤولية القادة العرب عن الكارثة . وقد لام كتاب الافتتاحيات القـــادة العرب لارتكابهم غلطتين اساسيتين . أما الغلطة الاولى فهي ان القادة العرب تجاهلوا الشعب ولم يدركوا ان الحرب لا تكسب اذا كان القائد في واد والشعب في واد آخر ولا يعلم شيئا عما يجري حوله . اذ كان على القادة ان ينالوا الدعـــم الشعبي حتى ينتصروا ، وهذا ما لم يحدث . وثانيا ، اعتقد كتاب الافتتاحيات ان القادة كانوا

غير منظمين وكانوا يفكرون بأهداف محدودة . وشعروا كذلك بأن القادة كانوا يسعون وراء المآرب الشخصية اكثر من سعيهم وراء خير الشعب العربي في فلسطين او خير الشعوب العربية كلها(٧٧).

وقد تضمنت معظم الافتتاحيات القول بأنه لولا فقدان القيادة العسكرية الحقيقية ، ولولا ظهور الخيانة من جانب بعض القادة ، ولولا المساعدات الاجنبية لاسرائيل ، ولو ان الجامعة العربية قامت بدورها المرسوم لها لكان العرب على موعد مع الفوز والنصر بدون شك . ولكن ذلك ، لا يجيب في الحقيقة عن السؤال : لماذا هزم العرب ؟ ويظهر ان كتاب الافتتاحيات العرب قد اصيبوا بالوهم نفسه الذي كان متفشيا في الصين في القرن التاسع عشر . لقد كان الشعور العام في الصين وفي الشرق الاوسط العربي يعتقد بامكانية دمج التكنولوجيا مع الاوهام الشرقية . الا ان الصينيين ادركوا فيما بعد انه لا يجدي ان يكون في متناول المرء آلة حديثة بدون اي مفهوم تكنولوجي . لذلك فان التحديث على صعيد التكنولوجيا فقط ليس كافيا ، بل يجب ان تجدد العقول التي ستدير تلك الالات . ولم يحدث ان كتب كاتب افتتاحيات في اي مكان : ان سبب الانتصار الاسرائيلي يعود الى ان جذور الصهيونية قد نبتت في الحياة الاوروبية الحديثة ، في حين ان القسم الاعظم منا لم يزل بعيدا عن هذه الحياة وليس في مستواها(٧٨). وباغفال هذه النقطة ، ربما فات كتاب الافتتاحيات العرب اعظم سبب لهزيمة العرب في عام ١٩٤٨ . وكذلك فقد فاتتهم فرصة مساعدة شعبهم ليس على فهم اسباب الكارثة فقط ، ولكن حول كيفية جعله يتجنب كارثة اخرى .

ان مرور الزمن لم يستطع دائما ان يحسن المشاعر السلبية لدى كتاب الافتتاحيات العرب . وبقيت الوحدة العربية شيئا محيرا كما كانت من قبل حتى في سنة ١٩٥٠ : « ... انصرفنا ... الى الاسراف في ضرب بعضنا البعض بالكلام »(٧٩). وبقي الشعور قائما بأن القادة العرب لم يفعلوا شيئا « وان العرب قد دخلوا المعركة وهم يبحثون عن مبدأ يعتنقونه فعندما وجدوا ذلك المبدأ ، اختلفوا على تفسيره وعندما اتفقوا على التفسير اختلفوا على التنفيذ ... فحلت الكارثة وضاعت فلسطين ! »(٨٠). لكن دور افتتاحيات الصحف لم يستمر في ذلك الاتجاه السلبي الوحيد . ومع مرور الزمن بدأ الكتاب يلتقطون ما تبقى محاولين قيادة الراي العام مرة اخرى .

كان هذا الاهتمام المباشر منصبا على مصير الـ ٣٠٠،٠٠٠ لاجيء الذين تركوا فلسطين . ودعا كتاب الافتتاحيات اصحاب الغنى والثروة لمساعدة اخوانهم التعساء . وتساءل عدد من كتاب الافتتاحيات عما اذا كان اللاجئون العرب سيشكلون شتاتا جديدا مكان اليهود المتجمعين في فلسطين(٨١). ولم يبذل كتاب الافتتاحيات الكثير من وقتهم حول قضية اللاجئين لانهم كانوا يأملون ان تسفر المفاوضات التي جرت في اواخر سنة ١٩٤٨ عن عودة اللاجئين الى وطنهم . واذا كانت قضية اللاجئين لم تحظ بالتدقيق والتفحص ، الا ان اعمال الملك عبدالله قد خضعت للتدقيق والتحقيق . فمع مطلع تشرين الاول ١٩٤٨ ، بدأ النقد العدائي ينصب عليه للدور الذي قام به في الحرب عند ادارته قطاع شرق الاردن . ومنذ عام ١٩٤٧ كان النقد موجها الى مطالبته بضم فلسطين ، ذلك انه لا يمكن تشكيل اية حكومة في فلسطين طالما ان الملك يحمل فكرة ضم فلسطين العربية الى شرق الاردن. « لو كان في فلسطين حكومة في منتصف ايار ، فان اقل ما يقال هو ان تماسة اللاجئين ربما كانت اقل ولربما امكن تجنب الكثير من البؤس . ففي رفض قيام حكومة في فلسطين في تلك اللحظة قام مكان البلد الذي كان بامكانه ان يدافع عن نفسه، كيان محتل ... حدث كل هذا لان النيات لم تكن سليمة . لقد كان يطمع في فلسطين حتى اولئك الذين كانوا يدعون انهم يحافظون عليها »(٨٢).

وقد بدأت الحملات الصحفية في الافتتاحيات على الملك عبدالله في الربع الاخير من عام ١٩٤٨ ، وقد كانت في الواقع انعكاسا للشعور بالغضب من ضم ضفة نهر الاردن الغربية الى مملكة شرق الاردن . فمنذ وقت طويل ، كان هناك شك وارتياب من جهة الدول العربية الاخرى ذات العلاقة المباشرة بالقضية العربية بأن الملك عبدالله كان يرغب في توحيد الشرق الادنى تحت سيادة التاج الهاشمي. وفي الواقع ، بدأت الدول العربية ذات الحدود المجاورة لشرق الاردن ، على تشجيع الفلسطينيين في عام ١٩٤٨ على تشكيل حكومة خاصة بهم تكون عاصمتها غزة وذلك لاحباط المحاولة التوسعية التي كان يقوم بها شرق الاردن . فكانت مصر في طليعة

المؤيدين لحكومة عموم فلسطين التي تشكلت في العشرين من ايلول ١٩٤٨ برئاسة احمد حلمي عبدالباقي(٨٣). وقد انتخب المجلس الوطني لحكومة عموم فلسطين ، المنعقد في غزة ، مفتي القدس ، الحاج امين الحسيني ، رئيسا له . ويبدو واضحا ان الحكومة المصرية كانت تحاول عرقلة نية الملك عبدالله المعلن عنها بشأن ضم الاقسام التي كان يديرها في فلسطين . ومع ذلك فان الملك عبدالله لم ينتظر طويلا في قبول التحدي . ففي الاول من كانون الاول ١٩٤٨ حضر حوالي الفي فلسطيني ، معظمهم من عملاء الملك ، ما عرف بمؤتمر أريحا ، ودعوا الى اتحاد فلسطين مع شرق الاردن . وقد اعترفت مصر وسوريه ولبنان والعراق بسرعة بالحكومة الفلسطينية في غزة وحذرت ملك شرق الاردن من اية محاولة لضم فلسطين. ولاقت مطالب الحكومة اصداء قوية في صحافة الدول ذات العلاقة . وكان لبنان الدولة الاكثر تحفظا في شجب اعمال الملك عبدالله . أما افتتاحيات الصحف السورية والمصرية فقد شنت حملة عنيفة على سياسات الملك الهاشمي . وحذرت الصحافة المصرية من ان اية محاولة لضم فلسطين ستحدث تصدعا شديدا في الجبهة العربية المتماسكة القائمة حتى الان في مواجهة الصهيونيين في فلسطين(٨٤). لقد كان كتاب الافتتاحيات المصريون مصيبين في تقييمهم الى هذا الحد . فقبل ضم فلسطين الى شرق الاردن ، كان العرب ، على الاقل ولو شكليا ، متحدين في معارضتهم للصهيونية . ولكن مع توسع شرق الاردن ظهر فصل جديد في المسألة الفلسطينية . اصبحت المسألة انقساما واسعا في الصفوف العربية . ولذلك اصبح اي تحفظ من جانب كتاب الافتتاحيات في مهاجمة قادة الشعوب العربية تنفيذا قسريا لاوامر حكوماتهم المعنية . وقد رفعت جميع القيود بعد كشف واعلان نوايا الملك عبدالله . واذا كان للمرء ان يحكم من خلال مجموع رأي الافتتاحيات المخصصة لكلا الطرفين (أي دور القادة العرب في الحرب واعمال الملك عبدالله) يجد ان دور القادة العرب لم يكن يثير سخط الكتاب بقدر ما كانت تثيرهم خطط الملك عبدالله من اجل ضم فلسطين . وباستطاعة المرء ان يصل الى هذه النتيجة وهي ان شعوب مصر وسوريا ولبنان كادت تعتبر خسارة فلسطين ووقوعها في يد اسرائيل اقل مرارة من خسارة فلسطين ووقوعها في يد الملك عبدالله . وقد كان تصرف الاردن بداية مرحلة من الاتهامات العنيفة تشنها صحافة احدى الدول ضد قادة الدول الاخرى . وقد لخصت « المنار » السورية ذلك بشكل جيد حيث كتبت تقول : ان ضم عبدالله فلسطين الى شرق الاردن قد زرع بذور الشقاق في الجامعة العربية وفي القضية العربية وذلك من اجل منفعة الافراد ، لا الشعوب(٨٥).

وفي ذلك الوقت بالذات عندما بدأ الخلاف يتطور بشكل عملي حول تكوين حكومة « عموم فلسطين » ظهر التقرير الثاني للكونت برنادوت . وقد أودع الكونت تقريره في الامم المتحدة في ١٦ سبتمبر واغتيل في ١٧ سبتمبر ، ونشر تقريره في ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ . وكان التقرير الثاني في نظر العرب كالتقرير الاول تماما . ولهذا السبب رفضه كتاب الافتتاحيات العرب جميعهم تقريبا لرفضهم اي شكل من اشكال التقسيم . « لم يأت الوسيط بأي شيء جديد وانما الحقيقة لا يمكن نكرانها ، ان حقوق العرب في فلسطين لا يمكن ان تكون هدفا للمساومة »(٨٦). ومع ان العرب رفضوا مقترحات الكونت برنادوت ، الا انهم ابدوا شجبهم العنيف لاغتياله . وقد فسر العرب موته بقولهم انه بسبب مثل هذه النشاطات الارهابية التي يقترفها الصهاينة دخلت الدول الاعضاء في الجامعة العربية فلسطين في ١٥ ايار (٧٨). ومع انقضاء الزمن على تلك الحوادث التي جرت في النصف الاول من عام ١٩٤٨ ، بدأ الكتاب العرب يكونون فكرة حول نتائج القتال . وبدأ يظهر في الافتتاحيات العربية هاجس الصراع الطويل المنتظر . « عشية الخامس عشر من ايار، كانت التصريحات العربية تفسح المجال للاعتقاد بأن جيوشنا في فلسطين سوف تقوم برحلة عسكرية ترفيهية . واليوم لا مجال للسؤال حول تلك الرحلة الترفيهية »(٨٨).

هذه المعركة الطويلة ضد القوى الصهيونية كان بالامكان الاسراع بها الى النصر بخطى اوسع لو توفر للعرب ان يتحدوا فقط . « ان الدرس الاول الذي تعلمناه من فلسطين والذي يجب ان نتذكره دائما ، هو ان في وحدتنا قوة »(٨٩). الا ان آخرين راوا في الصراع الطويل الامد نصرا للصهيونيين سواء كان العرب متحدين ام مفككين . لقد كانوا يعتقدون بأن كل ثانية عاشتها اسرائيل كانت فترة زمنية عززت فيها نفسها وزادت عددها وعدتها . وكان كتاب الافتتاحيات يطالبون بالعودة

الى المعركة حالا(٩٠). اما بالنسبة لكاتبين لبنانيين من كتاب الافتتاحيات فان الخطر على العرب يكمن في الشخصية الدولية للصهيونية . ان كون اليهود في مختلف انحاء العالم يدعمون اسرائيل قد الهب صدور هذين الكاتبين غيظا . لقد ركزا اهتمامهما على مدينة القدس . لقد كتب كسروان لبكي يقول « ان الدولة اليهودية بدون القدس اشبه بجسم بلا روح »(٩١). وكتب ميشال شيحا مرددا صدى هذا الكلام : « لا صهيونية بدون صهيون ، وبدون القدس لا يمكن لدولة اسرائيل ان تتقدم ابدا »(٩٢). واستمر راي الافتتاحيات في لهجته التشاؤمية عندما انفجر الصراع في منطقة النقب في الربع الاخير من عام ١٩٤٨ . وقد هزمت مصر على يد الاسرائيليين. وربما يكون عجزها عن مواصلة الحرب قد دفع بها لقبول دعوة وسيط الامم المتحدة بالوكالة ، رالف بانش ، للتفاوض حول الهدنة الاولى في جزيرة رودوس . وصل الوفد المصري في كانون الثاني ١٩٤٩ ، ودفع هذا المسعى المصري بأحد كتاب الافتتاحيات الى الاشارة بأن رحلة المصريين الى رودوس تعتبر نهاية اللعبة بالنسبة للدول العربية. لانهم جميعا سيسيرون في الخط نفسه « ويلعبون لعبة الموت مثلما فعلوا دائما ويقبلون بالعار والامر الواقع »(٩٣).

حذت شرق الاردن حذو مصر وذهبت الى رودوس في شباط ١٩٤٩ . وبدأ لبنان المفاوضات في آذار في حين وقعت اتفاقية هدنة بين سوريه والاسرائيليين في تموز ١٩٤٩ . وحاولت افتتاحيات الصحف المصرية ان تظهر بمظهر المتفهم للاسباب التي دفعت بالعرب الى مائدة المفاوضات : ان الهدنة في فلسطين تعتبر مرحلة مهمة ، لانها تفتح الطريق امام حل دائم للقضية الفلسطينية ... وبالنسبة لمصر ، فانها تنظر الى موقفها باعتزاز لانها قامت بواجبها ووفت بوعدها وكانت مخلصة للقضية العربية(٩٤). وكانت الصحافة السورية تعارض بصورة متشابهة العمل المصري في الذهاب الى رودوس ، غير ان الانتقاد المناوىء لم يعد مسموحا به في سورية بعد ذهاب الوفد السوري الى رودوس(٩٥).

كان تعليق الافتتاحيات حول مقترحات الكونت برنادوت ومصير القدس ، والاحداث الجارية في رودوس ، يبدو اقل اهمية اذا ما قورن بتعليقها على المسرحية التي يمثلها شرق الاردن من ناحية والدول العربية الاخرى بقيادة مصر من ناحية ثانية. ومن ميزات الافتتاحيات التي كتبت حول مصير ذلك الجزء من فلسطين الذي استولى عليه عبدالله انها كانت مثيرة وصريحة بعكس الافتتاحيات التي كتبت فيما يتعلق بالاحداث السابقة والتي امتازت بالافتقار الى الاثارة وعانت من الكبت . ان خطة الضم التي أعلنها شرق الاردن ، كما بينا اعلاه ، قد وضعت بشكل مناسب كنقطة لتفجير النزاع بين العرب . وبامكان المرء ان يفهم القلق الحقيقي لدى الامة العربية لان شرق الاردن اخضع مصالح الفلسطينيين وحقوقهم لاعتبارات اقليمية ذات علاقة بالسلالة الحاكمة . يضاف الى ذلك خوف العرب من نمو شرق الاردن في ظل ارتباطها ببريطانيه وبالمصالح البريطانية في الشرق .

يجب ان ننظر الى قضية فلسطين في ضوء التنافس الشرق — اردني — العربي . وقد كانت مشاعر الكتاب العرب نحو اللاجئين الفلسطينيين انسانية في قسم منها ولكنهم قدموا معها افكارا سياسية . وبناء على ذلك ، فعندما فشلت المفاوضات حول عودة اللاجئين ، انصب الاهتمام على المازق الذي هم فيه . ولاسباب سياسية في معظمها ، فقد توصلت شرق الاردن والدول العربية الاخرى على التوالي ، الى رأيين مختلفين حول كيفية ايجاد حل لمسألة اللاجئين .

كانت مصر في معارضتها للضم الاردني لفلسطين ، تعارض بالطبع اية خطة تتعلق باللاجئين من شأنها ان تحقق غاية ذلك الضم ، ولذلك فقد عارضت توطين اللاجئين في شرق الاردن . ولقد قالت مصر ان المطالبة بعودة اللاجئين الى ذلك الجزء من فلسطين الذي عين اصلا من قبل الامم المتحدة ليكون للصهيونيين ، هو مطلب عادل . وبهذه الطريقة رفضت ان تؤيد اهداف شرق الاردن برفضها التعاون مع الامم المتحدة في محاولاتها لايجاد تسوية اقتصادية لمشكلة اللاجئين . وقد ظهر هذا الموقف اولا في خريف عام ١٩٤٩ عندما ارسلت الامم المتحدة لجنة اقتصادية لدراسة امكانية ايجاد عمل للاجئين . وقد رأت مصر في هذا خطوة نحو تسوية اقتصادية للمشكلة بينما كانت تنظر الى المشكلة على انها سياسية وعسكرية : يتضح من مهمة لجنة الامم المتحدة انها تحاول ايجاد صلة بين مصير اللاجئين والمشاريع الاقتصادية التي تساعد على توطينهم ، وكأنه قد تقرر ان على

دول الشرق الاوسط توطين اللاجئين . ولكنه من المعروف ان البلاد العربية متمسكة بمبدأ اعادة اللاجئين الى البلد الذي طردوا منه ، واي حل آخر هو غير عادل(٩٧).

وقد نظر شرق الاردن الى المشكلة بمنظار مختلف. وقد كان الملك عبدالله في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠ لا يزال راغبا في ايجاد ارض مشتركة يقيم عليها تسوية مع الاسرائيليين . ولذلك فقد كان نزاعا الى القبول بتسوية لا تسمح للاجئين بالعودة الى ديارهم . وقد رأت صحيفة « فلسطين » التي اصبحت بعد عام ١٩٤٨ في طليعة الصحف المؤيدة للملك عبدالله ان « الحل الحتمي والعملي هو في توطين اللاجئين وحدهم ، لان باستطاعة الاردن ان يقدم لهم المأوى والعمل »(٩٨). ولذلك فقد طالبت الجريدة الامم المتحدة بايجاد تسوية اقتصادية عادلة وذلك بتطوير المشاريع في الاردن حتى يتسنى للاجئين مرة ثانية ان يعتمدوا على انفسهم في كسب عيشهم ، وبذلك يستعيدون كرامتهم(٩٩).

ان توطين اللاجئين كان باستمرار موضوعا تركز حوله النزاع المتصاعد بين العرب وشرق الاردن . وهذا ما يصح ايضا على الخلاف الذي نتج حول مخططات شرق الاردن حول الضم . وفي ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩ ، عندما اعلن الملك عبدالله بأنه قد حل البرلمان في شرق الاردن لان انتخابات جديدة سوف تجري في نيسان على ضفتي نهر الاردن ، كان يأتي بشكل واضح على ختام ما بدأه في عام ١٩٤٨ وذلك بدعوته الى توحيد ضفتي الاردن .

وقد شغلت الصحف الموالية للملك عبدالله نفسها بالافتتاحيات التي تعرض اسباب الحاجة لضم ذلك الجزء من فلسطين الذي يسيطر عليه العرب . وقالت بأن البلاد العربية باستثناء شرق الاردن قد باعت الفلسطينيين والبلد الوحيد الذي كان قادرا على ان يحفظ للفلسطينيين قدرا من الكرامة كان بلد صاحب الجلالة الهاشمي . ولم يكف البلاد العربية انه لم يكن باستطاعتها استعادة حقوق العرب الفلسطينيين ، بل غسل حكامها ايديهم من المسألة الفلسطينية « وتبعوا شعار ابادة العرب الفلسطينيين كحل للمشكلة الفلسطينية »(١٠٠). ومن ناحية اخرى ، فقد نظرت القوى الشعبية والوطنية في البلاد العربية المعادية لعبدالله الى خطة ضم فلسطين العربية التي كانت على وشك التنفيذ على انها خيانة للقضية العربية . وقد اعتبر بعض الصحف شرق الاردن واسرائيل حليفين لانهما اقتسما الارض المقدسة بينهما كصديقين قديمين . وقالت هذه الصحف انه نتيجة لذلك التصرف الماكر فقد اختفت فلسطين(١٠١).

وازدادت الحملة المعادية لعبدالله في نشاطها وحركتها حتى وصلت القمة في ٤ اذار ١٩٥٠ عندما صدر عن صحيفة « اخبار اليوم » المصرية منشور بفضح الاجتماعات السرية بين عبدالله والصهاينة(١٠٢). واستمرت هذه الحملة حتى ١٨ آذار ١٩٥٠ ، عندما اصدرت « اخبار اليوم » نسخا طبق الاصل عن الرسائل التي تبادلها الملك عبدالله مع العدو . وقد اشارت الرسائل بوضوح تام الى محاولات الملك لعقد صلح مع الاسرائيليين. وقد ظهر في صورة احدى الرسائل ان عبدالله كان يخاطب موشيه شرتوك بكلمة « عزيزي » .

وقد تركت الحملة الوطنية ضد ملك شرق الاردن اصداء واسعة في انحاء العالم العربي . واعادت الكثير من الصحف طبع الادلة التي تدين الملك عبدالله ووسعت نطاق اتهاماتها له . وتمت عدة مقابلات مع المناوئين للملك . وبذلك ازداد الشعور المعادي لعبدالله . وقد ذكر قراء الصحف بما كانت قد قالته الدوائر البريطانية ، قبل الضم بثلاث سنوات ، من انها لا تعارض ضم اجزاء من فلسطين الى شرق الاردن(١٠٣). واكد بعض الصحف ان معاهدة للسلام قد عقدت بين اسرائيل وشرق الاردن وسيعلن عنها في الوقت المناسب(١٠٤). وقد نتج عن هذا الدعوة الى طرد شرق الاردن من الجامعة العربية لانها « خانت الاسلام ، والوحدة العربية ، والقضية العربية »(١٠٥).

ولم تتأخر صحيفة « فلسطين » عن الاجابة . ففي افتتاحية ٩ ايار ١٩٥٠ ، اتهمت وزير الخارجية المصري السابق احمد لطفي السيد بأنه دعا الى السلام بين العرب والصهاينة(١٠٦). وقالت الصحف المؤيدة للملك عبدالله بعبارات صريحة ان الدول العربية قد فقدت حقها في التكلم باسم الفلسطينيين العرب وذلك نتيجة للعمل الحربي الهزيل الذي قاموا به في حرب فلسطين . اما الان فان الامر بيد الفلسطينيين لكي يعبروا عن انفسهم وقد قالوا بأنهم يرغبون في الاتحاد مع شرق الاردن : واذا كانت الجامعة العربية لا تريد ان تفهم بأن الفلسطينيين العرب انفسهم قد طالبوا بالوحدة مع اخوانهم الاردنيين فان هذا يعود الى نوايا الجامعة

السيئة نحو هذا الجزء من العالم العربي والى انها تريد ان تجعله فريسة في يد اسرائيل(١٠٧).

وفشلت الحملة الشعبية التي قادتها مصر ضد شرق الاردن . وتألف البرلمان من الفلسطينيين والشرق اردنيين واجتمع في عمان في نيسان ١٩٥٠. وهناك تمت المصادقة على اتحاد ضفتي نهر الاردن. وكان اسم الدولة المتحدة قد اصبح المملكة الاردنية الهاشمية . وبالرغم من التهديدات المتكررة فان الاردن لم يطرد من الجامعة العربية ووافقت الدول العربية على الحدود الجديدة كنوع من سياسة الامر الواقع . ولم تكد المسألة الاردنية تهدأ حتى دخل الشرق الاوسط شيء أثار الهياج العربي . كان ذلك هو التصريح الذي صدر عن فرنسه وبريطانيه وامريكه وعرف بالبيان الثلاثي في ٢٥ أيار ١٩٥٠ . وأهم ما جاء في هذا البيان الالتزام بضمان سلامة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط(١٠٨).

ولم تظهر الافتتاحيات الاردنية رأيها حول مخاطر البيان الثلاثي وسيئاته . وباستطاعة المرء ان يعتبر ان الملك عبدالله لم يكن يضمر العداء تجاه كفالات دولية لحدود دولته التي وسعها حديثا . وبامكان المرء ايضا ان يفترض ان الشعب في الاردن كان ضد الدول الثلاث وتصريحها ، ولكن الشعور الشعبي لم يفسح له المجال للظهور في الصحافة الاردنية . ولقد تركت الصحافة اللبنانية انطباعا ، على الاقل على اثر ظهور البيان ، يستشف منه ان بعض الاوساط اللبنانية الانعزالية لا تضمر العداء ولا تنظر بريبة اذا ما كفلت حدودها الجنوبية ضد ما يعتقد بأنه مخططات اسرائيلية ضد جنوب لبنان . وهذا التأييد اللبناني عززته الحكومة ببيان اصدرته تعلن فيه عن تأييدها للبيان الثلاثي(١٠٩).

وما يمكننا اعتباره موافقة سلبية لبنانية اردنية على البيان هو عكس الموقف في مصر وسورية . فقد عارضت كل منهما محتويات البيان الثلاثي . وقدمت صحف البلدين في افتتاحياتها ثلاثة اسباب للمعارضة . الاول والاهم هو ان البيان يكفل حماية حدود دولة اسرائيل وهذا ما يساعد على ابقاء الوضع القائم . الثاني ان البرلمان كان وسيلة للتدخل في شؤون الشرق الاوسط . والثالث ان البيان كان وسيلة للدول الثلاث لتعزيز نفوذها القديم في البلاد العربية تحت قناع المطالبة بالسلام والاستقرار . والواقع ان الشعور العام الذي ساد الرأي العربي العام والذي عبرت عنه الصحافة العربية في مصر وسوريه كان لا يرى في البيان الثلاثي اكثر من صورة حديثة لوعد بلفور وترسيخ نهائي لحدود اسرائيل ، ومحاولة لتصفية الوجود الفلسطيني بايجاد الذريعة لذلك(١١٠). وامتدت مشاعر الخيبة والمرارة العربية من القوى الغربية الاستعمارية وسياساتها في الشرق الاوسط لتحدد الموقف العربي الشعبي من الحرب الكورية. فقد رأى العرب ان الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين كانوا يهددون السلام في العالم كله وليس في الشرق الاوسط فقط،خدمة لمصالحهم الاستعمارية والامبريالية(١١١). وانتشر رأي آخر لا يقل عنفا عن الرأي السابق بالرغم من انه يقدم اسبابا مختلفة لعجز الامم المتحدة عن المساعدة في الشرق الاوسط، هذا في حين ان المنظمة نفسها بزعامة الولايات المتحدة كانت تقدم المساعدة للكوريين الجنوبيين ضد اعدائهم . وقد القي باللوم على الرئيس ترومان وحكومته بسبب عجز المنظمة العالمية عن القيام بعمل فعلي من جانبها في الشرق الاوسط . « ... باستطاعة المرء ان يتكلم عن ضعف الامم المتحدة في فلسطين . اما في كوريا ، فان هذه اللغة لا تستعمل . ولكي نكون منصفين ، يجب ان نشير الى ملاحظة مريرة : في كوريا كانت العدالة والمصلحة في جانب واحد : اما في فلسطين ، فقد لعبت المصلحة ضد العدالة . هذه الاشياء يجب ان تقال لان الحقيقة يجب ان تقال »(١١٢).

واذا كانت الصحافة الاردنية صامتة ازاء تدخل الامم المتحدة في كوريه ، الا انها لم تصمت عند معالجتها لدور الامم المتحدة في حل مشكلة اللاجئين. ففي بداية عام ١٩٥٠ ، أيدت صحيفة « فلسطين » الموالية للملك عبدالله توطين اللاجئين في الاردن . الا ان الموقف تغير في نهاية العام نفسه ، اذ بدأت صحيفتا « فلسطين » و« الدفاع » (ربما تحت تأثير الضغط المعادي لعبدالله او انطلاقا من رغبة عبدالله في تهدئة الشعب الغاضب ، او انطلاقا من رغبته في تأخير ايجاد حل جديد لمشكلة اللاجئين عن طريق الامم المتحدة) المناشدة بعودة اللاجئين الى ديارهم . وقد استبدلت الدعوة لتوطين اللاجئين في الاردن بـ « ان اللاجيء لا يقبل شيئا سوى العودة الى وطنه . وعودته لا يمكن ان تكون موضوع مساومة او بحث »(١١٣). ولتسهيل هذه العودة ، فان الصحافة الاردنية ـ الفلسطينية قد

دعت الى عمل ايجابي من جانب الامم المتحدة وادارة التشغيل والاغاثة فيها .

وكانت مناقشة الصحف الاردنية لقضية اللاجئين تدور في الوقت الذي كانت تجري به مناقشة في الامم المتحدة لمراجعة قرار الامم المتحدة الصادر في ديسمبر ١٩٤٨ ، والقاضي بعودة اللاجئين الى ديارهم(١١٤). وفي اواخر عام ١٩٥٠ بلغ الهجوم الاسرائيلي ذروته في الامم المتحدة وتوج بقرار جديد للامم المتحدة اكدت فيه انه باستطاعة اللاجئين العودة او قبول التعويض ، ومع ذلك ، فان هذا القرار الثاني قد ركز بعض الشيء على التعويض اكثر من العودة(١١٥). اما موقف اسرائيل ، فقد عبر عنه ممثلها في الامم المتحدة ابا ايبان ، بقوله ان اسرائيل لا تلام على نزوح اللاجئين ، وفي الرد على هذا ، كتبت جريدة الدفاع الافتتاحية التالية : « وقد يخيل اليك ايها القارىء ان موقف العرب من قضية اللاجئين سليم وعادل الى درجة يصعب معها على احد من الناس النيل منه . ولكن يبدو ان اوبري ايبان مندوب اليهود لدى هيئة الامم المتحدة رأيا يخالف هذا الرأي . فقد القى بيانا منمقا امام اللجنة السياسية امس ذرف فيه الدموع الحرى على اللاجئين التعساء وزعم ان حكومته واثقة من براءتها امام التاريخ عندما يصدر حكمه على المسؤولين عن كارثة اللاجئين . وقد حاول ايبان ان يجعل من دخول الجيوش العربية الى فلسطين بعد الخامس عشر من ايار «قميص عثمان». ونحن نتساءل هل يصدق ايبان ما صدر عنه امس حتى يوحي للغير بتصديقه ؟ وهل غاب عنه وقد شهد بنفسه ما حدث في فلسطين ، ان مشكلة اللاجئين بلغت ذروتها قبل نهاية الانتداب وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين ؟ أنسي ان زهاء نصف مليون عربي ارغموا على الجلاء عن مساكنهم في المناطق التي خضعت لليهود بقوة الحديد والنار ؟ أو هل نذكره بدير ياسين التي كانت من الاسباب الرئيسية لدخول الجيوش العربية فلسطين . ان ايبان يعرف هذه الحقائق حق المعرفة ولكنه يتجاهلها ... ان مأساة اللاجئين تعود الى الخطة الجهنمية المبيتة التي وضعتها الصهيونية العالمية لاستئصال شأفة عرب فلسطين واحلال شعب غريب مكانهم »(١١٦).

ان هذا النمط في الافتتاحيات لم يغير من تبني القرار الداعي الى العودة او التعويض . ولم تكن الصحافة الفلسطينية في الاردن مجمعة على شجب هذا التبديل للقرار السابق ، وبجعل عودة اللاجئين موضع اخذ ورد ، فقد ظن بأن اسرائيل تريد ان تقول بأن العودة مستحيلة وان على اللاجئين ان يقبلوا التعويض مرغمين(١١٧). ان الانطباع الذي تركته الافتتاحيات كان يوحي بأن الامم المتحدة قد اجبرت مرة ثانية على الانحناء امام الضغط الصهيوني . ونتيجة لذلك فان سمعة الامم المتحدة التي انحطت من قبل قد بدت الآن اكثر اغراقا في الانحطاط . وعاد العالم للمرة الثانية يبحث عن مخرج من تلك الورطة دون ان يعطى تعويضا عن الاضرار التي اصابت الفلسطينيين .

لقد عالج الجزء الثاني من هذا المقال ، الى حد بعيد ، القضايا المحلية منذ دخول الجيوش العربية الى فلسطين وحتى اغتيال الملك عبد الله في تموز ١٩٥١ . ويمكن القول ان الصحافة العربية ، بشكل عام ، قد قامت بدور المنفعل او ردة الفعل اكثر من قيامها بدور الفاعل في الاحداث التي احاطت بالمسألة الفلسطينية . وهذا ما يمكن ان ينطبق على صحافة العالم . ان كتاب الافتتاحيات يميلون لرؤية المشاكل التي تظهر سلفا ، ثم يتفاعلون معها ، ويقدمون الاقتراحات لتحسينها . ونادرا ما نجد افتتاحية تحاول ان تتنبأ بالمشاكل وترغب في ان تخبر قراءها عن الاخطار المحتملة والوسائل التي يجب اتخاذها لمنع هذه الاخطار المحتملة الوقوع . ومع ذلك فان الصحافة العربية لم تبد متخلفة عن الاحداث تماما . وكان رأي بعض الافتتاحيات يتسم بحدة الملاحظة والفهم فلم تكتف بالتعليق على ما قامت به اسرائيل او ما كانت تقوم به ، بل علقت على ما ستقوم به . وحاولت ان ترسم صورة كبيرة واضحة تبين فيها للعرب الاخطار التي تكمن في وجود اسرائيل في قلب وطنهم . وبعض الصحف لم تكتف بالنظر الى الوراء ، بل نظرت الى الامام واكتشفت معنى وجود اسرائيل في الشرق الاوسط . وهذا النمط من المعالجة في الافتتاحيات كان عادة مقتصرا على عدد محدود من الملاحظات السلبية . وكان الاتفاق كاملا بأن دولة اسرائيل هي عنصرية ، طائفية في طبيعتها وان دول العالم تتجه نحو فصل الدين عن الدولة وشجب الدول القائمة على العنصرية . وكانت آراء الافتتاحيات العربية تجمع على ان اسرائيل هي مغامرة استعمارية جديدة في عالم اخذ ينحرر من ربقة الدول الاستعمارية .

وقد اتفق الكتاب على ان ما تلقاه اسرائيل من مساعدات وعطف من البلدان الاخرى ، ربما يكون بسبب المآسي التي حلت بهم في اوروبة تحت حكم هتلر . واخيرا كان هناك اعتقاد عربي شامل في الافتتاحيات بأن اسرائيل تعني التوسع في المستقبل. ولكي يثبتوا صحة ما يقولون اشارت الافتتاحيات الى ان اللاجئين العرب قد طردوا من فلسطين لاسباب دينية عنصرية ، بالرغم من ان دول العالم اعلنت ايمانها بحماية الاقليات ، والتسامح ، والمساواة في الحقوق المدنية ، الا ان اسرائيل ترفض جميع هذه الحقوق ولا تؤمن بها . اما السؤال الذي طرح بعد ذلك فهو ، لماذا سمح لاسرائيل ان تمارس التمييز العنصري والطائفي ، ولماذا اذن تلقى تشجيع الآخرين . وجاء الجواب : لان اليهود قد اجبروا على معاناة الكثير من الآلام ، فان الدول الغربية تشعر بثقل تلك المعاناة وتود تخليص ضميرها وذلك بأن تسمح للاسرائيليين ان يفعلوا ما يشاؤون(١١٨). وكنتيجة طبيعية لهذا الاعتقاد ، فقد نظر الى اسرائيل على انها مستعمرة غربية . وهنا نرى التفسير الكلاسيكي لقيام اسرائيل بواسطة بريطانية . اذ ان بريطانية ساعدت على قيام اسرائيل لكي تجعل منها قوة عظيمة على قناة السويس ، وتحافظ على شريان الحياة الى الهند ومنطقة مراقبة للنفوذ الفرنسي . وفي الواقع ان كتاب الافتتاحيات قد شعروا ان وضع اسرائيل العدواني قد جاء نتيجة للضغط اليهودي الواسع على بريطانية والولايات المتحدة، من اجل تأسيس دولة يهودية غربية في المشرق العربي . ان الاموال والاصوات اليهودية في الولايات المتحدة كانت ذات اثر بعيد ، وكان هناك قناعة تامة بأن الاصوات اليهودية الاميركية وتأثيرها في انتخابات نيويورك وفي انتخابات الرئاسة الاميركية كانت كافية لجعل السياسيين يفعلون كل ما باستطاعتهم من اجل كسب هذه الكتلة من الاصوات ، كما ان ثروة الجالية اليهودية في الولايات المتحدة كان لها التأثير ذاته ان لم يكن اكثر ، وهذا يتضمن بداهة ان باستطاعة الجالية احراز التأييد نتيجة لثروتها(١١٩).

ومما زاد في احساس العرب بالخيبة بسبب التحيز الغربي نحو اسرائيل سرعة الاعتراف الدبلوماسي باسرائيل وسرعة دخولها الى الامم المتحدة . وقد عبرت الافتتاحيات عن مشاعر الصدمة الحقيقية حيال سرعة قبول العالم باسرائيل(١٢٠). « قبل ان يقرر مصير القدس والناصرة ، وقبل ان ينظر في قضية اسبانية وايطالية على سبيل المثال ، فان مجلس الامن قد وافق بالاجماع على دخول اسرائيل منظمة الامم المتحدة . ان بلاد دانتي وتشارلز الخامس يمكنها ان تنتظر حتى تذوي ، اما دولة اسرائيل فلا يمكنها ذلك ، ويبدو ان الدول تصاب بحماس محموم عندما تكون القضية تخص اسرائيل »(١٢١).

واخيرا كان هناك الخوف من التوسع الاسرائيلي وآثاره التي سيتركها على العرب في المستقبل . وقد كتب الكثير من الافتتاحيات حول هذا الموضوع في معظم الجرائد والمجلات العربية ، عبروا فيها عن مخاوفهم من الاهداف الصهيونية التوسعية المرتقبة . وربما كان افضل ما كتب في هذه الافتتاحيات بقلم ميشال شيحا . ومع ذلك فان افتتاحيات ميشال شيحا يجب ان تقرأ بعناية ، لانه لم يكن قادرا او راغبا في التفريق بين الصهيونية واليهودية . وهذه الغلطة كانت معروفة لدى الكثيرين من كتاب الافتتاحيات العرب .

ان الشعور بأن اسرائيل كانت وستكون دولة توسعية قد انطلق من الرأي العلمي الذي قال به كثير من كتاب الافتتاحيات ، وهو انه بقيام اسرائيل ، استطاع اليهود في انحاء العالم ان يكتشفوا وطنا لهم بضربة واحدة . وفي هذا المجال ، ورد في احد التعليقات القول بأنه سيكون باستطاعة الاسرائيليين من الآن وصاعدا ان يحصل كل واحد منهم على وثيقتي سفر وهذا حق شرعي للاسرائيليين وحدهم . ولكن الاهم من هذا هو ان قيام اسرائيل كان في منطقة صغيرة ، ومع ذلك ادعت ان عدد سكانها المحتمل هو ١٥ او ١٦ مليونا من البشر مبعثرين في انحاء العالم(١٢٢). وكان من المعلوم ان هذه الملايين المبعثرة تملك ثروة وعلما اكثر من العرب ، لذلك فمن المعتقد ان الخطوات الاولى التي ستسبق التوسع الجغرافي ستكون توسعا اقتصاديا يتبعه توسع سياسي وعسكري . « ان الدولة اليهودية ، كما تنص عليها خطة التقسيم الصادرة عن الامم المتحدة ، هي رأس جسر ، ونقطة انطلاق ، وبداية ، وقد كتبنا هذا وردنناه نحوا من عشر مرات . ان الاستيلاء على فلسطين بكاملها هو وسيلة للوصول الى مناطق اوسع على ضفة نهر الاردن الاخرى ، والاستيلاء على مناطق في سورية ادعتها لنفسها

بعض الاسباط اليهودية ، واذا سمحت الظروف بعد ذلك ، الاستيلاء على مناطق من المملكة القديمة لاسرائيل ، وفي المدى الابعد الاستيلاء على ميراث ابراهيم »(١٢٣). « ليس عمل اسرائيل ان تصدر الحبوب وشمندر السكر ... لقد خلقت اسرائيل من اجل القوة ، وادارة الاموال وما يدور في فلكها ، تمهيدا للثورة النهائية التي تحقق فيها سيطرتها وغلبتها »(١٢٤). « ان فناء العالم لا يعني شيئا بالنسبة لاسرائيل ، اذا كان هذا الفناء يحقق ظهور مملكة داوود المنتصرة . ذلك بالنسبة لاسرائيل ، هو المفهوم الفطري لكل سياسة وهو مفهوم مخيف . ان الافراد البسطاء الذين يظنون ان باستطاعة اسرائيل ان تمثل من خلال هذا الدور قوة امان ونظام قد ضلوا ضلالا بعيدا »(١٢٥).

وقد شعر كتاب الافتتاحيات ان العرب سيحلون بشكل فاجع محل اليهود في الشتات الجديد . كان كتاب الافتتاحيات العرب يركزون على الناحية القتالية عند دعوتهم الى الاحتكام للسلاح من اجل وضع حد للمظالم(١٢٦). غير ان الحكومات العربية لم تهتم بهذه الدعوة بأي شكل من الاشكال . ومن المحتمل ان السبب في ذلك يعود الى ادراك القادة العرب من جانبهم بأن النصر العسكري لم يكن ممكنا في ذلك الحين في جو التخاذل الذي كانت السلطات تحافظ عليه وتعززه .

وباغتيال الملك عبد الله بينما كان يهم بدخول المسجد الاقصى في تموز ١٩٥١ ، سقط اول مستسلم عربي رسمي . ولقد ظن الكثيرون ان اغتياله كانت نتيجة للحملات الصحفية التي شنت ضده . وقد كانت الفضائح التي نشرتها « اخبار اليوم » كما ذكرنا سميتة بالنسبة له ، اذ تناقلها الكثيرون وتكلموا عنها بالتفصيل ، وليس من المدهش ان تكشف الافتتاحيات العربية خارج الاردن اعمال الملك المعادية لشعبه(١٢٧).

اما راي الافتتاحيات التي ظهرت في العالم العربي منذ بداية حرب فلسطين فقد كان يختلف بشكل ملحوظ عن رأيها عند اغتيال عبد الله . ففي بداية عام ١٩٤٨ ، وبالرغم من تباشير الصراع في المستقبل ، وقف كتاب الافتتاحيات في وحدة متراصة في وجه الصهاينة . وربما كان هذا امرا طبيعيا جدا لدى اية صحافة ، اذ ان هذا هو ما نسميه الوحدة الوطنية في وجه العدو . اما الفوارق التي حدثت بين الصحف فكانت اما في درجة الاخلاص المتفاني من اجل فلسطين او في المجال المخصص للاحداث الجارية فيها . وليس من المدهش ان نكتشف ان تلك الصحف المرتبطة ارتباطا عاطفيا وجغرافيا وثيقا بفلسطين قد خصصت القسم الاكبر من افتتاحياتها للحديث عنها بالاضافة الى نشر عدد كبير من المواد المكتوبة حول تلك المحنة . وعندما اعلنت الهدنة الاولى ، كانت الصحافة العربية عموما صوتا واحدا في شجبها وادانتها لتلك الهدنة . وبعد الهدنة الثانية بدات تظهر بوادر انشقاق طويل في الافتتاحيات ، وهذا الخلاف تركز حول اسباب فشل العرب في تحقيق الانتصارات ، وحيث ان اسبابا عديدة قد قدمت في تفسير الهزيمة ، فان الحركة الناشطة التي انطلقت قبل الحرب من جو التفاؤل العام الموحد، ما لبثت ان انحرفت الى تشاؤمية ممزقة بعد الحرب . ولم يتركز التشاؤم حول الهزائم العربية بقدر ما تركز حول اسباب وكيفية حدوث تلك الهزائم .

---

١ ــ ميشال شيحا في «اللوجور» ١٩٤٥/٤/١٩ .
٢ ــ ميشال شيحا « اللوجور » ١٩٤٥/٨/٢٦ .
٣ ــ انظر ، مثال « الدفاع » ١٩٤٧/١١/٢ وجريدة « فلسطين » ١٩٤٧/١١/١٣ .
٤ ــ نجيب الريس ، « القبس » ١٩٤٧/١٢/٣ .
٥ ــ كامل مروه ، « الحياة » ١٩٤٧/١٢/٣ .
٦ ــ واشهر مثال على ذلك هو جيمس. ق. فورستال في كتاب **«مذكرات فورستال»** ص ٣٦٣ حيث يقول « ان الطرق التي استخدمت لاجبار الامم الاخرى في الجمعية العامة اوشكت ان تصل حد الفضيحة » .
٧ ــ ميشال شيحا ، «اللوجور» ١٩٤٧/١٢/١٨ .
٨ ــ انظر محي الدين النصولي ، « بيروت » ١٩٤٧/١١/١٥ ، « الحياة » ١٩٤٧/١١/٢٨ ، « المنار » ١٩٤٧/٩/٤ .
٩ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١١/٣٠ .
١٠ ــ كسروان لبكي ، «الاوريان» ١٩٤٧/١٢/٢ .
١١ ــ للمزيد من الاطلاع على النص الكامل للبيان الذي نشره مبارك ، انظر جريدة « الديار » في ١٩٤٧/٩/٢٧ . ونتيجة لهذا البيان الذي نشره

في الصحافة والذي عبر فيه عن شعوره تجاه اقامة الدولة اليهودية في فلسطين فقد حدت رومة والبطريركية المارونية من صلاحيات مبارك وخفضت مرتبته الى راعي ابرشية ثم ابعد من ابرشيته حتى مماته .

١٢ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١٢/٢٨ . ٢٤ و ١٩٤٧/١٢/٢٦ ، «فلسطين» ١٩٤٧/١٢/٢٨ .

١٣ ــ محي الدين النصولي ، « بيروت » ١٩٤٧/١٢/١٠ .

١٤ ــ محي الدين النصولي ، « بيروت » ١٩٤٧/١٢/١٧ .

١٥ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١١/١١ .

١٦ ــ انظر على سبيل المثال محي الدين النصولي في « بيروت » ٩ و ١٩٤٧/١٢/١٢ .

١٧ ــ « القبس » ١٩٤٧/١٢/١٦ .

١٨ ــ جورج كيرك ــ **الشرق الاوسط** ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ ص ٢٧٠ ــ ويؤيد كيرك الاعتقاد القائل بأن بعض العرب بمن فيهم الامين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام قد شعروا بأن الدول العربية لن تقاتل في فلسطين .

١٩ ــ باستطاعة المرء ان يناقش : من يتحمل الخطأ في تسبيب مشكلة فلسطين ؟ ان الغالبية العظمى من العرب قد شعرت بأن الخطأ لم يكن من صنع ايديهم . هل كان العرب مذنبين عندما القوا باللوم على غيرهم ورفعوه عن انفسهم . يعتقد جورج كيرك ان عدم المقدرة على تقبل اللوم والمقدرة على القاء اللوم على اي شيء آخر هو من خصائص العرب « **السياسة العربية المعاصرة** » ص ٢٦ .

٢٠ ــ على سبيل المثال انظر « فلسطين » ١٩٤٨/٢/١١ ، « النصر » ١٩٤٨/٣/١٤ ، محي الدين النصولي « بيروت » ١٩٤٨/٥/٢٧ .

٢١ ــ « الدفاع » ١٩٤٨/١/٣٠ و « فلسطين » ١٩٤٨/٢/٢٤ .

٢٢ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/١٣ .

٢٣ ــ انظر على سبيل المثال ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/١/١٥ .

٢٤ ــ « فلسطين » ١٩٤٨/١/٦ .

٢٥ ــ ميشال شيحا في «اللوجور» ١٩٤٨/٥/١١ .

٢٦ ــ نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٥/٢١ . انظر كذلك غوردن. هـ. توري « **السياسة السورية** » ص ١٠٤ .

٢٧ ــ « الاوريان » ١٩٤٨/١/١٢ . كذلك انظر مقالته الافتتاحية في « الاوريان » ١٩٤٨/٥/١٨ التي يقول فيها عن اليهود اللبنانيين « لقد فعلوا من اجل فلسطين اكثر مما فعل المسلمون والمسيحيون مجتمعين » .

٢٨ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/٤/١٥ . ان الصحف المصرية وخاصة الاهرام كانت خالية من اي نوع من التعليق الافتتاحي حول فلسطين من نوفمبر ١٩٤٧ حتى مارس ١٩٤٨ . وربما يعود هذا الى قانون مراقبة المطبوعات ، وعامل آخر يدخل هنا هو انشغال المصريين مع البريطانيين على حساب الحوادث الجارية في فلسطين .

٢٩ ــ كسروان لبكي في «الاوريان» ١٩٤٨/٣/٢٣ .

٣٠ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/٢٠ .

٣١ ــ « العلم » ١٩٤٨/٣/٢٦ .

٣٢ ــ « بردى » ١٩٤٨/٣/١١ .

٣٣ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/٩ .

٣٤ ــ « الفيحاء » ١٩٤٨/٤/٢٢ .

٣٥ ــ ميشال شيحا «اللوجور» ١٩٤٨/٥/٢٨ .

٣٦ ــ فؤاد صروف في «الاهرام» ١٩٤٨/٥/١٨ .

٣٧ ــ « الدفاع » ١٩٤٨/٢/١ .

٣٨ ــ « فلسطين » ١٩٤٧/١١/١٩ . لم نعثر على ادنى شاهد سواء أكان دعوة رسمية او غير رسمية للعرب تحثهم على ترك فلسطين في أية صحيفة عربية .

٣٩ ــ في الواقع ان كلا الفريقين لم يكن له اثر فعال . ومع ذلك فان القاوقجي قد ارتكب خطأ من جانبه وذلك باثارته للآمال المتهورة وتبجحه الشديد بين سكان القرى من الفلسطينيين العرب الذين أخذت معنوياتهم تنهار وذلك لخيبة الامل التي اصابتهم عندما جاءت التجربة العظيمة في مقاومة القوات اليهودية . « السير اليك كركبرايد » «**آنية الشوك**» ١٩٥٨ــ١٩٥٩ .

٤٠ ــ غوردن . هـ . توري « **الدور العسكري في المجتمع والحكومة في سورية ونشوء الجمهورية العربية المتحدة** » ص ٥٧ .

٤١ ــ « الاوريان » ١٩٤٨/٤/٢٦ .

٤٢ ــ « القبس » ١٩٤٨/٤/٢٢ .

٤٣ ــ « الكفاح » ١٩٤٨/٥/٢٣ .

٤٤ ــ كسروان لبكي في «الاوريان» ١٩٤٨/٥/١٣ .

٤٥ ــ « بردى » ١٩٤٨/٤/١١ .

٤٦ ــ « المنار » ١٩٤٨/٤/٩ .

٤٧ ــ « بردى » ١٩٤٨/٥/١٢ . اذا كان هناك علاقة مباشرة بين عدد الجنود الذين كان

باستطاعته الفلسطينيين انفسهم ان يرسلوهم الى المعركة وكمية الاموال المصروفة على هذا المعرض بواسطة المفتي ، فان هذا الزعم الذي تقول به « بردى » يبدو صحيحا . يرى عاقل عابدي في كتابه « **الاردن ــ دراسة سياسية** » ص ٤٢ ان عدد الجنود الذين كان باستطاعة الفلسطينيين ان يجندوهم كان يربو قليلا على الالفين .

٤٨ ــ « النضال » ، مقتبسة في « الاوريان » ١٩٤٨/٤/١٥ .

٤٩ ــ انظر على سبيل المثال كامل مروة في « الحياة » ١٩٤٨/٤/١٧ و« بردى » ٤/٢٤/ ١٩٤٨ .

٤٩ ــ انظر على سبيل المثال كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٤/١٧ . و« بردى » ٢٤/ ١٩٤٨/٤ . اما وجهات النظر المعاكسة فقالت ان الانتظار حتى نهاية الانتداب البريطاني لن يعرقل بشكل جدي وفعال الجهود العربية المبذولة في قتال الصهيونية . انظر « الاهرام » ١٩٤٨/٥/١٦ .

٥٠ ــ « الاوريان » ١٩٤٨/٥/١٥ .

٥١ ــ جون مارلو « **العلاقات الانكلو ــ مصرية ــ ١٨٠٠ ــ ١٩٥٣** » ص ٢٣٠ .

٥٢ ــ نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٦/٣ . انظر كذلك (المنار) ١٩٤٨/٧/١٤ تجد دعوة مماثلة للتضحية ومع ذلك فان كسروان لبكي ، كان احد الكتاب الذين شعروا ان شعبه قد ضحى بما فيه الكفاية : « كان لبنان العضو الوحيد من الدول الاعضاء في الجامعة العربية الذي طبق بدون تردد او تحفظ مقاطعة الصناعة الاسرائيلية . وكان لبنان كذلك ، البلد الوحيد الذي عانى من هذه المقاطعة . ان اليهود الذين كانوا يشترون فاكهتنا ويتزلجون في الارز ، قد تخلوا عن كرزنا واوقفوا التزلج . ولم تقدم لنا البلاد العربية تعويضا رمزيا . مصر تشتري التفاح من كاليفورنية، آغات العراق لا يتزلجون، وباشيات القاهرة يقضون اجازاتهم على الساحل اللازوردي » . « الاوريان » ١٩٤٨/٤/٢٨ .

٥٣ ــ كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٧/٨ .

٥٤ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/٥/٢٧ . انظر كذلك الصحيفة نفسها في ١٩٤٨/٦/١ .

٥٥ ــ ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/٧/٧. انظر كذلك الكاتب نفسه في « اللوجور » ١١/ ١٩٤٨/٦ .

٥٦ ــ سير ريدر بولارد ، **الشرق الاوسط** ، ص ١٨٨ .

٥٧ ــ باتريك سيل ، **الصراع على سوريه** ، ص ٣٣ .

٥٨ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/٦/٣ . انظر كذلك محي الدين النصولي في « بيروت » ١٩٤٨/٦/٣ .

٥٩ ــ كسروان لبكسي في « الاوريان » ٦/١١/ ١٩٤٨ .

٦٠ ــ « الايام » ١٩٤٨/٦/٢٠ .

٦١ ــ توجد افتتاحيات نموذجية في « القبس » ١٩٤٨/٦/١٧ : كامل مروه في « الحياة » ، ١٩٤٨/٦/٤ وفؤاد صروف في « الاهرام » ٦/ ١٩٤٨/٦ .

٦٢ ــ كسروان لبكي في « الاوريان » ، ٦/١١/ ١٩٤٨ .

٦٣ ــ لقد نشر النص الكامل لمقترحات برنادوت في « النيويورك تايمز » ١٩٤٨/٧/٥ وقد ظهرت ترجمة شاملة ودقيقة للمقترحات في جريدة « المصري » ١٩٤٨/٧/١ وذلك قبل ثلاثة ايام من الاعلان الرسمي للوثيقة .

٦٤ ــ حنا غصن في « الديار » ١٩٤٨/٧/٤ .

٦٥ ــ نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٦/٧ . انظر كذلك فؤاد صروف في « الاهرام » ٦/٢٢/ ١٩٤٨ .

٦٦ ــ حنا غصن في « الديار » ، ١٩٤٨/٦/١٢ . انظر كذلك محي الدين النصولي في « بيروت » ١٩٤٨/٦/١٦ .

٦٧ ــ انظر على سبيل المثال « البلد » ، ٧/٧/ ١٩٤٨ . « الكفاح » ، ١٩٤٨/٧/١٠ . « الايام » ١٩٤٨/٧/١٤ .

٦٨ ــ « الاخبار » ١٩٤٨/٧/٢٤ . انظر كذلك « البلد » ١٩٤٨/٧/٢٠ .

٦٩ ــ « الايام » ١٩٤٨/٧/١٨ .

٧٠ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/٧/١٩ .

٧١ ــ حنا غصن في « الديار » ١٩٤٨/٧/٢٢ . انظر كذلك كامل مروه « الحياة » ٦/١٩/ ١٩٤٨ .

٧٢ ــ « الكفاح » ١٩٤٨/٨/٢١ .

٧٣ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/١١/٢٢ .

٧٤ ــ « النهار » ١٩٤٨/٧/٢٠ .

٧٥ ــ كسروان لبكسي في « الاوريان » ١٢/١/ ١٩٤٨ . انظر فايز صايغ في كتابه « **الوحدة**

العربية » ص ١٤٤ حيث يعرض وجهة نظر مؤيدة .

٧٦ — « الزمان » ١٩٤٩/١/١٠ وكسروان لبكي ، « الاوريان » ١٩٤٩/١/٩ .

٧٧ — انظر بعض الافتتاحيات النموذجية التي كتبها كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٧/٢٠ ، او جريدة « المنار » ١٩٤٨/٧/٢٩ . انظر كذلك القصيدة التي كتبها محمد الاسمر في « الاهرام » في ١٩٤٨/١٠/١٣ .

٧٨ — قسطنطين زريق، **« معنى النكبة »** ص ٣٤ . للمزيد من البحث عن دور القادة العرب وخيانتهم لقضية فلسطين انظر كتاب موسى العلمي **« عبرة فلسطين »** ص ٢٣ — ٣٠ .

٧٩ — يوسف حنا في « الدفاع » ١٩٥٠/٥/١٥ .

٨٠ — « الدفاع » ١٩٥٠/٤/٢١ .

٨١ — « الاهرام » ١٠/٨/ و١٩٤٨/٩/٩ . انظر كذلك « القبس » ١٩٤٨/١٠/١٩ .

٨٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ١٠/٢٧/ ١٩٤٨ . بالرغم من ان بعض الصحف العربية قد اشارت الى ان اعمال الملك عبدالله في حرب فلسطين لم تكن كما كان متوقعا بالضبط ، فاننا لا نعثر على اية ملاحظات في هذا الوقت حول اجتماعات واتفاقيات الملك مع غولدا مئير وموشيه شرتوك. وقد اعلن عن هذه الاجتماعات في اواخر عام ١٩٤٩ واوائل عام ١٩٥٠ . وبامكاننا ان نعثر على تفاصيل الاجتماعات في المجلد الاول من كتاب عبدالله التل « كارثة فلسطين » وبالامكان ان نجد تحليلا مفصلا لهذه الاجتماعات في كتاب آ. هـ. هـ. عابدي **« الاردن، دراسة سياسية »** صفحة ٢٥ — ٢٨ .

٨٣ — القائمة الكاملة بأسماء اعضاء مجلس الوزراء في حكومة عموم فلسطين واسماء الوزارات موجودة في كتاب عارف العارف **« النكبة »** المجلد الثالث ، ص ٧٠٤ — ٧٠٥ .

٨٤ — « الاهرام » ، ٩ ، ١٠ ، ١٩٤٨/١٢/١٢.

٨٥ — ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ . انظر ايضا « الف باء » ١٩٤٨/٩/٢٩ .

٨٦ — « الفيحاء » ١٩٤٨/٩/١٦ ، « البلد » ١٩٤٨/١٠/٩ . انظر كذلك « الاهرام » ٢٢ و١٩٤٨/٩/٢٣ . وهذه الافتتاحيات تلقي بعض الشك حول عبارة آ. هـ. هـ. عابدي بأن «تقرير برنادوت المنشور بعد وفاته قد لاقى ترحيبا حسنا من العرب عموما » . **« الاردن ، دراسة سياسية »** ص ٤٩ .

٨٧ — « الاوريان » ١٩٤٨/٩/١٨ . « الكفاح » ١٩٤٨/٩/١٨ . « القبس » ١٩٤٨/١١/٢ .

٨٨ — كسروان لبكي في « الاوريان » ١٩٤٨/٩/٨.

٨٩ — « الاهرام » ١٩٤٨/٧/٢٥ .

٩٠ — « البلد » ١٩٤٨/١٠/٣٠ . انظر كذلك « الاهرام » ١٩٤٨/١٠/٢٦ . وقد ادركت الخطر على العرب من جراء قدرة اسرائيل على تقوية نفسها . فقد قالت الافتتاحية ان حلا سريعا ربما كان افضل .

٩١ — « الاوريان » ١٩٤٨/٩/٢١ .

٩٢ — « اللوجور » ١٩٤٨/٩/٤ .

٩٣ — محي‌الدين النصولي في « بيروت » ١/١٧/ ١٩٤٩ .

٩٤ — « الاهرام » ١٩٤٩/٢/٢٥ .

٩٥ — انظر على سبيل المثال « الفيحاء » ٢/٩/ ١٩٤٩ . « بردى » ١٩٤٩/٢/١٩ . و« المنار » ١٩٤٩/٢/٢١ . لقد كان التعليق في افتتاحية الصحيفة الاخيرة مريرا خاصة تجاه الحكومة المصرية . وتعود اسباب ذلك ، في قسم منها ، الى كون « المنار » ناطقة باسم الاخوان المسلمين . وكان زعيم الاخوان ، حسن البنا ، قد اغتيل في ١٩٤٩/٢/١٢ . واعتبرت « المنار » الحكومة المصرية مسؤولة عن ذلك .

٩٦ — ان الخوف من اطماع الملك عبدالله كان موجودا في العراق . فقد وافق عبدالاله الوصي على العرش على الاعتراف بحكومة عموم فلسطين لهذا السبب وقد خاف السعوديون من قيام حكم هاشمي قوي جدا لئلا يعتزم على اعادة السيطرة القديمة للعائلة في الجزيرة العربية . وخافت سوريه من محاولة عبدالله الاستيلاء على الشام كما فعل شقيقه وذلك كجزء من مخطط سوريه الكبرى .

٩٧ — « الاهرام » ١٩٤٩/٩/١٤ .

٩٨ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/١٢ .

٩٩ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/٢٥ .

١٠٠ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/١٥ . انظر كذلك الجريدة نفسها في١٩٥٠/١/١١ .

١٠١ — « السوري الجديد » ١٩٤٩/١٢/٢١ . انظر كذلك الصحيفة نفسها في ١٩٤٩/١٢/٢٥ وكذلك « النصر » ١٩٤٩/١٠/٢١ .

١٠٢ — لقد كتب عن اجتماعات الملك عبدالله مع الصهاينة والتر ايتان **« الاعوام العشرة**

الاولى » ص ٤٢ — ٤٣ ، جون كلوب « **جندي مع العرب** » ص ٢٥٨ ، ص ٣٤٠ — ٣٤١ . جايمس ج. ماكدونالد « **مهمتي في اسرائيل** » ص ١٩٤ . وكتاب عبدالله التل « **كارثة فلسطين** » — المجلد الاول .

١٠٣ — « الاهرام » ١٩٥٠/٥/٩ . هذه الافتتاحية ترتكز دون شك على بيان صادر عن وزير الخارجية البريطاني ارنست بفن . انظر المناقشات البرلمانية في مجلس العموم ، المجلد ٤٥١ ، الاعمدة ٩٩٩ — ١٠٠٠ ، ١٩٤٨/٦/٤ .

١٠٤ — « بردى » ١٩٥٠/٣/١٩ . انظر كذلك « الاهرام » ايار ١٩٥٠ .

١٠٥ — « المصري » ١٩٥٠/٣/١٩ . وتقول العبارة الثانية في الافتتاحية « لقد حان الوقت لفصل هذا العضو المهترىء عن جسم العالم العربي ودفنه ووضع كومة من الروث عليه ».

١٠٦ — انظر بنجامين شوادران « **الاردن دولة التوتر** » ص ٢٧٢ .

١٠٧ — « فلسطين » ١٩٥٠/٥/١٧ . انظر الصحيفة نفسها في ١٩٥٠/٦/٩ .

١٠٨ — نشر البيان الثلاثي في Department of State Bulletin المجلد ٥٢ ، العدد ٥٧٠ ، ص ٨٨٦ .

١٠٩ — نشر في « الاوريان » ١٩٥٠/٥/٢٧ .

١١٠ — بامكاننا ان نجد رأيا مماثلا في « الالف باء » ١٩٥٠/٦/٩ . « الاهرام » ١٩٥٠/٥/٣٠ و« الانشاء » ١٩٥١/٥/١١ .

١١١ — « السوري الجديد » ١٩٥٠/٧/١٤ . لقد كان هناك بعض الابتهاج في الصحافة العربية على اثر تراجع قوات الامم المتحدة في كوريه . وقالت احدى الافتتاحيات ان العناية الالهية قد ثارت للعرب في كوريه ، ضد من يؤيدون الصهاينة ، « النذير » ١٩٥٠/٨/١ .

١١٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٥٠/١٢/٢٧/ . انظر كذلك « القبس » ١٩٥١/٥/٢٧ .

١١٣ — « فلسطين » ١٩٥٠/١١/١٩ .

١١٤ — قرار الامم المتحدة ، عدد ١٩٤ (١١١) ١٩٤٨/١٢/١١ .

١١٥ — قرار الامم المتحدة ، عدد ٣٩٤ ، ١٤/ ١٩٥٠/١٢ .

١١٦ — « الدفاع » ١٩٥٠/١١/١٠ . انظر كذلك الصحيفة نفسها ١٩٥٠/١١/١٢ .

١١٧ — « فلسطين » ٨ و١٩٥٠/١٢/٩ و١/٢٥/ ١٩٥١ .

١١٨ — انظر ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/١٠/٢٥ . « الدفاع » ١٩٥٠/٤/١٧ و « الاهرام » ١٩٥٠/١٠/٥ .

١١٩ — يمكن العثور على افتتاحيات نموذجية في « اللوجور » لميشال شيحا ١٩٤٩/١/٦ . « الاهرام » ١٩٤٩/٦/١٣ . « الدفاع » ٣٠/ ١٩٥٠/٨ . و« القبس » ١٩٥١/٤/٩ .

١٢٠ — انظر الحاشية رقم ٥٥ .

١٢١ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٣/٦/ ١٩٤٨ . انظر ايضا « الاهرام » ١٩٤٩/٥/١٣.

١٢٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٦/١٢/ ١٩٤٨ و١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٣ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٦/١٢/ ١٩٤٨ و١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٤ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٩/٤/ ١٩٤٨ .

١٢٥ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٧/٢٩/ ١٩٥٠ . انظر كذلك «الاهرام» ١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٦ — يمكن ان نجد بعض الافتتاحيات النموذجية في « الايام » ١٩٤٨/٧/٢٢ ، ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٩/٨/٦ و« الدفاع » ٩/١٧/ ١٩٥٠ .

١٢٧ — من الامثلة على مقالات الادانة ، انظر ما قالته « الاهرام » ١٩٥١/٧/٢٢ .

مراجعات

الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية

ترجمة : لطفي العابد وموسى عنز

(منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧٠)

لا شك ان كتاب « الفكرة الصهيونية » هو من أهم المجلدات التي صدرت عن مركز الابحاث منذ فترة لكونه يحتوي على نصوص المختارات الاساسية من الانتاج الفكري للحركة الصهيونية ممتدة منذ بداياتها في منتصف القرن التاسع عشر حتى عصر بن غوريون . ويشكل هذا الكتاب تكملة طبيعية للمجلد الذي صدر عن المركز في السابق تحت عنوان «من الفكر الصهيوني المعاصر» والذي ضم الترجمة العربية للمقالات والدراسات التي نشرها الجانب الاسرائيلي في عدد مجلة « الازمنة الحديثة » الذي خصصه سارتر ، عام ١٩٦٧ ، للنزاع العربي — الاسرائيلي . ويكون المركز قد زود القارىء العربي ، بهذا الانتاج المزدوج ، بمصدرين حيويين واوليين عن ايديولوجية الحركة الصهيونية وتطور فكرها في القديم والحديث، قبل قيام دولة اسرائيل وبعده .

ان كتاب « الفكرة الصهيونية » هو ترجمة للمجلد الذي حرره وجمع نصوصه وقدم لها الباحث الصهيوني آرثر هيرتزبرغ تحت عنوان* The Zionist Idea وقد نشر هذا الكتاب لاول مرة باللغة الانكليزية عام ١٩٥٩ في الولايات المتحدة الاميركية واعيد طبعه اكثر من مرة . ولسبب ما لم يرد اي ذكر او اشارة في الطبعة العربية الى الاصل الانكليزي الذي تمت عنه الترجمة او الى الباحث الذي حرر الكتاب اصلا . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الدكتور اسعد رزوق قد اعتمد في تقديمه اصحاب النصوص المنشورة في الكتاب على المعلومات التي قدمها هيرتزبرغ عن هؤلاء المؤلفين في النسخة الانكليزية مع ادخال التعديلات اللازمة مع ما يتناسب وضرورات تقديم هؤلاء الكتاب الى القارىء العربي . بالنسبة للترجمة ، فقد وجدتها ناجحة على العموم وسلسة بما فيه الكفاية عند قراءتها بمعزل عن التفكير بالنص الاصلي ، بالرغم عن نزعة تبرز احيانا في الميل نحو الحرفية في نقل العبارات والجمل . كذلك وجدت ان ترجمة بعض المصطلحات والعبارات والمقاطع تفتقر الى الدقة بشكل واضح خاصة لجهة اسقاط جمل كاملة في بعض الاحيان بدون اي مبرر او عذر (باستثناء تبسيط النص الاصلي مما يجعل ترجمته اسهل) . ولا يتسع المجال هنا الى ضرب الكثير من الامثلة وساكتفي بما يلي :

١ — ترجمة عبارة مارتن بوبر "Bond to the Soil" (ص ٤٥٧ في النص الانكليزي) بالعبارة « التعلق بالتربة » (ص ٣٣٤ في النص العربي). مع ان المعنى القاموسي والحرفي لكلمة soil هو « التربة » الا انه لا يجوز اعتماد ذلك في هذا السياق المشبع بالاجواء السياسية والايديولوجية لان كلمة soil مستعملة هنا بمعناها «الوطني» او « القومي » ويقابلها في المصطلح العربي « الارض » (اي ارض الشعب) او « التراب الوطني » . كذلك يبدو لي ان ترجمة bond « بالتعلق » يضعف من معناها ومن شحنتها العاطفية لان المقصود هنا ، مرة اخرى ، هو رابطة شعب ما بأرضه الوطنية او القومية وليس مجرد « التعلق بالتربة » على طريقة الحنين مثلا .

٢ — وقع خطأ من نوع اكثر فداحة في ترجمة عبارة Luftmenschen (ص ٣٠٧ في النص الانكليزي) الى « اليهودي الحالم » (ص ١٩٤ في النص العربي) . أطلق الالمان هذا التعبير على اليهود

* Hertzberg, Arthur (ed.), *The Zionist Idea*, Harper Torch Books, New York City, 1966.

بمعرض القدح والذم وهذا ما لا يوحي به المقابل العربي المستخدم : « اليهودي الحالم » . في الواقع لم يحصل ان تم وصف اليهود « بالحالمين » من قبل اعدائهم بل كانوا دوما يوصفون بالصفات المعاكسة تماما مثل الشطارة والخبث والانانية والنزعة العملية المفرطة في أخذ الامور الى اخر ذلك مما هو معروف ، وهي كلها صفات لا يوصف بهـا « الحالمون » عـادة . ان المـراد بعبارة Luftmenschen الالمانية هو وصف اليهود بأنهم جماعة تعيش « من الهواء » (Luft) او من لا شيء وعلى لا شيء . ويقاربها في اللغة العربية الدارجة جوابنا على السؤال التالي : « كيـف عايش ؟ » « عايش مـن الهواء » ، اي بدون مصادر رزق ثابتة او معروفة الخ ... كذلـك يفيد المصطلـح الالمـاني معاني « الخـواء » ، و « الفـراغ » و « انعدام الجذور » وغيـاب « الارتباط بأية ارضية ثابتة ومتينة » . وكلهـا اوصاف قدحية اطلقت على التجمعات اليهودية من قبل البورجوازيـة الاوروبية وخـاصة في فترات صعود موجات معاداة السامية التي كانت ترافق عادة مراحل الافـراق في الشوفينية والتعصـب العنصري . ان الدلالة الاعمق لهذا التعبير الالماني في وصف اليهود تكمن في اساسه المادي وهو تركز يهود اوروبا في القرن التاسع عشر في قطاعـات الانتاج الوسيطة والثانوية بدون ان يكون لهم ايـة قاعدة اساسية في القطاعات الاولية من عمليـة الانتاج . وبما ان المصادر الحقيقية والاولية للحياة هي القطاعـات الانتاجية الاولـى (الزراعـة والصناعة مثلا) تبدو الفئـات الاجتماعية غـير المرتبطة بهذه القطاعات وكأنها تعيش من لا شيء او « من الهواء » ، كمـا تبدو عديمة الاصـول والجذور والثبات .

٣ ــ ترجمة تعبير Lumpen - Proletariat (ص ٢٣١ في النص العربي) « بطبقة العمـال الدنيـا » بـدلا من المصطلـح العربي المعتمـد « البروليتاريا الرثة » . ويجب الاشارة هنا الى ان ماركس (واضع هذا التعبير اصلا) قد فـرق بدقة بين البروليتاريا الرثة وبين الطبقة العاملـة (انظـر مثلا « الصراع الطبقـي في فرنسـا » و « البيـان الشيوعي ») واعتبـر الاولى أداة للطبقات الرجعية ومؤامراتها وقد وصفها « بالطبقة الخطرة » في « البيان الشيوعي » ، في حين ان الترجمة التي نحن بصددها تدمج البروليتاريا الرثة في صفوف الطبقة العاملة وتعتبرهـا شريحة من شرائح حاملي لواء الثـورة الاشتراكيـة . و موضع اخـر تمت ترجمـة الوصف التالي لانجلز Close Collaborator of Marx (ص ٦٢٩ هامش ٢ من النص الانكليزي) بعبارة «مؤيد لماركس» (ص ٢٤١ هامش ٢ ، النـص العـربي) . ان تحويل انجلز الى مجرد « مؤيد لماركس » فيـه الكثير من التجني على الحقيقة والتاريخ .

٤ ــ تمت ترجمة المقطع التالي من كلام الحاخام كاليشر على النحو التالي :

Are we inferior to all other peoples, who have no regard for life and fortune (as compared with love of their land and nation ?) Let us take to heart the examples of the Italians, Poles, and Hungarians, who laid down their lives and possessions in the struggle for national independence, while we, the children of Israel, who have the most glorious and holiest of lands as our inheritance, are spiritless and silent." (ص ١١٤) .

« هل نحن اقل شأنا من الشعوب الاخرى التي لا يقاس حبها لبلادها بالعيش او بالثروة ؟ لنقتـد بالايطاليين والبولونيين والمجريين الذين ضحوا بكل ما لديهم للكفاح من اجل الاستقلال بينما نحن بني اسرائيل وارثي اقدس ارض لا نحرك ساكنا » . (ص ١٧) .

نلاحظ اولا ان الجملة الموضوعة داخل قوسين من النص الانكليزي قد سقطت تماما في الترجمةالعربية مع ان المعنى لا يمكن ان يستقيم بدونها . ثانيا ، ان عبارة « التي لا يقاس حبها لبلادها بالعيش او بالثروة » في النص العربي لا تعني شيئا ولا علاقة لها بالاصل الانكليزي الذي يقول « ... هل نحن احط شأنـا من الشعوب الاخرى التي لا تنظـر باهتمام الى الحياة والثروة بالمقارنة الى اهتمامها بحب ارضها وامتها ؟ » وفيما يلي ترجمة اكثر دقة للمقطع الانكليزي المشار اليه مما يتيح للقارىء فرصة التدقيق والمقارنة : « هل نحن احط شأنا من الشعوب الاخرى التي لا تنظر باهتمام الـى الحياة والثروة بالمقارنة الى اهتمامها بحب ارضها وامتها ؟ لنقتد من قلوبنا بالايطاليين ، والبولنديين والمجريين الذين تنازلوا عن (ضحوا بـ) حياتهم وممتلكاتهم في كفاحهم من اجل استقلالهم الوطني

(القومي) او (في الكفاح من اجل الاستقلال الوطني) . بينما نحن بنو اسرائيل وارثو اكثر الاراضي قدسية وروعة نبقى صامتين ودون حراك»
٥ ــ تمت ترجمة هذا النص من كلام موسى هس على النحو التالي :

"With the Jews, more than with other nations, which though oppressed, yet live on their own soil, all political and social progress must necessarily be preceded by national independence. A common native soil is a precondition for introducing healthier relations between capital and labor among the Jews." (ص ١٣٦)

« يتوجب على الاستقلال القومي ان يسبق التقدم السياسي الاجتماعي وخاصة لليهود اكثر منه لاية امة اخرى عاشت ولو محكومة ، ولكن ، ان وجود ارض وطن مشتركة هو شرط أساسي لادخال علاقة صحيحة بين رأس المال والعمل عند اليهود » . (ص ٤٠) .

نلاحظ اولا ان ترجمة oppressed « بمحكومة » خطأ كبير لانها تعني مضطهدة (بفتح الهاء) وليس مجرد محكومة . ثانيا ، النص العربي ركيك جدا وغير واضح بالاضافة الى كونه غير دقيق في التعبير عن المعنى الاصلي. وفيما يلي نموذج لما اعتقد انه ترجمة اكثر دقة ووضوحا للنص الانكليزي الذي نحن بصدده : « بالضرورة ، ينبغي ان يسبق الاستقلال القومي (الوطني) كل تقدم سياسي واجتماعي . وينطبق هذا على اليهود اكثر منه على بقية الامم لانها تعيش على ارضها وان كانت مضطهدة . ان وجود ارض مشتركة اصلية هو شرط مسبق لاقامة علاقات افضل بين رأس المال واليد العاملة فيما بين اليهود » .

بالرغم عن هذه الهفوات والاخطاء يبقى الاطلاع على هذه النصوص مسألة في غاية الاهمية بالنسبة للقارىء العربي المتتبع ، غير انه يجب التنبيه الى ضرورة النفاذ الى الواقع المادي الكامن خلف النصوص وهو الحركة السياسية والاجتماعية التي حملت لواء قيادتها البورجوازية اليهودية تحت اسم الصهيونية . يعطينا كتاب « الفكرة الصهيونية » مسحا لايديولوجية هذه الحركة وفكرها بمختلف مدارسها وتشعباتها وتنوعاتها . على سبيل المثال نجد في نصوص كل من الحاخامين المبكرين كاليشر ويهودا القالي البدايات الاولى « لعلمنة » بعض المفاهيم الدينية التقليدية واخراجها عن معناها القديم وحقنها بمعنى جديد يتناسب مع مطامح الطبقة الوسطى الصاعدة وتطلعاتها نحو الهيمنة القيادية على الحياةاليهودية في اوروبا . لذلك نجد ان يهودا القالي يدعو اليهود (مع انه رجل دين) الى التخلص من الفكرة الدينية التقليدية القائلة بانتظار مجيء المسيح المخلص لبناء الهيكل بمعجزة من عنده ويحثهم على العمل لتخليص انفسهم بانفسهم عن طريق جهدهم الدنيوي وعملهم في هذه الحياة لتشكيل دولة لانفسهم ، كما يقترح عليهم انشاء شركة تجارية لتقوم باستعمار فلسطين . كذلك الامر بالنسبة للفكرة التقليدية القائلة بعودة اليهود الى الارض المقدسة ، وهي فكرة لم تكن تعني بالنسبة لليهودي التقي سوى الذهاب الى فلسطين للتعبد ومجاورة الاماكن المقدسة والخضوع لنظام روحي صارم في العيش وفقا للشرائع المقدسة . الا ان هذا المعنى اخذ يتبدل في عصر القوميات البورجوازية بحيث اصبح يعني الهجرة الجماعية الى فلسطين لبناء دولة قومية حديثة شبيهة في تركيبها وتنظيمها بأية دولة قائمة في اوروبا مع غض النظر كليا عن انتظار المسيح الخ ... ومن الطبيعي ان تعبر الحركات الاجتماعية الناشئة عن مفاهيمها وتطلعاتها بلغة الايديولوجية الدينية السائدة في اول الامر وقبل ان تتوصل الى صياغة « لغتها » الخاصة بها و « تصوراتها » المميزة .

من النصوص الهامة الواردة في الكتاب ، القسم الاكبر من مؤلف هرتزل المشهور «الدولة اليهودية»، وهذه هي المرة الاولى التي تتم فيها ترجمة اجزاء كبيرة منه الى اللغة العربية . وتكشف لنا قراءة نصوص الصهيونية الهرتزلية تأثر الحركة بايديولوجية الدعوة القومية الالمانية اكثر من تأثرها بأي شيء اخر بما في ذلك الدين اليهودي نفسه . لقد كان هرتزل مشغولا بالحركات القومية السياسية الالمانية اكثر بكثير مما كان منهمكا بدراسة التوراة او التمود او اي شيء اخر عن الدين اليهودي او حتى عن امكانات بعث الثقافة العبرية القديمة . ونجد -هذا التأثير نابعا من تعاليم الايديولوجية القومية الالمانية القائلة بان كل من هو من « الدم » او النسل الالماني فهو تابع للامة الالمانية حيثما كان واينما كان ومهما كانت الارض التي ولد فيها او السماء التي عاش

تحتها او الدولة التي ينتمي اليها حقوقيا ومدنيا . لذلك ينبغي ان يتجمع الالمان على ارض واحدة لان جوهرهم الداخلي وحقيقتهم الروحية تبقى المانية . وواضح ان الدعوة الصهيونية لتجميع اليهود حيثما كانوا في فلسطين ليست الا نسخة طبق الاصل عن هذه النظرية العنصرية وعن فكرة الجامعة الالمانية النابعة منها ، لذلك اعتبرت الصهيونية كل يهودي ، في كل زمان ومكان ، وحيثما نشأ وعاش جزءا منها ، وتابعا لها وينبغي عليه الانضمام الى بقية افراد « شعبه » على « ارض الوطن المقدسة » .

بطبيعة الحال ليست هذه الملاحظات الا اشارات سريعة الى بعض ما يحتويه مجلد « الفكرة الصهيونية » الذي يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة هي في منتهى الاهمية لفهم الحركة الصهيونية ونموها وتطورها منذ منتصف القرن الماضي حتى قيام دولة اسرائيل . اي ان مركز الابحاث قد وضع بين يدي كل باحث عربي وكل متتبع لتاريخ صراعنا مع الصهيونية مادة لا يمكن الاستغناء عنها لفهم جانب جوهري من طبيعة هذا الصراع ومحركاته الاساسية .

صادق جلال العظم

Amos Kenan, **Israel, A Wasted Victory.**
(Tel-Aviv, Amikam — Tel-Aviv Publishers, 1970).

يتوجب على جميع الذين تهمهم طبيعة الدولة التي ستقام في فلسطين الحرة في المستقبل قراءة هذا الكتاب لسببين : اولا ، للاراء التي يعرضها المؤلف ، وثانيا ، بسبب المؤلف نفسه . فقد ورد في المقدمة ان كينان كاتب ساخر ومعلق صحفي يكتب عمودا يوميا في صحيفة «يديعوت احرونوت» التي تعتبر من اوسع الصحف الاسرائيلية انتشارا. والكتاب الذي بين ايدينا هو عبارة عن مجموعة لبعض هذه التعليقات . ويقال ان لكينان اراء « يسارية تقدمية » . وربما كان ذلك صحيحا ، ولكنني اعتبر الرجل قوميا اسرائيليا وطنيا ذا نهج وضمير يساريين ، كما انني افضل تعبيره الصريح عن مواقفه على ما يحاول ان يظهره اوري افنيري من تفهم للامور او على ما تحاول ان تظهره جماعة « نيو اوتلوك » من انهم جماعة من المفكرين المتعمقين ، علما بأن افنيري وجماعة «نيو اوتلوك» يحملون تقريبا آراء متشابهة . وهذا ما يفسر مدى اهمية آراء كينان — فهي لا تصل الى عدد كبير من القراء فحسب ، بل يشاطره بها عدد لا يستهان به من الاشخاص رغم ان عددهم اقل بكثير من القراء — وتجدر الاشارة هنا الى ان الكتاب يضم مجموعة من الرسائل اللاذعة من عدد من القراء . وافضل ما يعرف به العرب والعالم كينان هو استنكاره الشديد لتدمير الجيش الاسرائيلي لقرية بيت نوبا العربية . فقد اضطر الى الهرب من الخدمة العسكرية ليتسنى له كتابة ذلك الاحتجاج الذي تقدم به شخصيا الى السلطات الاسرائيلية المسؤولة . من الطبيعي ان يقال انه كان يحتمي وراء شهرته الواسعة ، ولكن هذا لا يمنع اعتبار ما قام به ضربا من الشجاعة المعنوية .

وبالنسبة لاراء هذا الكاتب الاسرائيلي « الممتاز » حول مستقبل فلسطين واسرائيل نراه يقول : « كما في المسرحية ، هناك جانبان كلاهما على حق ... شاء الحكام ام ابوا هناك شعب فلسطيني عربي ... وهم الذين سنتفاوض

واياهم . وعلينا ان نوضح لهم ما هو حق لهم وما نعتبره حقا لنا . وستظهر الى حيز الوجود دولة، دولة فلسطينية ستوقع معاهدة سلام مع اسرائيل، ومن ثم ستنشىء الدولتان اتحادا فيدراليا فيما بينهما ... وعلى الجميع ان يعلموا انه ليس باستطاعة اية قوة في العالم ان تفرض علينا اي حل فرضا، وان الامر كذلك بالنسبة للفلسطينيين، فكما لا نستطيع فرض حل على الفلسطينيين ، ليس باستطاعتهم هم فرض اي حل علينا بالقوة المجردة ، اذ ان دولة اسرائيل امر واقع لا يمكن تغييره او تبديله . ولن يستطيع القوات النظامية او غير النظامية العربية ان تلقي بنا الى البحر ».

من الواضح ان هذا رفض صريح لفكرة الدولة الديمقراطية ، وهنا يمكن ان يقال ان هناك بين الاسرائيليين من يقبل بهذه الفكرة مما يجعلهم اسرائيليين « افضل » من اناس مثل كينان ، وهم جماعتا راكاح ومتسبن . ومع ان كينان لم يتعرض في كتاباته لجماعة راكاح الا اننا نعتقد انه يحترمهم اكثر من جماعة متسبن الذين لا يكن لهم سوى الاحتقار ، فهو يقول : « متسبن هي عبارة عن جماعة من النازحين عن البلاد الذين ينشطون في الخارج ومؤخرتهم هنا في اسرائيل ، على عكس الحركات الثورية التي عادة ما تبقى نواتها في قلب المعركة في حين تكتفي بارسال مبعوثين للعمل في الخارج ، والمكان الوحيد لعمل الحركات الثورية الصحيحة هو ساحة المعركة ، اي هنا في اسرائيل ، اما ساحة المعركة بالنسبة لجماعة متسبن فهي مقاهي اوروبة » . بلا شك فقد ردت متسبن على هذه الانتقادات ، ولا تخلو ردودها من شيء من الصحة . ولكن ما يجب ان نعرفه عن راكاح ومتسبن هو عدم وجود وزن سياسي يذكر لهما في اسرائيل — فاغلبية اعضاء راكاح من العرب ، ومتسبن فئة قليلة . وبالمقابل نرى انه يحسب الحساب في اسرائيل لاناس مثل كينان وافنيري وجماعة « نيو اوتلوك » رغم انهم ليسوا كثرة . لذا فعلى الفلسطينيين الاطلاع على تفكيرهم والرد على كل ما يكتبون . وافضل ما يعبر عن محور تفكيرهم هو ما يقوله كينان : « ليس هناك يهودي في اسرائيل يرضى باقل من السيادة القومية والسياسية ، فنحن أمة جديدة » . لذا على الفلسطينيين ان يحسبوا حسابا لهذا الاعتقاد الراسخ عند اليساريين وفضحه . وهنا لا بد لي ان اتساءل عما اذا كانت فيليسيا لانجر ، المحامية الشيوعية الاسرائيلية ، التي اشتهرت بمدافعتها عن الفدائيين المعتقلين تؤمن ايمانا عميقا بالدولة اليهودية . ولما كان من الافضل لنا الاستماع الى آراء عدو متحفظ متردد من ان ننخدع بما يشير به علينا صديق عاجز ، يصبح الكتاب ذا قيمة بالنسبة لاي فلسطيني . واود هنا لفت نظر القراء الى مقالة كتبها كينان يشجب فيها ما يسميه « صناعة البطولة » ، والسيل الذي لا ينضب من الكتب الاسرائيلية وغير الاسرائيلية التي تمجد البطولات العسكرية الاسرائيلية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكذلك الى المقالة المسلية التي يسخر فيها كينان من اليهود الاوروبيين وهم يتقاتلون فيما بينهم حول الصراع العربي — الاسرائيلي . واخيرا تجدر الاشارة الى ان كاتبا له شهرة كينان لم يستطع نشر هذه المختارات على شكل كتاب عادي في اسرائيل ، فكتابه مطبوع بـ « الاونست » بشكل غير لائق على اوراق بحجم الـ « فولسكاب » .

جـ هـ جنسن

Joseph W. Eaton, **Influencing the Youth Culture : A Study of Youth Organizations in Israel.**
(Sage Publications, Beverly Hills, California, 1970).

لعبت في الماضي تنظيمات الشباب دورا مهما في تحقيق الاستيطان الصهيوني . فكانت تهيىء الشباب ايديولوجيا وعمليا للاستيطان في فلسطين، وكانت توطد لديهم هناك مقاييس العمل الريادي وتعبئتهم عسكريا للتوسع الاستعماري . وخلال ذلك سعت تلك المنظمات حسب منطلقاتها الاجتماعية الى حث الافراد على تحقيق انماط من الحياة الجماعية تتشابه والتجارب الاشتراكية الطوباوية . ويسعى برنامج بحث ايتون الى معرفة تطور وتأثير هذه المنظمات وغيرها على الاجيال الجديدة خصوصا بعد تحقيق دولة اسرائيل وبعد تبدل نسب فئات اليهود الآتين الى فلسطين قبل وبعد قيام « اسرائيل » . فقد كان معظمهم قبل انشاء الدولة من اليهود الاوروبيين، واصبحوا بعد ذلك من اليهود الشرقيين . حظي برنامج البحث بدعم رئيسي من نظارة التعليم في الولايات المتحدة وساهمت مؤسسة فورد في دعم دراسة خاصة عن الجدناع ، كما ان صندوق جيبورا جوزيفثال الاسرائيلي مول اطروحة نائب مدير البرنامج ميشال شين ، الذي عني بدراسة العينة الميدانية اساس البرنامج . ووضع معهد سيزولد للعلوم المسلكية تحت تصرف البرنامج بعض امكانياته الادارية . ومن جهة اخرى تجاوبت مؤسسات الشباب في اسرائيل مع الدراسة مدركة اهمية نتائجها على مستقبل عملها .

اضافة الى معرفة العلاقة التنظيمية والتخطيطية بين مؤسسات الشباب والمؤسسات الرسمية والحزبية ، يسعى البحث الى معرفة نمط وموقف الاعضاء وكذلك الى معرفة نمط اختيار رواد الشباب وذلك حسب كل مؤسسة شبيبة . لا يشمل البحث جميع انواع مؤسسات الشباب بل فقط تلك المنظمات التابعة لاهم الاحزاب ويشمل ايضا الجدناع بفرعيه العسكري والمدني وكذلك برنامج ما بعد المدرسة واندية الشباب .

يؤكد ايتون منذ البدء ان النمط الرئيسي للمجتمع الاسرائيلي هو المحافظة بعد الثورة ، ويعني بالثورة الحماس للاستيطان الجماعي وانشاء دولة اسرائيل . فلذا تسعى جميع هذه المؤسسات الى اذكاء الشباب بالعقيدة الصهيونية وجعل انجازات الاجيال السابقة تراثا ومثالا يهتدى به . فالمطلوب من الشباب التمسك بالاهداف الصهيونية المجسدة لهم في دولة اسرائيل . بالرغم من اضافة عبء جديد على الشباب المنظم وهو مساعدة القادمين الجدد ، الا ان هذا العبء يقابل بعدم الحماس والتردد . واذا كانت الناحال من جهتها تمثل الارادة في بناء المستعمرات الجديدة والمتقدمة ، الا انها مجال للخدمة العسكرية يرجع معظم المجندين بعدها الى الحياة العادية واما الاخرون فينضمون الى الكيبوتسات الجدد . لقد اصبحت حركات الشباب المنظمة تقليدا اساسيا في الحياة الاسرائيلية ، ترتبط بالعقيدة والانجازات الصهيونية وتستمد اعضاءها خصوصا من شبيبة الكيبوتسات وطلبة المدارس . ويظهر اثار التقاليد او بالاحرى الوراثية في النشاط الشبيبي لدى منظمات الشباب التابعة للاحزاب حيث يجاري الابناء اباءهم في خطهم السياسي الصهيوني ، ونتيجة هذه العصبية جاء انتساب اولاد اليهود الشرقيين ضئيلا، فحسب عينة مدينة حولون ينتسب فقط حوالي ١٥ بالمائة من الشرقيين الى هذه المنظمات ومعظمهم الى المنظمة التابعة لحزب الماباي واكثر الاعضاء من الصغار بالعمر ويترك معظمهم هذه التنظيمات بعد الدراسة الالزامية . وبالرغم من ادعاء حزب المابام وتنظيمه الشبيبي المثالية الاشتراكية وتطبيقه بعض شعاراتها ، نجد ان انتساب اليهود الشرقيين اليه ضئيل جدا يكاد لا يذكر . يعلل ايتون سبب تخلف اليهود الشرقيين من الانتساب الى منظمات الشباب : اولا الى فقر معظمهم وعدم مقدرتهم تحمل تكاليف الريادة ، ثانيا الى تزمت المجتمع الشرقي وعدم افساحه المجال لاولاده خصوصا البنات للعمل مستقلين وثالثا الى فقدان العمل التعاوني لدى الاولاد الشرقيين . ان هذا الشرح بحد ذاته ادانة لتقصير الاحزاب المدعية الاشتراكية والرافعة لواء «الصهيونية» اي وحدة اليهود « وعودتهم الى ارض الميعاد » وتطوير المجتمع اليهودي هناك . وترتفع نسبة الشرقيين في كل من الجدناع والنوادي حيث وصلت حسب عينة حولون نسبة الى الجدناع الى ٣٠ بالمائة

و ٣٦ بالمائة نسبة الى النوادي البلدية وكذلك في النشاط خارج دوام المدرسة . ومع ذلك نجد ان العمل التنظيمي والتدريبي لا يشمل الا عددا ضئيلا من هؤلاء ، فالقسم الاكبر من الشرقيين ملتحق بالقسم المدني من الجدناع حيث مستوى التنظيم والتوعيةوالتدريب منخفض لانخفاض مستوى رواد الشباب ، كما ان معظم الاعضاء من التلامذة الصغار . اما القسم العسكري فيتوجه الى تلامذة الصفوف الثانوية حيث تهبط بشكل قوي نسبة الطلبة الشرقيين في هذه المرحلة الدراسية. وكذلك تتوجه النوادي المتخصصة الملتحقةبالمدارس الى الطلبة الثانويين فتقل اهميتها ايضا نسبة الى الشرقيين .

ومن جهة اخرى نجد ان نسبة الرواد القادة من اصل شرقي ضئيلة وتقل نسبتهم بين مجموع القادة عن نسبة الشرقيين الى مجموع الاعضاء . يتواجد القسم الاكبر منهم لدى الجدناع المدني ولدى منظمة الشباب التابعة للماباي لاتباع هاتين المؤسستين مبدأ توظيف الرواد وتكون هذه الوظيفة عملا محترفا لليهود الشرقيين ذوي الثقافة المتوسطة . وكما ذكر سابقا يفتقر معظمهم ، بالرغم من خضوعهم لدورات خاصة ، الى الكفاءة اللازمة لتحمل عبء رائد شباب . يعترف ايتون بالتقصير الاسرائيلي ــ الصهيوني في حقل تنظيم وتدريب الشباب اليهودي الشرقي ، ولكنه لا يلوم اسرائيل ملقيا السبب على الاولويات الحالية للمجتمع الاسرائيلي الذي لا يسمح لاعداد اكبر من الشباب الشرقي اكمال دراستهم الثانوية حيث يمكن تنظيمهم وتدريبهم . وهنا يتساءل القارىء اي نموذج خاص يود الباحث اطلاعنا عليه : هل هو مقدرة الصهيونية واسرائيل على توجيه وتطوير امكانيات جميع فئات اليهود الاتين الى ارض « اسرائيل » ، او هل هو نموذج في مقدرة الكفاءة الاوروبية على تطوير امكانياتها ضمن نشاطها الاستيطاني الحاصل في جو معاد تماما لها .وكذلك في جو استغلال للفئات اليهودية الشرقية المخشى من تفوقها العددي. نستنتج من معلومات ايتون ان خطة الصهيونية في «اسرائيل» هيالابقاء وبل تطوير الامكانيات الفردية والجماعية للاشكناز وفي نفس الوقت عدم توفير الامكانيات اللازمة لتطوير شبيبة اليهود الشرقيين الا بالقدر الذي يمنع الصاق تهمة التعصب العرقي بها . ولا يخشى من تمرد هؤلاء لافتقارهم الى المقدرة التنظيمية وارادة العمل الجماعي . يضاف الى ذلك سياسة تشجيع انسلاخ الفئة الجامعية منهم عن مجتمعهم الشرقي، مع العلم ان عدد الجامعيين من الشرقيين ضئيل جدا بسبب النظام الاجتماعي والتعليمي في اسرائيل . كما ادركت المؤسسة العسكرية انه لا ضرر يذكر من ابقاء انخفاض المستوى الثقافي والوعي الجماعي والمقدرة التقنية لدى الشباب الشرقي فاحاطتهم الكاملة من قبل اليهود الغربيين وتدريبهم الطويل تجعلهم اداة طيعة في خدمة الاستراتيجية العسكرية الهجومية .

يتفق ايتون مع الدوائر الرسمية الاسرائيلية من عدم امكانية تطوير التفكير الرائد الحالي ويرى التمسك بالاهداف الصهيونية اساسي للشباب للدفاع عن مكتسبات الماضي والارتباط بهذا الماضي، بل ويجد ان التوسع في استعمار المناطق المحتلة يذكي روح الريادة لدى هؤلاء الشباب ، لكنه يخشى مع عدد كبير من الاسرائيليين من ضم هذا العدد الكبير من العرب لاحتمال تغلبهم الديموغرافي مستقبلا . فليس مبدأ احتلال الارض هو الذي يقلقه بل التفوق السكاني العربي . فليس من العسير الاستنتاج قبوله ضمنيا بمبدأ اجلاء السكان العرب من الاراضي المحتلة وتحقيق اسرائيل الكبرى . وفي اخر بحثه يعتقد الكاتب ان السلم لن يزيد من الجمود النسبي لمؤسسات الشباب بل يرى في هذا السلم امكانية تبديل الاولويات واعطاء جهد اكبر لدمج المجتمع الاسرائيلي وتطوير الشرقيين . وهكذا افساح المجال لمؤسسات الشباب لزيادة نشاطها في هذا المجال، ولكن يطرحهنا السؤال هل اعطت التجارب الحالية منطلقا صحيحا لهذا التطوير ؟ والجواب لا ، لقد رفع لواء العرقية ــ الطبقية لاستغلال الشرقيين والابقاء على سلطة الاوروبيين . وهذا التمسك بالسلطة وما نبع عنه من استغلال سيبقى مسلكا اساسيا . ولقد ذكر ايتون نفسه ان التعليم لا يكفي وحده لتغيير القيم بل يحتاج التغيير الحضاري الى ترسخ اجيال عدة في اجواء المجتمع العصري .

نبيل بدران

Histoire d'Israël (voix et chants).
3 disques microsillon / 33 tours / 30 cm.
Production SERP., Paris.

اصدرت شركة س. ر. ب. لانتاج الاسطوانات في باريس ثلاث اسطوانات ضمن سلسلة تاريخية بعنوان « رجال واحداث من القرن العشرين » . والاسطوانات الثلاث هذه تروي « تاريخ الشعب اليهودي ونهضة اسرائيل بالاصوات » وتحتوي على « خمسين اغنية وسبعين وثيقة صوتية حقيقية » . وبالاضافة الى الاخراج الجيد والملفت للنظر هناك الاسماء الكبيرة التي تتصدر الغلاف الداخلي لهذه المجموعة الصوتية والتي تغري المرء بالاستماع اليها خاصة اذا كان من المهتمين بالقضية الفلسطينية . ومن اهم هذه الاسماء التي شاركت بصوتها (او بالاحرى جمعت اصواتها) في هذه الاسطوانات : الضابط دريفوس وليفي اشكول وغولدا مائير والبرت اينشتاين وحاييم وايزمان ودافيد بن غوريون والكونت برنادوت والبابا بولس السادس وجمال عبدالناصر (الكولونيل ناصر كما كتب على الغلاف) وجونسون وويلسون واحمد الشقيري والحسين ودايان والجنرال ديغول ، هذا بالاضافة الى عدد كبير من المغنين والفرق الموسيقية ، اليهودية والصهيونية في معظمها . كما ان واضعي هذه الاسطوانات لم ينسوا ضم اصوات بعض الاذاعات العربية (خاصة في الفترة التي سبقت الخامس من حزيران) اليها . ولا تحمل هذه الاسطوانات تاريخ صدورها الا اننا نستطيع ان نحدد هذا التاريخ في الايام التي تلت معركة حزيران ١٩٦٧ مباشرة اي في الفترة التي كانت فيها هستيريا التأييد لاسرائيل في الغرب في اقصى قوتها وزخمها .

كما تعودنا من الكتب « التاريخية » التي يصدرها الاعلام الصهيوني بغزارة والتي تشدد وتلح على ابراز الاضطهاد والظلم والغبن اللاحق بالشعب اليهودي « شعب الله المختار والفريد ومصدر الخير » (وجه رقم ١) فان هذه الاسطوانات لا تشذ عن هذه القاعدة فتصور لنا كيف نشأ هذا الشعب الصغير والمجاهر ، منذ اربعين قرنا ، وسط المصائب والمصاعب والاضطهادات وكيف استعبده الفراعنة ثم تحرر من نيرهم ليؤسس اول دولة يهودية في التاريخ في ظل داوود وسليمان اللذين اتخذا القدس عاصمة لهما . ولكن يبدو ان المؤلفين قد « نسوا » ان يذكروا لنا كيف تأسست هذه الدولة ومن كان يسكن فلسطين قبل مجيئهم وما الى ذلك من « تفاصيل صغيرة » لا يلتفت اليها عادة المؤرخون الجديون او انهم « ينسونها » لا فرق . المهم ان فلسطين قد اصبحت الموطن الاول لشعب الله المختار فكانت لهم دولة وحضارة وكانت لهم التوراة . بعد هذا توالت الضربات فجاء نبوخذ نصر وكان التشتت الاول ثم تلاه التشتت الثاني بعد مجيء المسيح بقليل . وهنا تعاقب المحتلون على فلسطين من « رومان وبيزنطيين وعرب ومماليك واتراك وانكليز ! » (هكذا) . الا ان هذا لم يفت في عضدهم فظلوا ، رغم منفاهم الذي طال اكثر من الف وثمانمئة سنة ، محتفظين بقوميتهم و«مصرين» على العودة الى فلسطين .

ويمضي مؤلفو هذه الاسطوانات في سرد تاريخ « اسرائيل » تماما كما نسمعه ونقراه عند دعاة الصهيونية في درجة عالية من التبسيط والتشويه فيتكلمون عن الاضطهاد العرقي والديني الذي اصاب الشعب اليهودي وكيف أنه لم يستطع ان يندمج في المجتمعات الاوروبية وكيف ان اليهود كانوا منعزلين « على أنفسهم ، يتكلمون لغات خاصة بهم لجهلهم بلغات البلاد التي يعيشون فيها» .

والغريب ان كل هذه الفترة التاريخية الطويلة لم تظفر من الاوجه الستة للاسطوانات الا بوجه واحد . أما الاوجه الخمسة الباقية فهي مكرسة لنشأة الصهيونية وولادة دولة اسرائيل وحرب حزيران وهي موزعة على الشكل التالي :

الوجه رقم ٢ — من بداية الاستيطان الصهيوني اليهودي في فلسطين « المهجورة والموبوءة وغير المزروعة » حتى الحرب العالمية الثانية .

الوجه رقم ٣ — من انتصار الحزب النازي في المانيا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية (احتلت هذه الفترة الزمنية القصيرة وجها كاملا للتشديد على الاضطهاد الفظيع الذي لحق باليهود في المانيا النازية ، وهذه خطة صهيونية ثابتة يراد بها استدرار العطف العالمي وبشكل خاص الاوروبي) .

الوجه رقم ٤ ــ انشاء دولة اسرائيل .

الوجه رقم ٥ ــ من الهدنة (١٩٤٩) حتى أيار ١٩٦٧ مرورا بأزمة السويس .

الوجه رقم ٦ ــ حرب حزيران ١٩٦٧ .

اننا هنا لن نحاول ان نرد او نفند المعلومات التاريخية المبتورة والمشوهة التي ضمتها هذه الاسطوانات . ان هذا العمل يتطلب وقتا طويلا جدا بالاضافة الى ان العديد من المتخصصين قد قاموا بهذا العمل على افضل ما يرام . ما يهمنا نحن الان هو التركيز على ناحيتين : ١ ــ الوسيلة الاعلامية التي توسلتها الدعاية الصهيونية بغض النظر عن المحتوى المشوه والمزيف الذي قامت هذه الوسيلة بنقله . ٢ ــ مدى فعالية ونجاح هذه الوسيلة الصوتية وبالتالي قيمة هذا العمل الاعلامي.

تتميز الحضارة الصناعية في الغرب (واسرائيل جزء مكمل له) بطاقاتها الهائلة وخبراتها المتشعبة في « صنع » الاخبار والمعلومات « الموضوعية » وفي خلق رأي عام تسيره كما تشاء أي وفقا لمصالحها المتعددة ، رغم ادعائها التزام الحرية الفكرية والنزاهة والتجرد والتحليل العميق الرصين وما الى ذلك من كلمات كبيرة باتت لا تعني شيئا سوى التكييف الفكري والتشويه الاعلامي والارهاب الايديولوجي غير المباشر . اننا باشارتنا الى هذا الواقع لا نكون قد أتينا بجديد فالسلاح الاعلامي استعمله الجميع بدون استثناء . الا ان الجديد في الامر هو اتساع استعمال هذا السلاح وعدم قدرة الانسان الغربي (بشكل خاص) الافلات من تأثيره واتخاذه ابعادا خطيرة اصبح معها جزءا اساسيا من حياة انسان النصف الثاني من القرن العشرين بالاضافة الى تغلغله الى كافة المستويات الحياتية والشعورية ، وحتى الجسدية ، خاصة وان وسائل الاتصال اصبحت توجه الى كافة الحواس الانسانية من رؤية (قراءة ، صحف ، كتب ، صور مطبوعة ، صور متحركة) او سمع (راديو ، اسطوانات ، اشرطة تسجيل) او وسائل سمعية بصرية (سينما ، تلفزيون) .

اننا نورد هذا لا للغرق في بحر من العموميات والبديهيات بل للاشارة الى ان اسرائيل قد استطاعت ان تستغل هذا الواقع الى ابعد الحدود وهي بلجوئها الى الاسطوانة كوسيلة دعائية واعلامية فانها اختارت التأثير على المستمع بأسهل الطرق وتكون قد اغرته بالانقياد اليها دون ان يبذل اي مجهود حقيقي وبالتالي فان مقاومته للتشويه والتزييف تكون اضعف خاصة وان للموسيقى والاغنية اثرها البالغ في الاجهاز على بقايا المقاومة ، هذا ان كان هناك مقاومة. والامثلة على هذا كثيرة في هذه الاسطوانات فقبل ان يروي لنا مؤلف الاسطوانة قصة مذبحة وارسو يسمعنا لمدة ثلاثين ثانية لعلعة زخات من الرصاص تثير الاعصاب الى حد الغضب والاشمئزاز . وبعد كل رواية عن اضطهاد لاقاه الشعب اليهودي يسمعنا موسيقى حزينة ومؤثرة .

ولكن هل أعطت هذه الوسيلة الاعلامية هنا كل طاقاتها وامكانياتها ؟ بكلمة اخرى : ما هو مدى فعالية هذا « التاريخ الصوتي » لاسرائيل وهل بامكاننا ان نعتبر هذا العمل الدعائي عملا ناجحا؟ للاجابة على هذه الاسئلة لا بد لنا من ايضاح الامور التالية : ان هذه المجموعة من الاسطوانات تتوجه بشكل رئيسي الى الرجل العادي الذي يسهل خداعه بسبب قلة معلوماته وبسبب لجوئه الى اسهل السبل للاطلاع على ما يجري حوله . وهو ، بسبب قلة ميله للبحث والتعمق فهو لا يستمع الى مثل هذه الاسطوانات الا في الاوقات غير العادية او في الازمات الساخنة كالخامس من حزيران مثلا . وفي رأيي ان هذه الاسطوانة لا يمكن ان تنتشر وتشترى بعد ستة اشهر من انتهاء حرب حزيران بسبب طابعها الآني والسطحي . بالاضافة الى هذا ، هناك المؤيد لاسرائيل حتى النهاية والذي يعتبر ان اسرائيل هي دائما على حق وبالتالي المستعد لان يستمع الى هذه الاسطوانة في كل لحظة ليزداد اندفاعا وحماسا في تأييده لاسرائيل . وهناك ايضا البحاثة الذي يريد ان يعرف كل شيء عن الصراع العربي ــ الصهيوني في الشرق الاوسط وهذا ايضا لن يستمع الى هذه الاسطوانة اكثر من مرة لانه سيكتشف فيها بسرعة الدعاية الصهيونية في منتهى سطحيتها وتبسيطها للامور .

ان كل هذه العوامل تجعل من هذه المجموعة الصوتية عملا غير ناجح على المدى البعيد . الا ان هذا لا يعني الفشل التام خاصة في غياب الاسطوانات العربية التي تروي تاريخ فلسطين الحقيقي .

ماجد نعمة

محمود درويش ، أحبك أو لا أحبك
(دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٢)

ها هو صوت الشاعر محمود درويش يطل علينا من قريب هذه المرة . لا تحول بيننا وبينه حدود شائكة وغامضة بقدر ما تحول بيننا وبينه حدود مفتعلة . ويطل علينا جديدا هذه المرة ايضا . لا نتوهم ان فيما يكتب هواجس ومشاعر ومواقف ، لا تشكل بالنسبة الينا الا طموحا وتوقا ومثالا . بل ها هو يتحدث هذه المرة ، ويكتب في صحف نعرفها وأمام قراء نعرفهم ، في صف واحد مع الشبان من شعراء العربية ، بحيث يدفعنا ذلك جميعه الى ان ننظر اليه بعين تعودت النظر الى الشعر بقدر ما من الحيادية . فلم يعد صوت محمود درويش يتسرب الينا كما تتسرب رائحة الارض ، ولم نعد نتوهمه مطلا من فوهة بندقية ، او من خلال قضبان حديدية صدئة . ولطالما حال ذلك التوهم بين الشاعر وبين الشعر في رأي قرائه ، ولطالما اختلط ، بفعل ذلك الوهم ، الناقد والمحب في شخص القارىء العربي ، حتى نتجت ، مما شاء الخلط ، ركامات هائلة من « الدراسات » و« المقالات » و« الهوامش » حول ما سمي « أدب المقاومة » ، مستعينين فيها ، لا بالرغبة في المكاشفة الابداعية لهذه التسريحة الخاصة من الادب العربي الحديث ، بل بالعاطفة الوطنية والقومية، وكثيرا ما خلخلت هذه العاطفة، صادقها وكاذبها على السواء ، موازين الحقيقة وصور الواقع .

ان مجموعة الشاعر محمود درويش التي صدرت تحت عنوان « أحبك أو لا أحبك » كانت حصيلة الوقت الذي قضاه الشاعر في القاهرة حتى الان . وهذا يعني ان لهذه المجموعة اهمية خاصة في نظر الشاعر ذاته وفي نظر القراء ، لانها تجيب على التساؤلات الكثيرة التي تلت خروج محمود درويش من داخل اسرائيل واختياره القاهرة : هل بقي درويش شاعر مقاومة ؟ هل موقفه هذا ، من الناحية الشعرية ، موقف سليم ، وهل تملك هذه التجربة الجديدة ان تعطيه ما كانت تعطيه حياته النضالية السابقة ؟ وكيف ستكون عليه قصائده الجديدة ؟ ...الخ

ان محمود درويش يملك قدرا كبيرا وواضحا من التوق الى التجديد ، وهو على الدوام يتعجل الشعر ، ويتعجل تجربته من اجل خطوة جديدة ، ولقد ميزه ذلك عن رفاقه من شعراء الارض المحتلة ، حيث استطاع بفترة قصيرة ان يحتل مكانة ممتازة لا بين رفاقه — وهو ليس اكبرهم سنا — بل بين الشعراء العرب ايضا . وهذا القدر من التوق لم يكن لدى درويش خارجيا قشريا بحيث يدفعه من اجل ارضاء رغبة عابرة ان يستعين بلعبة لغوية زخرفية ، او لعبة شكلية لا يطمع منها الا بالادهاش . بل هو على العكس يتسم توقه بالصبر والاناة فلقد شاء لنفسه ان يتكشف الجديد من التجربة الفنية وهو داخل « غنائيته » التي استمرت حتى الان، منذ ان كانت غنائية رومانسية في مجموعاته الاولى ، الى ان تطورت ، بفعل الشاغل الابداعي لدى الشاعر، الى الرؤيا الجديدة ذات السمة الغنائية .

ولعل من أبرز مظاهر هذا التوق الى التغيير لدى محمود درويش انه بعد فترة من خروجه الى القاهرة لم يشأ ان يخرج الى الناس بوجهه القديم الذي اعتادوه وأتقنوه بل شاء ان يخرج بجديد آخر لا يجمعه « بالقديم » من شعره الا خيوط داخلية . فكتب مجموعة من القصائد تحت اسم « المزامير » ونشرها امام الناس . وهي قصائد لم تعتمد التفعيلة وحدة وأساسا موسيقيا . بل كتبها نثرا ، مستفيدا فيها من التوراة حينا ومن بعض شعراء قصيدة النثر في العربية حينا آخر . ولكنه في كلا الحالتين لم يبعثر شخصيته الحقيقية بل حاول جهده الانضباط بحدود هذه الشخصية ، وهي محاولة صعبة دون شك ، فقصيدة النثر لها تراثها المحدود في العربية ، كميا وزمنيا ، كما ان محمود درويش خاط له لفترة نشطة ومنفعلة، جلدا لا يملك بهذه السهولة ان يتخلى عنه او يقفز منه. لهذا السبب تجد ان قصائده « المزامير » النثرية لا تنتسب اليه انتسابا كاملا شأن قصائده الاخرى ، ولكنها تتوزع بينه وبين مجموعة من المصادر الاخرى ، ولعل ابرزها وضوحا صوت الشاعر السوري محمد الماغوط . فمن منا حين يقرأ هذا المقطع على سبيل المثال لا يستحضر في مخيلته صوت الماغوط :

اعيدي الي تقاطيع اسمي

لاحتكم الى ألياف الشجر
اعيدي الي هروف وجهي
لاحتكم الى العواصف المقبلة
اعيدي الي اسباب فرحي
لاحتكم الى التراجع الذي لا سبب له
لان صوتي يابس كسارية العلم
ويدي فارغة كالنشيد الوطني
ولان ظلي واسع كمهرجان
وقسمات وجهي تتنزه في سيارة الاسعاف
لاتي هكذا ،
فانا مواطن في مملكة لم تولد ..

وسيكون دون شك استحضارا مشوها ، لان الاستقرار والكثافة في العاطفة والمخيلة مما اللذين نتجا عن تجربة طويلة لدى الماغوط ليس من السهل ان يتوفرا في محاولة درويش الجديدة ، وهي محاولة هامة وجريئة . فلقد أراد الشاعر لا ان يتخطى وجهه القديم ، بل ان يخرج منه خطوة جديدة تشكل اضافة أخرى ومنحى آخر . ولكنه في رأيي ، لم يوفق ، كما أراد لنفسه ، في قصائد النثر التي نشرت تحت عنوان « المزامير » بقدر ما وفق في القصائد الاخرى التي تضمنتها المجموعة « احبك أو لا أحبك » . انه فيها يتفجر داخل غنائيته ، التي لم يتخل عنها وحسنا يفعل ، ويصالح بينها وبين الرؤيا الشبكية المعقدة للقصيدة الحديثة . انه لم يتح للغنائية ان تغنى في خضم المباشرة والخطابية ، وضمير المتكلم الواحد ، بل هو يعالجها لا لتكون اساسا بل عاملا مساعدا لتقريب هذا التقاطع والتركيب والجدل داخل القصيدة . ولعل العنوان ذاته يقف شاهدا على مناخ الرؤيا الجديد « أحبك أو لا أحبك » حيث يشكل تجاذب هذين الطرفين المتناقضين دائرة ، هي وحدة حية لكل شيء ، وهي تذكرنا بوحدة النقيض هذه في مجموعة الشاعر عبدالوهاب البياتي « الذي يأتي ولا يأتي » و« الموت في الحياة » . ولكن محمود درويش ، هذا الشاعر الذي جبل من ارض مستلبة ، ونشأ ونما على التحديق بها ، يملك القدرة على معرفة حدوده والقدرة على تلمس جراحه ، وهو لهذا يدرك الذي يضعه أمام بصيرته حين يكتب . ان فلسطين في شعر درويش هي وحدة كل شيء ، دائرة يتجاذب فيها الموت والحياة ، الحب واللاحب ، الشيء واللاشيء ، الصراخ والسكوت . لان انبعاثها يحتاج الى رماد ، وحياتها تحتاج الى موت . وليست هذه المعادلة الا بديلا موضوعيا للفدائي والارض ، وليس الفدائي والارض الا تجسيدا لهذه المعادلة ، من هنا تتحكم هذه اللعبة السحرية في رؤية محمود درويش « فالفدائيون اسرى توقهم للموت » من اجل احياء الارض ، كما ان الموت تذكرة الدخول الى الوطن ، حين يكون « الكلام خطيئة ، والصمت منفى » .

في قصيدة « عائد الى يافا » التي كتبها الشاعر عن الشهيد الفلسطيني ابو علي اياد ، استعادة مجسدة وحية لتلك المعادلة ، الموت — الحياة او الموت — العودة . وهي قصيدة تقف برأيي الخاص في مقدمة قصائد المجموعة جودة ونضجا . ان شفافيتها ونموها المتزن يعطيانها حاسة القصيدة الواحدة ، واشير بهذا الى بعض قصائد محمود في المجموعة وعلى رأسها قصيدة « قتلوك في الوادي » ، حيث يذهب فيها ، شأنه في بعض قصائده السابقة ، مذهب المقاطع الغنائية التي تشبه « التوقيعات » ، بحيث تنفرط القصيدة الى قصائد ، تفصلها حدة غنائيتها واستقلالها، بعضها عن البعض الاخر . وقصيدة « عائد الى يافا » هي الاخرى ، وبشكل ظاهري ، مجزأة الى مقاطع تفرزها فواصل بيضاء او منقطة ، ولكن القارىء انما يجد تلك الفواصل جزءا له دوره داخل بنية القصيدة ، وليس مجرد مساحة لاتاحة فرصة شعرية جديدة . وهي تبدأ بمقدمة أشبه ما تكون بمقدمات الاساطير ، وتختتم بها ، لتشكل دورة تامة ، والمقدمة غنيا مستوحاة من مقدمة « ملحمة كلكامش » البابلية ، في حين تبدو القصيدة من ناحيتها الشكلية متضمنة الاستيحاء العام من « ملحمة كلكامش » تلك ، حيث البحث عن الابدية هناك والعودة الى الارض الام هنا .

هو الآن يرحل عنا
ويسكن يافا
ويعرفها حجرا .. حجرا
ولا شيء يشبهه
والاغاني
تقلده ..
تقلد موعده الاخضرا .

في القصيدة يتفجر ذلك التجاذب بين الرماد والانبعاث والموت والحياة ، وان جاء هنا بصورة اكثر تلقائية واكثر مباشرة ، فها هو البطل يرحل

عنا حيا الى موت جديد لينبعث منه ثانية . انه « الآن يخرج منا » ليرحل ، نحن الذين لا نملك — حين يقدم هو دما — الا ان نقدم حبرا ، وحين يقدم شهادة مجسدة لحب الارض الا ان نقدم كلاما،

ونحن بعيدون عنه ،
لنا صورة في جيوب النساء ،
وفي صفحات الجرائد ،
نعلن قصتنا كل يوم ..
لنكسب خصلة ريح وقبلة نار
ونحن بعيدون عنه
نهيب به أن يسير الى حتفه
نحن نكتب عنه بلاغا فصيحا
وشعرا عديئا
ونمضي .. لنطرح احزاننا في مقاهي الرصيف
ونحتج : ليس لنا في المدينة دار
ونحن بعيدون عنه ،
نعانق قاتله في الجنازة ،
ونسرق من جرحه القطن حتى نلمع
اوسمة الصبر والانتظار ..

هذه التلقائية والمباشرة قد تشكل بركة راكدة في مجرى القصيدة العام ، لانها تلتقي مع تلك الصورة العامة والشائعة في قصائد بعض شعرائنا الذين وجدوا في الهزيمة حجة لتجريح الذات ، ولازمات الضمير ، والذين يتصيدون المناسبة تلو المناسبة ليقولوا عين القول السابق عن هذر الشعراء وثرثرتهم ، وعن أفيون المقاهي ، وحشيش الصحف .. الخ. ولكن محمود درويش لا يستغرق حين ينزلق ، فها هو الفدائي — الانبعاث يمضي الى غايته دون ان يلتفت الى الوراء « ليعرف الحد بين الجريمة حين تصير حقوقا وبين العدالة » و« ليس يصدق شيئا وليس يكذب شيئا » ، انه يمضي للموت — الشهادة ، من اجل الحياة ، ليترك في « حركته » ، « سكون » اللاجئين . فهو بذلك لم يكن لاجئا ، « هي الارض لاجئة في جراحه، وعاد اليها » ، ليعيد اليها تفجرها من جديد .

يقول محمود درويش في معرض اجابته عن بعض الاسئلة ، « ان ما يميز الشعر عن سائر اشكال الوعي الاجتماعي هو ان الذات تشكل محوره ولكنها ليست معزولة عن الاخرين مهما تظاهرت بالاستقلال النسبي » (ص ٣٣٨ من « شيء من الوطن » لمحمود درويش) . وهذه الحقيقة تشكل ابرز مزايا قصيدة درويش وخاصة في مجموعته الاخيرة ، واذا كان يتمثل فلسطين امرأة يحبها فيخلع عليها شتى الالوان والاشكال ، فهو هنا يضيف الى ذلك تجربة فنية جديدة ، فقد كتب عددا من القصائد يخاطب بها فلسطين — حبيبته ، او يتقمص حضورها ، او يتحدث عنها، ففي المقطع العاشر من قصائده « المزامير » يتحدث على لسان الفلسطيني — الفدائي ، فيرى ان حالة الاحتضار الطويلة التي عاناها منحته هويته ، وجعلت منه قضية حيث ادخلته البيوت والقلوب والسنابل ، ولكن رعاة الملفات والانقلابات والخطب الغضروفية حسبوه ميتا فمروا ، ولم يلفظوا اسمه : « دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات وابتعدوا .. » ولكنه عبر العمر القصير والموت الطويل يفيق فيكتب اسم ارضه على جثته وعلى بندقيته ، ليقول : هذا سبيلي ، وهذا دليلي الى المدن الساحلية « وتحركت ، لكنهم قتلوني » .

وهكذا تتفجر فيه حالة الحصار ، تلك الحالة التي اشار اليها درويش في تلك المقابلة بقوله « اني متشرب حتى النخاع بالاحساس بالحصار، والحصار ليس فكرة ذاتية اخترعتها وليس وهما يأمرني ، انه واقع يعيشه شعبي ، وعندما اكشف نفسيتي المحاصرة اكشف ، في الوقت ذاته نفسية شعبي .»

في قصيدة « مرة اخرى. » يتفجر لدى درويش الموضوع ذاته ، فها هم القتلة ينامون تحت جلده ، ويمر العسكري ليواري شفتيه ، وتصبح الحرية عبئا على قلبه .

ولعل جديدا يطرأ على قصائد الشاعر بعد خروجه، نتلمسه في زوايا « المزامير » هنا وهناك ، وفي بعض الاجزاء الخفية من هذه القصيدة او تلك ، قد لا نملك الجرأة ان نسميه أزمة ضمير حادة تلم بمناضل هجر ساحته ورفاقه ، ولكننا ندعوه حصارا جديدا ، هو اشد كثافة ووجعا ، دون شك ، من كل حصار سابق ، لانه حصار داخلي له رصيد هائل في الذاكرة لا ينضب . ففي اللحظة التي تحترف اشجار بلاده الخضرة يحترف هو الذكرى . واي قسوة في ذلك ، وها هو بين الرماد كلما أطلق رياحه فيه بحثا عن جمرة منسية لا يجد غير وجهه القديم الذي تركه على منديل امه (ص ٢٥) ، حتى ليصرخ بعنف « طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها ولا تختار حرية الريح ! » (ص ٢٢) . وفي قصيدة « أغنية الى الريح الشمالية » مقطع صغير قد يشير بخلاصة ووضوح الى ما ذهبت

اليه ، حيث يجالس ذاكرته لحسب ليتقرى بحنين
جارح اصدقاءه هناك ، مع الشجر والسلاسل
ومع البوليس والياسمين ، في حين يقف هو هنا
دون زند ، وحنجرة ، يحـاول ان يكـون ولا
يستطيع .

.. كان الحديث يمتد عن الماضي ،
وكان الاصدقاء
يضعون تاريخ الولادة بين اليافع الشجر
ودعتهم ..

نسيت حاضرتي وحنجرتي وميعاد المطر
وتركت حول زنودهم قيدي
غصرت بدون زند ، واختصمت مع الشجر
والاصدقاء هناك ينتظرون بوليسا
وطوق الياسمين
وانا احاول ان اكون
ولا اكون ..

فوزي كريم

سلمى س. حداد ، **الطلاب في اسرائيل**
(مركز الابحاث التابع لـــ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧١) .

ركزت الحركة الصهيونية منذ بدايتها الرسمية في نهاية القرن التاسع عشر على سياسة الدعاية الداخلية ، وكانت تطرق باستمرار على المبادىء التالية : ١) اليهود يشكلون شعبا فريدا ومتميزا، ٢) ان هذا الشعب يجب ان يشكل دولة قومية ، مستقلة وسياسية ، ٣) ان هذه الدولة يجب ان تكون في فلسطين والجوار ، ٤) ان جميع يهود العالم يجب ان يهاجروا الى هذه الدولة ويدعموها بكل الوسائل التي يمتلكونها ، ٥) ان اليهود في العالم لن يستطيعوا العثـور عـلى السـلام والاستقرار والكرامة الا في دولة يهودية كاملة . ان هذه المقدمة الصغيرة قد تساعد اثناء البحث عن جواب لسؤال كبير طرحته الكاتبة في دراستها ، وهو : « لماذا لم يتمرد الطلاب الاسرائيليون ضد النظام القائم في اسرائيل ، بينما المسرح الطلابي العالمي كان يعيش في حمى العنف على درجات متفاوتة ؟ » ففي وسط صخب الطلاب واضطرابهم العالميين بقيت الجامعات في اسرائيل هادئـة لا تحرك ساكنا . وحين كان الطلاب في جميع انحاء العالم ينادون بأبطالهم « راح الطلبة الاسرائيليون يؤكدون على تعلقهم بموشيه دايان والتفافهـم حوله » . وعندما رفـض طلاب العالم دولهـم ومجتمعهم ، « كان الاسرائيليون يدافعون عنها ».

وحين نادى الطلاب في العالم بادخال اصلاحات شاملة في الجامعات ، « كانت مطالب زملائهـم الاسرائيليين محصورة بتحسين الاحوال السكنية داخل حرم الجامعات » . فلماذا اذن ، « لم تصل الموجات الصاعقة للتمرد الطلابي الى اسرائيل »؟ فحرم الجامعات في اميركا اللاتينية شهدت تظاهرات عنيفة ضد الديكتاتورية العسكرية، وطالبت الحركة الطلابية في تركيا المشاركة في شؤون الجامعات كما هاجمت ارتباط الحكومـة مع الولايات المتحـدة الاميركية ، وثار الطلاب في الهنـد واندونيسيـا والفلبين وكوريا الجنوبية ضد الفساد بينما كـان طلاب جنوب افريقيا يناضلون ضد التفرقـة العنصرية . كما ان التململ الطلابي في ايطاليـا يعتبر جزءا من الاضطراب الاجتماعي السائد .

وتتبع شكاوى الطلاب الفرنسيين من ازمة عميقة المدى في الجامعات ، فمتاريس ثورة ايار ١٩٦٨ الطلابية كشفت عمق وحدة التناقض بين الدولة وما تمثله من مصالح ، وبين الشرائح الاجتماعية الدنيا — ومن بينها الطلبة بالطبع — وما تمثله من مصالح ايضا . لقد تطور الصراع في فرنسا الى قضية المطالبة باسقاط النظام القائم وقلب الحكم.

لقد صمم الطلاب في العالم على تحويل الحرم الجامعي الى ميدان للعمل الثوري لكي يتسنى لهم

تقويم الشرور الاجتماعية وايقاف الحروب ، وهم في ذلك يحاولون استعادة الكرامة الانسانية ، مع اعتقادهم الكامل ان ذلك لا يتحقق داخل المجتمع القائم . اما الطلاب العرب — لم تنسهم الكاتبة — من خلال اللامبالاة المسيطرة عليهم ، « فاليمينيون بينهم لم يتسن لهم بعد الوصول الى عتبة القرن العشرين ، واليساريون هم اما من (المتبرجزين) الذين يفكرون يساريا ويعيشون برجوازيا ، او من الديماغوجيين الذين يخلطون بين الثورة والشعارات الفارغة » .

لماذا اذن ، يساهم الطلاب في تغيير العالم على درجات رفض متفاوتة ، حين يعمل طلاب اسرائيل على تركيز استمرار ودعم المؤسسة الصهيونية ؟ جعلت الكاتبة من هذا السؤال محور دراستها ، وربطت حالة الخمول الطلابية في اسرائيل بعدة عوامل من زوايا ثلاث : « التلقين العقائدي من جانب الدولة وحركات الشبيبة والجيش . فقياس خمول الحركة الطلابية في اسرائيل بحيوية ونضج التحرك الطلابي العالمي ضد الحالات الإجتماعية المختلفة السائدة ، من الخطأ قبوله ، لان الحركة الطلابية الاسرائيلية ليست خاملة على الاطلاق ازاء دعم ودفع المؤسسة الصهيونية وهي تبني المجتمع (العصري) » . ولكن قبل عرض العوامل من زواياها الثلاث ، لا بد ان نشير الى ان دراسة الكاتبة اقتصرت على الطلاب الجامعيين فحسب ، دون التعرض الى المدارس الابتدائية والثانوية والتي يكون « التلقين العقائدي من جانب الدولة » فيها اكثر تركيزا وفعالية ، مما يترك الاثر البالغ في نفوس الطلاب الاسرائيليين اثناء انتقالهم من مرحلة تعليمية الى اخرى . ولهذا السبب ، يقول احد الصحفيين — بثقة كاملة — « لقد خلفنا وراءنا تمرد ايام الشباب » .

● الطلاب الاجانب من اليهود ، طلاب ما وراء البحار ، هم التلامذة المدللون ، لانهم « لا يأتون لاجل اصلاح المؤسسات الاسرائيلية ، بل في سبيل تعزيزها وتقويتها » . يتلقى طلاب ما وراء البحار « عناية فائقة واهتماما بالغا في اسرائيل » ، وكل يهودي يعرب عن رغبته في الدراسة في اسرائيل « يستطيع الحصول على منحة لهذا الغرض » .

ويتم اجتذاب الطلبة اليهود من الخارج عبر العديد من المشروعات والخطط « التي تضعها اسرائيل بالتعاون مع الوكالة اليهودية وغيرها من الهيئات والمنظمات الصهيونية » . وتقوم مؤسسة العلاقات الثقافية مع الدياسبورا (الشتات) ، بالاضافة الى تصدير الثقافة الاسرائيلية الى الخارج ، « بتمويل اقامة طلاب ما وراء البحار في اسرائيل وتأمين استيعابهم » . لقد نال الطلبة الوافدون مؤخرا حصة نسبية من التمثيل في اتحاد الطلبة الاسرائيليين ، « ولهم افضلية على غيرهم من الطلاب في التسهيلات السكنية، مثلما ان الجامعات تخصص لهم مستشارين ومرشدين لرعاية شؤونهم على حدة » . فالمسؤولون الاسرائيليون يحرصون كل الحرص على عدم اغضابهم او تعكير مزاجهم ، «وتقدم لهم فرص الاستخدام الصيفي في الكيبوتزات والمدن الانمائية ، او يتم توظيفهم كقادة للشبيبة ، بينما يحظى المؤهلون بينهم بوظائف مهنية تتناسب مع كفاءتهم » .

اما بالنسبة للطلبة العرب ، فقد ساء وضع هؤلاء بعد حرب حزيران ، « فلا يجوز لهم التمتع او الاستفادة من التسهيلات الممنوحة لغيرهم » . فالعديد من طلبة الجامعات : « من الجنود الاسرائيليين الى اعضاء الكيبوتز والموشاف والطلاب القادمين من وراء البحار ، يتاح لهم حضور دروس اعدادية خاصة لتمكينهم من الالتحاق بالجامعات » ، والطلبة العرب ، في الواقع ، لا يتمتعون بمثل هذه الامتيازات .

اما فيما يتعلق بالطلاب الاسرائيليين ، فمن المؤكد ان الطلبة القادمين من الكيبوتز او الموشاف المغلقة ، او الذين يتربون تحت انظار وعناية السلطات المسؤولة في دائرة تهجير الشبان والاحداث « لا يمكنهم بحال من الاحوال ان يجلبوا معهم الى الحرم الجامعي بذور الحماس الثوري » المتوافرة لدى باقي طلاب العالم .

● مع تصاعد التململ الطلابي في العالم عمدت المؤسسات الصهيونية الى مضاعفة يقظتها وحذرها في معالجة شؤون الشبيبة ، فاسرائيل هي المحور الرئيسي الذي يدور حوله تلقين الشبيبة وتشريبها بافكار معينة . « فالامين العام للهستدروت يقترح على الشبيبة الاسرائيلية ثورة دائمة ، قوامها الحفاظ على اهداف المؤسسين لحركة عمال اسرائيل : الهجرة والاستيطان وخلق المجتمع السوي واحياء الشعب اليهودي واقامة اقتصاد عادل » . بما ان الطلاب في الخارج ثاروا ضد الهوة التي تفصل بين الايديولوجية الرسمية والواقع

الملموس ، فلماذا لا « يتفاخر الاسرائيليون بالمرونة والمساواة التي تميز نظام حكمهم ، والتغني بالهدوء الذي يخيم على شبيبتهم » . (!) حيث الحديث عن الايديولوجية ودورها في قيام التناقض ، كان على الكاتبة ان تشير الى حقيقة تاريخية والتي تتمثل في ان من احدى ميزات آلة الدعاية الصهيونية ان جعلت ما هو مخالف لروح العصر الليبرالية مقبولا عالميا ، وليس محليا وحسب . فلقد شهد القرن العشرين الليبرالي ولادة دولة من طراز ايديولوجي فريد . ان اسرائيل هي نتاج الايديولوجية اكثر من اي بلد آخر ، وهي من البلدان القليلة التي سبقت فيها الايديولوجية قيام الدولة ، وهي في ذلك تخالف اوضاع الامم الاخرى . ان الدولة التي خلقتها الايديولوجية الصهيونية فريدة لانها الوحيدة بين أمم الارض اليهودية مجتمعا ولسانا ودينا .

● « لقد نجحت اسرائيل حتى الان في طريقة معالجتها لشؤون الشباب والاحداث خصوصا فيما يتعلق بالطلاب الذين سكبتهم في قالب موحد الى حد ما » . فالاهداف التي تسعى اليها السلطات ، وفقا لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة ، هي: « تنمية الوعي اليهودي ـ الاسرائيلي لدى الشبان وغرس المبادىء الصهيونية في نفوسهم ، بالاضافة الى تلقينهم قيم الحضارة اليهودية وحب اسرائيل والولاء للشعب اليهودي » . ولاجل هذه الغاية « تحتل دراسة التاريخ اليهودي مكانة هامة في البرنامج التعليمي ، كما انها تمثل مادة الزامية في الامتحان النهائي لشهادة الكفاءة » . فالشبيبة الاسرائيلية ليست متروكة على علاتها ومحرومة من العناية والالتفات ، « فالتكوين الذي تتلقاه في المدرسة تعززه النشاطات الخارجة عن حجرات الدرس » .

ان حركات الشبيبة الاسرائيلية ترمي الى جعل الشبان اكثر استجابة مع تعاليم الدولة ، وتنمي فيهم موقفا ايجابيا من « الخدمة العسكرية » . فما ان يبلغ الشبان الاسرائيليون سن الثامنة عشرة « حتى يتقدم الجيش من مجموعهم لاكمال تربيتهم واتمام تثقيفهم » . فالجيش يقوم بدور المفاعل القوي « في عملية صهر الخليط السكاني المتنافر بالبوتقة الاسرائيلية » . وتمتد نشاطاته الى ما وراء حدود صفوفه ، لكي تستأثر بحصة ملموسة من حياة اسرائيل الاقتصادية والسياسية . يبذل الجيش جهودا تتجه صوب الانماء الزراعي ، ولا سيما في مناطق الحدود ، بالاضافة الى تدريب المهاجرين الجدد والاسهام في ادماجهم الكامل . وتعكف دائرة التربية في الجيش على تنظيم دروس تتراوح « من التعليم الالزامي للعبرية الى الحساب والبيولوجيا والتاريخ والجغرافيا والادب وغيرها من المواضيع التي تهدف في المقام الاول الى رفع المستوى الثقافي لدى المهاجرين الجدد والى تسهيل عملية اندماجهم الكامل في جسم المجتمع الاسرائيلي » . ويمارس الجيش تأثيرا تكوينيا بالغ القوة على الشبيبة الاسرائيلية ، « وبما ان الخدمة العسكرية الالزامية في سن الثامنة عشرة لكل من الشبان والشابات ، فباستطاعة الجيش الوصول الى معظم عناصر الشباب في البلاد » . ان التأثير الذي يمارسه الجيش على الشبيبة ليس محصورا بسنتين او ثلاث من سنوات الخدمة العسكرية . « فالجيش يشرف على ادارة وتمويل دروس خاصة في الميكانيكا والمواضيع التقنية داخل المدارس الثانوية » . وكنتيجة لهذا ، حصلت المؤسسة الصهيونية على تأييد ودعم الطلاب لها ، وكان هؤلاء منذ عام ١٩٤٨ « موجودين فوق كل ميادين المعارك داخل البلاد » . لقد دعي اساتذة وطلاب الكيمياء والفيزياء في الجامعة العبرية الى مساعدة البالماخ والهاغانا والارغون في صنع المتفجرات ، وفي عام ١٩٦٧ ، قبل بضعة اسابيع من العدوان الاسرائيلي « تطوع الطلاب للتبرع بالدم وقيادة الاليات والحلول محل معلمي المدارس الذين استدعوا للخدمة وغير ذلك من مهمات الطوارىء».

● يتعذر على الكاتبة « العثور على تبرير لمشاركة الطلاب في مثل هذه الاعمال المؤدية للعدوان » . فهم لم يفعلوا ذلك دفاعا عن مجتمعهم ، « لان احدا لم يضطهد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ » ، وليس دفاعا عن دولتهم « اذ لم تكن اسرائيل موجودة حينذاك » . لقد حاربوا للاستيلاء على فلسطين بقوة السلاح ولاقامة الدولة الصهيونية فوق اراضيها . « ان موقفهم ينم عن تضارب كلي في موقف الطلاب الاميركيين الثائرين والذين اشعلوا النيران في حرم جامعاتهم على سبيل المعارضة لتورط بلادهم في كل من الفيتنام وكمبوديا » . وتجد الكاتبة ان « الفرق الاعظم بين الطالب الاسرائيلي وزميله في الخارج هو ان الاول جندي قبل كونه طالبا » ، وهنا تقع الكاتبة في المنزلق الذي اشرنا اليه في محل سابق ، وهو ان دولة اسرائيل كانت

نتاجا لايديولوجية ، اي ان الايديولوجية فيها سبقت قيام الدولة . وفي هذا المجال لا بد من اضافة بضعة ملاحظات علها تساعد في « العثور على تبرير لمشاركة الطلاب في الاعمال العدوانية » التي تقوم بها دولتهم :

١ ــ ان شعبا يضطهد شعبا آخر ، لا يمكن ان يكون شعبا حرا ، ولذلك ما دامت المؤسسة الصهيونية هي القائمة على رأس الدولة ، لا يمكن، بحال من الاحوال، ان يتحول هذا الشعب المضطهد الى شعب حر الا عبر تحطيم وانهيار الصهيونية .

٢ ــ ان اليهودي المتدين ، المتعصب والمتمسك بالتوراة يمثل حالة فضولية في اسرائيل اكثر مما يمثل ضرورة ، والدولة تهتم بالامور الدنيوية وبسلطتها . فاسرائيل من اكثر دول العالم تسخيرا للتعليم والعلوم لخدمة قوتها العسكرية والسياسية. لقد خصصت الكثير للمؤسسات الجامعية ومعاهد ابحاثها ولنظامها التعليمي ككل ، وينخرط الشباب في اسرائيل في العلوم التكنولوجية والاجتماعية المتعلقة بأسباب قوة الامم المعاصرة مباشرة .

٣ ــ ان البنيان الخاص للمجتمع الاسرائيلي والبنية الخاصة للطبقة الحاكمة ليست مجرد نتائج طبيعية للديناميكية الداخلية للمجتمع الاسرائيلي ، بل هي نابعة من ديناميكية المشروع الصهيوني الاستعماري ككل .

٤ ــ اسرائيل دولة رأسمالية من نوع خاص جدا ، تحكمها شراكة طبقية فريدة من نوعها ، ولم تكن الايديولوجية السائدة في اسرائيل في يوم من الايام ايديولوجية رأسمالية محض ، بل كانت مزيجا من العناصر البرجوازية مع بعض الافكار الرئيسية والموضوعات السائدة في صفوف الحركة العمالية الصهيونية . ان احتمال تفجر صراع مؤقت بين عناصر هذا المزيج ليس ببعيد ، فالبرجوازية في الاستعمار الصهيوني كانت دوما تفضل استخدام اليد العاملة العربية الرخيصة، الا ان البيروقراطية العمالية الصهيونية تقاتل دوما ضد هذا الاتجاه وتطالب بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط. وكانت هزيمة العناصر البرجوازية بداية لنمط جديد في المشاركة في الحكم ، بحيث تلعب البيروقراطية العمالية دور الشريك الاكبر ، والبرجوازية دور الشريك الاصغر. ان هذا الترتيب في الشراكة داخل المؤسسة الحاكمة بقي دون تغيير حقيقي منذ اربعينات هذا القرن حتى يومنا هذا .

● يهتم ما تبقى من الدراسة بالمواقف الطلابية التي تبلورت وتكونت نتيجة العوامل التي تحدثنا عنها في ما سبق ، وبطبيعة النشاطات والتنظيمات الطلابية في اسرائيل . ومما لا شك فيه ان تكون مواقف الحركة الطلابية وطبيعة هذه المواقف مكرسة في مجموعها لخدمة اغراض واهداف الدولة الاسرائيلية وتنفيذ البرنامج الصهيوني .

الا انه لا بد من الاشارة الى خطأ آخر وقعت فيه الكاتبة اثناء حديثها عن اليسار الاسرائيلي (ماتسبن) الذي « يطالب بعودة العرب الى المناطق المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ » ، والذي يدعو الى اعتماد « الحل الاشتراكي » بحيث تمنح « الاقليتان » الموجودتان في الشرق الاوسط ، اي الاسرائيليون والاكراد ، حق تقرير المصير . وتتابع الكاتبة قولها ان « ماتسبن لا تتحدث عما سيحصل فيما لو اختار الاسرائيليون الوضع الراهن باسم تقرير المصير » ، وانا اقول ان ماتسبن لم تطالب باعطاء الاقليات حق تقرير المصير في ظل المؤسسة الصهيونية الحاكمة ، لان الاسرائيليين لا يمكن ان يصبحوا « ادوات اجتماعية فعالة في العملية الثورية داخل المجتمع الاسرائيلي الا مع تدمير المؤسسة الصهيونية في اسرائيل » . وزيادة من ماتسبن في التوضيح ، تقول انه من غير المرجح ان تقوم الشرائح الاجتماعية في اسرائيل « بدور طليعي في الحركة التي ستدمر المؤسسة الحاكمة».

من الواضح اذن ، ان ماتسبن تقول بمنح حق تقرير المصير للاقليات بعد سحق وتحطيم المؤسسة الصهيونية والمؤسسات الاستعمارية والعميلة القائمة على امتداد المنطقة والتي تقدم للمؤسسة الصهيونية مبرر وجودها واستمرارها .

مصطفى كركوتي

تقارير

الولايات المتحدة : لماذا تستفيد المصالح الاميركية من استمرار اغلاق القنـــاة ؟

تنقسم المصالح الاميركية عموما في منطقة الشرق الاوسط الى نوعين : مصالح اقتصادية ومصالح استراتيجية . ويمكن ان تنقسم هذه بدورها لتشتمل على العناوين التالية: ١ ــ مواجهة تغلغل الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الاخرى. ٢ ــ الحفاظ على استمرار تدفق النفط الى أوروبه الغربية . ٣ ــ حماية خطوط المواصلات البرية والبحـرية والجوية في المنطقة . ٤ ــ الحفاظ على الوضع القائم بين الدول العربية واسرائيل . ٥ ــ مساندة الرجعية العربيـة في صراع القـوى بين الدول العربية(١). ويمكن كذلك تلخيص هذه العناوين على النحو التالي : ١ ــ الالتزام بتأييد حرية تدفق النفط الى اوروبه الغربية . ٢ ــ الالتزام بالحفاظ على بقاء اسرائيل وضمان تفوقهـا العسكري . ٣ ــ الالتزام بالتصدي لاي تقدم سوفييتي في المنطقة قد يهدد بشكل مباشر او غـير مباشر المصالح الاستراتيجية لحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة ومن ثم مصالح الولايات المتحدة ذاتها .

وبقدر ما تتعلق المسالة بامداد اوروبه بالنفط فسوف يتركز الموضوع الرئيسـي حول السؤال الاتي : الى اي مدى تاثرت المصالح البترولية للولايات المتحدة بالعدوان الاسرائيلـي ، وكيف تاثرت هذه المصالح بالفعل ؟ ومن المهم ، قبـل محاولة الاجابة عن هذا السؤال ، ان نذكر بايجاز حجم وطبيعة المصالح النفطية للولايات المتحدة في المنطقة : ان ما يسمى « صناعة النفط الدولية » والذي هو تعبير يستعمل ليغطي حركة النفـط الدولية خارج اميركه الشمالية والعالم الشيوعي ، خاضعة لسيطرة سبع شركات ضخمـة تعرف ، باصطلاح نفطي ، بالكبار الدوليين. وهذه الشركات مسئولة عن انتاج ما يقرب من ٨٠٪ من الانتاج الاجمالي لنفط العالم خـارج الدول الشيوعية واميركه الشمالية . كما انها تمتلك او تسيطر على اكثر من ٧٠٪ من الطاقة الكلية للتكرير ، بالاضافة الى انها تسير ، عبر شحن طويل المدى ، اكثر من ٥٠ ٪ مـن حمولة ناقلات النفط الدوليـة العاملة(٢). وتوجد مراكز ادارة خمسة من « الكبار الدوليين » السبعة وغالبية ما تمتلكه من اسهم في الولايات المتحدة ، ويبدها جميع الاعمال الادارية الكبرى ونسبة عالية مـن الاعمال الادارية الوسيطـة . ان شركـة « ستاندرد اويل اف نيوجيرسي » (المعروفة تجاريا باسم اسو) هي كبرى هذه الكارتلات الدولية تليها شركة ستاندرد اويل اف نيويورك التي يتفرع عنها عدد من الشركات التجارية العاملة حول العالم تحت الاسم التجاري موبيل اويل . وتاتي شركة ستاندرد اويل اف كاليفورنيا في المرتبة الثالثة بين هؤلاء الكبار . اما شركة نفط الخليج التي تقوم ادارتها فـي بتسبرج فلقـد كانت منتجـا رئيسيا لنفط الشرق الاوسط الخام لفترة طويلة من الزمن لقاء فائدة تزيد على ٥٠ ٪ في حقول الكويت وعمليات التكرير والتسويق عبر اوروبه والشرق الاقصى وجنوب شرق آسيه . ويتمثل « الكبير » الاميركي الخامس في شركة تكساكو ذات المصالح الكبرى في البحر الكاريبي واميركه الجنوبية والشرق الاوسط(٣).

---

١ ــ See W. M. Rountree: "The Middle East, Fundamentals of American Policy". *Department of State Bulletin.* June 17, 1957, p. 973-976.

٢ ــ Peter R. Odell: *Oil and World Power*. Penguin Books, 1970, p. 13.

٣ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٤ . ان الشركتين الكبيرتين الباقيتين هما : مجموعة رويال دوتش / شل وشركة البترول البريطانية . والاولى عبارة عن مشروع انجليزي ــ هولندي بنسبة ٤٠ : ٦٠ لصالح الهولنديين . اما الشركـة

ان شركات النفط الخمس هذه تسيطر سيطرة محكمة على انتاج وتوزيع وتسويق النفط من البلدان المنتجة الى اوروبه الغربية ومناطق الاستهلاك الاخرى . ويمتلك الشرق الاوسط النصيب الاكبر من انتاج النفط واحتياطيه في هذه العملية . لانه على الرغم من الاكتشافات الاخرى في العالم فان الشرق الاوسط — بدون الجزائر وليبيه — يظل يحتوي على القسط الاكبر من احتياطي النفط في العالم كما تبين ارقام العام ١٩٦٧ حيث كان يحتوي على ٣٣،٩ بليون طن من اصل ٥٦،٨ بليون طن او ٥٩،٨ بالمئة من نفط العالم في ذلك العام . ويظل في الوقت ذاته المنتج الاكبر للنفط اذ بلغ انتاجه ٤٩٦،٦ بليون طن في نهاية العام ١٩٦٧ اي ما يساوي ٢٧،٣ بالمئة من مجموع الانتاج العالمي. (هذا باستثناء الجزائر والانتاج الليبي الذي ينمو بسرعة)(٤). واذا اضفنا الجزائر وليبيه نجد ان مجموع عائدات الدول العربية من النفط زادت عام ٦٩ على ثلاثة آلاف مليون دولار(٥). ولقد قدرت استثمارات شركات النفط الاميركية في دول النفط العربية بحوالي ثلاثة بلايين دولار في العام ١٩٦٧ . هذا دون اعتبار الارباح في ذلك العام والتي بلغت بليون دولار(٦). ان حكومة الولايات المتحدة قد اعتبرت دوما ان من صلب مسئوليتها القومية حماية هذه الاستثمارات الضخمة ومجابهة اي تهديد لها من قبل الحكومات الاجنبية . ولقد عبر المدير السابق لمكتب المحروقات والطاقة في وزارة الخارجية الاميركية عن الموقف الرسمي للولايات المتحدة حين قال « ان حكومة الولايات المتحدة مهتمة الى حد كبير في ان تظل شركات النفط الاميركية العاملة في الخارج قادرة على متابعة عملياتها عبر البحار في نطاق علاقات متفق عليها مع معظم الحكومات ، وعلى تقديم خدمات فعالة الى الجمهور اينما وجدت ، وعلى تحقيق ارباحها الحقة بسبب ما قدمته من راسمال ومهارة وثراء الى جانب عملياتها »(٧). هناك اذن حقيقة يجب ان تظل ماثلة في الذهن وهي ان القسم الاكبر من مؤسسات صناعة البترول الدولية ونشاطها هو « جزء لا يتجزأ من مصالح الولايات المتحدة المنتشرة في انحاء العالم والتي من خلالها تصبح استثمارات الشركات الاميركية الخاصة الموظفة في جميع الدول غير الشيوعية تقريبا مرتبطة ومدعومة بالسياسة الرسمية للولايات المتحدة »(٨). واذا اضفنا الى ذلك الميزات المتوفرة للنفط العربي فلربما كان بامكاننا ان نكوّن صورة عن الاهمية الفعلية لهذا النفط . ان هذه الميزات تتمثل بما يلي : ١ — موقعه الاستراتيجي الذي يمكنه من المساهمة الكبيرة في حركة النفط في العالم وفي تسويقه وحاجياته . ٢ — رخص ثمنه اذا قورن بأسعار النفط في الدول الاخرى . (مثلا : ان ثمن البرميل في راس تنورة الذي تبلغ كثافته ٣٤،٠ هو ١،٨٠ دولار وتكلف اجور نقله وشحنه الى لندن ٢،٢٠ دولار بينما يبلغ ثمن البرميل من نوعية مماثلة في فنزويله ٢،٧٦ دولار وتبلغ تكاليف تأمينه وشحنه الى لندن ٣ دولارات) . ٣ — النوعية الممتازة والاحتياطي الكبير. (قدر وزير النفط في الجمهورية العربية المتحدة ما اكتشف حتى الان من النفط بانه لا يشكل سوى ٥٪ من الاحتياطي الممكن وجوده من النفط العربي). ٤ — يمتاز انتاج النفط العربي بما يلي : النسبة العالية للانتاج اليومي للبئر الواحدة(٩)، قلة عمق الابار ، النسبة المئوية العالية في نجاح عمليات التنقيب (٢٥٪ من البلدان العربية مقابل ١ ٪ من الولايات المتحدة) . ٥ — الانخفاض النسبي لتكاليف الاستثمار(١٠).

بعد ان تناولنا بايجاز المصالح النفطية الاميركية في الشرق العربي ، فان الخطوة المنطقية التالية

البريطانية ، فهي ملكية بريطانية صرفة تمتلك الدولة ٤٩ ٪ منها ولكن ليس لها سوى اشراف اسمي على سياسة الشركة . (**المصدر السابق** ص ١٤ — ١٥) .

٤ — Curt Gasteyager: *Conflict and Tension in the Mediterranean.* Adelphi Papers No. 51, Sept., 1968. The Institute for Strategic Studies, London, p.8.

٥ — Peter Odell, *op. cit.*, p. 163.

٦ — Don Cordtz: But What Do We Do About the Arabs? In M. D. Khaduri's (editor): *The Arab-Israeli Impasse.* Robert R. Luce, INC. Washington, 1968, p. 126.

٧ — Peter Odell, *op. cit.*, p. 24.

٨ — **المصدر السابق** ، ص ٢٥ .

٩ — « في عام ١٩٦٩ صدّر الشرق الاوسط (بما في ذلك ليبيه والجزائر ولكن باستثناء ايران) ما يزيد على ٤٤،٠٠٠ مليون برميل من النفط » . **المصدر السابق** ، ص ١٦٣ .

١٠ — *MEED*, 7 March 1969, p. 320.

هي ان نقيم اثر عدوان حزيران على هذه المصالح. ان اهم تطور حصل في فترة ما بعد العدوان كان اغلاق حكومة الجمهورية المتحدة لقناة السويس كنتيجة لاحتلال القوات الاسرائيلية للاراضي العربية . والسؤال الحيوي في هذا المجال هو : الى اي مدى اثر اغلاق القناة ، مع ان العكس هو الصحيح ، على مصالح النفط الاميركية في المنطقة ؟ بدلا من الاجابة على هذا السؤال ربما يكون من الانسب ان ننقل ما ورد في تقرير نشرته « اخبار البترول الاسبوعية » في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ . يقول التقرير « زادت ارباح شركة اسو في الفترة ما بين تموز — أيلول هذا العام (١٩٦٧) بحوالي ١٦ بالمئة عما كانت عليه في العام السابق . وبلغت ارباح اسو في الربع ما قبل الاخير من العام ٣١٥ مليون دولار اي بزيادة تبلغ حوالي ٤٣ مليون دولار عما كانت عليه في الفترة ذاتها من العام السابق . ان الزيادة في ارباح اسو لم تكن بسبب ارتفاع انتاجها داخل الولايات المتحدة ولكن ايضا بسبب زيادة انتاجها في فنزويله الى ٢٥٠ الف برميل يوميا »(١١).

ان ما يحاول التقرير ان يشير اليه هو ان اغلاق قناة السويس قد ادى الى ارتفاع الطلب على النفط الوطني في الولايات المتحدة وعلى النفط الذي ينتج في فنزويله . وحيث ان تكاليف انتاج النفط في كل من اميركه وفنزويله هي اعلى بكثير منها في الشرق العربي (يبلغ الفرق ٧ — ١٠ دولارات للطن)(١٢)، فلقد كان على المستهلكين في اوروبه الغربية ان يتحملوا الفارق الكبير في الاسعار . قال جورونديي روبرتز ، وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية ، عندما زار ج. ع. م. في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ، ان « اغلاق القناة خلال الثمانية عشر شهرا الماضية قد كلف اوروبه الغربية ٦٠٠ مليون جنيه استرليني وان خسارة بريطانيه وحدها بلغت ٢٠٠ مليون جنيه »(١٣). وفي غضون ذلك استطاعت الشركات « الوطنية » في الولايات المتحدة ان تزيد ارباحها الصافية بنسبة تتراوح بين ١٧٪ و٢٨٪ والتي تبلغ ضعفي او ثلاثة اضعاف معدل النمو العادي(١٤).

ولاحظت نشرة بلاتس اويلجرام التي تصدر عن صناعة النفط الاميركية في عددها بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٦٨ ان مكتب المعادن في وزارة الداخلية أعد تقريرا جاء فيه « ان الانتاج الخام للولايات المتحدة في عام ١٩٦٧ ، تحت تاثير ازمة الشرق الاوسط ، اضاف ٥،٨ بالمئة الى ٣،٢ بليون برميل بلغت قيمتها ٩،٣٦ بليون دولار بمعدل ٢،٩٢ دولار للبرميل الواحد ، في مقابل ٢،٨٨ دولار في العام ١٩٦٦ ، وذلك حسب المراجعة التي اجراها مكتب المعادن في نهاية العام »(١٥). ولكن عندما بدأت عمليات نقل نفط الشرق الاوسط حول رأس الرجاء الصالح تصبح أمرا معتادا حصل انخفاض في الطلب على النفط « الوطني » الاميركي . ولكن زيادة الطلب على « الكبار » الاميركيين استمرت خلال عامي ٦٨ و٦٩ . وهكذا بينما زادت ارباح منتجي النفط « الوطني » الاميركي بنسبة ٣ ٪ في العام ١٩٦٨ نجد ان ارباح « الكبار » الاميركيين ارتفعت بنسبة ١٠ ٪ كما ارتفعت ارباح شركة رويال دوتش شل بنسبة ١٥ ٪(١٦) وفوق ذلك « فان ارباح الخمسة الكبار في الثمانية عشر شهرا الاولى التي تلت حرب الايام الستة ، تفزت من ٤٤،٦٠٠ مليون دولار الى ٥٠،٥٠٠ مليون دولار ، اي بزيادة تبلغ حوالي الف مليون دولار »(١٧). ان كل هذا يؤدي كما يبدو الى الاستنتاج القائل بأن عدوان حزيران واغلاق قناة السويس الذي نتج عنه قد اديا الى ايجاد وضع يعطي فوائد اقتصادية للولايات المتحدة لابقاء الامور على حالها ولكي تمتنع عن الاندفاع بقوة نحو اية تسوية قد تؤدي الى تغيير الوضع الراهن(١٨).

---

١١ — Petroleum Intelligence Weekly, October 30, 1967, Quoted in *International Affairs*, April 1969, p. 34.

١٢ — **المصدر السابق** ، ص ٣٤ .

١٣ — *The New Middle East*, May 1969, p. 37.

١٤ — *International Affairs, op. cit.*, p. 33.

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٣٣ .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٣٤ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، راجع ايضا مجلة **ذي نيو ميدل ايست** عدد ايار ١٩٦٩ ، ص ٣٧ .

١٨ — في مقالة بالغة الدلالة بينت صحيفة **الصنداي تايمز** بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٧٠ ، ان « عمالقة » النفط قد اختاروا سياسة تقوم على استنتاج مؤداه ان قناة السويس لن تفتح في المستقبل القريب .

اما الاعتبار الهام الاخر المرتبط باغلاق قناة السويس فهو اعتبار سياسي. اعتبار يتعلق مباشرة بالستراتيجية الاقليمية للولايات المتحدة وباستراتيجيتها العالمية الشاملة في النهاية في مواجهة الاتحاد السوفييتي . وبكلمات بسيطة فان الامر كله يتركز اساسا حول السؤال فيما اذا كانت اية تسوية سياسية تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ستعزز كذلك المصالح الستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة . ان تفحص اهمية قناة السويس من وجهة النظر الروسية يشكل احدى الوسائل لمناقشة هذا السؤال .

ان سعي السوفييت من اجل الحصول على موانىء في المياه الدافئة ومنافذ على المحيطات يمكن ان يعود الى اواسط الخمسينات ، وان البناء البحري الحاضر يعود الى عام ١٩٦٤ حين اتخذ قرار بتشكيل « وحدة البحر المتوسط » كجزء من اسطول البحر الاسود(١٩). وتشير التطورات الاخيرة الى ان الاتحاد السوفييتي كان يطور استراتيجية بحرية اكثر ملاءمة لصورته كدولة كبرى . وبحسب ما يقول الاميرال كاساتونوف ، النائب الاول لقائد البحرية فان « اسطولا حديثا يمخر المحيط بصواريخ ذرية يجب ان يكون في مقدوره حل المهام الستراتيجية ذات الطابع الهجومي في الحرب الحديثة »(٢٠). ان هذا يتضمن رغبة خبراء الستراتيجية البحرية السوفييت لمجابهة الهيمنة البحرية الاميركية في معظم المناطق البحرية وبشكل خاص في البحر المتوسط ، ومن ثم يساهم في ظهور وجود بحري روسي يهدف الى اقامة توازن اقليمي في المناطق الستراتيجية الهامة . وبهذه الطريقة يأمل الروس بأن يوجدوا في مواقع تمكنهم من منع الولايات المتحدة من القيام بأعمال لا تلقى مقاومة ضد دول صديقة للاتحاد السوفييتي . وهناك اعتبار مهم آخر يكمن خلف تطوير الاتحاد السوفييتي الكبير لقوته البحرية يتعلق برغبة السوفييت في تأمين حماية افضل لاسطولهم التجاري النامي . ان حجم الاسطول ونشاطاته في ارجاء العالم لدليل واضح على تصميم السوفييت على تحدي اسواق ومناطق غنية بالثروات الطبيعية لا زالت تحت سيطرة الاحتكارات الغربية ، وبين عامي ١٩٦٤ — ١٩٦٧ زاد الاسطول التجاري السوفييتي اجمالي حمولته من ٦،٩٥٨ الى ١٠،٦١٧ الف طن(٢١)، وكان معروفا في اوائل ١٩٦٨ بأن لدى الاتحاد السوفييتي اسطولا تجاريا ينمو بسرعة قصوى ، قياسا بمعدل نموه الحالي، وهي زيادة يمكن ان تؤدي الى تخطي الولايات المتحدة في مقدار الحمولة في اوائل السبعينات. وبالاضافة لذلك فان الاسطول الروسي الذي يتألف من ٤٤،٠٠٠ مركب صيد و٢٠٠ سفينة لدراسة المحيطات يعتبر اكبر واحدث اسطول للصيد والبحث العلمي(٢٢).

وهناك اعتبارات اخرى يمكن ان يكون لها علاقة بتزايد الوجود البحري السوفييتي الحديث :
١ — محاولة روسيه اقامة منطقة دفاعية ضد اي هجوم استراتيجي غربي . ٢ — محاولة اقامة تهديد ذري هجومي مقابل للغرب . ٣ — الدعم الايجابي للدبلوماسية الروسية في العالم(٢٣).

كان للحشد السوفييتي البحري في البحر المتوسط علاقة بالحرب العربية — الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ . ففي الفترة الحرجة التي سبقت اندلاع حالة العداء مباشرة طلبت روسيه السماح بمرور عشر سفن تابعة لها عبر المضائق التركية الى البحر المتوسط وتم لها ذلك . ومنذ ذلك الحين تتزايد عدد السفن الروسية حتى وصل الى ٤٠ سفينة بما في ذلك حاملة طائرات الهليكوبتر موسكافا التي تظهر بين وقت وآخر(٢٤). ان الوقوف على الاهمية الستراتيجية لهذا الوجود يمكن ان يتم بالنظر الى آثاره على حلف الاطلسي وقيام التوازن الجديد في المنطقة . ان الاسطول

---

١٩ — يعتقد نفيل براون ان نقطة التحول في تفكير السوفييت البحري كانت تلك التجربة المرة التي نتجت عن الازمة الكوبية في عام ١٩٦٢ . راجع : Neville Brown: The Soviet Naval Challenge, *New Scientist*, 24 October, 1968.

٢٠ — Curt Gasteyager, *op. cit.*, p. 3.

٢١ — مأخوذة عن **المصدر السابق** ، ص ٣ عن : *The Times Business News*, 6 August 1968.

٢٢ — *Times Magazine*, February 23, 1968.

٢٣ — Laurence W. Martin: The Changing Military Balance, in J.C. Hurewitz (edit.), *Soviet American rivarly in the Middle East*, Frederick A. Praeger, U. S. A., 1969, p. 63.

٢٤ — **المصدر السابق** ، ص ٦٣ .

السوفييتي ، من زاوية عسكرية صرفة ، هو اضعف من الاسطول الاميركي السادس الذي يعتبر اقوى اسلحة حلف الاطلسي . تتالف القوة العادية للاسطول من خمسين سفينة (من بينها حاملة القوة الضاربة الهجومية : القوة العاملة ٦٠) ، والقوة البرمائية (القوة العاملة ٦١) ، وقوة مشاة البحرية (القوة العاملة ٦٢) ، وقوة الخدمات (القوة العاملة ٦٣) ، وكذلك الغواصات الهجومية والغواصات الصواريخ وحوالي ٢٥ الف رجل و٢٦٠ طائرة[٢٥]. وفي حال حدوث صدام مباشر بين دول حلفي الاطلسي ووارسو ، والذي لا يصل الى مرحلة الحرب النووية ، فان الاسطول السوفييتي ، من الناحية العسكرية ، لن يغير كثيرا في الصورة الستراتيجية الشاملة . اما في حال قيام حرب عادية فان الاسطول السوفييتي يمكن ان يهاجم سفن حلف الاطلسي لكن ضمن فرص نجاح محدودة . ان العامل الحاسم سيكون في مثل هذه الحالة حملة تقوم بها القوات الشيوعية التي تتمتع بتفوق بري ضد الجناح الجنوبي وبذلك لن يكون للقوات البحرية لكلا الجانبين اكثر من دور هامشي . وعلى الارجح فان الاسطول السوفييتي سيتعرض للتدمير في هذه العملية[٢٦].

من المهم ان نشير ايضا الى ان اية مقارنة بين الاسطول الروسي في البحر المتوسط مع الاسطول الاميركي السادس تميل بوضوح لصالح الاخير الذي يضم حاملتي طائرات قويتين كل منهما مزودة بمئة طائرة ضاربة . ويتمتع الاسطول الاميركي السادس بميزات اضافية ناجمة عن امتلاكه غواصات بولاريس وعن افتقاد الاسطول السوفييتي لغطاء جوي كاف. ويساوي ذلك في الاهمية ايضا كون الاتحاد السوفييتي لا يملك سيطرة مباشرة على المنافذ الثلاثة — مضائق جبل طارق والدردنيل وقناة السويس[٢٧]. وان ما يبدو وثيق الصلة بالموضوع الحالي هو الدور الذي تلعبه قناة السويس في التفكير الستراتيجي الروسي ليس فقط في الشرق الاوسط وانما في منطقة البحر المتوسط بشكل عام.

من الطبيعي ان استراتيجية الاتحاد السوفييتي البعيدة لاحتواء الصين ستجعله يحاول توسيع صداقته الى دول جنوب آسيه والهند بشكل خاص. ولكن الاتحاد السوفييتي لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور ما دامت قناة السويس مغلقة . اذ ان اغلاق القناة قد خلق مشاكل جديدة للاتحاد السوفييتي . فايصال السلاح الروسي الى فيتنام الشمالية يجب ان يمر الان حول راس الرجاء الصالح او بواسطة الخط الحديدي عبر سيبيريا . ان معدن الابتايت (للتخصيب) الذي تستورده من فيتنام الشمالية او الصادرات الروسية من البحر الاسود الى الشرق الاقصى يجب ان تمر عبر الطريق ذاتها والتي تعتبر في منتهى البعد . وعلى سبيل المثال تضاعف طول طريق التموين من اوديسا الى فيتنام الشمالية[٢٨]. وربما كانت الصعوبات التي تلاقيها روسيه فيما يتعلق بمحاولاتها تدعيم وجودها في المحيط الهندي بالسفن الحربية والمراكب اكثر اهمية . لان هذا الدعم ، اذا اخذنا الامور كما هي ، يجب ان يستخدم طريق راس الرجاء الصالح . ان اعادة فتح القناة سينعش السياسة الروسية شرقي السويس الى حد كبير ويزيد من قدرتها على التحرك . وسيؤمن ذلك تسهيلات لصالح روسيه لتلعب دورا في شبه القارة الهندية وفي الخليج العربي . اما الهدف الاكبر فسيكون في محاولة تشجيع قيام نظام أمن جماعي آسيوي (لابعاد النفوذ الصيني) ، وربما محاولة ايجاد نفوذ معادل للنفوذ الغربي في المنطقة . ولكن لا يمكن النظر الى الخطط الطموحة في فراغ. بل يجب النظر اليها من خلال تنافس الدول الكبرى في المنطقة . وهذا يعني ببساطة ان اي مكسب استراتيجي لاحدى الدول الكبرى يمثل في التحليل الاخير خسارة كاملة للدولة الاخرى . بكلام آخر ان اي مكسب استراتيجي للاتحاد السوفييتي (يساعد على ذلك اعادة فتح القناة) سيؤدي بحسب التعريف ، الى تشويش استراتيجي محلي للولايات المتحدة . وسيؤدي ايضا الى الاستنتاج

---

٢٥ — *Jane's Fighting Ships 1968 - 69.* London, p. 331.

٢٦ — راجع : لورانس مارتن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤ . وراجع ايضا تصريح دنيس هيلي حول قدرة حلف الاطلسي على تدمير الاسطول السوفييتي في البحر المتوسط خلال دقائق في حال قيام مواجهة مباشرة . **التايمز** ١١ شباط ١٩٦٩. راجع ايضا : التوسع البحري السوفييتي — اكثر تواضعا مما يبدو عليه . **التايمز** ١٣ اكتوبر ١٩٧٠ .

٢٧ — Curt Gasteyger, *op. cit.*, p. 4.

٢٨ — *The Guardian*, 29 September, 1970.

المنطقي القائل بأنه انطلاقا من الوجود الروسي في البحر المتوسط فان استمرار اغلاق قناة السويس يخدم المصالح الستراتيجية للولايات المتحدة(٢٩). ان الاستنتاج الشامل المتعلق بتشابك سياسات الدول الكبرى في منطقة الشرق الاوسط بعد حرب حزيران يشير الى ان المصالح التجارية والستراتيجية للولايات المتحدة قد انتفعت تماما من استمرار اغلاق قناة السويس في حالة « اللاحرب واللاسلم » والتي تظهر اذا تتبعنا الاستنتاج المنطقي لذلك ، ان الولايات المتحدة ، مدفوعة بالعوامل المذكورة سابقا ستكون سعيدة جدا باستمرار الوضع الراهن الجديد (الناشىء عن نتائج حرب حزيران ١٩٦٧) وبقيام حقيقة سياسية جديدة كأمر واقع في النتيجة . ان خط النقاش هذا يمكن ان يدعم بالوقوف على الجو السياسي الذي يحكم علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية .

ويمكن ايجاز ذلك على النحو الاتي : ١ ــ ان على الولايات المتحدة ان تقوم بتغيير هام في علاقاتها مع اسرائيل قبل ان يكون باستطاعتها تلبية الحد الادنى مما يطلبه بعض القادة العرب الذين لا يزالون يتوهمون امكان حصول هذا التبدل في السياسة الاميركية . وهذا يتطلب ان يكون لدى الاميركيين رغبة في ان يحلوا مكان الروس في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية وهو أمر لا يبدو محتملا على الاطلاق في المستقبل القريب(٣٠) على الاقل . وهذا يعني ان الولايات المتحدة ستستمر بدعمها لاسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا وستواصل في الوقت ذاته دعمها للانظمة العربية التقليدية . ٢ ــ ان اكثر المسائل تعقيدا في حسابات السياسة الخارجية الاميركية في منطقة الشرق الاوسط لا بد ان يكون مرتبطا بالوجود الروسي السالف ذكره في المنطقة . والصعوبة هنا تدور حول عدم قدرة الولايات المتحدة ، دون ثمن حرب مباشرة ، على فعل اي شيء حيال ذلك . ان الروس يقدمون مطلبا معقولا عندما يطلبون سحب الاسطول السادس على اساس ان ذلك الاسطول يعمل في مناطق بعيدة جدا عن اراضي الولايات المتحدة . ومن جهة اخرى فان وجودهم المسلح في مناطق ليست بهذا القرب من حدودهم وليست بهذه الحيوية بالنسبة لامنهم ، ليست غير طبيعية بالقدر الذي يكون به وجود قوات تابعة لدولة كبرى بعيدة(٣١). اما من وجهة نظر الولايات المتحدة فان اية حدود توضع على وجودها في البحر المتوسط ليست مقبولة لانها في النهاية ستعطي انطباعا بأن الولايات المتحدة لم تعد القوة المسيطرة في المنطقة. وهذا يظل صحيحا حتى لو قرر الاتحاد السوفييتي القيام بتنازلات بحرية متبادلة . ففي حالة كهذه سيعني تصرف الولايات المتحدة اعترافا بكونها خاسرا محتملا ، لانه سيعني دفعها من موقع التفوق الستراتيجي الى منطق التساوي الستراتيجي . ومن هنا فان اي « ترتيب » كهذا سيعني «هزيمة» سياسية ونفسية للولايات المتحدة ولذا فانه لن يكون مقبولا لها ابدا .

ازاء هذه الخلفية تبدو القرارات المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط مقتصرة كما اشرنا سابقا على الحفاظ على الوضع الراهن وهذا يعني ، اذا دفعنا الامور خطوة الى الامام ، دعم تفوق اسرائيل العسكري ضد الدول العربية. وعلى هذه الخلفية ذاتها ايضا يمكن الاستشهاد بمثال واحد بين امثلة عدة هو القرار الذي اتخذه الرئيس جونسون بتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم(٣٢).

غير ان من المحتمل ايضا ان تسعى الولايات المتحدة الى فرض اتفاقية فتح قناة السويس برغم الاعتبارات الانفة الذكر ، وضمن ترتيب يحفظ اكبر قدر ممكن من الوضع الراهن ، وذلك في سبيل ارضاء الدول الاوروبية واثبات انها صاحبة الكلمة الاولى في حل النزاعات الاقليمية .

طالب يونس

---

٢٩ ــ في الحرب لا يوجد حتى الان وجود سوفييتي لا يستطيع الحلفاء الغربيون ان يهتموا به ، ومع ذلك فان التوازن في المحيط الهندي والخليج يمكن ان يتغير بسرعة .

٣٠ ــ See Robert E. Hunter: *The Soviet Dilemma in the Middle East*. Adelphi Papers No. 59. The Institute for Strategic Studies, London, p. 16.

٣١ ــ See: Laurence W. Martin, *op. cit.*, pp. 73-74.

٣٢ ــ Arab Report and Record, 1-5 October 1968, p. 816.

الامم المتحدة : أصدقاء العرب والفلسطينيين وأعداؤهم
مسح لعمليات التصويت في الامم المتحدة ١٩٦٧ ــ ١٩٧١

في العام ١٩٧١ منحت الاسرة الدولية الشعب الفلسطيني « موطنا محليا واسما » وذلك بعد تطواف هذا الشعب لمدة خمس وعشرين سنة في ردهات الامم المتحدة كالشبح الهائم . فقد صنف الفلسطينيون ، وبشكل صحيح ، كـ « نازحين » وليس « لاجئين » كما قرر بأن للنازحين الفلسطينيين حقا ثابتا في تقرير المصير ، الامر الذي لا يمكن ان يتم سوى في فلسطين نفسها . ان هذا لهو اهم عنصر جديد وهام يبرز من خلال اي مسح لعمليات التصويت في الجمعية العامة للامم المتحدة حول مشاكل الشرق الاوسط منذ ١٩٦٧ وحتى ١٩٧١ . وتطور جديد آخر هو انه اصبح بالامكان الان ايجاد تمييز بين القرارات انتي تتعلق بشكل محدد بالقضية الفلسطينية ، بجوانبها المختلفة ، والقرارات الاخرى التي تتعلق بشكل مباشر بالمجابهة العربية ــ الاسرائيلية التي تعتبر اوسع من القضية الفلسطينية . وهذا ما يجعلنا نتحدث ، كما في عنوان هذا البحث ، عن « الفلسطينيين » و« العرب » كلا على حدة .

يظهر التصويت خلال هذه السنوات الخمس ان اصدقاء الفلسطينيين والعرب في الامم المتحدة في تزايد ، مع ان التزايد بالنسبة للقرارات المتعلقة بالفلسطينيين لا يعادل التزايد بالنسبة للقرارات المتعلقة بالعرب ككل . ولا ينعكس هذا الاتجاه الايجابي في التصويت فحسب ولكن ايضا في عدد القرارات التي اتخذت في ١٩٧٠ و١٩٧١ وكذلك في صياغة هذه القرارات .

لقد صوتت الجمعية العامة على ثلاثة قرارات في السنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ و١٩٦٩ ، وعلى ستة في ١٩٧٠ ، وعلى ما لا يقل عن سبعة في ١٩٧١ ــ وهذه الاخيرة كانت حول مواضيع القرارات نفسها التي اتخذت في ١٩٧٠ بينما كان السابع يتعلق بالوضع في غزة . وثلاثة من القرارات الستة تتعلق بالانروا والثلاثة الاخرى بالشعب الفلسطيني ولجنة التحقيق الدولية حول ممارسات اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة والوضع في الشرق الاوسط . وعدد الاصوات المؤيدة للعرب او للفلسطينيين بالنسبة لهذه القرارات في ١٩٧٠ كان بشكل تنازلي ١١٤ ، ١١١ ، ٩٣ ، ٥٧ ، ٥٢ و٤٧ . والتدقيق في صياغتها يساعد في تصنيفها بين مؤيد ومعارض ، وخاصة الاخيرة . وستكشف المقارنة القضايا التي تجعل اسرائيل واصدقاءها يحولون اصواتهم من موافقة شبه اجماعية ، ١١٤ و١١١ مؤيدا ومعارض واحد او معارضين الى موقف سلبي كانت نتيجته ٤٧ مؤيدا و٢٢ معارضا و٥٠ ممتنعا عن التصويت.

وعمليتا التصويت الايجابيتان الكبيرتان كانتا حول القرارات العادية المتعلقة بالانروا والتي تتخذها الجمعية العامة كل سنة ، وهي تتعلق بتمديد مهمة الانروا وبتوجيه نداءات لدعمها ماليا. والقرار الايجابي التالي ، ٩٣ مؤيدا و٥ معارضين ، يلقي ضوءا على اول دليل بالنسبة لما بدا اصدقاء اسرائيل يمقتونه في هذه القرارات المؤيدة للعرب . وهذا القرار (القرار D تحت عنوان الانروا) يعتبر بمثابة علامة بارزة وذلك لانه ولاول مرة لا يشار الى الفلسطينيين كـ « لاجئين » ولكن كـ « نازحين » ، خمس مرات في ثماني فقرات قصيرة ، بعد ان اتفق في ١٩٦٩ على تسميتهم « نازحين ولاجئين » . ومع ان التسمية الجديدة تطبق فقط على اولئك الذين طردوا في ١٩٦٧ وما بعدها ، الا انها تعتبر خطوة كبيرة الى الامام على اعتبار انه لو اطلقنا على هذه المجموعة اسم « نازحين » بدلا من «لاجئين» ، يصبح من الواضح ان اولئك الذين طردوا في ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ في ظروف مماثلة هم ايضا « نازحون » وليس « لاجئين » . واذا ما وضعنا هاتين التسميتين جنبا الى جنب نرى ان تعبير « النازحين » يتضمن بشكل تلقائي وجود قوة وراء عملية النزوح ، الا وهي اسرائيل، لذلك فهي تختلف جذريا عن كلمة « لاجىء » المحايدة والمبتذلة . وقد طلب القرار الى اسرائيل اتخاذ خطوات لاعادة النازحين ، ولكن الافتراض سليم بأن الاصوات المعارضة كانت ضد الصياغة بالقدر الذي كانت فيه ضد التوصية التي تضمنها القرار. اما القرار الذي نال ٥٧ صوتا مع ١٦ معارضا و٣٦ ممتنعا عن التصويت ــ اي ان عدد الاصوات المعارضة يعادل عدد الاصوات المؤيدة ــ فكان حول قضية جديدة هي « الوضع في الشرق الاوسط » . وقد كان هذا قرارا عربيا لانه يتعلق بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ككل ، وهذه اول مرة

تفعل الجمعية العامة ذلك منذ جلستها الخاصة في صيف ١٩٦٧ . وهو يدل على ان الامم المتحدة ادركت انه لم يعد بامكانها تجاهل وضع خطير كهذا . ومن وجهة نظر اسرائيل واصدقائها الخمسة عشر ، كانت المعارضة حول تأكيد القرار بعدم السماح بالتوسع الاقليمي وبوجوب سحب اسرائيل لقواتها من الاراضي العربية المحتلة ، مع انه قوبل بتأكيد آخر بضرورة عقد سلام قائم على الاعتراف بالسيادة داخل حدود آمنة ومعترف بها .

والقرار الذي عارضته اسرائيل بشدة اكثر هو القرار المتعلق بلجنة التحقيق الدولية حول ممارسات اسرائيل في الاراضي المحتلة ، والذي حظي بتأييد ٥٢ صوتا ومعارضة ٢٠ وامتناع ٤٣ عن التصويت . وجدير بالملاحظة هنا الاشارة الى ان الامتناع عن التصويت هو بمثابة المعارضة علما بأن العرب يريدون اصواتا مؤيدة حرموا منها نتيجة لهذا الامتناع . ومع ان هذا القرار صيغ بعبارات ملطفة الا انه جوبه بمعارضة لانه ايد تقرير اللجنة الذي فيه انتقادات شديدة لاسرائيل . وبالمقارنة مع ذلك التقرير التفصيلي المفعم بالانتقادات لاسرائيل يبدو قرار ١٩٧٠ ليس اكثر من تمرين اكاديمي في علم السياسة . ومع هذا فقد نال القرار (C) المتعلق بالاتروا ٤٧ صوتا مقابل ٢٢ معارضا و٥٠ ممتنعا عن التصويت . ولكن لماذا عارضته اسرائيل واصدقاؤها كل هذه المعارضة ؟ لقد حدث ذلك لانه اعترف بمبدأ هام وجديد يتعلق بأصول القضية الفلسطينية . وتؤكد هذه الصيغة الموجزة في خمس فقرات ان « لشعب فلسطين » — وقد تكرر هذا التعبير ثلاث مرات — حقوقا ثابتة معينة ، منها حق تقرير المصير ، حرم منها حتى الان ، ولكن يجب ان تنال « الاحترام الكامل » في المستقبل . والقرارات السابقة التي مهدت لهذا القرار اشارت الى هذه الحقوق ولكنها لم تحدد انها تشمل « حق تقرير المصير » . ومثل هذه الصياغة ترفع المسألة الفلسطينية من مجرد كونها قضية انسانية تتعلق بـ « لاجئين » وتعيد صياغتها ككفاح شعب من اجل حريته . وهذا لا بد من ان يطرح على بساط البحث مسألة عدالة خلق دولة اسرائيل ذاتها . ومن الناحية العربية يعتبر قرار كهذا نال ٤٧ صوتا مقابل ٢٢ ، امرا مشجعا اذ أنه يوجه ضربة الى الاسس المعنوية والقانونية لاسرائيل . وهكذا فان قرارات ١٩٧٠ تشكل انطلاقة كبرى بالنسبة للفلسطينيين لانها اظهرت انه رغم الدعاوة الاسرائيلية والضغط الاميركي بدأ عدد كبير من الدول ، بعد زمان طويل ، في تفهم طبيعة الشعب الفلسطيني والحيف المأساوي الذي لحق به في الامم المتحدة وعلى يدها . وبالمقابل لم تنجح دورة الجمعية العامة في ١٩٧١ في ايجاد اسس جديدة ، ولكنها كانت ذات اهمية من حيث ان الاراء الجديدة المؤيدة للفلسطينيين والعرب والتي قدمت في العام السابق حظيت بمزيد من التأييد . وهكذا فيما يمكن تسميته « قرار حق تقرير الفلسطينيين لمصيرهم » نال ستة اصوات مؤيدة اضافية ، اي ٥٣ بدلا من ٤٧ ، ولكن ٢٣ بدلا من ٢٢ معارضا ، مما يدل على ان الاسرائيليين كانوا لا يزالون يعملون ضده . والقرار العربي المتعلق بالوضع في الشرق الاوسط نال ٢٠ صوتا اضافية ، اي ٧٩ بدلا من ٥٧ . والتصويت الاخير هذا يشكل انتصارا مزدوجا لانه نال هذه الاصوات الاضافية مع ان صياغته اكثر شجبا لاسرائيل من قرار ١٩٧٠ . وفي الحقيقة ، بعد ايراد عموميات ١٩٧٠ يتوجه القرار مباشرة الى اسرائيل ويطلب اليها الرد بالايجاب على مبادرة يارينج السلمية ، وهذا ما يمكن اعتباره توبيخا غير مباشر . اما القرار المتعلق بلجنة التحقيق فقد نال صوتا اضافيا واحدا . ومن جهة اخرى ، خسر « قرار النازحين » خمسة اصوات ، من ٩٣ — ٨٨ ، ولما كان النص هو نفسه ، نص قرار ١٩٧٠ ، فان هذا الانخفاض كان نتيجة للاتصالات والضغوط الاسرائيلية المستمرة ضده . ولا بد للمرء ان يلاحظ هنا وجود عدد لا بأس به من الذين يمتنعون عن التصويت حول القرارات المتعلقة بالشرق الاوسط ، ولا يقل هذا العدد ابدا عن ١٠ واحيانا ١٥ ، مما يعبر عن السأم الذي بدأ الكثيرون في الامم المتحدة يشعرون به حيال قضية تبدو وكأنها مزمنة لا نهاية لها ، والسأم ايضا من الخطابات الطويلة لبعض الوفود العربية .

ومع هذا ، فان الزيادة في عدد القرارات يدل على ان الامم المتحدة ككل بدأت تظهر مزيدا ، وليس قلة ، من الاهتمام بقضايا الفلسطينيين ، والنزاع العربي — الاسرائيلي . ومع هذا الازدياد في الاهتمام وبمعرفة هذه القضايا ازداد التأييد العربي . وتبل استعراض اسباب هذا التطور

الايجابي نرى من الضروري معرفة من هي الدول والقارات التي تؤيد العرب وتلك التي تؤيد اسرائيل . وقد اظهر تحليل قمت به لعمليات التصويت في الامم المتحدة خلال ١٩٦٧ و١٩٦٨ ـ صدر على شكل كتيب بعنوان « اسرائيل والدول الافروآسيوية » عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ـ ما يلي :

الاصوات المؤيدة للعرب

	تاييدا كاملا	تاييدا قويا	المجموع
آسيه	افغانستان ، سيلان ، الهند ، اندونيسيه ، ماليزيه ، باكستان .	بورمه ، قبرص ، اليابان، تايلاند، تركيه	١١
افريقيه	بورندي ، كونجو (برازافيل) ، غينيه ، مالي ، سنجال ، الصومال .	كميرون ، نيجيريه ، تنزانيه ، فولتا العليا .	١٠
اوروبه	الاتحاد السوفياتي ، يوغسلافيه ، ٧ دول من المعسكر الاشتراكي	اليونان ، رومانيه ، اسبانيه	١٢
اميركه اللاتينية	لا احد	كوبه	١
اميركه الشمالية	لا احد	لا احد	صفر
			٣٤

الاصوات المؤيدة لاسرائيل

	تاييدا كاملا	تاييدا قويا	المجموع
اسيه	لا احد	لا احد	صفر
افريقيه	لا احد	بتسوانا ، غامبيه ، ليسوتو ، داهومي ، ليبريه ، ملاوي ، مدغشقر ، رواندة .	٨
اوروبه	لا احد	لا احد	صفر
اميركه اللاتينية	لا احد	جمهورية الدومينيك ، الاكوادور ، السلفادور ، نيكاراغوا ، بنما ، براغواي .	٦
اميركه الشمالية	لا احد	الولايات المتحدة	١
			١٥

وبالنسبة للسنوات ١٩٦٩ و١٩٧٠ و١٩٧١ سنحلل خمس عمليات تصويت نالت فيها القرارات المؤيدة للعرب أقل من ٦٠ صوتا ، اي نصف اعضاء الامم المتحدة ، لان هذا العدد من الاصوات القليل نسبيا ، يمثل دولا تؤيد العرب تأييدا ثابتا في حين ان التأييد في عمليات التصويت الكبيرة ، يمكن ان يمثل دولا تؤيد العرب مجرد تأييد شكلي. وسنعتبر ان الدول التي أيدت خمس مرات في الخمس مرات مؤيدة تأييدا « كاملا » والدول التي أيدت ثلاث او اربع مرات في الخمس مرات مؤيدة تأييدا « قويا ».

ولمعرفة اصدقاء اسرائيل يمكن ان نحلل ثماني عمليات تصويت حين صوتت ٢٢ دولة او اقل ضد القرارات المؤيدة للعرب ، ويبلغ عدد هذه الدول ٣٥ ، وسنعتبر ان الدول التي أيدت اسرائيل سبع او ثماني مرات في المرات الثمانية دولا مؤيدة تأييدا « كاملا » او « تأييدا قويا جدا » لاسرائيل ، والدول التي أيدت اسرائيل اربع او خمس او ست مرات في المرات الثمانية دولا مؤيدة تأييدا « قويا » لاسرائيل . وكالسابق ، استثنينا الدول العربية من الجدول .

الاصوات المؤيدة للعرب

	تاييدا كاملا	تاييدا قويا	المجموع
آسيه	**افغانستان ، سيلان ، قبرص ، الهند ، اندونيسيه** ، ايران ، **ماليزيه ، باكستان ، تركيه** .	الصين الوطنية	١٠
افريقيه	**الكونجو (برازافيل) ، غينيه ، مالي ،** موريتانيه ، **السنجال ، الصومال ، تنزانيه ،** زامبيـــه .	**بوروندي ، نيجيريه** ، اوغنده ، غينيه الاستوائية	١٢
اوروبه	**الاتحاد السوفياتي ، اسبانيه ، يوغسلافيه ،** ٧ دول من المعسكر الاشتراكي .	البانيه ، **اليونان ، رومانيه**	١٣
اميركه اللاتينية	**كوبـــه** .	لا احد	١
اميركه الشمالية	لا احد .	لا احد	صفر
			٣٦

الاصوات المؤيدة لاسرائيل

	تاييدا كاملا او قويا جدا	تاييدا قويا	المجموع
آسيه	لا احد	لا احد	صفر
افريقيه	لا احد	ملاوي ، ليبريه	٢
اوروبه	لا احد	لا احد	صفر
اميركه اللاتينية	كوستاريكا ، نيكاراغوا	**السلفادور** ، غواتيمالا ، **بنما ، جمهورية الدومنيك** ، اورغواي ، **براغواي**	٨
اميركه الشمالية	لا احد	كنده ، **الولايات المتحدة**	٢
			١٢

واذا ما قارنا هذا الجدول بجدول ١٩٦٧ — ١٩٦٨، يظهر لنا بأنه في حين ازداد كثيرا عدد المؤيدين جزئيا للعرب ، بقيت الدول التي تؤيدهم عادة كما هي ، رغم زيادة دولتين . وبالمقابل انخفض عدد الدول التي تؤيد اسرائيـــل عادة الـــى ١٢ . وتبقى آسيه واوروبه اكثر قارتين صداقة للعرب ، وافريقيه لا تزال منقسمة واميركه اللاتينية معادية كعادتها . ومن الزاوية الاسرائيلية ، ليس لاسرائيل مؤيدين متحمسين في آسيه او أوروبه ، وافريقيه اقل صداقة ، واميركه اللاتينية كما هي ، ولكن كنده انضمت الى مؤيدي اسرائيل . وفي آسيه ، برزت ايران ولبالغ الدهشة كمؤيدة للعرب في حين تساقطت بورمه واليابان وتايلاند ، وهي الدول التي لم تصوت بالايجاب على اي مـــن القرارات الخمسة . وهناك ايضا تغييرات غير قابلة للتفسير في صفوف أصدقاء اسرائيل ، فكوستاريكا ، التي لم ترد في ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، اصبحت الان اقوى مؤيدة لاسرائيل في الامم المتحدة ، اذ صوتت ثماني مرات في المرات الثماني لصالح اسرائيل ، في حين تراجعت جامايكا التي لم تدل بالايجاب بأي صوت لصالح اسرائيل . والواقع ان الدول التي تظهر بحرف أسود تظهر على هذا الجدول والجدول الذي سبقه، وهي تعطي الرد على السؤال المتعلق بمن هم الاصدقاء الحقيقيون والاعداء الحقيقيون للفلسطينيين والعرب . اما الولايات المتحدة فتبرز على الدوام ضد العرب ، اذ ايدت اسرائيل ما لا يقل عن خمس مرات في المرات الثماني . وفي الحقيقة ، كلما كان عدد الدول المؤيدة لاسرائيل ١٠ او اكثر ، تكون الولايات المتحدة احدى هذه الدول . ويشعر المرء ان الولايات المتحدة لم تصوت سلبا في اكثر

المرات ليس لمحتوى القرارات ولكن لانه سيكون حدثا بارزا اذا ما صوتت مع حفنة قليلة من دول اميركه اللاتينية . وكون اصدقاء اسرائيل باستثناء الولايات المتحدة وكنده من الدويلات الصغيرة هو مبعث ارتياح بالنسبة للفلسطينيين والعرب . ولكن على الفلسطينيين ان يلاحظوا بأنه في حين تكون الدول على استعداد للتصويت الى جانب القرارات العربية التي تدعو ، مثلا ، لانسحاب القوات ، فان هذه الدول نفسها اقل استعدادا للتصويت على قرارات بحت فلسطينية تهدف الى هز الاساس الذي تقوم عليه اسرائيل .

واخيرا ، عندما نحاول ان نجد اسباب التغييرات التي طرأت على اشكال التصويت ، علينا ان نوضح التغيير الرئيسي ، وهو الزيادة الكبيرة في عدد الدول التي باتت مستعدة الان لمنح التأييد للقضية الفلسطينية/العربية من وقت لآخر ، وحول قضايا محددة ، مثلا ، الدول العشرون الاضافية التي صوتت الى جانب انقرار المتعلق بالوضع في الشرق الاوسط في ١٩٧١ او الدول الثلاث والخمسون التي أيدت حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم . ولما كانت آسيه صديقة على الدوام ، وافريقيه منقسمة بالتساوي ، فان الزيادات الرئيسية لهؤلاء المؤيدين احيانا تأتي من اوروبه الغربية ومن دول اميركه اللاتينية الكبرى مثل الارجنتين والمكسيك وفنزويلا . وبالنسبة لدول اوروبه الغربية ، يعود هذا التغيير الى زيادة تعرفهم بالوضع ، ومعرفة قضية الفلسطينيين وليس القضية العربية عامة هي التي ازدادت ، والفضل في هذا يعود الى الفلسطينيين وليس الى الجهود العربية الرسمية . وتأييد دول اميركه اللاتينية للعرب احيانا غير قابل للتفسير الان سوى انه يعود الى ضعف النفوذ الاميركي في تلك القارة ، وذلك النفوذ مضافا اليه هيمنة رأس المال الصهيوني هو الذي يعود اليه الفضل في المحافظة على ولاء المجموعة الصغيرة من الدول المؤيدة لاسرائيل . ويظهر تأثير هذين العاملين بالنسبة لكنده التي اصبحت الان اكثر تأييدا لاسرائيل من السابق . وليس من قبيل الصدفة ان تكون غالبية المنطقة الانتخابية التي يمثلها ميتشل شارب ، وزير خارجية كنده ، من اليهود ، بشكل يقررون فيه نتيجة الانتخابات :

وما قصدنا تبيانه من كل هذا الاستعراض هو ان الجهود الدعاوية التوضيحية المتواصلة تثمر في النهاية ، مع ان ذلك قد يأتي متأخرا اكثر مما هو متوقع . وقد فعلنا ذلك من خلال استعراضنا للقرارات وصيغة هذه القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للامم المتحدة في السنوات الخمس الماضية . وقد رأينا ان التأييد للفلسطينيين والعرب آخذ في الازدياد رغم انه يسير ببطء . ولكن من المناسب ايضا ان نذكر ما قاله منذ مدة احد المعلقين الصحفيين في بيروت : ان بضعة انفجارات في تل ابيب والقدس ، حتى ولو لم تؤد الا الى تحطيم زجاج النوافذ ، افضل من اي قرار تتخذه الامم المتحدة .

جودفري جانسن

فنلندا : هيلما جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني

« ان الدراسة الانثولوجية للاراضي المقدسة هي دراسة جذابة بالاضافة الى انها واجب » . بهذه الكلمات قدمت جرانكفيست لكتابها « تقاليد الزواج في قرية فلسطينية » . وتشيع هذه الروح في جميع ابحاثها المنشورة بالانكليزية والتي أتيح لي الاطلاع عليها وهي الولادة والطفولة ، مشاكل الطفولة ، وتقاليد الوفاة والدفن بالاضافة لتقاليد الزواج . ان كل من يقرأ ابحاثها الاربعة هذه — والتي جاءت في خمسة كتب منفصلة — ليحس بالاهمية الخاصة التي منحتها الدكتورة هيلما جرانكفيست لدراسة الحياة الاجتماعية والحياة الشعبية في فلسطين ، كما انه سيحس بأنها عالجت الموضوع بروح من اغرمت واعجبت بحياة الناس وتقصتها بعناية علمية فائقة واعتبرتها واجبا ورسالة تستحق ان تصرف من اجلها السنوات الطوال .

تقول جرانكفيست : « ان العمل الذي تم في هذا المجال عمل ذو قيمة عظيمة . ولكنه يجب علينا ان نعترف ان هناك عملا كبيرا ما زال ينتظر من يقوم به . ولقد سرني كثيرا ان اجد تفهما كبيرا لتلك القيمة والاهمية . لقد كانت مهمتي الحقيقية علمية ، فكان علي ان ادرس دراسة موضوعية للثقافة العربية في فلسطين وذلك لاساعد في فهم ثقافة عهد التوراة ومن ثم اصول المسيحية . ان العادات والتقاليد وسائر مناحي الحياة الشعبية في فلسطين تظهر امورا غاية في الجاذبية والاهمية. وقد أظهرت لي قرية ارطاس الفلسطينية — بالقرب من بيت لحم — أنها مكان مناسب للعمل فهي تقع وسط منطقتين فولكلوريتين متمايزتين : منطقة بدوية واخرى قروية . وهناك قررت أن أبدأ دراستي الميدانية » .

في الثاني عشر من شهر آب من عام ١٩٢٥ وصلت جرانكفيست الى القدس وذلك لمواصلة دراستها لموضوع: « المرأة في عهد التوراة » واثناء معالجتها للموضوع اقتنعت جرانكفيست انه لا يمكن الحصول على نتائج كافية بالاعتماد على المراجع الادبية في المكتبات الاوروبية . وكان لها أمل في ان تتاح لها الفرصة في ان تلاحظ الحياة وظروف المعيشة اليومية في الاراضي المقدسة نفسها ، فان ذلك سيطرح ضوءا كافيا على العديد من المشاكل الحقيقية . وتلك هي الامكانية الوحيدة في التعمق في ذلك الموضوع .

وقد أتيح لجرانكفيست ان تشترك في مساق دراسي باشراف الاستاذ أ. آلت في نفس الخريف الذي وصلت فيه الى القدس من آب لتشرين الاول وذلك في المعهد الالماني الفلسطيني في القدس . وبالرغم من ان موضوع المساق كان بشكل رئيسي يدور حول الاثار فانه كان بالنسبة لجرانكفيست مقدمة معقولة لمعرفة مشاكل البحث في الحياة الثقافية الفلسطينية .

وقد اجتذب باحثتنا الى فلسطين سحر المكان الذي ينعكس في ما قرأته في الكتب الدينية عن المنطقة الجغرافية التي نزلت فيها مما رسم في ذهنها صورة جذابة للديانات الشرقية ، وقد ولد ذلك الشغف الزائد الذي ملك عليها حواسها للتعرف على حياة الشعب الفلسطيني . كما انها كانت قد اعجبت بحياة الشرق من خلال قراءتها لكتاب الف ليلة وليلة . وكان هدفها من ذلك ان تتعرف على حياة الشعب العربي بشكل عام . واستمرت توسع من دائرة اطلاعها في هذا المجال فأخذت تقرأ الكتب والابحاث الفولكلورية والاجتماعية التي اتخذت من دراسة الفولكلور في مصر موضوعا لها مثل كتاب « لاين » عن الحياة المصرية الحديثة وكتاب كال شميدت عن الحياة الشعبية في فلسطين وكتاب ليون هارد باور عن الحياة الشعبية في بلاد الانجيل وكتاب برجشتراسر عن اغاني رمضان في القاهرة. وقد ساعدها على التعمق في موضوعها تخصصها الاصلي الذي توفرت على دراسته في الجامعة وهو التربية وعلم النفس . وسنرى فيما بعد كيف انها استغلت قدراتها في هذا المجال في دراسة مشكلات الطفل النفسية . وبعد ذلك درست علم الانتروبولوجيا الاجتماعية في كل من برلين وليبزج ولندن وهي تجيد اللغات الالمانية والفرنسية والسويدية والانجليزية بالاضافة الى اللغة الفنلندية لغتها الاصلية. وان من يطلع على كتب جرانكفيست التي تناولت فيها دراسة الفولكلور الفلسطيني سيرى كيف أنها استفادت من العديد من المراجع بلغات شتى واثبتت في اواخر كتبها مقتبسات باللغات الاصلية لتلك الكتب .

وبين عامي ١٩٢٥ — ١٩٣١ وفدت جرانكفيست الى فلسطين مرتين لفترة تعادل ثلاث سنوات . وقد

حصلت على معونة مالية سخية لتغطية نفقاتها من « الاخوة الدولية للجمعية الاميركية للنساء الجامعيات » . وبعد ان اقامت فترة قصيرة قررت ان تغير موضوع دراستها التي كانت الحصول على مادة مقارنة عن المراة في العهد القديم فاصبحت دراسة الحياة الشعبية والاجتماعية في فلسطين . وهي تصف دراستها بأنها دراسة للانتروبولوجيا للعرب المسلمين في فلسطين وليس لليهود . ومن أجل ان تكون لديها الفرصة لتقديم التطور التاريخي للقرية العربية الفلسطينية وعائلاتها وعشائرها بدأت بموضوع الزواج .

واذا كانت جرانكفيست قد اختارت قرية أرطاس الفلسطينية لتكون هناك في مكان مناسب لدراسة الحياة العربية الفلسطينية فانها حصلت على تقارير من زياراتها للقدس وحيفا ونابلس . وزارت مصر مرتين . وعاشت شهرا في القرى المجاورة لنابلس. كما قامت برحلات للاماكن المجاورة للبدو وعبرت النهر الى شرقي الاردن .

وفي عام ١٩٣٧ وقبل ان تخرج الباحثة بأبحاثها الى العالم سافرت الى انجلترا بقصد الاطلاع على ما طرأ على الدراسات الانتروبولوجية والفولكلورية من تطور . وكان المنهج الوظيفي قد نشأ وازدهر في هذا الوقت على يد العالمين مالينوفسكي ورادكلف براون . وهنا توفرت على دراسة المنهج الوظيفي الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويقضي هذا المنهج باستخدام اسلوب الملاحظة وطرح الاسئلة الدقيقة لكل مناحي الحياة الاجتماعية ودراسة كل منها بالنسبة للاخر . واسلوب ذلك هو استجواب الفرد واستكناه الطريقة التي ينتمي بها للمجتمع . وكانت جرانكفيست قد طبقت في دراستها للحياة في فلسطين اسلوب الملاحظة والاستفسار . وهي تعتبر اسلوب الاستفسار غاية في الاهمية وهي بذلك تقول : « ان الناس المسنين يعرفون الكثير من العادات والتقاليد وعندما يموتون فانهم يأخذون معلوماتهم معهم الى القبر وتختفي المادة التي نحن بحاجة اليها » .

ولما كانت معرفة الظروف التاريخية التي شهدها مكان ما تعد اساسا لدراسة المجتمع فان جرانكفيست بدأت تتعرف اولا على الاحداث التاريخية التي عاشتها القرى الفلسطينية من خلال الرواية الشفوية لا من خلال الكتب . واستطاعت الباحثة بذلك ان تجمع مادة وفيرة عن حياة الناس دون الالتجاء الى العمل المكتبي . وقد كانت المادة التي جمعتها عبارة عن ترجمة مباشرة لما قالته النساء لها وذكره الرواة . اما العمل المكتبي فلم يكن يعنيها الا لاظهار المادة المقارنة والموازية للعمل الذي تعمله . لقد حاولت أن تذكر الدراسات الاخرى التي تناولت نفس الموضوع ولكنها لم تخلط بينها وبين المادة الاساسية التي جمعتها بنفسها . وبذلك اثبتت هذه الباحثة ان معايشة الشعب واستكناه حياته بطريقة الملاحظة والاستفسار مسألة منتجة في الدراسة الفولكلورية .

ومن الاشخاص الذين اعتمدت عليهم جرانكفيست كرواة امراتان من أرطاس هما عليا وحمدية ، ولا بأس من ايراد نبذة عن كليهما لان ذلك يوضح ظروف جمع مادة الباحثة وبعض ملامح الحياة الشعبية الفلسطينية . لقد ولدت عليا بعد وفاة والدها وخطبت اختها لبدوي من عرب التعامرة عمل سبع سنوات كراع لغنم اهلها بدل المهر . وعندما ماتت اختها وحان موعد دفنها نزل البدوي الى القبر ولم يخرج منه الا بعد ان وعدوه بأنهم سيزوجونه عليا بدلا من اختها بالرغم من صغر سنها . وخدم البدوي سبع سنوات اخرى من أجل عليا . وما ان تزوجها حتى بلغ أرذل العمر ومات . وبعد ذلك عملت عليا خادمة في بيت القنصل الفرنسي في بيت لحم ثم عادت لارطاس حيث زوجوها ثانية لشيخ من قرية صوريف ما لبث ان مات هو ايضا . واصبحت عليا أرملة وعمياء وكانت لديها الفرصة لتسمع وتروي كل شيء . وكانت معروفة بحبها لاغاني القرية وروايتها . اما الراوية الثانية حمدية فكانت ايضا ارملة . وفي أوائل حياتها تزوجت من رجل متزوج من امراة عجوز . ولم تقض معه سوى القليل من الوقت اذ « حردت » عائدة الى أرطاس مما اضطر والدتها ان تذهب الى الديوان حيث يجلس الرجال وتعلن ان ابنتها حامل لتثبت شرعية الطفل . وبعد ان انجبت حمدية طفلها جاء زوجها واعادها الى بيته . ومات ابنها ، ثم ذهبت هي وزوجها الى شرقي الاردن حيث مات زوجها فعادت هي الى أرطاس .

وكانت عليا وحمدية أفضل مصدرين اعتمدت عليهما جرانكفيست في جمع مادتها . وهي تقول ان نساء القرية كن ينصحنها بالرجوع الى عليا وحمدية

عندما كانت تستفسرهن عن أمر ما من أمور الحياة في القرية .

وتقول جرانكفيست انها ايضا كانت تقابل رجالا ونساء آخرين في القرية عندما كانت تزور بيوت القرية في المناسبات والاحتفالات او عندما كانت تمر بنبع الماء في القرية حيث تتردد النساء هناك طوال النهار لجلب الماء . « ولكن لم تكن نساء القرية ليملكن الوقت الكافي الذي تملكه حمدية وعليا ليتحدثن الي ويروين لي مظاهر الحياة الشعبية في القرية » .

ومن رواة هيلما « الست لويزا بالدنسبرجر » التي كانت تقيم في ارطاس والقدس والذي جاء والدها في بعثة تبشيرية من الالزاس في فرنسا عام ١٨٤٨ . وكذلك المعلمان العربيان الياس حداد وابراهيم عطا والمعلمات العربيات في المدرسة السويدية في القدس . وفي عام ١٩٥٨ حصلت د. جرانكفيست على منحة من مؤسسة ايلين واجنر في استوكهولم لتعاود زيارة الاراضي المقدسة والعودة الى ارطاس في ظروف اخرى وبعد أن ظهر جيل آخر واستضافت البلدة عددا من اللاجئين الفلسطينيين الذين جاؤوا اليها بعد حرب عام ١٩٤٨ . واصبحت البلاد تحمل اسم الاردن بعد اعلان وحدة ضفتي الاردن اثر الحرب العربية الصهيونية . وفي هذه المرة اقامت جرانكفيست فترة قصيرة مدتها أربعة شهور . وفي هذه الزيارة قابلت الباحثة اثنين من الباحثين الفلسطينيين اللذين توفرا على دراسة الحكاية والتقاليد : احدهما الدكتور توفيق كنعان الذي نشر العديد من المقالات عن المأثورات الشعبية للاراضي المقدسة . وخلال حرب عام ١٩٤٨ اصبح بيته في المنطقة الحرام . وعلى الرغم من فقده لبيته ومكتبته ومجموعته وضعف صحته فانه كان نشيطا ومثابرا على اداء المحاضرات والكتابة عن الفولكلور الفلسطيني . اما الباحث الثاني الذي قابلته جرانكفيست فكان الدكتور عيسى المصو الذي كان عاكفا على اعداد اطروحته عن « الفولكلور الديني لقضاء بيت لحم في الاردن » .

وهكذا تمكنت جرانكفيست من جمع معلومات عن الفولكلور الفلسطيني على بطاقات لا حصر لها . وقد دونت الباحثة مادتها باللغة العربية التي تعلمتها في أثناء اقامتها الطويلة في فلسطين . وفي رسالة من وزارة التربية والتعليم الفنلندية لكاتب هذا المقال مؤرخة في شباط من عام ١٩٧١ جاء ان هناك مادة غير مصنفة وغير منشورة يشتمل عليها الارشيف الفولكلوري الذي جمعته جرانكفيست وان هذه المادة بانتظار من يتصدى لدراستها . وذكرت الرسالة ان الباحثة ستضع مجموعتها من البطاقات في مكتبة عامة لتكون تحت تصرف الباحثين .

ومما يعطي الارشيف الفولكلوري لجرانكفيست اهمية خاصة هو ان الباحثة الفنلندية دونت نصوص الاغاني الشعبية والامثال والتعبيرات الشعبية الاخرى بالعربية على البطاقات وبالحرف اللاتيني والكلمة العربية في مؤلفاتها المطبوعة . ان نشر النص الادبي الشعبي بلغته الاصلية يحافظ على نكهته الحقيقية ومضمونه . في حين ان نشره مترجما بلغة اجنبية يفقده القدرة على تصوير الجو الاصلي الذي نبت فيه . لقد كان ذلك عائدا الى الوقت الكافي الذي صرفته الباحثة في الملاحظة والاستفسار والتدوين . وحول هذا الموضوع نراها تقول : « بالنظر الى الوقت والوسائل التي كانت تحت تصرفي فان دراسة قرى عدة وأناسا كثيرين ستكون مجرد القاء نظرة سريعة على السطح والحصول على مقتطفات مما يمكن ان يتذكره شخص ما . لكن الاقامة الطويلة في قرية واحدة منفردة اضطرت الرواة الى ان يتعمقوا في اعطاء الاجابات التي يعرفونها . كانت المسألة بالنسبة لعملي الميداني عملية تنقيب (Excavation) حقيقية لكل العادات والتقاليد وطرق التفكير في القرية ، واما الرحالة والمبشرون فلم يكن لديهم الوقت ولا الاهتمام للدراسة الدقيقة . كما ان كثيرين ممن كتبوا منهم لم يشيروا للراوية او المكان الذي اخذوا مادتهم منه » .

تقاليد الزواج

كانت اولى دراسات جرانكفيست التي رأت النور كتابها الذي صدر في جزءين عن تقاليد الزواج بعنوان « **اوضاع الزواج في القرية الفلسطينية** » (**ج ١ في ١٩٣١ وج ٢ في ١٩٣٥** وكلاهما طبع في هلسنكي في فنلندا) . وقد صدرت جرانكفيست الجزء الاول بفصل خصصته عن أسلوب البحث وكيف طبقته في قرية ارطاس . وقارنت عملها الميداني الذي ربطته في مكان وزمان معينين بأعمال من سبقوها ممن كتبوا دراسات فولكلورية عن الاراضي المقدسة والذين لجأوا الى التعميمات . وتقول جرانكفيست : « أما ما أقدمه انا هنا فهو

دراسة مقارنة لكل الزيجات في قرية أرطاس والتي حصلت منذ قرن وبقدر ما تسمح به ذاكرة الرواة ». لقد درست جرانكفيست حياة كل شخص في القرية سواء كان كبيرا او صغيرا وأوردت دراسات احصائية وأرفقتها بالاحداث التي مرت بحياة كل عشيرة وأسرة . وبذلك توفر لديها معين لا ينضب من المعلومات عن الحياة الاجتماعية والشعبية في هذه القرية . ومن البديهي انها لم تكن مضطرة للجوء الى التعميمات غير الدقيقة .

وكرست جرانكفيست الفصل الثاني لتحديد سن الزواج . بدأت بمقدمة عن « الخطبة عند الولادة » والتي تسمى « بعطية الجورة » وأوردت مناسبات خطبت فيها المولودة يوم ولادتها واعتبر ذلك خطبة مقبولة ومعترف بها . ثم استعرضت اسباب الزواج المبكر ولخصتها في انها تعود الى حاجة الناس للعمل اليدوي وبسبب الرغبة في تقليص فترة الخطوبة والتخلص من تكاليفها . كما ان هناك اسبابا خلقية تدفع الناس على تزويج الفتيات في سن مبكر « لان العرظ ما ينحمى بالسيف » و« العروس الزغيرة بتربيها على ايدك » . وتحدثت الباحثة في هذا الفصل عن غياب الحب في الحياة الشعبية ذلك ان العريس يختار عروسه من خلال والدته او قريباته ولا تتاح الفرصة للعروسين لمعرفة بعضهما بعضا قبل الزواج لان ذلك يعتبر مفسدة اي مفسدة . وكثيرون من الازواج لم يلقوا النظرة الاولى على زوجاتهم الا ليلة الدخلة . وغالبا ما يتم الزواج بين ابناء العم . والمثل الشعبي الفلسطيني يقول : « ابن العم بنزل عن الفرس » اي انه يستطيع الاعتراض على زواج ابنة عمه من الغرباء حتى ولو كانت قد ركبت الفرس في طريقها الى بيت الزوجية . وتقول الاغنية الشعبية مؤكدة هذا المعنى :

يا ابن العم يا شعري ع ظهري
ان اجاك الموت لارده ع عمري
يا ابن العم يا ثوبي علي
ان اجاك الموت لارده بيدي
يا ابن العم يا ثوب الحرير
لحصلا بين جنحاني واطير

وتوضح جرانكفيست اسباب تفضيل ابن العم فتذكر القول الشعبي الفلسطيني المأثور « بنات العم صبارة ع الجبا اما الغريبة بدها تدليل » . هذا فضلا عن ان ابنة العم تحتاج لمهر ونفقات أقل .

وتكرس الباحثة الفصل الثالث والرابع لطرق اختيار العروس وزواج البدل (عندما يزوج شخص ما اخته لشخص ويتزوج هو اخت ذلك الشخص . او يستبدل ابنته او احدى قريباته بعروس له) ، ومسألة المهر. وهي تدعم هذين الفصلين باحصائيات دقيقة عن كل حالة . ومن أدق وأطرف ما ختمت الباحثة به هذا الجزء تلك الاحصائية الشاملة عن كل فرد في القرية والتي أوردت فيها اسم العشيرة والقرية واذا كان الشخص حيا او ميتا واذا كان قد تزوج بالمهر او البدل او بأي طريقة اخرى مع وصف حالة الزواج من حيث التعدد او عدمه .

وفي الجزء الثاني من كتاب جرانكفيست عن تقاليد الزواج نجد موضوعين رئيسيين: أولاهما احتفالات الزواج وثانيهما الحياة الزواج . ومما يلفت النظر في دراستها لاحتفالات الزواج تلك الدقة المتناهية في وصف كافة الاجراءات التي تواكب الخطبة وليالي الفرح والزفاف مدعومة بنصوص الاغاني الشعبية الفلسطينية والتي أوردتها مترجمة الى الانجليزية ومدونة بالحرف اللاتيني وباللفظ العربي. وبهذا أعطت الباحثة للاحداث سندا فولكلوريا قويا وحفظت لباحثي تقاليد الزواج الفلسطيني رصيدا من المادة الخام يهتدون به في دراسة هذه الظاهرة الشعبية . هذا فضلا عن ان جرانكفيست درست من خلال الطقوس الشعبية الارضية الثقافية التي تعتمد عليها احتفالات الزواج واجراءاته .

وفي هذا الجزء استعرضت الباحثة الحياة الزوجية في الوسط الشعبي مبتدئة من الايام الاولى للزواج ومقيمة موقف الزوجة في بيت زوجها وعلاقتها بأقارب زوجها . ثم تناولت مسألة تعدد الزوجات فأوضحت كيف ان الدين والتقاليد لا تعترض على مسألة التعدد . ويقول المثل الشعبي : الخير عنده تنتين وثلاث [من النساء] . وتحت ظل هذه الظروف المساعدة على تعدد الزوجات فان الرجل لا يعدم ايجاد المبررات للزواج من امراة اخرى وذلك بأن يتعلل بكبر سن زوجته الاولى وفقدانها لجاذبيتها وعدم انجابها الاطفال او الادعاء بأنها امراة ناشز تعصي زوجها وفي ذلك يقول المثل الشعبي : « اقهر النسا بالنسا ولا تظربهن بالعصا » .

وفي هذا الجزء خصصت جرانكفيست فصلا لدراسة ظاهرة « الحرد » اي قطع المراة للحياة الزوجية والتجاؤها لبيت ابيها » . وفي هذا المجال جاء في

الاقوال المأثورة : « بيت رباني ما راح وخلاني ». و« يا بيي وسع صدر بيتك للزيارة وللحردة ... بيتي واسع وصدري واسع للزيارة وللحردة » . ومما يلفت النظر في موقف « المرأة الحردانة » والتي ترضع طفلا او تحمل طفلا في بطنها هو انها تكون مسؤولة عن سلامة الطفل . واذا حصل وتوفي الطفل فان اهل المرأة الحردانة حسب العرف والتقاليد ملزمون بدفع دية الطفل المتوفى . وهكذا يتضح موقف المجتمع من الزوجة والذي يعتبرها مجرد وعاء يحمل الطفل .

وتتحدث الباحثة ايضا عن المرأة الغريبة ومركزها في بيت زوجها . ويلخص ذلك الموقف القول المأثور: « الغريبة بدها ثوب يجر ، والخابية تهر وزلمة مر » . اي ان المرأة التي تتزوج رجلا غير ابن عمها بحاجة لنفقات عالية ورجل يحسن السيطرة عليها لانها لا تتصرف بوحي من المصلحة العامة للبيت الذي تحل فيه . وبديهي ان مرد ذلك عائد لان الرابطة بين الزوجين لم تكن مبنية على الحب . ويفسر ذلك ارتباط المرأة باخيها وحبها له اكثر من حبها لزوجها . واما المرأة التي لا أخ ولا أب لها فيطلق عليها المجتمع اسم « قطيعة » اي امرأة بلا اهل يمكن ان يتحكم بها اهل زوجها لعدم وجود من يدافع عنها .

وتعقد جرانكفيست فصلين عن مسألتي الطلاق والترمل . واهم ما يلفت النظر هنا هو اضطرار المرأة الى ان تعلن مسألة حملها من زوجها اذا كانت حاملا امام الملأ وذلك لتثبت بنوة الطفل للزوج الذي طلقها او توفي وتركها . وفي العادة فان ذلك يتم امام الرجال في الديوان . ولا تهمل جرانكفيست كل الامور الاقتصادية التي تتعلق بظروف الطلاق وفقدان الزوج بالوفاة .

الطفولة والحياة الشعبية

لم يغب عن الباحثة ان تتعرف على السلوك النفسي لدى الشعب الفلسطيني ازاء قضيتهم التي كانت قد بدأت في ذلك الوقت تأخذ دورا بارزا على مسرح السياسة العالمي . وتسجل الباحثة مدى اعتزاز الاسر والقبائل باطفالها . وربما كان هذا شيئا طبيعيا . ولكن اعتزاز الشعب الفلسطيني باطفاله ليس مصدره العاطفة العائلية فحسب وانما مصدره اعتزاز الشعب بكيانه . فالقبائل والاسر العربية تكون مجتمعا متماسكا يكاد يكون مستقلا عن الحكومات التي كان الشعب ينظر اليها بوصفها قوة معادية غريبة . وفي ظل هذا الاحساس اعتز الشعب الفلسطيني بأولاده بوصفهم امتدادا لكيانه ووجوده .

ودراسة جرانكفيست عن الطفل الفلسطيني جاءت في كتابين منفصلين يمكن ان يعتبر احدهما وكأنه متمم للاخر او انهما جزءان من عمل واحد . اما الكتاب الاول فيحمل اسم « **الميلاد والطفولة بين العرب** » (طبع في هلسنكي ١٩٤٧) . وقد كرست الباحثة الفصل الاول لمرحلة ما قبل الولادة فتناولت بالدراسة المفردات الشعبية الفلسطينية التي تعبر عن معنى الانجاب والولادة ودرست حالة الام والطقوس المصاحبة للحمل .

وفي الفصل الثاني درست الولادة ورصدت كل الاجراءات المتعلقة بها والاقوال المأثورة التي تتردد عند لحظة الولادة . وتحدثت عن الفرحة الغامرة بمجيء المولود الذكر والتجهم والعبوس الذي تقابل به البنت الانثى . ذلك الذي يتناوله القول المأثور على لسان الام لابنائها في مجال ردها على سؤالهم لها بأن تحكي لهم حكاية ، فتقول :

احكي لكم عن همي وغمي
يوم ولدتني أمي
حطوني ع الصينية
والكل صار يدعي علي

وكرست الباحثة الفصل الثالث للامور المتعلقة لما بعد الولادة . ابتدأت باعلان نبأ الولادة والبشرى ثم انتقلت لمسألة معالجة الام والوليد وطعامهما وأولى الاحتفالات بقطع الحبل السري. وقد أسهبت في التحدث عن المعتقدات المتعلقة بالحبل السري ودفنه واستعمالاته في علاج العاقر وهبة الحياة لاطفال جدد .

وفي الفصل الرابع تتحدث الباحثة عن تربية الطفل. تستعرض هنا وسائل العناية بالطفل وارضاعه وتسجل اغاني المهد التي سمعتها من الرواة في أرطاس . وبالطبع فان هذه الاغاني موجودة في كل مكان بفلسطين وهي مدونة في الكتاب بترجمتها الانجليزية دون تدوين الاصل العربي بالحرف اللاتيني. واذا كان من السهل على الباحث العربي ان يعاود ترميم النص الشعبي الاصيل فان بعض النصوص تستعصي على التحويل . وهنا تكمن

الاهمية الكبرى لاستنساخ المادة الخام التي أعدتها الباحثة بالعربية اثناء اقامتها في فلسطين .

وفي الفصلين الخامس والسادس تدرس الباحثة الالعاب والتربية الشعبية. وقد لاحظت جرانكفيست ان العاب الاطفال الذكور تتجه وجهة ذات علاقة بأعمال الذكور الكبار مثل الصيد وتقليد وسائل الانتاج والفروسية ، في حين ان العاب الاناث تتجه وجهة تاتصق بدور المراة والعناية بالبيت . ويميل الاطفال الذكور في العابهم لتقليد قوة الرجل فيشكلون فرقا تتصارع على نوال لقب الفريق الاقوى ويتراشقون بالحجارة او يتصارعون بالايدي او يتنافسون في المهارة بالقفز وابراز المقدرة على التخفي بالاستعانة بالحيلة او القدرة على الجري ، ففي لعبة الطمامية استعراض لامكانيات الطفل في التخفي والجري والتفكير معا اذ عندما يختبىء الولد عن ناظري رفيقه ، والذي يفترض فيه ان يكتشف مكانه ، يكون الولد في حلبة صراع وموازنة للامكانيات تتولد فيه الصراع بين الكبار وترصده . وتدور العاب البنات حول بناء بيت من المواد الاولية المتوفرة في البيئة مثل الحجارة والخشب والعيدان والصفائح المهملة وربما من التراب نفسه اذ تعمد البنت الى وضع يدها داخل كومة تراب وتاخذ في ضغطه مكونة ما يشبه الطابون وهي تغني :

يا طابون انهد انهد
لاجيب لك خشب اليد

وتحرص البنت عند بنائها للبيت — اللعبة — ان يهيء فيه اول ما تهيء نموذجا لسرير الطفل . وقد يكون هذا النموذج مجرد علبه فارغة مسطحة. وتصنع البنت في هذه العلبة — المهد — نموذجا تصنعه بنفسها لشكل طفل او طفلة . أما الوجه فيتالف من قطعة عملة صغيرة مستديرة مغطاة بقماش ابيض واما الجسد فهو صليب من الخشب تغطيه قطعة من القماش .

وفي الفصل السابع والاخير من هذا الكتاب نرى جرانكفيست تصف الطهور — الختان — في أرطاس وما يواكبها من استعدادات واحتفالات على مستوى الرجال والنساء . ومن اطرف ما تحمله هذه الاحتفالات في ثناياها أنها تكاد تشبه احتفالات الزواج. حتى أن الطفل المختون يزف في موكب حاشد يغني فيه الرجال الاغاني ويلعبون بالعصا والسيف ويرقصون رقصاتهم الشعبية وتسير النساء في آخر الموكب تسجع وتغني وتزغرد .

والكتاب الثاني في دراسة جرانكفيست عن الطفل بعنوان **مشاكل الاطفال بين العرب** ، طبع في هلسنكي ١٩٥٠ ، وهو يبدأ بفصل عن « الاسم » وفي هذا الفصل تحاول الباحثة ان تعمل مسحا شاملا للاسماء في القرية ودلالاتها ولا يفوتها ان تربط بين الاسماء الحالية والاسماء في الكتب المقدسة شأنها في ذلك شأن دراساتها الاخرى .

اما في الفصل الثاني الذي خصصته لوفيات الاطفال والفصل الثالث الذي يحمل عنوان رعاية الطفل فتستعرض فيهما ما جمعته من معلومات عن العناية بصحة الطفل والمعتقدات والممارسات السحرية التي يمارسها الناس للوقاية من المرض ومكافحته. وتسرد لنا وسائل التطبيب الشعبي بالكلمة والحجاب والدواء ولا يفوتها أن تتحدث عن النذور والاحتفالات التي تقام ابتهاجا بشفاء المرضى او حياة الاولاد بعد اليأس منهم .

وفي الفصل الرابع تقيم الطفل وتبرز اهميته بالنسبة للمجتمع وتبين دور المراة ووجهة نظر المجتمع اليها من خلال مسالة انجاب الاناث . وتختم كتابها بتجميع المواد التي جمعتها من ارطاس والتي لم تندرج تحت الفصول السابقة . وهنا نجد جرانكفيست مشدودة لقرية بعينها وترصد ملامح العناية بالطفل وقيمته دون ان تضجي بأي من الافادات التي حصلت عليها بل تحاول سردها وتثبيتها بأمانة وان كان ذلك يمس تناسق ترتيب مواد الكتاب .

تقاليد الوفاة

كان آخر الكتب التي أصدرتها جرانكفيست باللغة الانجليزية كتابها الذي تناول تقاليد الوسط الشعبي المسلم في فلسطين عن الوفاة والدفن وهو بعنوان **«الوفاة والدفن عند المسلمين: في العادات والتقاليد العربية »** . وبهذا الكتاب فهي تختتم دراساتها التي تتناول دورة الحياة اليومية الشعبية في قرية أرطاس الفلسطينية . ويجب الاعتراف هنا أنه من أصعب الدراسات الفولكلورية دراسة تقاليد الوفاة والدفن وذلك لحساسية الناس ازاء هذا الموضوع . فهم لا يرغبون في تناول ذكرياتهم

عن الموضوع وكيف الامر اذا طلب اليهم الباحث ان يستعيدوا اغاني الحزن التي تقال بمناسبة الوفاة ؟

ويذكر كاتب هذا المقال انه في اول عهده بتناول هذا الموضوع أجرى حديثا مع راوية وكانت امراة بدوية مسنة من بئر السبع ، واخذت الراوية تردد اغاني الحزن وما أن ألقت عدة مقاطع حتى انخرطت في بكاء عميق وقالت ذلك يذكر بأخيها الذي استشهد في احدى الحروب العربية الاسرائيلية . وحصل نفس الشيء مع الفتاة التي عهد اليها بطباعة مثل هذه المادة اذ اثار ذلك اشجانها وجعلها تبكي بصوت عال مسموع . ولكن الامر مع جرانكفيست ربما كان يختلف ، فالباحثة الفنلندية اقامت فترة طويلة في قرية أرطاس مكنتها من أن ترى الاحداث بنفسها وهي هنا في كتابها عن تقاليد الوفاة ـ شأنها في ذلك شأن دراستها للزواج والطفولة ـ تروي لنا احداثا معينة تسمي أصحابها وتصف ما رأته بعينها وتسجل افادات الرواة عند وقوع الحدث .

وتتضمن دراسة جرانكفيست عن تقاليد الوفاة والدفن مقدمة طويلة تتناول عوامل عدة ذات علاقة بالصحة والموت . انها تدرس هنا المرض ومسالة العلاج من وجهة نظر شعبية محضة تستمد مفهومها من معتقدات شعبية متصلة بالدين . ويدور المفهوم الرئيسي حول المعتقد القائل بأن الخير والشر من الله ، وأن الصحة هبة من الله والموت قدر محتوم لا مناص منه . وعندما يقع القدر فان الدواء والطب لا يفيدان في قليل او كثير .

وتوضح جرانكفيست هنا مفهوما للمكان الذي يتوفى فيه الانسان كانت قد تعرضت له عند دراستها لمسالة الطفولة وهو أن المكان الذي سيتوفى فيه الانسان كان قد تقرر في علم الغيب منذ ولادة الانسان . ذلك ان حفنة التراب التي خلق منها الانسان تحضر من مكان الولادة ومن مكان الوفاة . وعندما يتوفى انسان ما في مكان بعيد جدا عن مكان ولادته يقول الناس : « سبحان الله ... اترابانه اخذنه » أي أن هذا الانسان قادته منيته ليموت في المكان الذي أخذت منه تلك الحفنة من التراب التي خلق منها والتي يبدو انها أخذت من ذلك المكان البعيد .

وتتناول الباحثة في التفصيل المسائل المتعلقة بالدفن فتتحدث عن تحضير القبر وملابس الدفن (الكفن) وغسل جسد المتوفي وكل الطقوس المتعلقة بذلك. وهي تذكر تقليدا كان في الماضي مسالة دينية واصبح الان جزءا من التراث الشعبي وهو « اسقاط الصلاة » . ذلك ان هناك احتفالا يقام لاسقاط الصلاة عن الشخص الذي لم يكن ليؤدي الصلوات الخمس في حياته . اذ تجمع اموال أهل المتوفي وحلى النساء وتوضع في كيس وتعطى للشيخ وللجالسين ولكن هؤلاء بعد أن يأخذون النقود يعيدونها لعائلة المتوفي بعد ان يتنازلوا عن حقهم في أخذها .

ثم تتحدث الباحثة عن لحظة الدفن ونزول الملكين واستجوابهم للميت . وتسهب جرانكفيست في الحديث عن حفلات الطعام التي تقام بمناسبة وفاة شخص معين . ويأتي المعزون والمعزيات من القرى المجاورة وهم يقودون حيوانات الذبيح تماما كما يحصل في مناسبات الزواج .

ومن المعتقدات المتعلقة بالوفاة ظهور المتوفي في الاحلام لدى اهله واصدقائه والاعتقاد بسرقة أجساد الموتى وانتقالها من مقبرة الى اخرى حسب الوضعية الدينية للمتوفي . وهناك معتقد شعبي مؤداه ان الاجساد الطاهرة تنقل من مقابرها الى الاراضي المقدسة في الحجاز والعكس بالعكس . وتتناول جرانكفيست بالحديث عن حالات وفاة غير طبيعية مثل الانتحار والقتل العمد ومسائل الثأر .

أما أغاني الحزن فتستأثر باهتمام خاص وكبير من دراسة الباحثة وهي تورد لنا كشفا شاملا وتفصيليا للاغاني الحزينة التي تقال في مناسبة وفيات متنوعة . فهناك أغان خاصة تقال اذا كان المتوفي : ابا او عما او أخا او زوجا او زوجة او جنديا او بطلا او فتاة عذراء او شيخا ... فلكل مقام مقال والاحياء يندبون حظهم ويبكون واقعهم بعد وفاة المتوفي . وبالطبع فان ما يقال يتناسب مع درجة حزن الناس على الشخص المتوفي والفراغ الحاصل في المجتمع بخسارته لشخص معين .

رأي في جهود جرانكفيست

تعتبر أعمال جرانكفيست مصدرا عميق الاثر في اية محاولة لدراسة فولكلور الشعب الفلسطيني.

كما أن الحكم على أهمية دراسات جرانكفيست يظل حكما ناقصا ما دام أن هناك عشرات الالاف من البطاقات التي جمعت الباحثة عليها مادتها والتي ما زالت « غير مصنفة وغير منشورة » . وكذلك فانا لم نطلع على المادة الفولكلورية الفلسطينية التي نشرتها جرانكفيست بالفنلندية والسويدية .

ان أبحاث جرانكفيست تتسم بانها أبحاث انتروبولوجية ، ومع ذلك فالمادة الفولكلورية وفيرة جدا وان كانت هذه المادة قد جاءت جنبا لجنب مع دراسات يمكن ان توصف بأنها اجتماعية او دينية. وللوهلة الاولى فقد يخيل للدارس ان جرانكفيست تخلط بين الجوانب الفولكلورية من الدين وبين الدين الرسمي . ولكن هذا الوهم سرعان ما يزول اذا ما نظرنا لتلك الابحاث من وجهة النظر الانتروبولوجية .

ولما كانت جرانكفيست قد جاءت أصلا الى فلسطين لجمع مادة مقارنة عن المرأة في عهد التوراة فقد ظلت ابحاثها تدور في فلك المرأة في الوسط الشعبي مع خروج طفيف على هذا المبدأ . ولذلك قليلا ما نجد هناك معلومات عن « فولكلور الرجال » كما أن دراسة جرانكفيست للفنون اليدوية وعينات التراث الشعبي المادية تظل دراسة عرضيةكتبت أصلا لتخدم أبحاثا تتعلق بالولادة والزواج والوفاة وفولكلور المرأة بشكل عام .

ومن جهة اخرى فان دراسة جرانكفيست تخدم قضية الشعب الفلسطيني بصفته شعب طرد من أرضه واضطهد وبذلت جهود مركزة لمحو شخصيته الوطنية . ولكن هذه الخدمة لم تأت بأسلوب مباشر ولكن عن طريق اثبات عراقة تراث الشعب وارتباطه بالارض .

لقد دفعت الامانة العلمية جرانكفيست الى أن تميز بين ما جمعته من أفواه الرواة وما جمعته من مادة مقارنة عن طريق العمل المكتبي . أما ما جمعته من أفواه فقد وضعته كما هو وان كان يبدو في بعض الاحيان مختلفا أو متناقضا . ويمكن تبرير ذلك على أن المادة المنقولة عن المصادر الشفوية تسجل بعض الاختلافات نظرا لتلونها بوجهات نظر افراد متباينى الانطباعات . ان كل ذلك يدفع على احترام ذلك العمل العظيم الذي قامت به الباحثة الفنلندية والتي لم يفتها ان تعزز كتبها بهوامش وفهارس، تسهل الوصول الى كل فقرة من فقرات الدراسة بكل سهولة ويسر . كما انها تركت أمام الباحث الذي يرغب في ان يتصدى لدراسة مثل هذا البحث كشفا ضخما من الكتب والمجلات الدورية التي تعينه على فهم موضوعه . وفي كثير من الحالات فانها تدون اقتباسات من تلك الكتب والمجلات بما يبرز وجهة النظر الرئيسية او الافكار الاساسية لتلك الموضوعات .

وتبقى الاهمية العظمى للمادة التي جمعتها جرانكفيست في انها قامت بتدوين مادة فولكلورية في العقد الثالث من هذا القرن وتعود في عمرها الى عدة عقود سابقة ، تلك المادة التي جمعت بصيغتها الخام وبأسلوب علمي يحمي المادة من التزييف والعبث وفي وقت لم يكن هناك احد من الباحثين الفولكلوريين أبناء البلاد قد تصدى لدراسة التراث الوطني بأسلوب علمي او غير علمي .

وغدا ، عندما تنشر بالعربية محتويات ذلك الارشيف الذي أعدته جرانكفيست والذي لم يصنف ولم ينشر بعد ستتضح مدى اهمية ذلك العمل العلمي العظيم الذي وضعت تلك الباحثة الرائدة أسسه في وقت مبكر جدا من عمر البحث الفولكلوري .

نمر سرحان

الدانمرك : دراسة في تجربة اعلامية

ان النموذج الاعلامي التالي معروض هنا بصفته تجربة للدراسة ، ولاستخلاص قوانين وقواعد اعلامية في معركتنا المركبة ازاء ما يوصف ، اختصارا ، (واحيانا تشويها فظا) بانه « الراي العام العالمي » . ولعلنا لسنا بحاجة الى اعادة التذكير بأن فهمنا « للراي العام العالمي » ، ولدور الاعلام الذي على المقاومة الفلسطينية ان تسلكه، هو فهم نابع من تصور سياسي مكتوب ومعلن لطبيعة المعركة التي نخوضها ، وصفتها المحلية والاممية ، وطبيعة القوى المعادية التي تواجهنا ، وبالتالي تقسيم ما يسمى تبسيطا انه « رأي عام عالمي » الى دول متقدمة ودول متخلفة ، والى طبقات ذات مصالح في كل منها ، وفيما بينها . ونتيجة ذلك توجه الاعلام الى القوى المرتبطة مصلحيا بانتصار الثورة . على أن اهمية النموذج التالي هو كونه يدخل الى تفاصيل هذه التعميمات، ويحاول استكشافها بالتجربة ، وبالتالي يضع مقياسا للاجابة على اسئلة من طراز : الى اي مدى يستطيع « حوار الاقناع » ان يصل في الاوساط الليبرالية ، وعلى اي اساس يعتمد تطوره ، وما هي امكانيات نجاحه الجزئي ، على الاقل ، في توضيح التناقضات الثانوية الكامنة في صفوف مثقفي الطبقات الوسطى في اوروبا الغربية ازاء « قضية الشرق الاوسط » .

والنموذج التالي هو « قصة » بسيطة ، وقد جرى اختيارها بالذات بسبب بساطتها : فقد قامت دار نشر دانمركية مستقلة ، بنشر كتاب عن « اطفال اسرائيل » ، في سلسلة دأبت على نشرها عن اطفال العالم . وبما ان الكتاب هذا يشكل نموذجا للتثقيف الصهيوني غير المباشر ، الناتج عن ايمان غير ممتحن بمعطيات الثقافة السائدة ، فقد قامت « لجنة الاعلام المركزية » في ج. ش. ت. ف. بمحاولة لاقناع دار النشر التي اصدرته بسحبه من الاسواق . والقصة التي نحن بصددها هي مجرد تفاصيل هذه المحاولة ، لانها تعكس في الواقع القوانين والقواعد التي تحكم مثل هذه الحالة ، وهي قوانين وقواعد من المهم معرفتها ومعرفة آلية عملها ، ونقاط ضعفها ومقاتلها .

لقد اكدنا على اختيار دار النشر الدانمركية المشار اليها ، والكتاب المشار اليه ، لانهما يمثلان « حالة عادية » — بمعنى : ان دار النشر هذه ليست صهيونية ، ومن المفترض انها لا تخضع لضغط صهيوني مباشر ، وان الدانمرك دولة يعاني مثقفوها وطبقاتها الوسطى اقل من اي دولة اوروبية اخرى من عقدة اللاسامية ، (وهي ضاغط اعلامي ثقيل) وان نشاط دار النشر المشار اليها موجه من قبل وسط ليبرالي ، نحو المدارس التي يفترض ان تكون المواد التي تعتمد عليها ممتحنة من قبل « الراي العام » الحريص على « نظام تعليمي حر ونظيف » . نحن اذن امام حالة نموذجية ، تمثل ، من جهة ، الحد الادنى من العراقيل التي يتوقع الاعلام الفلسطيني ان يواجهها حين يتوجه الى الرأي العام الاوروبي التقليدي (المتوسط) وتمثل من جهة اخرى الحد الاعلى من النتائج التي على الاعلام الفلسطيني ان يتوقعها من « حوار اقناع » عقلاني مع هذا الراي العام الاوروبي في مستواه التقليدي (المتوسط) . فما هي الحصيلة ؟ ان دار النشر المسماة : «Laererforeningernes Materialeudvalg» والتي سنرمز اليها في هذا المقال بحرفي (ل. م.) مختصة بنشر كتب للاطفال ، توزع على مكتبات المدارس الابتدائية بصورة خاصة ، وتعتمد كمادة تعليمية . وقد نشرت كتاب « **الاطفال في اسرائيل**»، وهو موجه في الغالب للاطفال الدانمركيين (والسكندنافيين اجمالا) الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني وعشر سنوات . وعند اطلاعها على الكتاب ، وجهت لجنة الاعلام المركزية في ج. ش. ت. ف ، الرسالة التالية الى (ل. م.) في أول شباط ١٩٧١ :

« وقعت بين أيدينا نسخة من كتابكم « الاطفال في اسرائيل » ، الذي كتبه « انغار وكيلد فرنكيلد » ونشرتموه عام ١٩٦٤ ، ثم عام ١٩٦٧ ، وفهمنا انه اعيد توزيعه مؤخرا على نطاق واسع في المدارس الابتدائية في الدانمرك وبلدان اسكندنافية اخرى . ان قراءتنا لهذا الكتاب ، المحرض على العنصرية والكراهية ، والذي هو وجه اخر من وجوه فاشية عرقية يجري بعثها في العقول البريئة العزلاء لاطفال بلادكم ، ضد الاطفال العرب ، هي التي

دفعتنا للكتابة لكم ، طالبين منكم سحب الكتاب ، والتخلي عنه ، والكف عن المشاركة في عملية غسل الدماغ البشعة التي تستهدف اطفالكم ، ضد اطفال شعبنا ، وبالتالي شعبنا كله .

ان « الامجاد » التي ساقها مؤلفا كتابكم لاسرائيل مبنية في مجموعها على احتقار لا يصدق للعرب ، والصور التي نشرتموها للاطفال العرب لا يمكن ان توصف الا بانها اختيار منحاز قام به عقل مريض يجب معاقبته او علاجه ، فهي ليست صورا مزورة فحسب ، بل هي تكريس للوجه المعاصر والكريه للاسامية ، بمعنى التحريض على كراهية العرب .

ان كتابكم ، من وجهة نظر سياسية وتربوية واخلاقية ، هو عار نسالكم العمل على ايقاف فعاليته في عقول اطفال بلادكم ، واذا كان هذا يعني اننا نتهمكم بالمشاركة في حملة الكراهية ، ضد جماهير شعبنا ، فاننا لا نطلب منكم ايقاف هذه الحملة عن طريق سحب الكتاب والتخلي عنه ، فقط ، ولكن ايضا « بالاعتذار علنا » عنه .

ان اسرائيل ، كدولة عدوانية قامت بالقمع المسلح والارهاب ، وعلى جثث الالاف من رجالنا ، وكذلك اطفالنا ، بحاجة الى مثل هذه الحملة من التضليل لتغطية الجريمة التي ارتكبتها ، ولا ريب ان هذه الحقيقة جديرة بلفت نظركم الى الدور الذي تسهمون به في هذه التغطية ، وهو دور ابشع ما فيه انه موجه للاطفال الدانمركيين ، في عملية غسل دماغ انتهازية ومنحطة .

ويهمنا — قبل ان نوزع هذه الرسالة على نطاق واسع ، وفي كل مكان — ان نسمع وجهة نظركم . وقراركم ، بشأن هذا الكتاب المخجل . »

وكان علينا أن ننتظر حتى منتصف اذار ، لنتلقى من دار النشر (ل.م.) الرسالة التالية : « تلقينا رسالتكم المؤرخة في اول شباط ١٩٧١ ، وقد جرى تحويلها الى لجنتنا الرئيسية لانها تحتوي نقدا صارما واساسيا ضد احد الكتب التي قمنا بنشرها، وقد طلبنا من اللجنة ان تناقش المسالة. وبالطبع ، فنحن مدركون لتوتر الموقف في الشرق الاوسط بين الاسرائيليين والعرب ، ولكننا لا نعتقد بأن ذلك يجب ان يمنعنا من نشر كتب تصف الظروف في تلك المنطقة .

ان الكتاب الذي تنتقدونه هو واحد من سلسلة تحتوي على ١٢ كتابا ، وجميعها تصف حياة طفلين في بلد اجنبي ، وعادة يكون هذان الطفلان شقيقين. وهكذا فاننا حين ننشر كتابا عن الاطفال في اسرائيل فانه من غير الممكن اجتناب كون الطفلين الاسرائيليين يصبحان موضوعا رئيسيا ، ومع ذلك فان المؤلفين قد وضعا نصب اعينهما وصف اوضاع الاطفال العرب في البلاد ، وذلك بالاشارة اليهم عدة مرات .

لقد درسنا الكتاب باعتناء ، ولم نجد انه يحتوي بصورة مباشرة على معلومات خاطئة ، ولكن اذا كان هنالك خطأ ، فاننا نكون شاكرين لو جرى اعلامنا بمثل تلك الاخطاء الحقيقية .

وفي سبيل الحصول على صورة افضل واوسع ، بالنسبة للاوضاع في المنطقة ، فاننا نرحب باية اشارة الى مؤلف يكون قادرا على كتابة كتاب جديد في السلسلة حول الاطفال العرب في مخيمات اللاجئين . ان كتابا من هذا النوع سيكون مفيدا جدا ، ونحن نرغب جدا في نشر كتاب الاطفال اللاجئين بمناسبة السنة العالمية للاجئين . وبما اننا لا نعرف مثل هذا المؤلف ، فاننا نرغب في الحصول على اقتراح من طرفكم ، وربما تستطيعون تقديم كتاب مترجم ، ومهما يكن فاننا نطلب ان يكون تناول الموضوع في كتاب مثل هذا موضوعيا قدر الامكان . والى جانب هذا ، ونتيجة طلبكم ، فان اللجنة قد قررت القيام بمراجعة نقدية للكتب الـ ١٢ ، وذلك ، من جهة اولى ، لحذف الموضوعات القديمة ، ومن جهة اخرى لحذف المعلومات الخاطئة . وقد اختيرت لجنة فرعية لمراجعة الكتب الـ ١٢ بدقة ، مرة بعد مرة ، واثر ذلك سيتقرر فيما اذا كانت هذه الكتب سيعاد تحريرها ، او تسحب من التداول عند نفاذ النسخ (!!)

وبالنسبة لهذا الامر ، فانه يسعدنا ان تشيروا الى المقاطع التي تتضمن معلومات خاطئة في كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، وكذلك الصور . »

ولم تكن هذه الرسالة غير متوقعة ، فذلك هو الاسلوب التقليدي للتخلص من الحوار المباشر ، ولكن ما لم تشر اليه الرسالة ، هو ان رسالة الجبهة ، التي قرئت في اجتماع اللجنة المشار

اليها ، قد اثارت لدى بعض عناصر اللجنة شعورا بأن التناول العنصري ليس وقفا على كتاب «الاطفال في اسرائيل» ، بل انه يشمل كتبا اخرى في السلسلة ، وهكذا جرى طرح الموضوع من جذوره : جدارة المؤلفين ، وصدقهم ، وكفاءاتهم كمعلمين . ومع ذلك ، فان لجنة الاعلام المركزية في ج. ش. ت. ف ، دفعت بالحوار خطوة الى الامام ، واستجابت لتحدي الرسالة التي بعثت بها دار النشر ، وردت بالرسالة المطولة التالية : « وصلتنا رسالتكم المؤرخة في ٦ اذار ١٩٧١ ردا على الرسالة التي بعثنا بها لكم في ١ شباط ١٩٧١ حول الكتاب الذي اصدرتموه بعنوان « الاطفال في اسرائيل » ، ونحن اذ نشكركم على هذه الرسالة التي ابديتم بها اهتمامكم بالمسألة ، فاننا نود ان نجيبكم على ما أثرتموه في رسالتكم وذلك بالنقاط التالية :

١ — لقد قلتم انكم لا تعتقدون ان حراجة الموقف في الشرق الاوسط ينبغي ان تمنعكم من اصدار كتب تصف الظروف في المنطقة ، وقد استغربنا جدا هذه الملاحظة لانها خارجة كليا عن الموضوع ، ولم يرد في رسالتنا اشارة يمكن ان يفهم منها ذلك ، ونحن على العكس نعتقد انه **بسبب** حراجة الموقف **لا بد** من نشر كتب تصف الظروف واعتراضنا منصب على **موضوعية** تلك الكتب ، وعلى مدى ما تقدمه من اي خدمة للسلام والحقيقة والعدل ، وكتابكم يفعل العكس .

٢ — يبدو من رسالتكم انكم تتوقعون منا أن نكون على غاية الاكتفاء لان مؤلف كتاب « الاطفال في اسرائيل » مر عدة مرات على **ذكر** الاطفال العرب ووصف حالتهم ، والواقع ان اعتراضنا منصب هنا بالضبط ، اذ ان ذلك الذكر على وجه التحديد يمتلىء بالنظرة العنصرية والاستعلائية ولا يستهدف الا التشويه ، واظهار **تفوق** الطفل الاسرائيلي بمقارنته بالطفل العربي ، ولا شك تعلمون ان هذا النوع من التناول هو بقايا الثقافة الاستعمارية التي ينبغي لدار نشر تتعامل مع عقول الاطفال البريئة العمل على استبعادها .

٣ — قلتم انكم نظرتم في الكتاب **باعتناء** ولكنكم لم تروا انه يحتوي على معلومات خاطئة **مباشرة** (هل يعني ذلك انكم تعترفون بمعلومات خاطئة غير مباشرة ، ان ذلك اشد خطرا ، لانه ينتهي الى تضليل غير واع) ، وطلبتم منا ان نشير الى مثل تلك الاخطاء . سنفعل ذلك بسرور بالرغم من اننا نشعر بالاسف حقا لكونكم لم تلحظوا مثل تلك الاخطاء بعد ان نظرتم في الكتاب **باعتناء** ، ذلك ان مثل تلك الاخطاء اشد وضوحا من ان تحتاج روايتها الى عناية غير عادية ، كما ستلاحظون :

— اولا : لدينا الامثلة التالية : ١ — « فقط منذ ١٦ سنة اصبحت اسرائيل بلد اليهود ، وطوال الوقت الذي امتد قبل ذلك كانت الارض غير مزروعة ، وكانت تتهدد الناس الذين جاؤوا للاستقرار فيها اخطار عديدة » (ص ٤ — ٥) .
٢ — « وعندما كان اليهود بعيدين عن **بلدهم** ، فانهم كانوا لا يسمعون لغتهم الا في الكنيس » (ص ١٠) . ٣ — « وقد كنا نحلم طوال الوقت بأرض خصبة ، وحقول قمح وبيارات برتقال ، ولكن لم يكن ثمة الا الغبار والرمال » (ص ١٤) .

ان هذه المقاطع ، وكثير غيرها (نأمل أن تلاحظوها) تتجنب — بما يعتقد انه براعة فائقة — ذكر اسم فلسطين والفلسطينيين ، ومع اننا لا نعتقد ان هذا التجاهل يخدم « الموضوعية » التي تتحدثون عنها في رسالتكم ، فانه بوسعنا ان نلاحظ ايضا النظرية الاستعمارية التي تقوم عليها الحركة الصهيونية ، والتي تكررها بلا تعب ، ولكن ايضا بتعمد ، بالرغم من انف حقائق التاريخ ، وهي ان فلسطين (التي تسمونها في ص ١٧ « اسرائيل » حتى قبل ان يطلق عليها هذا الاسم في ١٩٤٨ !) كانت ارضا غير مزروعة ، مليئة بالرمل والخطر ، وهي — كما تعلمون — نظرية استخدمها المستعمرون دائما لتبرير استعباد الشعوب الاخرى واضطهادها .
ان هذا تكررونه في ص ١٥ وص ١٦ وص ١٩ وص ٢٢ ، وهو يشكل القاعدة الكاذبة التي على اساسها يجري بذر الفكر الاستعماري الاستعلائي في عقول الناشئة ، حيث يراد لكلمتي تقدم وتخلف ان تعنيا استعبادا وعبودية .

● ثانيا : ولدينا طراز آخر من الامثلة : « ان العرب لا يحبوننا ، ذلك انهم يعتقدون ان الارض التي اخذناها هي ارضهم » (ص ١٥) . « انهم العرب الذين قالوا انهم سيأخذون الارض منا .. قالوا اننا اذا حصلنا على ارضنا فانهم سيهاجموننا، وفي اليوم التالي عبروا الحدود الجديدة .. ولكننا لحسن الحظ ارغمنا العرب على الخروج ... » (ص ١٧) . « لماذا يوجد عرب في بلادنا ؟... ان كثيرا من العرب الذين عاشوا في اسرائيل (؟) قد

هربوا عندما اشتعلت الحرب » (ص ١٧) .

هذه نماذج اخرى من التضليل الذي يشوه التاريخ فحين يجيء الحديث عن حق الفلسطينيين تستخدم كلمات مثل « يعتقدون » و« عبروا الحدود » ، وحين يتحدث الاسرائيليون عن ذلك فالكلمات التي تستخدم هي « ارضنا » و« طردناهم خارج الحدود » و« هربوا » .

يجب على المرء ان يكون غائبا كليا عن العصر كي لا يلحظ الانحياز والتضليل في هذه العبارات ، او على الاقل يجب ان يكون جاهلا كليا للموضوع الذي يكتب عنه ، انكم تقدمون شعبنا الذي عاش على ارض فلسطين آلاف السنين ، وامتزج تاريخه بها ، وانشأ فيها حضارات وثقافات ، انكم تقدمونه وكأنه مجموعة من العصابات تقتحمه من الخارج . انكم تكتبون تاريخا مذهلا في بعده عن التاريخ !

● ثالثا : ان نظرة الكتاب للعرب ، (بعد ان يحذف اسم الفلسطينيين من كتاب تثقيفي للاطفال يبحث جوهريا في قضية فلسطين) هي نظرة عنصرية محضة ، فهي ليست مبنية فقط على وجهة النظر الاستعمارية التقليدية التي تنظر للسكان التقليديين كبشر من المرتبة الثانية ، ولكنها ايضا تضع مقدرتهم على التطور موضع التساؤل ، وتعطي للاستعمار الاسكاني ، وهو أحط اشكال القهر والاستغلال ، طابع الرسالة — « **علينا ان نحاول مساعدة العرب الذين يعيشون هنا ، لانهم لم يتعلموا قدر ما تعلمنا ، واذا كانوا سيساعدوننا في زراعة الارض فعلينا اولا ان نعلمهم كيف يفعلون ذلك** » (ص ١٧) . ويأخذ هذا الاستعلاء المبني على الاستغلال طابع الوقاحة حين يضع القيمة الانسانية للعرب موضع التساؤل : « **ان الكثير من اليهود غير صبورين مع العرب ، وهم يقولون : من غير المفيد تعليم العرب اي شيء ، انهم لا يستطيعون ولا يريدون ان يتعلموا ، ولكن والد موسى لا يعتقد ذلك ..** » (ص ٣٨) وبالطبع فان القهر والاضطهاد والمجتمع العنصري ، بعد ذلك ، يصبح له تفسير طريف : « **ان بعض اليهود والعرب في اسرائيل لا يحبون بعضهم ، الاطفال اليهود والاطفال العرب لا يذهبون الى المدارس ذاتها** » (ص ١٧) ان هذه الحقيقة موجودة في جنوب افريقيا ، ولها في قاموس الموضوعية اسم آخر ، والا فما معنى : « **ان الاطفال العرب يركضون ... وهم قذرون جدا** » (ص ٢٧) وانه « **في البيت العربي لا تشاهد الزوجة ، فهي تبقى في المطبخ** » (ص ٣٧) وطبعا حين تمر فتاة يهودية في القرية « **تقترب منها طفلة عربية تتلمس ثوبها الجميل النظيف** » (ص ٣٩) .

● رابعا : ولو كان هناك حسن نية لدى المؤلف ، لما اختار عن قصد ، في الصفحات ٢٠ و٢٣ و٢٤ و٢٦ و٣٨ صورا « للعرب » ، وهي كل الصور المنشورة عنهم في الكتاب ، جرى اختيارها بدقة (ولا نعتقد بالصدفة) لتثبيت تلك النظرية الاستعلائية ، فهي ليست صورا قديمة فحسب ، ولكنها مأخوذة كلها من البادية ، حيث لا علاقة للامر بالقضية الفلسطينية ، ولكن اختيارها جرى لعرض صورة مناقضة للصور التي نشرت عن اسرائيل ، والتي — كعادة المستعمرين — تظهر تلك النظافة والصحة والبراءة والطهارة والحضارة المحاطة بالبرابرة وبخطر ارتداد الهمجية !

اننا لا نفهم ، كيف انه ، في وجود طوفانات من الصور التي تمثل جميع أوجه الحياة في البلاد العربية ، اضطر المؤلف في صفحة ٣٨ اختيار صور من كتب ويلفرد تسيغر عن الجزيرة العربية ، لطفلين من جنوب اليمن ، التقطت في وقت غير معروف ، وبوضع مدهش وغير مألوف ، ليوحي وكأنها لطفلين عربيين من فلسطين !

الا تلاحظون ، حتى هنا ، معنى الانحياز الذي اشرنا اليه ؟

٤ — ثمة تقليد حديث في بلادكم ، يجيز للسلطة سحب الكتب التي توصف بأنها كتب لاسامية ، واننا اذ نعتقد بأن هذا التقليد هو من الدروس المفيدة القليلة التي تعلمها الغرب في مآسي نصف القرن الماضي ، فاننا نأسف كثيرا لان هذا التقليد لم يعترف حتى الان بأن « كراهية العرب » هي شكل جديد من اللاسامية . ولذلك فان المبادرة الشجاعة ، من قبل الافراد والمؤسسات ، لها قيمة طلائعية تستحق الاعجاب ، في هذا الصدد ، اذا ما استطاعوا القيام بها .

لم يكن قصدنا من هذه الرسالة الدخول في مناقشة لكل ما ورد في الكتاب ، اذ ان ذلك يفترض ان يكون واضحا لديكم الان . ان اهتمامنا بهذا الكتاب بالذات هو بالدرجة الاولى لكونه يهاجم عقولا بريئة غير قادرة على الدفاع عن نفسها ،

ولا على اجراء اختبار للمعلومات التي يجري تلقينها لها ، وذلك لاعدادها لتكون معادية للعرب بحكم العادة ، وبمعزل عن الموضوعية .

اننا نتهم كاتبي هذا الكتاب بتعمد تشويه العرب والفلسطينيين ، وتمجيد موجة استعمارية جاءت على بحر من الدم ، وبنيت فوق جماجم جماهيرنا ، وعاشت حتى الان على القهر والاستعباد والاستغلال ، وكانت نتيجتها مئات الالوف من اللاجئين الذين طردوا تحت ارهاب الصهيونية ، والذين لم يذكر كتابكم عنهم حرفا واحدا .

لقد كان من المفروض ان يشرح الكتاب لاطفال بلادكم السبب الذي دفع اليهود للهجرة الى فلسطين ، الا انكم تجاهلتم ذلك ، لان مثل هذا السبب سيلفت نظر اطفالكم مبكرا الى جوهر المشكلة ، ويدين بالتالي طرازا من التفكير الاستعماري المبني على العنصرية والاضطهاد قاد اوروبا الى سلسلة مذابح ضد اليهود ، وما زال يستخدم بجراة متناهية ، حتى الان ، في حملة الكراهية المضادة — هذه المرة — للعرب .

ان ما يجري هو انكم تسهمون في غسل دماغ اطفالكم الابرياء ، بنفس النوع من الثقافة التي انتجت على مدار التاريخ كل مآسي الانسان سواء أكان هذا الانسان يهوديا او مسيحيا او مسلما ، ان الحقيقة هي انكم تخدمون ، في هذا الكتاب ، حلقة اولى من حلقات النفوذ الفكري الذي تمارسه العقلية الرجعية للحركة الصهيونية ، ليس فقط عن طريق تشويه حقائق التاريخ (وهي احد اعمدة سطوة الاعلام الاسرائيلي) ولكن ايضا عن طريق ترويج الفكر الاستعماري الذي — على همجيته وفاشستيته وقمعه — يعطي نفسه طابع الرسالة ، ويروج منطق احتقار شعوب العالم الثالث .

ان هذا المنطق ينتظم كتابكم من اوله الى آخره ، ولو اعطي هذا الكتاب لشخص عنده الحد الادنى من المعلومات عن قضية فلسطين ، وعن أسلوب الدعاية الصهيوني ، وكان حياديا بالمعنى العلمي ، لاظهر لكم ببساطة الاعمدة الاربعة التي يقوم عليها كتابكم : ١ — التضليل والتشويه التاريخي . ٢ — التاكيد على التفوق الاسرائيلي . ٣ — زرع فكرة « الانسان من الدرجة الثانية » بما يخص العرب . ٤ — اظهار البنية العسكرية للمجتمع الاسرائيلي بصبغة مجتمع غزو وكانها مسالة « دفاعية » ناتجة عن ذلك الصدام بين « التقدم » و« البربرية » ! وفي سبيل ذلك فالكتاب لا يستخدم اسلوبا بارعا للتغرير بعقول الاطفال فحسب ، بل يستنجد بالصور لتحقيق ذلك .

اننا نكرر طلبنا منكم ان تسحبوا الكتاب من التداول من بين أيدي اطفالكم ، فالالام التي يسببها مثل هذا الكتاب ، بصورة غير مباشرة ، لاطفال شعبنا وشعبنا برمته، ولقضية العدل والسلام في العالم، يجب ان تحفزكم على سحبه .

٥ — وبالطبع لدينا أسماء مؤسسات عربية يمكنكم الاتصال بها ، وسؤالها عما اذا كانت ترغب في الاسهام بمشروعكم وكتابة كتاب او ترشيح من يكتب كتابا عن الاطفال الفلسطينيين ، ونستطيع ان نضمن لكم موضوعية هذه المصادر (هذا الشرط الذي طلبتموه دون ان تطبقوه على كتابكم «الاطفال في اسرائيل ») ، وبوسعكم طلب المشورة من « مركز الابحاث الفلسطيني » ومن « رابطة ٥ حزيران » او من « لجنة السيدات العربيات للاعلام » في بيروت .

٦ — وبالاضافة لذلك نقترح عليكم تفحص امكانيات نشر كتاب موضوعي عن « الاطفال العرب في اسرائيل » ، او ليكن اختياركم في المرة القادمة طفلين من اليهود الشرقيين في اسرائيل ، لنقل الصورة الموضوعية .

وثمة اسماء كثيرة يمكنكم الاتصال بها لاسداء النصيحة لكم فيما يتعلق بكتب من هذا النوع ، كثير منها — طالما ان الامر يهمكم من هذه الزاوية — أسماء يهودية ، تعرف اليهودية جيدا ، وكذلك تعرف الصهيونية ، واسرائيل ، والجرائم التي ارتكبت بحق شعب فلسطين . وبوسعكم سؤال موشيه منوحين او قراءة مؤلفاته ، وكذلك المر برغر ، وعلى الطرف الاخر بوسعكم سؤال مكسيم رودنسون ، او آنيا فرانكوس ، واذا شئتم الذهاب ابعد الى اليسار فهناك ماير فلنر وموشيه ماخوفر وعكيفا اور . على اننا نؤكد لكم ان « الموضوعية » لا تعتنق دينا خاصا ، ولا تحمل جواز سفر معين ، ولكنها تشق طريقها حين يكون وراءها عقل جسور ، وعلمي .

اننا نثق بقدرتكم على الاحتفاظ لمؤسستكم بصفتها التعليمية ، والموضوعية . وننتظر منكم جوابا . »

وهذه المرة تأخر جواب دار « ل. م. » للنشر الى

١٢ تشرين الاول ١٩٧١ ! في البدء قيل ان الرسالة لم تصلهم ، وقد جرى ارسال رسالة اخرى باليد ، وبعد انتظار طويل ، جاء الرد :

« نشكركم كثيرا على رسالتكم غير المؤرخة (؟) التي تسلمناها بواسطة (...) ويبدو ان الرسالة الاصلية قد ضاعت ، لاننا لم نتسلمها اطلاقا .

بعد استلامنا رسالتكم الاولى ، قامت لجنة النشر التابعة لاتحاد المعلمين بتأليف لجنة عمل للقيام بدراسة لجميع كتبنا الـ ١٢ ، بما في ذلك « الاطفال في اسرائيل » . لقد درست لجنة العمل هذه رسالتيكم دراسة دقيقة ، وناقشت جميع النقاط التي أثرتموها . وفي ٢٨ ايلول الماضي جرى تقديم النتائج التي توصلت اليها لجنة العمل الى المكتب الرئيسي للجنة النشر ، التي تلقت بدورها نسخة عن رسالتكم . وبعد مناقشة شاملة قرر المكتب انه يجب مراجعة واعادة تحرير كتاب « الاطفال في اسرائيل » فور انتهاء بيع النسخ المطبوعة منه ، وسنقوم الان بابلاغ المؤلفين بضرورة الشروع بالمراجعة ، بعد ان جرى اطلاعهما ، بالطبع ، على اعتراضاتكم . وما زلنا ، بالاضافة لذلك ، نرغب بنشر كتاب آخر عن الاطفال العرب، ونشكركم على المقترحات التي وردت في رسالتكم.» هذا كل شيء !

الكتاب لن يسحب ولكن سيجري بيعه ، وبعد ذلك سيقوم نفس المؤلفين بمراجعته ليطبع مرة اخرى ، والرسالة التي بعثت بها دار النشر لم تتطرق الى الرد على اية نقطة اثيرت في رسالة النقد التي بعثت بها الجبهة ، ولم يقل ما هو الرأي الذي كان يعارض ، وما هي نقاطه .

اذن هل كانت المسألة اضاعة وقت ليس الا ؟ ليس تماما ، لان تفاعل نتائج ذلك كله كان يمضي قدما على صعيد آخر ، ويبدو ان سبب تأخر جواب دار (ل. م.) للنشر لم يكن بسبب ضياع مزعوم لرسالة الجبهة ، ولكن بسبب انفجار جزئي لمازق داخل اللجنة التي جرى تكليفها بمراجعة الكتاب ، وهو مأزق لم يكن من الممكن حصاره ، فانطلق الى صحف ومجلات التعليم في الدانمرك ، ومنها — ولو جزئيا — الى الصحف الاخرى !

ان دار (ل. م.) للنشر ، هي دار تأخذ على عاتقها طبع ونشر مواد تعليمية على المؤسسات والمدارس والمراكز التربوية في الدانمرك ، وتتشكل لجنتها الرئيسية من ممثلين عن ١٧ منظمة تعليمية في البلاد ، بالاضافة الى ١٥ شخصا يجري اختيارهم من المستقلين وعلى ضوء كفاءاتهم التربوية . اما التمويل فان المنظمات التربوية الممثلة فيها ، بالاضافة الى وزارة الثقافة ، توفر الراسمال ، فيما تقوم اللجنة الرئيسية المشكلة من الـ ٣٢ عضوا الذين ذكرناهم ، بانتخاب اربعة اشخاص يشكلون مجلس ادارتها .

وعندما وصلت رسالة الجبهة الشعبية الى مجلس الادارة ، جرى في اجتماع حضره عدد من اللجنة الرئيسية ، انتخاب ما سمي بلجنة عمل لمتابعة دراسة المسألة . ورغم ان لجنة العمل اتخذت قرارات متفقة تماما مع رسالة الجبهة ، وتستند الى نفس الحيثيات التي وردت في رسالة الجبهة ، فان هذه القرارات ، حين وصلت الى اللجنة الرئيسية ، اهملت كليا ، واتخذ ذلك القرار المجتزأ الذي عبرت عنه رسالة رئيس ل. م. الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولكن شريط التطورات كان يتخذ سياقا آخر . فلنتابعه :

في ٧ أيار ١٩٧١ ظهر في جريدة « بوليتيكن » مقال قصير كتبته سيدة تدعى آن ماري فليستروب ، تساءلت فيه عن صحة المعلومات الواردة في كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، ولكنها ركزت نقدها على هذا الكتاب بالذات : صوره والمعلومات المنحازة التي فيه ، وربما لكونها ناقدة كتب الاطفال في الجريدة المذكورة ، فقد اعتبرت هذا الكتاب بالذات استثناء بين كتب السلسلة التي تصدرها دار « ل. م. » . وبعد يومين ، شجع المقال هذا اثنين من المعلمين على توجيه رسالة الى دار « ل. م. » للنشر ، نقدا فيها الكتاب المذكور نقدا شديدا ، وقد اشارت الرسالة الى ان ما أورده المقال الذي كتبته السيدة فليستروب ليس كافيا . ولكن ذلك كله لم يكن سوى البداية . ففي مجلة اسمها « المدارس الشعبية » (فولك سكولن) ، وهي مجلة خاصة بالشؤون التربوية، نشرت رسالة مفتوحة من شخصين هما « السا هامريك » و« كريس ميسل » ، كانا عضوين في لجنة العمل التي شكلتها دار (ل. م.) للنشر ، واعضاء في نفس الوقت بلجنتها الرئيسية ، وقد كشفت هذه الرسالة المفتوحة ، التي نشرت بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٧١ ، حقيقة ما جرى وراء الكواليس .

قالت الرسالة :

« في شباط ١٩٧١ ، شكلت ادارة (ل. م.) لجنة عمل لمراجعة سلسلة الكتب التي اصدرتها عن اطفال البلاد الاجنبية ، لتقرر فيما اذا كان المطلوب مراجعة او سحب هذه الكتب ، وقد جرى تشكيل هذه اللجنة في اعقاب مناقشة عن الدور الذي تلعبه هذه الكتب اثارتها رسالة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول كتاب « الاطفال في اسرائيل » تلقتها دار (ل. م.) للنشر .

بعد مراجعة كل كتب السلسلة المذكورة ، أوصت لجنة العمل بضرورة سحب كل مجموعة كتب هذه السلسلة من الاسواق فورا ، وان يجري شرح اسباب سحب هذه الكتب على صفحات المجلات التربوية ، وذلك لفتح حوار حول المواد التعليمية المتعلقة بالعلاقات الدولية .

كان ثمة اقتراح لم يحز الا على اصوات الاقلية ، يقترح مواصلة بيع كتاب « ايسلندا » و« الاطفال في غرينلند » بينما تجري مناقشة خاصة لكتاب « الاطفال في اسرائيل » . وقد استندت توصية الاكثرية بسحب الكتب المذكورة كلها، من الاسواق، على ما يلي :

١ ــ ان نهج الكتب ازاء الشعوب الاخرى غير مرض ، وجرى تأكيد النقاط التالية : النقطة الرئيسية في هذه الكتب تستند الى مواد قديمة ، هنالك مقارنات مباشرة تنطلق من نظرة تقلل من قيمة التقاليد الاخرى على اعتبار ان اسلوب حياتنا نحن هو المثالي ، في امكنة كثيرة جرى تأكيد ان البلدان الفقيرة ليس بوسعها الحياة الا بمساعدة البلدان الغنية ، وقد نظر الى برامج الاعانة في هذه الدول الغنية نظرة تفاؤل مطلق ، هناك تفسيرات سطحية ومضللة للاوضاع المتخلفة في العالم الفقير ، هنالك اهمال مطلق لواقع الفروق الطبقية داخل ذلك العالم المتخلف ، ان « الحياة العصرية » قدمت غالبا وكأنها جيدة في ذاتها ، وقد عني بها دائما الحياة الاوروبية .

٢ ــ الى جانب ذلك فقد رأت لجنة العمل ، من الناحية التربوية العادية ، عدة نقاط سلبية في هذه الكتب : الصور وكلام الصور غير مرضية ، هنالك سوء تقدير للقارىء وذلك بتلقينه مباشرة دون ترك الفرصة له نفسه ليقرر موقفه ، ان هذه الكتب مبنية بصورة غير علمية واختيار المعلومات يجعلها غير جديرة بأن تكون مصدرا موثوقا ، هنالك عدة كتب من هذه السلسلة تتضمن معلومات قديمة لا تستند الى اي مصدر احصائي ، وفي حالة وجود ارقام فانها لا تشير الى الزمن الذي كانت فيه هذه الارقام صحيحة .

وفي الاجتماع الذي عقد مع ممثلي دار (ل. م.) للنشر في ٢٨ أيلول ١٩٧١ ، جرى اقرار ما يلي : « ان الكتب من رقم ١ الى رقم ٨ يجب سحبها فورا من التداول » ، اما السبب الذي ذكر فهو كون هذه الكتب اصبحت قديمة . اما الكتب من رقم ٩ الى ١٢ (وهي من غرينلند ، الاسكا ، ايسلندا واسرائيل) فسوف يستمر بيعها حتى تنفذ ، وعندها تجري مراجعتها او اعادة تحريرها. ونحن ، كأعضاء في لجنة العمل ، نشعر بأن علينا الاحتجاج لكون قرار لجنة العمل بسحب جميع الكتب لم يجر اتباعه ، ونأسف لان ممثلي دار (ل. م.) اصروا على ربط موقفهم فقط بمسألة قدم او حداثة المعلومات الواردة في هذه الكتب وليس بما نراه اكثر اهمية ، وهو النهج التعليمي والانساني ، على اعتبار اننا ندرك بأن هذا النهج يعرقل مستقبل التفاهم الدولي للطلبة . والى جانب ذلك فنحن نشعر بأن امتناع (ل. م.) عن سحب الكتب واخذ اسبابنا في عين الاعتبار ، قد حال دون نشوء حوار واسع النطاق حول مسألة العلاقات العالمية التي ينبغي توجيه طلابنا نحوها وفق الاساليب التربوية . اننا ، نحن الاثنين ، قد جرى انتخابنا كأعضاء في (ل. م.) ، ونحن لا نمثل منظمة او مجموعة معينة ، ولذلك نتصرف بصورة شخصية ، ونرى انه طالما انه لن يكون بوسعنا الدفاع عن قرار (ل. م.) فاننا نعلن هنا رغبتنا بالانسحاب من اللجنة الرئيسية لدار النشر المذكورة . »

في نفس المجلة ، العدد ٢٤ كانون الاول ١٩٧١ ، نشر مقال يعلق على هذه الرسالة المفتوحة ، ويقترح اعتبار هذه الرسالة بالذات مناسبة لبدء حوار علني حول اساليب التثقيف التضليلي في المدارس الدانمركية ، هذه الاساليب التي تستخدم معلومات ومواقف عنصرية وغير واقعية حول الشعوب والبلدان الاجنبية . واعاد المقال اثارة موضوع كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، واعلن ان الكتاب يجب سحبه من الاسواق فورا لانه مهين وعنصري . وتساءل المقال عما كان حدث لو ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم توجه رسالة

الى (ل. م.) حول اسلوب التعليم الذي تتبعه، وهي الرسالة التي ادت الى تشكيل لجنة العمل ، وبالتالي اكتشاف الاخطاء الفادحة في تربية الطلاب على العنصرية والخطأ . واشار المقال الى ان لجنة العمل ، في تقريرها عن كتاب « الاطفال في اسرائيل » قد ذكرت تقريبا نفس النقاط التي سبقتها رسالة ج. ش. ت. ف. الى تأكيدها . وتساءل المقال عن غاية (ل. م.) من تشكيل لجنة عمل اذا لم يكن في نيتها من الاساس اتباع قرارها ؟ وقال المقال انه في مناقشة جرت في ١٤ ايلول ١٩٧١ في برنامج تعليمي في الراديو الدانمركي (التعليم مهمتنا) قال ممثل (ل. م.) مجيبا على سؤال حول امكانية سحب كتاب « الاطفال في اسرائيل » اذا ما رأت اللجنة انه كتاب سيىء ، فأكد ان قرار لجنة العمل هو شرعي ، وان الكتاب سيسحب اذا ما جرى اقرار ذلك ديمقراطيا . وقال المقال ان احدى المشتركات في المناقشة في الراديو قالت : « ها قد مضت ثمانية شهور على اليوم الذي تلقت فيه (ل. م.) الرسالة من ج. ش. ت. ف. ولم يتخذ قرار بعد ، واننا نتساءل عما اذا كان الوقت نفسه قد مر ، لو كانت الرسالة موجهة من جهة صهيونية » .

وقد جرى فيما بعد طرد هذه السيدة من عملها في الراديو ، بحجة انها هاجمت السوق الاوروبية المشتركة في احد برامجها للاطفال .

وفي عددها الذي صدر في تشرين الاول ١٩٧١ ، نشرت مجلة « المربون الشبان » (يونغ باديغوغر) مقالا جاء فيه ان كتاب « الاطفال في اسرائيل » كتاب منحاز ، خصوصا الفصل الخاص عن الحرب المستند كليا على اخطاء ، وقال : « من الممكن جمع عدد كبير من المفردات ، في هذا الكتاب ، تتسم بالتمييز العنصري ، وتصبح هذه الحقيقة خطيرة جدا لكونها موجهة الى عقول بريئة هزلاء ». ومضى يقول : « الاستنتاج هو ان على (ل. م.) ان تسحب الكتاب من الاسواق فورا ، وان تبعث بالنسخ التي لم تبع بعد الى المحرقة » .
ولكن دار (ل.م.) لم تصل الى نفس الاستنتاج، كما رأينا ، واتخذت قرارا مغايرا .

وفي عددها التالي (كانون الاول ١٩٧١) عادت المجلة ذاتها الى الموضوع ، فشنت هجوما على «ل. م.» بسبب موقفها من هذه القضية ، وقالت : « ان اللجنة الرئيسية لـ (ل. م.) اجتمعت في ٢٢ شباط ١٩٧١ ، وكان على رأس جدول اعمالها رسالة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول كتاب « الاطفال في اسرائيل » الذي وصفته الجبهة بأنه عنصري ضد العرب داخل وخارج اسرائيل ، وقد جرى تشكيل لجنة عمل لدراسة هذه التهمة ». وذكرت المجلة ان قرار لجنة العمل كان سحب جميع الكتب التي اصدرتها دار (ل. م.) من التداول فورا ، ثم عددت الاسباب التي استندت اليها لجنة العمل، مؤكدة على اهمية الحوار العلني المستهدف من وراء هذا العمل ، في المجلات التربوية والتعليمية ، لاستخلاص الدروس ، ولمنع كتب اخرى مماثلة . وقالت المجلة انه في جلسة ايلول حضر ١٩ عضوا فقط من اصل ٣٣ ، وصوت ٧ مع و٢ ضد القرار الذي اشير اليه سابقا ، فيما امتنع الاخرون عن التصويت . وقالت المجلة انه « في ١٠ تشرين الاول انسحب العضوان اللذان كانا ضد القرار ، وفي ٨ تشرين الثاني تبين ان جميع الكتب التي اصدرتها دار (ل. م.) ما تزال قيد البيع ، وانها لم تسحب . » وانتهزت المجلة الفرصة لتوجه نقدا شديدا الى اسلوب عمل دار (ل. م.) للنشر ، واقترحت نظاما جديدا للدار ، طالبت المربين باتباعه بدل النظام الخاطىء القائم والذي يجعل ارتكاب مثل تلك الاخطاء ميسورا . وانتهت المجلة الى قرار : ان « المربين الشبان » لا يجدون اي مبرر لبقائهم ممثلين في اللجنة الرئيسية ، ولذلك فان ممثل منظمة المربين الشبان في (ل. م.) يعلن انسحابه الفوري منها .

وشرعت المجلة نفسها بنشر سلسلة من مقالات النقد ضد بعض الكتب التي اصدرتها الدار ، وان قراءة سريعة لهذه المقالات تظهر بأن الاطفال العرب لم يكونوا وحدهم مادة التمييز العنصري في سلاسل الدار المذكورة ، ولكن اطفال العالم المتخلف كله ! وفي ٦ كانون الثاني ١٩٧٢ ظهر فجأة في مجلة « اكسترا بلادت » ، وهي اكبر صحف الظهيرة في الدانمرك مقال عنوانه العريض : « دار ل. م. للنشر ، تنشر كتبا عنصرية » . واشار المقال في مطلعه الى ان « المعلمين الشبان في الدانمرك يحتجون بشدة هذه الايام على عملية التضليل العنصرية التي تتعرض لها عقول الاطفال العزلاء » وركز المقال على ان المعلمين يطالبون بضرورة سحب

الكتاب ، الذي يتحدث عن اطفال اسرائيل فورا من المكتبات ، وان ادارة ل. م. لم تكترث بهذه المطالب .

وقالت معلمة لكاتب المقال المذكور : « كنت احاول تدريس الاطفال شيئا عن الاطفال اليهود ، حين رايت في ذلك الكتاب شكلا فاضحا من اشكال العنصرية ضد العرب ، وحملة كراهية ضدهم » . وقالت المعلمة ان امتناع (ل. م.) عن سحب الكتاب ، في رايها ، يعود الى سببين رئيسيين ، الاول هو سبب اقتصادي، والثاني هو كون احداث الكتاب تتعلق ببلاد بعيدة لا تعني الراي العام ولا يهتم بها ، من وجهة نظر دار النشر .

وقال معلم آخر لكاتب المقال ان الحملة العنصرية ضد العرب في الكتاب المذكور مثال واحد فقط على العقلية التي يجري فيها تناول شؤون العالم النامي .

واورد المعلمان نماذج من كتب اطفال مختلفة تدرس في مدارس الدانمرك حول الاطفال الاسرائيليين والعرب ، تحتوي على حملة عنصريةضد العرب ، وقالت المعلمة المشار اليها : « ان واجبي كمربية ان ارفض واقاوم محاولات زرع فكرة ان العرب بشر من الدرجة الثانية » !

وبالرغم من ان صمت (ل. م.) استمر وقتا طويلا ، الا انه فجأة ظهر اول رد للدار في مقال نشر في جريدة « اكتويلت » وهي ناطقة بلسان الاشتراكيين الديمقراطيين ، كان عنوانه : « من الذي يقرر ماذا يجب ان تحتوي الكتب المدرسية الدانمركية ؟ » .

وقال كاتب المقال « ان الجبهة الشعبية طالبت (ل. م.) بضرورة سحب كتاب « الاطفال في اسرائيل » من المدارس الدانمركية لانه عنصري »، وقال ان اللجنة التعليمية البرلمانية قد طرحت على وزير التعليم الدانمركي سؤالا يتعلق بموقف الحكومة الدانمركية من مثل هذه المطالب ، وماذا يجب ان يفعل .

وطالبت اللجنة البرلمانية بمعرفة امكانات وضع حد لكل اشكال الضغوط على (ل. م.) من قبل جماعات او منظمات .

ونشرت المجلة على لسان مسؤول في (ل. م.) « ان ١٦ منظمة تعليمية قد قامت بمراجعة الكتاب المذكور ، وانها بعثت لـ (ل. م.) بآرائها ، ومقترحاتها ، وهي آراء ومقترحات سيجري على ضوئها اعادة تحرير الكتاب » ، ولكنه اكد ان الكتاب ليس عنصريا .

وقالت الجريدة : « انه من الخطر الشديد الانصياع لاراء منظمات اجنبية حول ما يجب ان يكتب في الكتب المدرسية الدانمركية » .

وفي تاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٢ ظهر مقال آخر في مجلة «الاطفال والشباب» التي تصدرها منظمة الفتيان الدانمركية ، وهي من منظمات الدولة الاجتماعية ، كتبته معلمة دانمركية تدعى « ميني جوهانسون »، عنوانه : « الفلسطينيون مضطهدون في الكتب التعليمية الدانمركية » . واعاد المقال طرح الموضوع من اساسه ، واشارت كاتبته الى الكمية غير العادية من الكتب والمجلات التي تهدف ليس فقط الى تبرير السيطرة الصهيونية على فلسطين ، ولكن الى محو اسم « الفلسطينيين » من التاريخ . ووجه المقال نقدا لاسلوب التعليم حين يجيء الى القضية الفلسطينية ، متحدثا باسهاب عن اسطورة « تحويل الصحراء الى جنات » واساطير اخرى من هذا الطراز هدفها بناء قيم مزيفة ومنحرفة عند الاطفال . وكشفت الكاتبة عن كتب اخرى ، موجهة للاطفال وللفتيان في المدارس الدانمركية ، حول اسرائيل ، تدور كلها على نفس المحاور الذي يدور عليها كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، وتشترك كلها بمستوى من التضليل والتزوير لا يجوز تجاهله بعد .

ان القضية ما تزال تتطور ، ويبدو ان دار النشر قد اصبحت الان في الزاوية ، وحتى محاولاتها لاثارة المسألة برلمانيا لم تنجح ، لان عددا من اعضاء اللجنة البرلمانية للتعليم اكتشفوا سلفا انه لن يكون بوسعهم الدفاع عن مثل ذلك الكتاب. طبعا اننا ندرك ان معجزة ما لن تحدث ، وان اساليب التعليم المنحازة ، التي تعبر عن مصالح الطبقة السائدة ، لن يجري تغييرها بالاقناع ، ولكن تجربة من هذا النوع تطرح كمية غير محدودة من الدروس والقواعد التي تخدم في ارساء خطط عمل في المستقبل .

ولن نقوم ها هنا بمحاولة لتلخيص هذه الدروس ، ولكن يهمنا الاشارة ، بالدرجة الاولى ، الى انه حين تتبلور معركة ما على صعيد الاعلام ، فانها

تأخذ على الفور شكل المواجهة بين يمين ويسار في المجتمع الذي تجري فيه ، وتتوزع المهمات والمواقف حسب المصالح على الفور ، وهذا يعني انه لا يمكن ربح معركة اعلامية اذا لم يكن من المخطط لها في الاساس زج العناصر اليسارية في البلد المعني وسطها ، وتركها بصورة كاملة ، تقريبا ، لتحفر مجراها داخل التناقضات القائمة في ذلك المجتمع ، وليس فوقها ، وبمعزل عنها .

ونحن نرى ، على الفور ، ان اية قضية اعلامية عربية (مثلها مثل كل القضايا النضالية) يمكن ان تتبلور بالتدريج كقضية قائمة وحارة وسط المجتمع الاوروبي الذي تثار فيه ومرتبطة بالمسائل التي يعيشها يوميا ، وليست قضية هامشية من المفترض ان يتخذ ازاءها موقفا اخلاقيا لا يتعلق مباشرة بمصالحه ، وقد رأينا كيف ان قضية كتاب « الاطفال في اسرائيل » لم تعد ، فقط ، مسألة موقف من الصهيونية او من العرب ، بل اصبحت جزءا من معركة ضد هيمنة القوى الرجعية وبنيتها الثقافية والتعليمية ، داخل الدانمرك ، وبينها وبين دول العالم النامي .

ولهذا فان معركة من هذا النوع تحتاج الى تفجير بادىء ذي بدء ، ثم تحتاج متابعتها الى ربطها بمصالح وآراء ومواقف القوى اليسارية في المجتمع الذي تثار فيه ، وبأفضل ما فيه من قيم ، ولعل هذه المهمة ليست مهمة لجان دعم القضايا العربية فحسب ، بل تدخل ايضا في صلب مهام القوى التقدمية المرتبطة بمسائل النضال السياسي في مجتمعها .

ان النموذج الاعلامي الذي عرضناه بتفصيل قد يبدو لاول وهلة وكأنه غير مهم وغير اساسي ، يشكل في رأينا مثالا يمكن من استخلاص جملة قواعد وقوانين لا غنى عنها .

غسان كنفاني

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتـــاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقلـــم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث ان يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في احد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها.

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير ١٠ ل. ل.

تضاف اجـور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البـلاد العربيـة
٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

بريطانيه : صندوق الاستكشافات الفلسطينية

تأسس صندوق الاستكشافات الفلسطينية عام ١٨٦٥ ، ولكن سبقته مؤسسات أخرى تعمل لنفس الهدف ، ففي عام ١٨٠١ شكلت في لندن جمعية باسم جمعية فلسطين مهمتها جمع ونشر المعلومات عن جغرافية البلاد المقدسة وسكانها ومناخها وتاريخها. ولم تتمكن هذه الجمعية من عمل شيء يذكر ، سوى نشر ترجمة بالانجليزية لكتاب سيتزن يصف فيه الاراضي المحيطة ببحيرة طبرية ونهر الاردن . وعزي فشل جمعية فلسطين الى خطورة الوضع في البلاد والى كون الوقت غير مناسب للاستكشاف . وفي عام ١٨٣٠ تشكلت الجمعية الجغرافية الملكية فرأت جمعية فلسطين انه لم يبق مبرر لوجودها وسلمت الى الجمعية الجديدة جميع ما لديها من ملفات وكتب واموال . ولكن انشغال الجمعية الملكية الجغرافية بسائر انحاء العالم لم يمكنها من عمل شيء ذي بال في سبيل اكتشاف فلسطين. وظهر في اواخر الثلاثينات حزب سياسي في بريطانيا بأسم « الحزب الديني » كان من أبرز قادته اللورد آشلي (ايرل شافتسبري) ، والهدف الرئيسي لهذا الحزب هو نشر المذهب البروتستانتي الانجليكاني بين اليهود وتجميعهم في فلسطين تمهيدا لعودة السيد المسيح . وفي نفس الفترة وبالذات في عام ١٨٣٨ ، قدم الى فلسطين قس امريكي اسمه ادوارد روبنسون كان قد عين استاذا لادب التوراة في كلية الاتحاد الدينية في نيويورك وبدأ عمله بزيارة لفلسطين استمرت ثلاث سنوات ، ونشر لدى عودته عام ١٨٤٢ كتابا بعنوان « ابحاث توراتية في فلسطين » ومنحته الجمعية الملكية الجغرافية المدالية الملكية الذهبية مكافأة له على هذا المجهود ، وعاد روبنسون مرة اخرى الى فلسطين بعد عشر سنوات وكانت نتيجتها كتابا آخر بعنوان « ابحاث توراتية جديدة في فلسطين » نشر عام ١٨٥٦ ، وكان لهذين الكتابين أثر كبير في اثارة اهتمام الرحالة والمكتشفين والباحثين .

وشهدت البلاد في الاربعينات موجة من المكتشفين والرحالة من نوع اخر : ضباط هدفهم مسح البلاد ورسم الخرائط لها(١)، ففي عام ١٨٤١ قام الملازم سيموندس من سلاح الهندسة في الجيش البريطاني بزيارة فلسطين ومسح المنطقة الممتدة من يافا الى القدس، فالبحر الميت. وفي عام ١٨٤٧ قام الملازم مولنوه من الاسطول البريطاني بالسفر في قارب من بحيرة طبرية حتى البحر الميت ومسح المنطقة ، وتلاه في العام التالي في رحلة مماثلة الملازم لنش من الاسطول الامريكي وعلاوة على مسح النهر والبحر الميت قام بقياس عمق البحر الميت بواسطة الارتداد الصوتي . وفي عام ١٨٥١ — ٥٢ قام الملازم فان دي فيلد من الاسطول الهولندي بزيارة فلسطين وزارها مرة اخرى بعدعشر سنين ورسم لها خارطة وكتب ملاحظات مفصلة .

هذه كلها كانت حوافز خارجية لتشكيل صندوق الاستكشافات الفلسطينية كما يقول مؤسسو الصندوق ، الا ان من الزوار الذين قاموا بدور رئيسي في تأسيسه نائب مطران وستمنستر الذي زار البلاد عام ١٨٥٦ وكتب لدى عودته كتابا بعنوان (سيناء وفلسطين) وزارها مرة اخرى عام ١٨٦٢ مرافقا لولي عهد الملكة فيكتوريا الذي اصبح فيما بعد ملكا بأسم ادوارد السابع(٢). وكان ولي عهد بريطانيا اول سائح غربي يزور مغارة المقبلة الكائنة تحت الحرم الابراهيمي الشريف في الخليل واعتبر البريطانيون هذه الزيارة فاتحة عهد جديد واصبح السياح البريطانيون وغيرهم من الاوروبيين يزورون هذه المغارة وقالت صحيفة التايمز اللندنية ان هذه الزيارة فتحت آفاق البحث في سوريا امام المسيحيين(٣).

كانت البداية ان تبرعت البارونة بورديت كوتس عام ١٨٦٤ بتقديم مبلغ خمسمائة جنيه — وهو مبلغ ضخم في تلك الايام — لاجراء مسح لمدينة القدس بغية تحسين موارد المياه فيها(٤). دفع المبلغ الى مدير المساحة الانجليزي ووقع الاختيار على ضابط من سلاح الهندسة بالجيش البريطاني وهو الرئيس (النقيب) تشارلس ويلسون(٥)

---

١ — Fifty Years Work in Palestine, P. E. F. London, 1915.

٢ — المصدر نفسه .

٣ — The Times 22. 4. 1865

٤ — Fifty Years Work in Palestine

٥ — اصبح فيما بعد رئيس المخابرات البريطانية برتبة جنرال واعطي لقب سير .

فوصل الى البلاد في شهر حزيران عام ١٨٦٤ على رأس فريق من سلاح الهندسة ، واتم مهمته في أيار من العام التالي . وتضمنت هذه المهمة رسم خارطة للقدس بمقياس رسم ١/٢٥٠٠ ، وخرائط مفصلة لقبة الصخرة المشرفة ، وكنيسة القيامة وغيرهما من الاماكن الهامة في المدينة ، وخارطة للمنطقة المحيطة بالقدس بمقياس رسم ١/١٠٠٠٠ وقامت ادارة المساحة الانجليزية بنشر هذه الخرائط الى جانب صور وملاحظات ، فكان لها أثر كبير في الاوساط البريطانية ، وكانت الحافز المباشر لتشكيل الصندوق . ففي الثامن من أيار نشر اعلان في صحيفة التايمز اللندنية(٦) يدعو المهتمين الى حضور اجتماع لتشكيل جمعية تقوم بتوظيف أشخاص أكفاء للقيام بالمهام التالية : ١ — الحفريات الاثرية ، ٢ — دراسة عادات وتقاليد السكان ولغتهم وطقوسهم الدينية بأدق تفاصيلها، ٣ — دراسة طوبوغرافية الارض : الطرق القديمة ومدى مطابقتها للطرق الحديثة نظرا لانها لم تدرس من قبل بالقدر الذي تستحقه من الاهتمام ونظرا لما لها من اهمية بالغة في دراسة التاريخ ، ٤ — الجيولوجيا ، ٥ — العلوم الطبيعية .

وقال الاعلان ان الامير البرت قرين الملكة فيكتوريا وافق على أن يكون راعيا للجمعية وساهم في رأسمال الصندوق ، وعدد الاعلان الاشخاص الذين وافقوا على الانضمام الى لجنة الصندوق وكانوا جميعا من كبار رجال الدين او أعضاء البرلمان أو الدوقات واللوردات ، ومن بينهم ايرل شافتسبري الذي ورد اسمه مرتبطا بالحزب الديني ، وحدد موعد اول اجتماع للجنة في الثاني عشر من أيار ١٨٦٥(٧). وعقد الاجتماع في كنيسة وستمنستر في الثاني والعشرين من شهر حزيران وفي هذا الاجتماع تم تشكيل الجمعية .

تقدم رئيس اساقفة يورك باقتراح ثلاثة مبادىء تسير عليها الجمعية وهي : ١ — ان يكون اي عمل تقوم به على أساس علمي ، ٢ — ان تمتنع كجمعية عن الدخول في أي جدل ، ٣ — الا تكون جمعية دينية ولا تمارس اعمالها على هذا الاساس(٨).

وقد ووفق على هذه المبادىء وتشكلت الجمعية من خمسة واربعين عضوا في البداية برئاسة رئيس أساقفة كنتربري وكان رئيس أساقفة يورك نائبا للرئيس . ووافقت الملكة فيكتوريا على ان تكون هي راعية الجمعية وتبرعت لها بمائة وخمسين جنيها وتعاقب ملوك انجلترا من بعدها على رعاية الجمعية حتى الوقت الحاضر . وساهمت جامعتا اكسفورد وكمبردج في تمويل الجمعية ، وكذلك الجمعية البريطانية ولجنة تحسين سوريا ، والمحفل الماسوني الاكبر، وعدد كبير من الافراد . واتسع نطاق الجمعية فيما بعد فاصبح لها ستة واربعون فرعا في مختلف انحاء بريطانيا .

بدأت الجمعية اعمالها ببعثة استطلاعية قام بها فريق من سلاح الهندسة البريطاني برئاسة الرئيس ويلسون ، وصلت الى بانياس في مطلع كانون الثاني عام ١٨٦٦ واجرت مسحا لمنابع نهر الاردن وجالت معظم انحاء البلاد حيث قامت بمسح مبدئي ، وكلفت هذه الجولة ١٥٥٠ جنيها(٩).

وفي عام ١٨٦٧ وصلت الى القدس بعثة اخرى برئاسة الملازم تشارلز وارين (الذي وصل فيما بعد رتبة جنرال واعطي لقب سير) وكانت مهمتها: ١ — تحديد موقع الهيكل (هيكل سليمان) بالضبط ، ٢ — تحديد السنة التي بنيت فيها قبة الصخرة المشرفة ، ٣ — تحديد موقع كنيسة القيامة وغيرها من المباني الهامة . وعلاوة على الحفريات التي قام بها وارين في القدس زار غزة وعسقلان ومدنا اخرى واجرى مسحا لمنطقة تبلغ مساحتها ثمانمائة ميل مربع بين غزة والقدس .

وقدمت الى فلسطين بعثة ثالثة عام ١٨٦٩ — ٧٠ توجهت الى صحراء سيناء (لمعرفة الطريق الذي سلكه بنو اسرائيل في هجرتهم من مصر الى فلسطين) وكانت برئاسة الرئيس ويلسون ومساعده الرئيس بالمر وهو أيضا من سلاح الهندسة . ولكن هذه كلها كانت مقدمات لعمل اهم واكبر عرف باسم (مسح فلسطين الغربية) والمقصود بذلك فلسطين الممتدة من البحر الابيض المتوسط غربا الى نهر الاردن شرقا ، وقد استغرقت هذه العملية ست سنوات من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٧٧ ، وكانت مهمتها رسم خارطة لفلسطين

---

٦ — صحيفة التايمز ١٨٦٥/٥/٨ .

٧ — **المصدر نفسه** .

٨ — Fifty Years Work in Palestine

٩ — **المصدر نفسه** .

بمقياس رسم مقداره **بوصة واحدة لكل ميل** ، ورسم خرائط بمقاييس رسم اكبر للاماكن الهامة والمدن الاثرية ، وعمل خرائط ورسوم ورسومات مفصلة للمباني والقبور ، واجراء حفريات في الاماكن الهامة ، وجمع اسماء الاماكن القديمة والخرائب والقرى والتقاط الصور ، وجمع العينات الجيولوجية والاثار ، والعينات الحيوانية والنباتية وعمل رسومات مجسمة وتصوير الاشياء والكتابات الاثرية ... الى غير ذلك .

وصلت البعثة الى يافا في تشرين الثاني عام ١٨٧١(١٠) بقيادة الرئيس ر. و. ستيوارت من سلاح الهندسة الا انه سرعان ما مرض وعاد الى انجلترا فجاء شخص اخر اسمه تيرويت دريك من دمشق لرئاسة البعثة مؤقتا ، ومن خبراته السابقة انه رافق بالمر في مهمته في صحراء التيه (سيناء). وفي شهر تموز وصل الملازم كلود كوندر ، كذلك من سلاح الهندسة ليترأس البعثة وظل دريك مساعدا له حتى توفي في القدس عام ١٨٧٤ ، وجاء بدلا منه الملازم كيتشنر الذي كان له فيما بعد شأن كبير في مصر وجنوب افريقيا وأصبح وزيرا للحربية البريطانية . وفي عام ١٨٧٧ وقعت مشادة عنيفة بين أفراد البعثة وجماعة من مدينة صفد اسفرت عن اصابة كتشنر بجراح كادت تودي بحياته ولكن السلطات العثمانية انتقمت من العرب سكان المدينة وغرمتهم مائة وخمسين جنيها ولكن كتشنر لم يقبل بهذا المبلغ فظلت تزيد الغرامة حتى رضي بها كتشنر وكانت مائتين وسبعين جنيها تبرع بها لصندوق الاستكشافات الفلسطينية(١١).

عادت البعثة الى انجلترا وعكفت على كتابة مؤلفاتها ورسم خرائطها التي نشرت ما بين عامي ١٨٨١ و١٨٨٤ وتضمنت سبعة مجلدات ، منها ثلاثة مجلدات مذكرات ، ويتضمن المجلد الرابع قائمة بأسماء الاماكن ضمت عشرة الاف اسم ، والمجلد الخامس خلاصة الابحاث التي كانت تنشر في مجلة الصندوق التي تصدر مرة كل ثلاثة اشهر(١٢)، والمجلد السادس خلاصة نتائج الحفريات في القدس ، وكان المجلد السابع عن الحيوانات والنباتات في فلسطين .

وكانت الى جانب المجلدات السبعة اربع خرائط : ١ ــ خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى باسمائها العربية الحالية ، ٢ ــ خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى بالاسماء التي وردت في التوراة (العهد القديم) ، ٣ ــ خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى بالاسماء التي وردت في الانجيل (العهد الجديد) ، ٤ ــ خارطة لفلسطين تبين مصادر المياه وتوزيعها(١٣).

وفي عام ١٨٨١ قررت لجنة الصندوق اجراء مسح لشرقي الاردن (او فلسطين الشرقية كما جاء في منشورات الصندوق) فرصدت لهذه المهمة ثلاثة الاف جنيه وجهزت بعثة من سلاح الهندسة بقيادة كوندر ويساعده الملازم أ. م. مانتل ، ووصلت البعثة الى بيروت في اذار من ذلك العام وواصلت السفر الى شرقي الاردن حيث كانت الاوضاع غير مستقرة على أثر الحرب بين روسيا وتركيا وبسبب وجود قلاقل واضطرابات في المنطقة . وفي شهر آب تمكنت من وضع ترتيبات مرضية مع الشيخ قبلان العدوان لحمايتها ، ولكن قائمقام السلط منعها من ممارسة عملها ، وفشلت المحاولات التي بذلت في استانبول لاستصدار فرمان جديد يسمح للبعثة بممارسة العمل ، ولم يمض طويل وقت حتى استدعي كوندر للقيام بمهمة اكبر ضابط مخابرات في مصر على اثر ثورة عرابي باشا . ولكن فشل البعثة لم يحل دون مواصلة اللجنة عملها بطريقة اخرى ، ففي عام ١٨٨٥ تعاقدت مع الدكتور جي سكوماشر الذي كان موظفا لدى سكة حديد حيفا ــ دمشق لرسم خارطة لمنطقتي حوران وعجلون ، وكلفته عام ١٨٨٩ برسم خارطة لشمال منطقة عجلون . واصدرت اللجنة طبعة جديدة من خارطة فلسطين عام ١٨٩٠(١٤). وفي عام ١٩١٣ سمحت وزارة الحربية للرئيس س. ف. نيوكوم والملازم ف. سي.س ــ جريج، بمسح النقب والمناطق الجنوبية من فلسطين الى الحدود المصرية ، وقد وقع الاختيار على نيوكوم لانه كان قد سبق له مسح شبه جزيرة سيناء من قناة السويس الى الحدود المصرية التركية (الفلسطينية) وكان على صلة وثيقة بقبائل المنطقة.

---

١٠ ــ **المصدر نفسه** .

١١ ــ The City and the Land, P.E.F., London, 1892.

١٢ ــ Palestine Exploration Quarterly.

١٣ ــ Fifty Years Work in Palestine

١٤ ــ **المصدر نفسه** .

واستدعي المستر سي. ل. وولي والمستر تي. ي. لورنس من جرابلس لدراسة الاثار في المنطقة التي اتمت البعثة مسحها باستثناء ناحية صغيرة عند ميناء العقبة رفضت السلطات العثمانية السماح لها بدخولها ، ولم يكن لذلك المنع تاثير كبير فقد كان كتشنر قد مسح هذه المنطقة عام ١٨٨٠(١٥). وسبق عملية المسح الاخيرة هذه عمليات مسح وحفريات في اماكن محددة كوادي عربة عام (١٨٨٢ — ٨٤) ، وحفريات في تل الحسي (١٨٩٠ — ٩٢) ، والقدس (١٨٩٤ — ٩٧) وتلال زكريا والصافي والجديدة وساندراهانة (١٨٩٨ — ١٩٠٠) وتل الجزاري (١٩٠٢ — ١٩٠٥)وعاودت البعثة الحفر في هذا المكان (١٩٠٧ — ١٩٠٩) وحفرت في عين شمس (١٩١١ — ١٩١٢) .

وعندما ارادت بريطانيا التدخل عسكريا في مصر عام ١٨٨٢ على اثر قيام ثورة عرابي باشا سعت الى ضمان تأييد شيوخ القبائل في سيناء لها او الى ضمان سكوتها على الاقل لتضمن بذلك سلامة قناة السويس وعدم تعرض القوات البريطانية الى هجوم من الخلف . فلم تجد من يقوم بهذه المهمة افضل من البروفسور بالمر — موظف صندوق الاستكشافات الفلسطينية — فوصل الى غزة ومشى من هناك الى قناة السويس حيث عقد اتفاقيات مع مشايخ الطوارة والتياهة وغيرهما من قبائل المنطقة ، وقدم تقريرا بهذا الشأن في مطلع شهر آب عام ١٨٨٢ الى الاميرال السير وليم هيويت ولكنه قتل هو وزميلان بريطانيان له في الثامن من الشهر ذاته اثناء عودتهم الى غزة ، وانتقمت الحكومة البريطانية لمقتلهم انتقاما قال عنه الكولونيل واتسون امين صندوق الاستكشافات البريطانية آنذاك ان رجال القبائل لن ينسوه أبد الدهر . وقال ان خسارة الصندوق بوفاة بالمر لا تعوض لانه لم يكن يوجد من يعرف العرب والعربية اكثر منه(١٦).

عقدت لجنة الصندوق سلسلة من المحاضرات في صيف عام ١٨٩٢ ونشرت هذه السلسلة في كتاب بعنوان « المدينة والبلاد » وكان ابرز ما فيه محاضرتان احداهما القاها وولتر بيسانت الامين الفخري للصندوق وكان قد شغل منصب الامين الفعلي مدة خمسة وعشرين عاما . والثانية القاها كلود كوندر وكانت بعنوان « مستقبل فلسطين ». تحدث بيسانت عن عمل الجمعية فقال : « كنا نقوم بثورة كاملة في فهم ودراسة التوراة ، كنا نحيي العظام وهي رميم ، كنا نستعيد مجد فلسطين في عهد هيرودوس، كنا نستعيد بلاد داود، كنا نرد الى الخارطة اسماء المدن التي دمرها القائد العظيم يوشع ، لقد اعدنا للقدس مجدها وفخامتها ، لقد اعدنا البلاد (فلسطين) للعالم بالخارطة وبالاسماء والاماكن المذكورة في التوراة . واسمحوا لي أن افاخر بذلك اذا علمتم ان شخصا واحدا (كوندر) قد استعاد من الاسماء القديمة اكثر مما فعله جميع الباحثين والرحالين حتى الان »(١٧). ومضى بيسانت في مفاخرته بمنجزات الصندوق فقال : « عندما وضعت الاسماء في اماكنها اصبح في وسعنا تتبع سير الجيوش في زحفها ... طريق السرية البطريركية .. طريق الغازي .. طريق العدو الهارب ... هنا توجد التلال ، وهناك توجد الوديان ، وهناك الطرق ... الجيش لا يستطيع ان يقفز قفزا من فوق الوادي ، لا يستطيع ان يتسلق صخرة عمودية في انحدارها ... وانما هذا هو الطريق الذي كان للقائد الفلاني ان يقود قواته فيه ولا طريق سواه . » هذه الفقرة بالذات لها أهمية كبيرة لا تقف عند حد دراسة التاريخ ، وقد استفاد الجيش البريطاني في غزو فلسطين عام ١٩١٧ وكذلك الجيش الصهيوني عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٥٦ من الطرق القديمة التي كانت قد اندثرت على مر الايام . والقى كلود كوندر — الذي تكرر ذكر اسمه فيما سبق — كلمة بعنوان « مستقبل فلسطين » ولعل في هذه الكلمة دليلا ملموسا على اهداف الصندوق الحقيقية ، فقال : « التاريخ يعيد نفسه ، وهذا يصح بصورة خاصة في الامور المتعلقة بالتجارة والحرب ، لان الطرق في أي بلد تظل على حالها عبر القرون، والتضاريس الطبيعية كالجبال والينابيع والانهار لا تتغير ، والاماكن المشرفة على ميادين القتال ثابتة وان تغيرت الاسلحة والاساليب التي تتبعها الجيوش »(١٨). ومضى كوندر فتحدث عن الهجرة اليهودية الى فلسطين وخاصة مدينة القدس فقال ان عدد اليهود في مدينة القدس عام ١٨٧٣ لم يكن

---

١٥ — المصدر نفسه .
١٦ — المصدر نفسه .
١٧ — The City and the Land.
١٨ — المصدر نفسه .

يتجاوز بضع مئات اما الان (١٨٩٢) فقد بلغ عددهم اربعين الفا ، واصبحوا يسيطرون على التجارة في المدينة ولم يعد اليهود اقلية مضطهدة وجبانة . وانما يبدو انهم سادة المدينة . واشار الى دوره ودور الجمعية التي يعمل لحسابها (صندوق الاستكشافات الفلسطينية) في تشجيع هذه التطورات فقال : « اعتقد بأنني استطيع القول دون تبجح انه كان لي (ولاخرين غيري) دور ما في هذه الحركة . ففي اول كتاب نشرته بعنوان (مخيمات في فلسطين) حاربت الفكرة القائلة ان فلسطين لم تعد قطرا يصلح للسكنى ، وادى ذلك الى عرض محرر صحيفة « ذي جيويش كرونيكل » علي أن اكتب مجموعة من المقالات عن الاستعمار اليهودي في فلسطين . ويبدو ان هذه المقالات لفتت انتباه لورنس اوليفانت(١٩) وقدمت له سلسلة من الاقتراحات يبدو انه قبلها كأساس ، ولكنه استعاض عنها عن اقتراحي اقامة مستعمرة في الجليل باقتراح من عنده هو لاقامة مقاطعة يهودية في جبال جلعاد (البلقاء وعجلون) ولكنني لا اعتقد بأن ذلك ممكن ، لان السلطان لن يوافق على اقامة دولة داخل الدولة ، علاوة على أن المنطقة بعيدة وستكون عرضة لهجمات البدو ، والمواصلات بينها وبين البحر طويلة ورديئة مما يجعلها غير صالحة لان تكون مركزا طبيعيا لشعب يهودي جديد . واقترح المستر اوليفانت مد خطوط سكة حديدية عبر هذه الجبال لا يمكن لاي مهندس ان يحاول مدها . والخط الوحيد الذي يرجح ان ينجح هو الخط الذي رسمته في مراسلاتي عام ١٨٧٨ ، ويمتد من قناة السويس الى العاصمة دمشق مرورا بمرج ابن عامر ووادي اليرموك » . واشاد كوندر باليهود في هذا المضمار فقال : «بينما كان الناس يتكلمون كان اليهود انفسهم يعملون، والاراء التي كانت عندما كتبتها قبل اثني عشر عاما تبدو من شأن المستقبل البعيد اصبحت حقائق بفعل الاشخاص الذين يهمهم الامر اكثر من غيرهم ... والسكة الحديدية التي اقترحتها قد بدأ العمل فيها والمستعمرات التي اوصيت باقامتها وبزراعة الكرمة والزيتون والحبوب والقطن والفواكه فيها ، قد اخذت تظهر الى حيز الوجود في فلسطين. ويبدو

١٩ ــ كاتب ودبلوماسي بريطاني تخلى عن منصبه ليتفرغ للدعاية الصهيونية في القرن التاسع عشر .

اننا سنرى سكة حديدية في فلسطين في العام القادم الامر الذي من شأنه ان يزيد من عدد السكان وينشط التجارة » .

ولم يغب عن بال كوندر ــ الضابط في سلاح الهندسة البريطاني ــ الاهمية الاستراتيجية لخط السكة الحديدية فقال : « ان هذا الخط سيزيد من احتمال نشوب معركة كبيرة في مجدو ــ ميدان القتال القديم ــ في حالة نشوب حرب لان السيطرة على خط السكة الحديدية الوحيد في البلاد ستكون الهدف الحتمي الوحيد لاي مخطط استراتيجي ». ولم ينس كذلك الهدف الاستعماري وهو الابعد مدى فقال : « الاعتبار الثاني وهو سلمي الى حد كبير ، هو ان الخط الحديدي ستتبعه شبكة من الطرق البرية تكون بمثابة روافد له ، وسيفتح جبال جلعاد امام زارعي الكرمة والحبوب(والمقصود هنا اليهود طبعا) . اما السكان القلائل من البدو العرب فسينسحبون الى الجنوب والشرق، وستنمو القرى المتفرقة الصغيرة لتعود مدنا مزدهرة كما كنا نعرف انها كانت بين العهدين المسيحي والاسلامي »(٢٠).

واتى كوندر في محاضرته على ذكر الهجرة اليهودية واثرها على التكوين السكاني في فلسطين وهي نقطة جديرة بالملاحظة قال عندها : « حدثت تغيرات كبيرة في التكوين السكاني لفلسطين بزيادة العنصر اليهودي والمسيحي زيادة كبيرة واضمحلال السكان المسلمين الاقوياء ، وزيادة التعرف على الحضارة الغربية التي كانت طلائعها في بعض المناطق فرق المسح التي ترأستها مدة ست سنوات ... في عام ١٨٧٢ لم يكن في فلسطين من ملاك الاراضي الزراعية الاوروبيين غير اثنين فقط ولكن بالتدريج ارغم الفلاحون ــ كما حدث في عهد نحميا ــ على بيع انفسهم عبيدا للمرابين الذين استرهنوا الارض ، او على بيع اراضيهم للمستعمر الالماني واليهودي ، وقد تضرروا بسبب الحرب والقحط الذي تبعها الى حد لا يعرف عنه الانجليز شيئا يذكر . »

وانتقل كوندر في النهاية الى الحديث عن المستقبل الذي يتصوره لفلسطين ، فقال : « ان الذي نتوقع ان نراه في فلسطين ــ اذا كان مستقبلها سلميا ــ هو زيادة تدريجية في عدد السكان

٢٠ ــ The City and the Land.

المزارعين وانتشار المستعمرات (المستوطنات) المزدهرة . ولن يحول وجود الاتراك دون هذا التقدم ولو انه قد يحد من سرعته ولن يكون هذا النمو نتيجة مشاريع فردية وانما نتيجة الاتصال المتبادل بين الطبقات المتواضعة من اليهود والمسيحيين(٢١). اما الفلاحون المسلمون الذين أخذ تطرفهم يخبو تدريجيا فانهم ، بتعرضهم لهذا النفوذ، سيزدادون ذكاء ونشاطا ولكنهم لن يعودوا سادة البلاد . وكلما ازداد رأس المال الاوروبي والمستعمرون الاوروبيون في البلاد ازداد دخولها في دائرة الدول التي تنبثق من جسم الترك(الامبراطورية العثمانية) . وان اية محاولة عنيفة للتدخل في تطور بلد يستطيع اعالة شعب كبير مزدهر تطورا سلميا ، ستؤدي حتما الى حدوث « مشكلة فلسطينية » هائلة ينبغي حلها في كارشيمش (جرابلس بشمال شرق سوريا) ومجدو (اشارة الى المعارك الشهيرة التي وقعت عبر التاريخ في هذين الموقعين) . وفي الوقت ذاته لا تعتمد عودة اليهود على اي عرق سواهم وقد بدأوا يعودون وينوون العودة باعداد اكبر لان معارضة الحكومات لا يمكن ان تعيق مثل هذه الحركة وانما قد تنظمها على نحو يكون فيه صلاحها »(٢٢).

هذه اذن هي الاهداف الحقيقية لصندوق الاستكشافات الفلسطينية على لسان واحد من اكبر واهم مسؤوليه ولا عجب ان يختتم كوندر محاضرته بالقول : « وختاما اود ان اقول ان نتيجة اي مشروع مهما يكن صغيرا في مظهره لا يمكن حسابها حتى تظهر جلية للعيان . **بدأ صندوق الاستكشافات الفلسطينية عمله وهدفه الوحيد القاء ضوء اجد وادق على التوراة ومع ذلك اصبح اداة فعالة ورئيسية لمساعدة اولئك الذين سيكونون سكان البلاد في المستقبل ، في الحصول على الحقائق الثابتة عن طاقات وامكانيات البلاد . وهكذا قدم خدمة جلى بالعمل السلمي المخلص لتحقيق الازدهار وازالة الفقر من البلاد** » .

كان هذا عام ١٨٩٢ اي قبل خمس سنوات من انعقاد اول مؤتمر للحركة الصهيونية في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، الذي دعا فيه هيرتزل الى قيام دولة يهودية ، وقبل خمسة عشر عاما من استقرار راي الحركة الصهيونية على اقامة الدولة اليهودية في فلسطين دون غيرها . فهل كانت خدمة صندوق الاستكشافات الفلسطينية للحركة الصهيونية مجرد صدفة ام كانت الهدف الحقيقي له ؟ لعل الجواب يتضح فيما قاله الصهيوني المعروف نورمان بنتويتش في معرض حديثه عن المؤسسات الصهيونية قبل تبلور الحركة الصهيونية اذ قال : « كانت المشاريع الصهيونية الرئيسية تتأسس على شكل شركات بريطانية فتشكلت سكة حديد وادي الفرات لتصل بين حيفا وبغداد ولكنها فشلت، ثم تشكلت شركة سكة حديد حيفا — دمشق وفشلت هي الاخرى . وفي عام ١٨٦٥ تأسس صندوق الاستكشافات الفلسطينية وقام ضباط سلاح الهندسة في الجيش البريطاني بحفريات استكشافية في القدس ورسم خارطة للبلاد ، وهذا النشاط المزدوج كان مثالا لتكامل المصالح التوراتية والسياسية »(٢٣).

والآن وقد اصبحت فلسطين برمتها تحت الاحتلال الصهيوني ما زال صندوق الاستكشافات الفلسطينية قائما فبناية كبيرة اهداها اليه موريسون — شخص عمل به مدة ٥٦ عاما وعنوانه : ٢ هايند ستريت ، لندن ، غرب ٢ . وتقرأ على صدر مجلته التي تصدر الان مرة كل ستة اشهر بدلا من ثلاثة كما كان عليه الامر في الماضي : « صندوق الاستكشافات الفلسطينية : جمعية لدراسة الاثار والطبوغرافية والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والعادات والتقاليد في البلاد المقدسة دراسة دقيقة ومنظمة لتوضيح التوراة . راعية الصندوق : الملكة اليزابيث الثانية ، الرئيس : رئيس اساقفة كنتربري ، نائب الرئيس : رئيس اساقفة يورك »(٢٤). نفس المناصب ونفس الالفاظ من عام ١٨٦٥ حتى الوقت الحاضر ... ونفس الاهداف ؟؟؟

محمود وادي المراش

---

٢١ — المقصود هنا المسيحيون الاوروبيون ، لا المسيحيون العرب .

٢٢ — The City and the Land.

٢٣ — Norman Bentwich, Israel and Her Neighbours, London, 1955.

٢٤ — Palestine Exploration Quarterly, January-June, 1971.

الارض المحتلة : عرض وتحليل للميزانية الاسرائيلية الجديدة

صدرت الميزانية الحكومية في اسرائيل للعام المالي ٧٣/١٩٧٢ في الاول من شهر ابريل (نيسان) بعد مناقشة استمرت اكثر من اربعة اسابيع في لجان الكنيست المختلفة . وتعتبر الميزانية الاسرائيلية التي تصدر في هذا التاريخ من كل عام وثيقة اقتصادية على جانب كبير من الاهمية نظرا لانها تعكس جملة الاهداف الاقتصادية التي ترسمها الحكومة الاسرائيلية على امتداد عام من الزمن . وتكتسب الميزانية الاسرائيلية اهمية مضاعفة نظرا لانها تشكل الاداة الرئيسية،من خلال النفقات والضرائب والقروض ، لتحريك الموارد الاقتصادية التي بحوزتها والتي بحوزة القطاع الخاص بشكل يهدف الى تحقيق الاهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية المرسومة . والى جانب ذلك فان الحكومة الاسرائيلية تمسك بالفعل بالخيوط الرئيسية لعملية توزيع الموارد في الاقتصاد الاسرائيلي من خلال السياسات المالية والنقدية التي تتحكم فيها ومن خلال ايضا بعض المؤسسات في القطاع العام التي تساهم في عملية التوزيع مباشرة . على ضوء هذه المعطيات فان اجراء دراسة تحليلية لعناصر الميزانية يعطي فكرة واضحة عن وضع الاقتصاد الاسرائيلي حاليا وطبيعة اهدافه ومشاكله .

وكان وزير المال الاسرائيلي ، سابير ، قد قدم الميزانية العامة للسنة المالية ٧٣/١٩٧٢ الى الكنيست في الثاني والعشرين من فبراير (شباط) توطئة لبحثها واقرارها . وقد القى كلمة مفصلة حول الملامح الرئيسية للميزانية المقترحة مؤكدا ان الحكومة قد نجحت للمرة الاولى في خفض جزء كبير من نفقاتها خصوصا في قطاع الدفاع والتسلح واوجه الميزانية الاخرى .

غير انه اكد من ناحية اخرى ان نجاح الميزانية يتوقف على تحقيق شروط ثلاثة : ١ ــ بقاء حالة الهدوء على الجبهات العسكرية . ٢ ــ ان لا يزيد حجم المهاجرين القادمين الى اسرائيل عن ٦٥،٠٠٠ خلال هذا العام . ٣ ــ ان تلتزم الحكومة بالاعتمادات المقررة حتى لا تؤدي زيادة الانفاق الى ارتفاع مستوى الاسعار وبالتالي الى مطالبة الهستدروت برفع مستوى الاجور . وقد اكد سابير ان الحكومة قادرة على التحكم في الشرط الثالث اما الشرطان الاول والثاني فان هنالك عوامل عديدة خارجة عن سيطرة الحكومة عليها . وهنالك افتراضات اخرى ارتكزت عليها الميزانية منها ارتفاع انتاجية العامل بنسبة ٣،٥٪ على الاقل حتى تستطيع اسرائيل ان تزيد من قدرة صناعاتها التصديرية . وتنبأ سابير بأن مستوى الاستهلاك للعام سينخفض من ٢٤٪ الى ٢٢٪ في حين ان حجم الاستهلاك الشخصي لن يرتفع اكثر من ٣،٥٪ . كما اثنى على نجاح وزارة الدفاع في تخفيض ميزانيتها نتيجة لمطالبة قسم كبير من الراي العام بهذا التخفيض حتى لا تضطر الحكومة الى زيادة الضرائب اكثر من مستواها الحالي .

بلغ مجموع الميزانية للعام ٧٣/١٩٧٢ حوالي (١٥٨٧٠) مليون ليرة اسرائيلية بالمقارنة الى (١٤٨٧٠) مليون ليرة في العام المالي ٧٢/١٩٧١ اي بزيادة قدرها ٧،٢٪ . اما اذا اخذنا بعين الاعتبار نسبة ارتفاع مستوى الاسعار والزيادة في عدد السكان فانه يمكن القول بأنه لم تكن هنالك زيادة حقيقية . وقد توزع مبلغ الـ ١٥،٨ بليون بين الابواب الرئيسية للميزانية على النحو التالي : النفقات والواردات للاعتمادات العادية ١١٥٢٧ مليونا ، و٣٤٢ للاعتمادات المحولة ، و٤٠٠٠ للاعتمادات الانمائية .

ويلاحظ ان الحكومة قد راعت مبدأ التوازن بالنسبة لجملة الميزانية وبالنسبة لكل باب على حدة . وتوازن الميزانية شرط ضروري لمنع مستوى الاسعار من الارتفاع غير انه ليس كافيا . فالذي يقرر اثر العجز على مستوى الاسعار ليس حجم هذا العجز وانما الطريقة التي سيتم فيها تمويل الفرق بين العائدات والنفقات .

وفيما يلي التصنيف الوظيفي للميزانية : مشاريع اقتصادية ٣٥٠٠ مليون ليرة (٢٢،٢ ٪ للمجموع)، مشاريع اجتماعية ٣٤٠٠ (٢١،٥٪) ، نفقات دفاع وامن ٥٣٠٠ (٣٣،٥ ٪) ، سداد ديون مستحقة ٣٦٠٠ (٢٢،٨ ٪) المجموع ١٥٨٠٠ مليون ليرة. ولا شك ان اكثر ما يلفت النظر في هذا التصنيف ارتفاع نسبة سداد الديون المستحقة الى مجمل الميزانية . فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار المنح والهبات التي تسلمتها اسرائيل في السنوات الخمس الاخيرة لاتضح لنا ان مجموع الاموال التي

تدفقت عليها لا تقل عن ٣،٤ بليون دولار وهو ما مكنها من القيام بالتزاماتها العسكرية والانمائية معا . وخلال عام من الزمن ارتفعت الديون بمبلغ ١٢٩٥ مليون ليرة اسرائيلية اي ما يساوي حوالي ٣٠٠ مليون دولار . اما نفقات الدفاع والامن والتسلح فقد خفضت بمبلغ ١٢٠٥ ملايين ليرة عما كانت عليه في السنة المالية ١٩٧١/٧٢ . فقد كانت الاموال المعتمدة في العام المالي المشار اليه ٦،٥ بليون ليرة اسرائيلية منها ٣،٢ بليون انفقت في العملة الصعبة لاستيراد الاسلحة الثقيلة والمعدات الالكترونية المعقدة من الخارج في حين ان المبلغ المعتمد للسنة المالية ١٩٧٢/٧٣ هو ٥،٣ بليون من بينها ٢،٤ بليون ستنفق بالعملة الصعبة اي بتوفير قدره ٩٠٠ مليون ليرة .

وفيما يلي التصنيف الاداري للميزانية معبرا عنه بنسبة مئوية وهو على النحو التالي : دفاع ٣٢٪ ، فوائد على القروض ٢٢٪ ، معونات ٨٪ ، اسكان ٧٪ ، تعليم ٧٪ ، شؤون اجتماعية ٧٪ ، صحة ٣٪ ، نقل ٣٪ ، بلديات ٣٪ ، شرطة ٣٪ ، بنود اخرى ٥٪ ، المجموع ١٠٠٪ . وهذه النسب تؤكد تحول اكثر من نصف موارد الخزينة لتمويل الجهد العسكري وسداد الديون وكلاهما كما هو معلوم مرتبط بذيول حرب الخامس من حزيران والوضع السياسي والعسكري الراهن في المنطقة . وعلى الرغم من ان اعتمادات الاسكان قد خفضت في الميزانية الحالية بمبلغ ٣٩٠ مليون ليرة بالمقارنة بالميزانية السابقة فان الحكومة الاسرائيلية قد خططت على اساس استقدام ٦٥،٠٠٠ مهاجر جديد على ان تلتزم الحكومة بتمويل اقامة ٤٥،٠٠٠ مهاجر بينما ستلتزم الوكالة اليهودية بتوفير السكن لـ ٢٠،٠٠٠ مهاجر ، وقد قررت الوكالة المذكورة اقتراض مبلغ ١٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة على شكل سندات تطرح للجمهور لتمويل المشروع المذكور. وعلى جانب الواردات فان ضريبة الدخل تشكل المصدر الاساسي للعائدات العادية بنسبة (٢٩٪). ثم تأتي العوائد الجمركية في المرتبة الثانية بنسبة (٢١٪) وضريبة المشتريات في المرتبة الثالثة بنسبة (٩٪) . اما مصادر تمويل المشاريع الانمائية والبالغة ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية فانها موزعة على النحو التالي : قروض من الولايات المتحدة ١٣٩٨ ، قروض خارجية اخرى ١٠٠٨ ، قروض من مؤسسة التأمين الاسرائيلية ٨٢٠ ، قروض من المصارف المحلية ٦٥٠ ، مصادر اخرى ١٢٤ .

لقد صممت الميزانية الاسرائيلية على اساس عدد من المعطيات والاهداف الاقتصادية يمكن تلخيصها بما يلي : **اولا** : استمرار الناتج القومي بالارتفاع . فبعد ان ارتفع بنسبة ٧،١٪ عام ١٩٧١ فان التنبؤات الحالية تسير الى انه سيرتفع بنسبة ٦،٦٪ . **ثانيا** : ارتفاع مستوى البطالة من ٣،٦٪ من مجموع القوى العاملة الى ٣،٨٪ نظرا لانخفاض في حجم الناتج القومي المتعلق باغراض الصناعة الحربية خصوصا بناء الاستحكامات العسكرية . وعلى اي حالة فان نسبة ٣،٨٪ منخفضة وبالتالي يمكن القول بان الاقتصاد الاسرائيلي لا يزال يعمل على مستوى العمالة الكاملة وهي ظاهرة بدأت في اعقاب حرب ١٩٦٧ . **ثالثا** : ارتفاع مستوى الاسعار بنسبة ٥ـ٦٪ بالمقارنة الى ارتفاع كبير وصل الى ١٢٪ خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ . والمعروف انه عندما ارتفعت الاسعار بنسبة كبيرة بادرت الحكومة الى تطبيق ضريبة قدرها ٢٠٪ على الاستيراد لتخفيض حجم الاستهلاك الشخصي . **رابعا** : الاستمرار في زيادة حجم الصادرات الاسرائيلية بنسبة كبيرة بعد نجاح الحكومة في كبح جماح الاستهلاك الشخصي . فقد ارتفعت الصادرات في عام ١٩٧١ بمبلغ (٢٠٠) مليون دولار حيث وصلت الى ١٧١٣ مليون دولار خلال العام المشار اليه ، وتأمل الحكومة الاسرائيلية في ان ترتفع هذا العام الى ١٩٤٠ مليون دولار . **خامسا** : نتيجة لتحسن وضع الميزان التجاري ونظرا لتدفق المساعدات من الخارج فقد ارتفع احتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية بمبلغ ٢١٥ مليون دولار .

بقي ان نذكر القارىء بأن الميزانية بطبيعتها تقديرية وان نجاح الحكومة الاسرائيلية في مطابقة الارقام المعتمدة والارقام المنفقة فعلا يتوقف على نجاح الحكومة في تجنب الوقوع في عجز وعدم مطالبة الهستدروت برفع الاجور نظرا لارتفاع نفقات المعيشة ومدى اضطرار السلطات المالية لتحويل العملات الاجنبية الى العملة الاسرائيلية لتمويل حاجياتها المحلية . اما اذا سارت الامور على النحو المتوقع فيبدو ان الاقتصاد الاسرائيلي سيعيش سنة مالية مستقرة الا اذا تغير الوضع السياسي والعسكري الراهن .

الدكتور يوسف شبل

تقرير خاص : المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة

شهدت القاهرة في الفترة ما بين السادس والعاشر من نيسان (ابريل) ١٩٧٢ انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي دعت اليه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وضم ٤٠٠ عضو يمثلون مختلف طبقات الشعب الفليسطيني وفئاته الوطنية وجميع تنظيماته الشعبية والنقابية وفصائله الثورية المسلحة . وقد دعي للمؤتمر ما يقارب السبعمائة عضو منعت اسرائيل والحكم الهاشمي العميل الموجودين منهم في الوطن المحتل وشرق الاردن من الحضور . ولم يمنع ذلك عددا من الشخصيات الفلسطينية الوطنية المدعوة من الاردن من كتابة رسالة موقعة الى المؤتمر ينددون فيها بمشروع الملك حسين — آلون وبالمشروعات الاستسلامية المماثلة ويؤيدون فيها المؤتمر ويشجبون كل محاولات شق الصف الفلسطيني . كما ارسلت مجموعة من الشخصيات الوطنية المدعوة من غزة والضفة الغربية المحتلة للمؤتمر رسائل طلبوا اخفاء توقيعهم عند اعلانها حتى لا تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلي بابعادهم عن الوطن المحتل . وقد اكدت هذه الرسائل ايضا على وحدة الشعب الفلسطيني وحق المقاومة المسلحة الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيله ، كما شجبت المؤامرات الهاشمية — الاسرائيلية — الامريكية والمشاريع المشبوهة . وقد دعي للمؤتمر اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وعدد من ممثلي التنظيمات الثورية والنقابية والشعبية وممثلين عن الشخصيات الوطنية الفلسطينية في اهم تجمعات النزوح في الوطن العربي وخارجه وعدد من المبعدين عن الوطن المحتل والاردن . وبذلك فان المؤتمر بانعقاده يكون قد حقق انجازا هاما في المرحلة الراهنة من النضال الفلسطيني وهو تأكيد وحدة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي النزوح واجماع اهم طلائع وعناصر هذا الشعب الوطنية على ان المقاومة الفلسطينية واطارها السياسي « منظمة التحرير الفلسطينية » هي الممثل الحقيقي الوحيد لهذا الشعب ، وهي الاطار الذي تلتقي من خلاله طبقات هذا الشعب وكافة فئاته لتقيم الانجازات ولتدرس السلبيات ولتحدد المهام الراهنة ولترسم خطوط العمل السياسية التي تضمن استمرار النضال العسكري والسياسي حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني ويمارس الشعب الفلسطيني حقوقه في تقرير مصيره على ارضه المحررة .

وقد قام المؤتمر بتحقيق انجازات اخرى هامة سنتعرض لها فيما بعد عرضا وتقييما ، يزيد من اهميتها انها تمت في ظروف صعبة ودقيقة امتلأت بالتقديرات المتشائمة عن جدوى المؤتمر بل وخطورته في هذه المرحلة . ولذلك فاننا سنبدأ بمناقشة الظروف السياسية التي عقد اثناءها المؤتمر واهداف دعوته وانعقاده والشكوك التي ثارت حوله ، سننتقل بعد ذلك الى خطوات التخطيط للمؤتمر والاجراءات التي سبقت انعقاده ، ثم نتحدث عن المؤتمر والاتجاهات الرئيسية التي برزت فيه والبرامج السياسية والتنظيمية التي طرحت على اعضائه وسير اعماله ومقرراته ، ثم نقوم بمحاولة تقييم انجازاته وسلبياته ومتطلبات العمل بعده .

اسباب الدعوة للمؤتمر : تمر حركة المقاومة الفلسطينية بعد القضاء على الوجود العلني لقواتها في الاردن بمرحلة انحسار اشتدت فيه الهجمة الامبريالية — الاسرائيلية — الهاشمية عليها . وتستهدف هذه الهجمة القضاء على المقاومة عسكريا وسياسيا توطئة لفرض تسويات تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية نهائيا وتثبت الاحتلال الاسرائيلي كأمر واقع في الاراضي العربية المحتلة . وبعد ان استتب للعدو الصهيوني تحقيق هدوء كامل على الجبهات العربية المحيطة بفلسطين ، وقهر شعبنا في ارض الاحتلال ولو مؤقتا وتطويق نضاله العسكري ، وللحكم الهاشمي القضاء على الوجود العلني للمقاومة ، انتقل العمل الاسرائيلي — الاردني المشترك من مرحلة اغتصاب الارض الفلسطينية والقضاء على ارادة المقاومة المسلحة عليها الى مرحلة شق الشعب الفلسطيني وتحطيم وحدته والنزاع على من يمثله بهدف القضاء على وجوده الوطني الموحد وعلى شخصيته الوطنية المتكاملة . (وقد كان بعث الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني وابراز ملامح شخصيته الوطنية المتكاملة ضمن ابعادها القومية العربية هما من اعظم منجزات الثورة الفلسطينية) .

وقد اتخذت هذه المحاولات للقضاء على الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني مظاهر متعددة :

١ — التلاعب بحق تقرير المصير وتصويره على انه

يمكن أن يتم بنوع من الاستفتاء عن مصير قطاع غزه او حق سكان الضفةالغربية في تحديد مستقبل الضفة السياسي واختيار نوع من الكيان السياسي التابع او حق اللاجئين في الاختيار بين العودة والتوطين والتعويض (علما بأن حق تقرير المصير هو حق كل شعب في تأسيس دولته الوطنية المستقلة على كامل تراب الوطن) . ٢ ــ اتجاه الى دمج الفلسطينيين في المجتمعات التي يعيشون فيها واعطائهم وطنا ما لتخف وطأتهم على ضمائر اخوتهم العرب وغيرهم (رسالة نيكسون الى الكونجرس عن « حالة العالم » ــ شباط ١٩٧٢). ٣ ــ محاولة الانقضاض على حق تمثيل الشعب الفلسطيني .

وقد تبلورت هذه الاتجاهات في قرار اسرائيل اجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة بغرض اختيار ممثلين عن السكان يقومون بتقرير مصير الضفة في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وفي مشروع الملك حسين الداعي الى انشاء المملكة العربية المتحدة من قطر فلسطيني وآخر اردني ، وفي ظل احتلال اسرائيلي للقطر الفلسطيني ومن ثم تسليمه بالقدس عاصمة موحدة ومشتركة لاسرائيل وللقطر الفلسطيني .

وباقتراب وجهة نظر حسين من مشروع آلون الداعي الى اقامة اتحاد فيدرالي بين اسرائيل والضفة الغربية والضفة الشرقية للاردن ، وقد دعم مشروع الانتخابات البلدية ومشروع حسين ــ آلون تقرير نيكسون عن حالة العالم المقدم للكونجرس الامريكي في شباط ١٩٧٢ والذي طالب فيه باعطاء الفلسطينيين الحق في وطن ما بشرط القضاء نهائيا على منظمات المقاومة الفلسطينية . وقد صاحب التحركات السياسية الامريكية ــ الاسرائيلية ــ الهاشمية ، تحرك عسكري اسرائيلي عنيف في جنوب لبنان استهدف التصفية الجسدية للمقاومة فيها ، وتحرك اقتصادي ــ سياسي اسرائيلي داخل الارض المحتلة يستهدف استكمال تهويدها واستيطانها والقضاء على مقومات اقتصادها وثقافتها الوطنية . كما واكبتها أزمة الانظمة العربية المتهافتة على الحلول السياسية والتي باتت تقوم بالتراجع تلو التراجع دونما اي نجاح والتي قامت بمزيد من الضغوط على الثورة لتتخلى عن استراتيجيتها ولتلحقها بما يسمى الاستراتيجية العربية .

في مثل هذه الظروف الخطيرة نبتت فكرة المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، كتجمع اوسع من المجلس الوطني الفلسطيني ينعقد في ظله ومن خلال شرعيته وضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية . وبعد مناقشات عديدة داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تلتها اجتماعات بين اللجنة التحضيرية ومراكز الابحاث والتخطيط والدراسات الفلسطينية تبلورت أهداف المؤتمر في ورقة عمل قدمها مركز التخطيط الفلسطيني ــ التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية وحددها بما يلي : ١ ــ افشال مؤامرات شق وحدة صف الشعب والفلسطيني من خلال تقسيمه الى شعبين احدهما تحت الاحتلال والاخر خارجه . ٢ ــ تكريس الوجود الوطني الموحد للشعب العربي الفلسطيني بأسره والشخصية الوطنية المتكاملة له . ٣ ــ تأكيد شرعية التمثيل الواحد للشعب الفلسطيني من خلال الثورة الفلسطينية واطارها التنظيمي منظمة التحرير الفلسطينية ، وشجب محاولات الانقضاض على صفة تمثيل الشعب العربي الفلسطيني . ٤ ــ التأكيد على استمرار الثورة ومواصلة الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير والتصدي لكل مؤامرات تصفية القضية الفلسطينية وعلى رأسها مشاريع التسوية والدولة الفلسطينية الهزيلة في الضفة والقطاع ، والنضال من أجل تحريك الجماهير الفلسطينية والعربية للمشاركة الفعالة في تصعيد الثورة وحمايتها وضرب مخططات التآمر. ٥ ــ التأكيد على ان حق تقرير المصير يعني التحرير الكامل واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية على كامل تراب الوطن . ٦ ــ ادانة الانتخابات البلدية والمحلية في الضفة الغربية وفضح التواطؤ الهاشمي ــ الصهيوني لترتيب نتائج سياسية على تلك الانتخابات ، تستهدف شق وحدة الشعب الفلسطيني واعطاء الاحتلال نوعا من الشرعية وخلق وضع مدني مدجن راضخ للاحتلال تمهيدا لخطوات اخرى تستهدف تصفية القضية الفلسطينية .

ويلاحظ ان التفكير في عقد المؤتمر سبق اعلان مشروع الملك حسين ، وبذلك فان احباط مشروع الملك وادانته أضيف الى قائمة الاهداف فيما بعد . ولما كانت اللجنة التنفيذية للمنظمة قد حددت للمؤتمر موعدا هو ١٦ آذار (مارس) اي قبيل اجراء الانتخابات البلدية فان ورقة العمل المقدمة اقترحت تأجيله الى ١٥ ايار (مايو) ، حتى يمكن

اعداده بشكل جيد وحتى لا يتحول الى مجـرد مظاهره مضادة للرد على الانتخابات البلدية ، فاذا نجحت اسرائيل في اجرائها بالضغط والقهر اصيب المؤتمر بهزيمة ، والشعب الفلسطيني بخيبة أمل كبيرة . (وقد نجحت اسرائيل فعلا في اجـراء الانتخابات ولكن جماهير الضفة الغربية أحبطت كل نتائجها السياسية بالتظاهر ثم بالاصرار على طبيعتها البلدية وباعادة انتخاب المجالس القائمة فعلا) وعند قيام العدو الاسرائيلي بالهجوم على جنوب لبنان قامت اللجنة التنفيذية بتأجيل موعد الانعقاد فعلا من ١٥ مارس الى ٦ ابريل (نيسان) بدلا من الموعد المقترح وهو ١٥ أيار .

وقد قام مركز التخطيط باعداد مذكرة اولية عن المؤتمر وأهدافه ومتطلباته أعقبها بمذكرة تفصيلية عن خطة اعداد المؤتمر وتنظيمه ركز فيها بالاضافة للبرامج الزمنية الاجرائية التفصيلية على ما يلي : ١ ــ ضرورة تحقيق خطوات عملية لتوحيد فصائل المقاومة قبل المؤتمر . ٢ ــ ضرورة الاعداد للمؤتمر واختيار اعضائه عن طريق مؤتمرات شعبية اقليمية في أماكن تجمعات الفلسطينيين الرئيسية . ٣ ــ ضرورة اختيار الاعضاء مـن الوطن المحتل على اساس فئوي واقليمي وتنظيمي لا عـلى اساس « الوجهاء » مع دعوة بعض الشخصيات الوطنية بطبيعة الحال . ٤ ــ ضرورة اعداد برنامج عمل محدد ومفصل وتقديم أوراق عمل مدروسة للجان المؤتمر لمساعدتها على انجاز اعمالها في الوقت القصير المحدد لها . وقد كلف مركز الابحاث ومركز التخطيط فعلا بتقديم الدراسات واوراق العمل للمؤتمر وقد قاما بذلك فعلا ، كما قدم مركز التخطيط للمؤتمر مشروعا لبرنامج سياسي وتنظيمي سنتناوله فيما بعد . ٥ ــ ضرورة دعـوة ممثلين للقوى التقدمية والعالمية المشاركـة للثورة الفلسطينية والمساندة لكفاحها .

وقد قامت اللجنة التحضيرية التي اختارتها اللجنة التنفيذية بتنفيذ الاقتراح الاخير ، ولم تتمكن من تنفيذ الاقتراحات الاخرى . ولكن اللجنة التنفيذية للمنظمة اهتمت بقضية الوحدة الوطنية وضرورة وضع برنامج تفصيلي لتحقيقها قبل المؤتمر على الاقل . وقد شكلت اللجنة التنفيذية لجنة فرعية لوضع مثل هذا البرنامج لم تنجح في انهاء مهمتها.

اجتماع قيادات المنظمات : وباقتراب موعد المؤتمر قرر قادة الفصائل الاساسية للثورة (فتح ، الجبهة الشعبية ، الجبهة الديمقراطية ، جبهة التحرير العربية ، الصاعقة) مع الاخ كمال ناصر الناطق الرسمي للمنظمة الاتصال بمركز التخطيط للقيام بمحاولة اخيرة لتحقيق الوحدة الوطنية . وقد اسفر هذا الاتصال عن خمسة اجتماعات طويلة بالمركز نتج عنها برنامجان سياسي وتنظيمي ، تفصيليان ، وافق المجتمعون بالاجماع على خطوطهما الاساسية وأحالوهما الى اللجنـة التنفيذية للمنظمـة في اجتماعها الاخير قبل المؤتمر (السبت اول نيسان ١٩٧٢) . وقد قررت اللجنة التنفيذية في هذا الاجتماع ان تقدم هذه المشروعات مع اوراق العمل الاخرى الى المؤتمر باسمها وان تعتمدها اساسا للمناقشة في لجان المؤتمر واجتماعاته . ونتيجة لذلك قام مركز التخطيط باجراء الصياغة النهائية آخذا كل التعديلات المقترحة في الحسبـان وقدم المشروعات واوراق العمل للمؤتمر . وقد اتضح فيما بعد ان اللجنة التنفيذية لم تناقش هـذا البرنامج بالتفصيل ولذلك فقد تردد اعضاؤها في تبنيها والدفاع عنها خلال جلسات المؤتمر ، وان انتهى المؤتمر باقرارها بصورتها الاجمالية فيما بعد .

والحقيقة ان فصائل المقاومة لم تكن متحمسة كلها لعقد المؤتمر ، وكانت تخشى من محاذير عديدة ستتعرض لها فيما بعد وقد يكون ذلك عاملا هاما في محاولة قادتها توحيد صفوفهم قبل المؤتمر مما اثار اتهامات بالموسمية وعـدم الجدية وبتكرار التجارب المؤسفة السابقة . لقد رمى المؤتمر بثقله كله في اتجاه الضغط على فصائل المقاومة لتحقيق الوحدة ولذلك فان عدم تنفيذها هذه المرة لن يمر دون حساب قاس مـن جانب الجماهير والقوى الصديقة للثورة عربيا وعالميا .

سير أعمال المؤتمـر : دعت اللجنة التحضيرية أعدادا كبيرة من الناس بدأت تتدفق على القاهرة قبل المؤتمر ببضعة أيام لتتجمع في مبنى الجامعة العربية حيث بدأ المؤتمر إعماله بحفل افتتاح كبير بعد ظهر السادس من نيسان (ابريل) دعي اليه حشد كبير من الضيوف العرب والاجانب ومن الوزراء والرسميين المصريين ومـن الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة لم يتركوا مكانا لاعضاء المؤتمر الوطني انفسهم وواجه المؤتمر بذلك أولى صعوباته. توج حفل الافتتاح بكلمة الرئيس انور السادات التي اعلن فيها قطع العلاقات بين مصر والاردن

لخروج نظام الحكم الهاشمي فيها عن الصف العربي ، واكد حق المقاومة الفلسطينية المسلحة في التمثيل الشرعي للشعب الفلسطيني كله واعلن تأييد مصر الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية والراهنة . ولكن الرئيس السادات حدد الحقوق الراهنة بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ والحقوق التاريخية بحق تقرير المصير (دون تحديد ان يتم ذلك على كامل التراب الفلسطيني) وهو بذلك ينطلق من مفهوم قرار مجلس الامن وما تلاه من مبادرات ناقشت حقوق شعب فلسطين . كما انه طالب المقاومة بالتزام الاستراتيجية العربية حتى لا تنعزل ! وان اضاف معترضا — شريطة ان تلتزم القيادة العربية بخط النضال — .

ان الحقوق الراهنة لشعب فلسطين هي حقه في الكفاح المسلح من اجل تحرير ارضه وفي تنظيم صفوفه عسكريا وسياسيا وفي حرية العمل من كافة الحدود العربية ، حق قيادته في تمثيله وفي الدفاع عن حقوقه المشروعة كلها . وكذلك حقه في حياة كريمة في ارضه وفي نزوحه ... الخ وان حقه التاريخي هو أساسا في تقرير مصيره على كامل التراب الفلسطيني وانشاء دولته الديمقراطية العربية الحرة المستقلة عليها . على ان ذلك كله لم يقلل من اهمية كلمة السادات في دعم المقاومة واعطاء دفعة قوية للمؤتمر ، وفي حصار النظام العميل في الاردن وفي حسم قضية التمثيل ووحدة الشعب الفلسطيني وفضح المؤمرات عليه ، وهي كلها أهداف هامة للمؤتمر .

وقد تحدث الاخ ابو عمار ايضا في الجلسة الاولى والاخ خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي والسيد عبدالخالق حسونه امين عام الجامعة العربية . وقد ركز الاخ ابو عمار في وضوح على النقاط التالية: أ— ان الثورة الفلسطينية ترفض اية وصاية او احتواء . ب — ان الثورة لم تكن حدثا عفويا وطارئا وانما هي امتداد لنضال شعبنا من اجل تحرير ارضه . ج — ان لازمة الثورة جوانبها المتمثلة في العوامل السلبية الكامنة في الانظمة العربية والقوى الخارجية ، ولكن لها جوانبها الذاتية وبشكل خاص في العلاقة مع الجماهير العربية وعدم تنظيم هذه العلاقة تنظيما جيدا ، وطغيان العلاقة مع الانظمة على العلاقة مع الجماهير احيانا . د — ان الجبهة الاردنية ليست ملكا للعائلة الهاشمية ، وسنظل نقاتل لعودة المقاتلين الى الاردن الوطن .

وقد حضر المؤتمر ٣٠ وفدا عربيا وعالميا يمثلون حركات التحرر والاحزاب والمنظمات الصديقة كما أرسلت للمؤتمر مئات البرقيات والرسائل تأييدا له ولاهدافه*. وقد نالت رسالتا جبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية ورئيس وزراء فيتنام الشمالية السيد فام فان دونج ورسالة شو ان لاي

* اهم المتحدثين بالمؤتمر : الرائد مختار القروي الممثل الشخصي للعقيد معمر القذافي ، ممثل الرئيس العراقي ، مندوب الكويت ، الرفيق مبركو رئيس الوفد اليوغسلافي ، السيد محمد شريف مسعديه مسؤول التوجيه والفكر في جبهة التحرير الجزائرية ، السيد مهدي مصطفى الهادي وزير شؤون الرئاسة في السودان، السيد لاندروف ممثل لجنة التضامن الافرو آسيوية في الاتحاد السوفييتي ، السيد احمد عبدالله عضو اللجنة المركزية للجبهة القومية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، السيد احمد كرم داود عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، السيد ترونغ بنه رئيس وفد جبهة التحرير الوطني ورئيس الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية .

كما حضر المؤتمر ممثلو المنظمات التالية : الجبهة الوطنية الاردنية ، جبهة التحرير الجزائرية ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، القوى والاحزاب التقدمية في لبنان ، الاتحاد المغربي للشغل ، الحزب الشيوعي الصيني ، الحزب الشيوعي السوفياتي ، الحزب الشيوعي الالباني ، الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية ، حزب العمال الفيتنامي في فيتنام الشمالية ، الجبهة الوطنية لتحرير لاوس ، حكومة الجبهة الوطنية في كمبوديا ، الحزب الشيوعي البلغاري ، التحالف الاشتراكي اليوغسلافي ، الحزب الشيوعي في كوريا الشمالية، الحزب الشيوعي الايطالي ، الحزب الشيوعي الفرنسي ، الحزب الشيوعي في المانيا الغربية ، حركة الشبيبة الديغولية ، حركة الفهود السود ، جبهة تحرير زيمبابوي ، جبهة تحرير انغولا ، الحركة الوطنية الاثيوبية ، جبهة تحرير اريتريا ، جبهة التحرير الايرانية ، جبهة تحرير موزامبيق ، جبهة تحرير غينيا بيساو ، جبهة تحرير تشاد ، جبهة التحرير التركية ، جبهة التحرير الايرلندية ، حزب العمل الاشتراكي العربي .

رئيس وزراء الصين اكبر درجة من الترحيب والحماس . وكانت درجة التأييد الذي تضمنته معظم الرسائل والبرقيات والكلمات عالية جدا ، كما اتسمت بالتحديد وبالمنحى العملي ، تمثل قفزة نوعية مقارنة بالمؤتمرات السابقة. فقد بدأت معظم الرسائل بالتأييد العام ثم اعقبته بتأييد محدد وخاص لاهداف المؤتمر .

وبعد ان استمع المؤتمر الى الكلمات الافتتاحية ثم كلمات ورسائل التأييد تحول الى جلسة مغلقة لمناقشة اجراءات العمل وتقسيم اللجان ، وقد تشكلت نتيجة لذلك اربع لجان هي لجنة الوحدة الوطنية ، اللجنة السياسية ، لجنة الجبهة العربية المشاركة ، لجنة الصياغة العامة . وقد احيلت البرامج والاوراق المقدمة من مركز التخطيط الى هذه اللجان التي ناقشتها واعتمدتها بصورة عامة مع بعض التعديلات واعادتها مرة اخرى مع صيغة البيان العام للمؤتمر الذي اقرها واحالها بدوره الى اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد بعد المؤتمر فورا لاقرار اعماله واعطائها الصفة الشرعية . (لن نتعرض هنا بصورة تفصيلية للكلمات والمناقشات ، لمزيد من التفاصيل انظر مجلة « فتح » ١٩٧٢/٤/١٣) .

الاتجاهات العامة في المؤتمر

ظهرت في المؤتمر عدة اتجاهات وهي تشكل تيارات اساسية يجب شرحها وتقييمها :

أ ـ **الاتجاه نحو الوحدة الوطنية** : لقد كان هذا اهم الاتجاهات وأوضحها ، فبالرغم من ان الداعين للمؤتمر لم يعطوا الاولوية الاولى لموضوع الوحدة الوطنية ومشروعاتها التفصيلية ، الا انه بدا واضحا منذ اللحظة الاولى لانعقاد المؤتمر ان هذه هي قضيته الاولى الملحة . وقد حاول أعضاء المؤتمر بكل الطرق ان يشكلوا ضغطا على القيادات لكي تتناسى خلافاتها وتنهي ترددها وتحسم أمرها وتحقق أولا وحدة الفصائل (المنظمات) حتى يمكنها بعد ذلك تحقيق وحدة وطنية شاملة للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي بلاد النزوح . وفي الحقيقة ان فصائل المقاومة تستحق القدر الكبير من اللوم وتتحمل مسؤولية بعض الانحرافات التي ظهرت في المؤتمر نتيجة لفقدان ثقة قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية وبالتالي من اعضاء المؤتمر بجديتها في تحقيق وحدتها . فلقد ظهر تيار ينادي بالوحدة الكاملة التامة الاندماجية فورا ، وتيار ينادي بحل التنظيمات التي تقف حجر عثرة أمام الوحدة ، بل وتيار خطير يندد بالتنظيم والتنظيمات (واصحاب التنظيمات) ! ويصل الى ان التنظيمات ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه !! وتيار يعتبر عدم تحقيق الوحدة سببا في كل ما حل بالشعب الفلسطيني وثورته من مصائب .

والوحدة الاندماجية التامة الفورية لا يمكن انجازها، وتفترض وحدة في الفكر والرأي والاتجاه والخط العام والتكتيك والعمل وهي غير متوفرة . كما ان الوحدة ايا كان نوعها تتطلب تغييرا في التنظيم والعلاقات وطريقة اتخاذ القرارات لا يمكن اجراؤها في لحظات . كما ان التنظيمات نشأت بسبب الظروف الموضوعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، ولو كان الشعب كله متفقا في الرؤية والاهداف والافكار لما نشأت الفصائل ولما استطاعت انظمة عربية معينة تغذيتها وتدعيمها ولنشأت منظمة واحدة فقط منذ البداية . وقبل نشوء منظمات المقاومة كان الشعب ينقسم الى كتل قبلية وعائلية (حسيني ونشاشيبي ، الخ) واقليمية (المقادسة والغزاوة والخلايله .. الخ) وانتماءات لدول النزوح ومخابراتها ، والى احزاب وتجمعات سياسية وفئوية (اخوان وشيوعيين وبعثيين وقوميين عرب ... الخ) . كما ان جل المصائب التي حلت بهذا الشعب أتته من الهجمة الاستعمارية الصهيونية الشرسة عليه وعلى وطنه والتي شارك فيها وبقسوة عملاء الاستعمار في المنطقة كالنظام الهاشمي الاردني .

هذا كله صحيح ، ولكنه لا يكفي عذرا لعدم قيام وحدة جبهوية في القيادة ، اندماجية في المؤسسات الثورية الوظيفية يلتقي فيها كافة الاطراف على برنامج حد ادنى ، كل هذا لا يعفي فصائل الثورة وقياداتها من المسئولية الذاتية والتي تترتب عنها اضعاف قدرة المقاومة على تعبئة جماهيرها الفلسطينية والعربية وبالتالي على التصدي بفعالية أكبر للهجمة الامبريالية الشرسة على الشعب الفلسطيني وثورته .

لقد أدى الاتجاه الضاغط لتحقيق الوحدة الوطنية الى انشغال معظم جلسات المؤتمر ولجانه بالحديث عن الشق السياسي والشق التنظيمي التفصيلي لتحقيق الوحدة . كما أدى الى تشكيل لجنة متابعة من المؤتمر لتواصل الضغط حتى تتحقق الوحدة في

فتره ثلاثة الشهور التي حددت لها والتي تنتهي بانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العادية (في تموز ١٩٧٢) .

والملاحظ في هذه المنجزات انها أكدت دور الجماهير في متابعة تحقيق الوحدة وان قضية الوحدةالوطنية ليست قضية لقاءات فوقية بين القيادات وانما هي مطلب جماهيري ملح لتحقيق وحدة تشمل أوسع قطاعات الجماهير وليس لتحقيق وحدة اداة الثورة فقط ، وان هذه الجماهير بشكل تنظيمي ما ستواصل الاشراف على تنفيذها والضغط من اجل تحقيقها . كذلك فان الموافقة على البرنامج السياسي والتنظيمي اجهضت الاتجاه القائل بأن الوحدة هي قضية هياكل تنظيمية دون محتوى . لقد اصر المؤتمر على تأكيد هذا المحتوى النضالي من خلال اقرار البرنامج السياسي . واخيرا فان اقرار البرنامج السياسي يعني ان التوجه للوحدة الوطنية الفلسطينية انما هو خطوة هامة من اجل انجاز الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية وهي بدورها خطوة على طريق انجاز جبهة تقدمية عربية . مما يؤدي فعلا الى التحام الثورة الفلسطينية بالجماهير الاردنية والعربية من خلال طلائعها وقواها الثورية .

٢ ــ **الاتجاه نحو الحل النضالي بدلا من الدبلوماسية والخبطات الاعلامية** : توجه المؤتمر منذ بدايته توجها نضاليا . فالاصرار على البرنامج السياسي ــ وهو برنامج نضالي ثوري مرحلي لا يقبل الا حرب الشعب استراتيجية ويرفض كافة الحلول الاستسلامية المطروحة في الساحة ولكنه بالاضافة الى ذلك يقدم برنامجا تفصيليا للنضال في المرحلة الراهنة والقادمة كان دليلا على التوجه النضالي للمؤتمر . ولقد كانت هناك محاولات لسد هذا الطريق او استبداله بطرق اخرى لم تنجح اطلاقا . وعلى سبيل المثال ، كان هناك اتجاه يتصور ان المؤتمر لكي يكون قد انجز شيئا ما فلا بد له من اعلان صيغ دستورية جديدة للشعب الفلسطيني او القيام بخبطات اعلامية ودبلوماسية تلفت انظار العالم ، وان المؤتمر بذلك ، وبذلك فقط يكون قد رد على مشروع الملك حسين ، وتصدى للانتخابات البلدية في الضفة الغربية . والحقيقة أن هذه الخبطات الاعلامية والتحركات الدستورية هي تكتيك لم يعد ناجحا في هذه المرحلة اذا لم يتوفر للثورة الخط النضالي الواضح ، والانجازات النضالية المقنعة لجماهيرها هي اولا ثم للعالم ككل . ويذكر الجميع ان الاستاذ أحمد الشقيري ــ وقد ناضل للحقيقة نضالا باسلا في مؤتمر الخرطوم ضد الاستسلام العربي ومن اجل اللاءات المشهورة ــ قام بعدها بخبطة اعلان مشروعه لتوحيد الوطن العربي كله من اجل المعركة ثم قام بخبطة اعلان تشكيل مجلس قيادة الثورة في الداخل ، وفي القدس بالذات ، ولم يشكل ذلك ردا على هزيمة حزيران ولم يحرك الجماهير ولم يلفت انظار العالم ، وفي النهاية لم تستجب الجماهير الا لانتصار الكرامة في مارس ١٩٦٨ وللتحرك النضالي المسلح ، ولم ينتبه العالم الا لانجازات ثوارنا على ارض المعركة . وفي عام ١٩٧٢ لم يحرك الجماهير اللبنانية تحرك اعلامي عجائبي او خبطة دبلوماسية مهولة ، وانما حركها استبسال وصمود مناضلينا في المرقوب . ولقد قال الاخ ابو عمار مثل هذا الكلام في الجلسة المغلقة للمؤتمر في يومه الثاني .

هذا لا يعني طبعا الا نقوم بعمل سياسي او حتى دبلوماسي فالمطلوب من الثورة دائما ان تحصل على الحلفاء الاقوياء ، ولو كانوا « حلفاء مؤقتين ، مترددين ، مشروطين ، واقل مما يكونوا قوة وضمانا »* . كما ان ذلك لا يعني التوقف عن النضال السياسي ، ولكن هناك فارقا كبيرا بين النضال السياسي ، وبين الضربات الاعلامية المفرغة من اي محتوى نضالي .

كذلك أجهض المؤتمر محاولات جعله منبرا لمطالبة الانظمة العربية أن تفعل « كذا » او تحجم عن « كيت » ، واصر على البدء بالعامل الذاتي اولا، صحيح انه يظل هناك شيء نطلب من الانظمة العربية تحقيقه ، ولكنه من البديهي ايضا ان الانظمة لا تستجيب لنا الا بقدر قوتنا الذاتية وتلاحمنا مع الجماهير العربية واصرارنا على خط النضال (والامثلة المذكورة اعلاه كافية للتدليل على ذلك) .

ولقد جرت محاولات لتفجير المؤتمر ونسف البرنامج السياسي النضالي المطروح عليه حتى يعود المؤتمر في النهاية فيجد نفسه دون برنامج عمل مما يضطر اعضاءه الى القبول « ببدائل » تنقذ الموقف. ولكن

* انظر الكتاب الرائع عن الثورة الفياتنامية ، تاليف لي ذوان ، وترجمة طاهر عبد الحكيم ، ونشر دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٦ .

هذه المحاولات باءت بالفشل والتزم المؤتمر بالخط النضالي الاساسي .

٣ ــ **اتجاه المستقلين والكفاءات** : ظهر في هذا المؤتمر تيار ينادي بافساح المجال للمستقلين او الكفاءات او المفكرين والمثقفين الفلسطينيين لكي يزداد تمثيلهم في مؤسسات منظمة التحرير القيادية اي المجلس الوطني واللجنة التنفيذية . وهو تيار قديم ، وقد كان سائدا منذ نشأة منظمة التحرير وحتى وصول منظمات المقاومة الى قيادتها في شباط ١٩٦٩ . ولكن الجديد في الامر هو تبني بعض قادة المقاومة له داخل المؤتمر الشعبي . ويجب مناقشة هذا الاتجاه مناقشة موضوعية خالية من اي تشنج او تزمت . فالقول بأن غالبية ابناء الشعب الفلسطيني مستقلون هو قول صحيح اذا قصد به عدم انخراطهم في تنظيمات حزبية او عسكرية والتزامهم التزاما كاملا بها ، فاعضاء التنظيمات المسلحة والتجمعات السياسية المنظمة طليعة قليلة العدد ، وبالقدر الذي تلتزم به هذه القلة بمصالح الجماهير وبالقدر الذي تحمله من التضحيات من اجل تحرير الوطن تحريرا كاملا تعطيها الجماهير ثقتها وتوليها قيادتها .

وطالما ان هذه الطليعة القيادية تفتح الابواب واسعة لكل من اراد أن يعمل من اجل الوطن وحريته ووحدته بغض النظر عن دينه وطبقته وعقيدته ما دام على استعداد للالتزام باستراتيجية التحرير وببرنامج المرحلة وطالما ان الطليعة على صلة دائمة بجماهيرها تحس باحساساتها وتستجيب لمتطلباتها وتشركها في مسيرتها فانه لا خوف من الانفصال بين الطليعة وجماهيرها . وصحيح ان تعدد المنظمات في الساحة الفلسطينية وتطرف ما يطرحه بعضها وغياب الوحدة الوطنية يجعل من الصعب على بعض العناصر الالتحاق والالتزام ، كما ان غياب التنظيم الفعال يجعل من الصعب تعبئة واستيعاب الكثير من العناصر الجيدة التي تريد موقعا تعمل منه فلا تجد وتظل تطرق الابواب ولا من مجيب ، ولكن ذلك لا يعني ان العمل التنظيمي الملتزم مغلق على اصحابه . وفي غالب الاحيان فان طارقي الابواب من الخارج لا يقبلون الا بمواقع قيادية او قريبة من القيادة ، ويعتبرون ان ما دون ذلك لا يليق بمقامهم وبكفاءاتهم وشهاداتهم .

وفي الحقيقة فان التنظيمات النقابية والاتحادات يمكن لها ان تشرك العمال والطلاب والمعلمين والمراة والكتاب والفنانين والحقوقيين وغيرهم من العاملين بالمهن المختلفة وتنظمهم وتصل بهم الى المؤسسات القيادية للمنظمة . كما يمكن ابتكار اشكال تنظيمية اخرى تمكن قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية من استخدام طرق ديمقراطية لتمثيلها ورفع صوتها في مجالس المنظمة ومؤسساتها ، ولكن ذلك غير ممكن في اماكن تجمع غالبية شعبنا اي في الوطن المحتل وشرق الاردن. وهؤلاء في غيبة التنظيم السري الحديدي القادر لا يمكن تمثيلهم واعطاؤهم دورا حقيقيا في قيادة منظمة التحرير .

من هم اذا المستقلون في منظمة التحرير ؟ ومن يمثلون ؟ من الصعب تقديم اجابة قاطعة على هذا السؤال اذ ليس هناك تجمع واحد ذو فكر واحد يندرج تحته المستقلون والا ما عادوا مستقلين . كذلك من الظلم البين القول بانهم لا فكر لهم ولا عقيدة ولا ايديولوجية ولا برنامج كما قال احد ممثلي التنظيمات بتشنج بالغ وهو يتهمهم بأنهم دعاة الاستسلام والهزيمة !! ولكن يمكن تقسيمهم الى مجموعات متعددة :

١ ــ هناك الشخصيات الوطنية ذات التاريخ النضالي وثوار الامس الذين قدموا لوطنهم الكثير في حياتهم ولكنهم تقدموا في العمر ولم يعد في امكانهم البدء من جديد والقيام بالعمل التنظيمي الدؤوب الملتزم وبعض هؤلاء يملك خبرة طويلة ، ولا شك انه يجب ايجاد صيغة تسمح لعدد منهم ــ وهم قليل على كل حال ــ بالمشاركة في المؤسسات القيادية الفلسطينية لاعطاء النصح والمشورة قدر طاقتهم وتكريما لهم ولكل مناضل من أجل الوطن .

٢ ــ هناك مجموعات من ذوي الثقافة الاكاديمية والتقنية العالية ممن يملكون خبرة خاصة يمكن لهم افادة الثورة منها . والحق ان الطريقة المثلى للاستفادة منهم هو في تعيينهم مستشارين للثورة في مراكز التخطيط والابحاث والدراسات . ويمكن بالطبع لبعضهم ممن يعملون بالتزام واخلاص في هذه المراكز ان يصلوا بطريقة ديمقراطية ومن خلال مؤسساتهم الثورية العلمية هذه الى المجلس الوطني الفلسطيني وغيره من مؤسسات الثورة . ولا يجوز اطلاقا استخدام صيغة المثقفين او المفكرين او الكفاءات لوصفهم كمجموعة متمايزة

وتبرير وصولهم الى المناصب القيادية ، فالثورة بتنظيماتها المسلحة تمتلىء بالكفاءات الثورية الممارسة . أليس خبير المفرقعات في احدى الوحدات العسكرية كفاءة ؟ ومسؤول الاعلام في اي من التنظيمات مفكرا ، ومدير المدرسة الابتدائية ومسؤول الاشبال ومقاتل الميليشيا ، اليسوا كفاءات هامة للثورة ؟ واذا كانت القضية هي قضية شهادات علمية. هل يعرف الكثير ان احد قواعد قوات العاصفة في جنوب سوريا تتمتع بسبعة وعشرين مقاتلا يحملون شهادات جامعية عالية وأن احد آمري القطاعات في جنوب لبنان حاصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية وان عديدا من العاملين في التنظيم والاعلام في منظمات المقاومة يحملون شهادات الدكتوراه في موضوعات مختلفة ، وان الذين قاموا بعملية بتاح هاتكفا الرائعة في تموز ١٩٧١ وبعض قادتها الذين استشهدوا بعد العملية كانوا من المهندسين حملة الشهادات الجامعية ؟ وان معظم هؤلاء بحكم رتبهم التنظيمية لا يستطيعون الوصول الى المجلس الوطني او اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ؟ ما الذي يميز الكفاءات الفنية المستقلة عنهم حتى تصر على ان تعمل مع القادة وفي القيادة والا فلا ؟

اننا شعب ناضل الكثير من ابنائه للحصول على ارقى درجات العلم لكي يستطيعوا العيش في نزوحهم عن وطنهم وتحت القهر ، ونحن نواجه عدوا يتسلح بالعلم والتقنية في كل ما يعمله ويقوم به ولذلك فانه من الضروري ان تعبيء الثورة وتستوعب كل ابناء هذا الشعب وان تستفيد حقيقة باشراك كل ذي كفاءة من ابناء الشعب العربي كله لدعم مسيرة الثورة ، ولكن يجب علينا ان نحذر كل الحذر من الصيغ الفوقية وغير الثورية التي يستخدمها بعض اصحاب الكفاءات .

٣ — وهناك مجموعات من المستقلين المقربين لاحد التنظيمات او الاخر يستخدم في لعبة الكوتا وفي غيبة الاسس الديمقراطية في الاختيار والتمثيل ، وهذه صيغة يجب ان تنتهي في ظل البرنامج التنظيمي الجديد الذي يوفر الاسس البديلة لنظام الحصص .

٤ — وهناك مجموعات مريبة من ذوي الارتباطات بأجهزة المخابرات التابعة للانظمة العربية المختلفة، ومن الوجهاء اصحاب المصالح والعلاقات ، وهؤلاء يمكن استخدامهم تحت راية المستقلين وفي مرحلة انحسار ثورية لضرب الثورة وعزل قيادة الثورة المسلحة داخل منظمة التحرير او لسلب شرعية التمثيل الفلسطيني من منظمة التحرير . وتركز هذه المجموعات على اخطاء المقاومة وتجعلها قميص عثمان من اجل قتل ارادة الكفاح المسلح والتشكيك بصحة استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد ومحاربة التنظيم الثوري . ومن هذه الجماعات من يعمل الملك حسين على استخدامه في انشاء القطر الفلسطيني في مملكته المزيفة ، ومنهم من تطمع اسرائيل في استخدامهم ، ومنهم من يروجون للحلول الاستسلامية والاستزلام لهذا النظام او ذاك ، او يعملون من اجل كيان فلسطيني هزيل ومزيف على جزء من التراب الفلسطيني . وهذه مجموعات يجب اقصاؤها عن العمل الفلسطيني والمؤسسات القيادية لمنظمة التحرير والتصدي لها بكل حزم ثوري .

وقد شهد المؤتمر نماذج من كل هذه المجموعات، وان كانت المجموعة الاخيرة أقلها تمثيلا . والواضح ان اسرائيل والنظام العميل في الاردن لم يتمكنا من تجنيد واحد من تلك العناصر وارساله للمؤتمر لمحاولة افشاله مفضلا منع الجميع من حضوره والمشاركة في اعماله .

ان قرار توسيع المجلس الوطني الذي صدر عن المؤتمر والمجلس يجب تنفيذه من خلال اطار البرنامج التنظيمي المقدم للمؤتمر والمعتمد بخطوطه الرئيسية منه ، ويجب الحذر كل الحذر من الوقوع في فخ المجموعات الاخيرة بدعوى اشراك المستقلين . اي انه يمكن توسيع تمثيل الجماهير الفلسطينية من خلال التنظيمات النقابية والاتحادات المهنية والفنية ومن خلال صيغ التمثيل الديمقراطي للميليشيا وللتجمعات الفلسطينية في البلدان التي يمكن فيها مزاولة العمل العلني ، كذلك يمكن زيادة تمثيل المؤسسات الثورية المتخصصة في البحث والدراسات والتخطيط والتي ترتبط بالثورة واطاراتها التنظيمية ، كما يمكن اضافة بعض الشخصيات الوطنية التاريخية التي يجب تكريمها واشراكها ولكن ذلك يجب ان يتم في أضيق الحدود . واما جماهير شعبنا الواقعة تحت القهر الاسرائيلي والهاشمي فانه الى حين توفير التنظيم الحديدي الثوري بينهما ، والى حين ظهور « عميروش » الخليل و«ابو علي اياد» جديد فيجرش

وعجلون و « جيفارا » فلسطين في جبل النار فسيظل « الداخل » أقل تمثيلا من شعبنا في « الخارج » وأقل تأثيرا على القرارات الاساسية للثورة ويبقى على قيادة منظمة التحرير مسئولية خلق الاتصال الدائم بشعبنا « في الداخل » ودعم صموده ودفع نضاله وخلق البؤر التنظيمية الثورية بين صفوفه والاستماع لحاجاته ومشاعره واحساساته .

البرنامج السياسي والتنظيمي

توجه المؤتمر منذ البداية — كما سبق شرحه — للبحث عن الردود على التحديات المصيرية التي تواجه الشعب الفلسطيني وثورته فانطلق من استراتيجية الثورة وعمل على تعميقها وعلى بحث خطط تفصيلية لتطبيقها بكفاءة . ومن هنا كان توجه المؤتمر بكافة لجانه لدراسة البرنامج المطروح للوحدة الوطنية بشقيه التنظيمي والسياسي .

وقد أقر المؤتمر البرنامج السياسي بعد نقاش مكثف وجاد أغنى واوضح بعض نقاطه وادخل تعديلات لها ما يبررها على بعض فقراته ، كما أقر البرنامج التنظيمي بخطوطه العامة ، ورفع البرنامج بشقيه الى المجلس الوطني لاعتماده . ولقد كانت العناية التي اولاها المؤتمر للبرنامج السياسي دليل نضج في فهم الوحدة الوطنية باعتبار ان شرطها الجوهري هو الوحدة الفكرية، وفي تقييم الواقع الموضوعي المحيط بالثورة وتحديد المهام والاحتياجات النضالية التي يتطلبها هذا الواقع ، واسلوب اداء هذه المهام والاستجابة لهذه الاحتياجات بما يدعم المسيرة الاستراتيجية ويدفع في اتجاه تحقيق الهدف الاستراتيجي .

ويتميز البرنامج السياسي بالخصائص التالية :
١ — أكد على صحة استراتيجية الثورة في مواصلة النضال المسلح لتحرير كامل تراب الوطن ولاقامة الدولة الوطنية الديمقراطية الفلسطينية رافضا في المقابل كل مشاريع التسوية السياسية وكل المشاريع والمناورات الهادفة لتصفية قضية التحرر الوطني الفلسطيني . ٢ — أكد على الصلة العضوية والمصيرية بين نضال الشعبين الفلسطيني والاردني ، وعلى ان النضال المشترك لتحرير الشعب الاردني من طغيان النظام العميل هو شرط جوهري لمواصلة النضال المسلح من اجل تحرير فلسطين ، ومن هنا طرح البرنامج كضرورة استراتيجية مهمة تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية . ٣ — حدد بشكل سليم موقع النضال الوطني الفلسطيني من النضال الوطني العربي بشكل عام وارتباط كل منهما بالاخر نجاحا او فشلا . ومن هنا فقد طرح البرنامج كضرورة مصيرية مهمة تشكيل الجبهة الوطنية العربية المناهضة للصهيونية والامبريالية . ٤ — كما حدد البرنامج نوعية العلاقات التضامنية بين النضال الوطني الفلسطيني — العربي والنضال الثوري العالمي : ضرورة الالتحام والتفاعل الوثيق في اتجاه تنمية وتعزيز وحدة الصفوف الثورية العالمية المناضلة ضد الامبريالية والعنصرية ، بما يتفق ومصلحة النضال الوطني العربي .

ولقد انطلق البرنامج السياسي من ثلاثة منابع رئيسية : أ — المبادىء العامة التي تضمنها الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الاساسي ومقررات المجالس الوطنية المتتالية . ب — الفهم العلمي للعنف الثوري باعتبار انه يعني الجمع بين النضال الجماهيري المسلح وغير المسلح (السياسي) . ج — ان الالام وصنوف الاضطهاد والحرمان التي يتعرض لها شعبنا يوميا يجب ان تكون هموما للطليعة التي تناضل من اجل التحرير الكامل للشعب والوطن . وان النضال مع الجماهير لدفع هذه المظالم ولصد الاضطهاد هو شرط اساسي لكسب ثقة الجماهير ، ولتدريبها على التنظيم وعلى النضال المنظم ، ومن هنا يمكن الارتقاء بهذه النضالات الجزئية الى المستوى الذي تخدم فيه وتنمي وتعمق النضال الاستراتيجي العام وتخلق الظروف الموضوعية والذاتية لتطوير الكفاح المسلح وفقا لمبادىء حرب الشعب .

كذلك فان المناخ النضالي والتنظيمي الذي يتشكل حول القضايا الجزئية هو الذي يوفر أرضا خصبة لتوسيع وتعميق تنظيماتنا السياسية والمسلحة ، كذلك فان هذه النضالات الجزئية هي المجال الذي تكتشف فيه خيرة ابناء شعبنا المناضلين ، وهي البوتقة التي يجري بها اختبار وتعليب هذه العناصر حتى تتشكل تنظيماتنا من مناضلين اقوياء ومتمرسين . لذلك عني البرنامج على الساحتين الفلسطينية والاردنية بتحديد عديد من المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للنضال من حولها بالاضافة الى المهام الاستراتيجية.

ولقد كانت هناك بعض الملاحظات اثناء مناقشة

البرنامج السياسي في المؤتمر حول هذه المهام الجزئية التي تضمنها البرنامج سواء على الساحة الفلسطينية او الاردنية ، وكان جوهر تلك الملاحظات هو انها تجعل من البرنامج السياسي برنامجا اصلاحيا — من خلال النظام القائم — لا برنامجا ثوريا — ان برنامجا ما يمكن وصفه بأنه برنامج اصلاحي اذا ركز على المهام الآنية القصيرة الاجل واغفل المهام الاستراتيجية او لم يوجه حصاد النضال من اجل المهام الآنية نحو انجاز المهام الاستراتيجية ، وهذا ما يجعل البرنامج المقدم يختلف جذريا عن اي برنامج اصلاحي فهو يؤكد على المهام الاستراتيجية وعلى اسلوب تحقيقها وهو الكفاح المسلح الطويل الامد والنضال السياسي الجماهيري باعتبارهما الركنين الاساسيين للعنف الثوري .

ولا بد لنا هنا من التوقف لحظة للمقارنة بين ما يسمى الحلول المرحلية لقضية فلسطين والمتمثلة بشعار « خذ وطالب » وبين الخطوات المرحلية للتحرير . فالمطالبون بدولة فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني من ضمن اطار الحل السلمي بدعوى « الواقعية » يضحون بالهدف الاستراتيجي كله من اجل الحل المرحلي ، وسوف تجر هذه الواقعية الشعب الفلسطيني الى الاعتراف فورا بشرعية اسرائيل والى وضع مقدرات الشعب الفلسطيني كلها تحت تصرفها ، وبالمقارنة فان هدف تثبيت المواطنين في ارض الوطن ووقف النزوح منها والتصدي للتهويد والحفاظ على الثقافة العربية ، حماية المؤسسات الثقافية العربية في الوطن المحتل هي كلها اهداف مرحلية هامة تساهم في الوصول الى الهدف الاستراتيجي، طالما انها تتم كلها في اطار الكفاح المسلح ودون اية مساومات مع العدو ، بل بالنضال الجماهيري ضد مؤامرات العدو واعتداءاته .

ان دعم صمود المواطنين في الوطن المحتل من اجل منع تهويد قطعة ارض صغيرة ومساندة نضالهم من اجل اقامة مدرسة فنية او جامعة تمنع خروج الشباب للخارج هي انجازات هامة ويجب الالتفات اليها في نفس الوقت الذي يستمر فيه الكفاح المسلح ويتعاظم . وهي تختلف جذريا عن الحلول المرحلية او المحاولات الاصلاحية ، لانه اذا رضخ العدو لها كانت كسبا جماهيريا واذا عارضها فان ذلك سيؤدي الى صدام بين المواطنين والعدو يعمق التناقض بين الجماهير والمحتل ويزكي الروح الوطنية ويكشف النقاب عن بعض الاساليب التخديرية التي يتبعها العدو مع مواطنينا . كما سيكون ذلك مادة لتجميع سخط عالمي على العدو. ويمكن رؤية برنامج النضال على الساحة الاردنية بنفس المنطلق مع اضافة اعتبار اخر خاص وهو ان اجتذاب الجماهير الفلسطينية والاردنية في الضفة الشرقية للنضال المشترك من اجل بعض المطالب الآنية كالغاء قرار حل نقابات العمال او ازالة الضرائب الباهظة او اطلاق سراح المعتقلين السياسيين سيعمق الوحدة بين الشعبين على اساس النضال المشترك من اجل مصالح مشتركة ضد عدو مشترك . مثل هذا النضال المشترك — يحبط محاولات النظام المستمرة لتعميق الانقسام بين الشعبين الاردني والفلسطيني .

تقييم المؤتمر

يمكن القول دون مبالغة — بعد ان استعرضنا اهداف المؤتمر ومنجزاته — ان المؤتمر الشعبي الفلسطيني كان حدثا تاريخيا هاما . فالمؤتمر بانعقاده بعدده الضخم وبتمثيله لقطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني وبتخطيه كل محاولات منعه من الانعقاد او تفجيره من الداخل ، وفي هذه المرحلة الهامة ، يعتبر انجازا في حد ذاته .

ان مشاركة شخصيات فلسطينية عديدة في هذا المؤتمر كالاستاذ احمد الشقيري واعطاءها حجمها الطبيعي بهدوء وأدب هو انجاز . كما ان منع اسرائيل والاردن ابناء شعبنا من المشاركة في المؤتمر يعلن بشكل واضح ان النظام العميل في الاردن والعدو الصهيوني قد فشلا فشلا كاملا في استقطاب أية عناصر ذات وزن للتحدث باسمهما وان التمثيل الحقيقي والوحيد للشعب الفلسطيني تحت القهر والاحتلال وفي النزوح والشتات لا يزال هو منظمة التحرير ومؤسساتها ومؤتمراتها . لقد اعلنت اجهزة اعلام النظام العميل في الاردن بانها ستقيم مؤتمرا فلسطينيا مضادا في عمان يوم الجمعة ٧ نيسان ولكنها منيت بفشل ذريع واحبط مؤتمرها . وقد اضافت الرسالة الموقعة والشجاعة التي خرجت من اعضاء المؤتمر في الاردن الشيء الكثير الى قيمة المؤتمر .

لقد كانت هناك شكوك ومخاوف حول ما يمكن لبعض الناس ان يقولوه او يفعلوه في المؤتمر ،

ولكنه لم يرتفع في المؤتمر صوت واحد ينـــادي بالتفاهم مع النظام الاردني او قبول العمل مـــن ضمن اطار الحـــل السلمي او الرضوخ لمشيئـــة الانظمة او حتى « التعقل » بمفهومه الاستسلامي. ولكن المؤتمر تخطى هـــذا كله لكي يقر برنامجـــا سياسيا وتنظيميا للوحدة الوطنية كما شكل لجنة متابعة جماهيرية من خلاله لمراقبة خطوات التنفيذ، واغلق المؤتمر الباب في وجـــه كـــل المحـــاولات والمناورات للانقضاض على حق تمثيل الشعـــب الفلسطيني حيث اكد في بيانه الختامي بما يلي : ا ــ ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثـــل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في التعبيـــر عن أمانيه وتحديد ارادته وقيادة كفاحه المسلـــح ونضاله في جميع الساحات . ب ــ ان اي اجراء او ترتيب او اتفاق في صدد تقرير مصير فلسطين وطنا وشعبا يصدر عن اية جهة اخرى غيرها انما هو خال من الشرعية . ج ــ انه لا يحق لاية جهة من الجهـــات او اي جيـــل من اجيال الشعـــب الفلسطينـــي مهمـــا تألبت عليـــه الظـــروف ان يتنازل عن اي حق من حقوقه الثابتة والطبيعية . وبذلك يكون المؤتمر قد نجح الى درجة كبيرة في تأكيد الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني وفي تحديد استراتيجية ثورته وخططها النضالية فلسطينيا واردنيا وعربيا وعالميا .

ولا بد من اضافة انجاز هام للمؤتمر ، فلقد نجح في استقطاب تأييد هام وعميق للشعب الفلسطيني وثورته من القوى التحررية التقدمية في العالـــم ، وفي الاتفاق مع مثلي القـــوى الوطنية والتقدمية العربية التي دعيت اليه لعقد مؤتمر عربي لهذه القوى لتحديـــد مهامهـــا ازاء الثورة الـــوطنية الفلسطينية وازاء النضال العربي عامة .

وختاما ، لا شك انه كانت هناك سلبيات وهنات كثيرة للمؤتمر ، فبالرغم من الخطط التفصيلية التي قدمت له الا ان معظمهـــا لم ينفـــذ او يؤخذ في الحسبان وادى ذلك الى مشاكل تنظيمية عديدة وتحمل نتيجتها رئيس المؤتمر ومساعدوه اعبـــاء كبيرة . ويبقى ان انجازات المؤتمر تتطلب تنفيذا ومتابعة ، وان هذه الانجازات حتى لو نفذت فانها لا تقدم حلا سحريا لقضايا الشعب الفلسطيني بل ترسم خريطة فقط لنضاله ومرشـــدا لاستمـــرار كفاحه ضد اعداء اقوياء شرسين ومتربصين ، وفي اطار عربي يمتلىء بحقول الالغام. ولا اجد للتعبير عما اعنيه هنا خيرا مما قاله الاخ ابو عمار في كلمته الاخيرة للمؤتمر : ليس المطلوب منا ان نفجر الالغام التي تعرقل طريقنا ولكـــن ان نسترشـــد ببرنامج لكي نمر ببندقيتنا بين الالغام في طريـــق الكفاح الوعـــر الشاق لكي نصـــل الى ارضنـــا ونحررها تحريرا كاملا .

الدكتور نبيل شعث

صدر عن مركز الابحاث

قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان

دراسة في القانونين المحلي والدولي

بقلـــم

أنيس فوزي قاسم

« اذا حلت مشكلة الهجرة وهي المشكلة الثانية ، فلن تبقى المشكلة الاولى قائمة » لذلك لا نغالي اذا قلنا ان مستقبل الدولة الاسرائيلية يعتمد على الهجرة اليهودية لفلسطين الى حد بعيد . ومن كافة النظم والقوانين التي رتبت عمليات المهاجرة ، لا يمكن ان يشاهد قانون غريب كقانون العودة الاسرائيلي . فما هو هذا القانون ؟ وما هي جذوره التاريخية ؟ لماذا وضع ؟ وما هو أثره .

تعرض الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب للمسائل القانونية الرئيسية وللخلفية الصهيونية لقانون العودة وقانون الجنسية بالاضافة لمناقشة وتطبيق القانونين ذاتهما . أما الفصول الثلاثة الاخيرة فتعتبر دراسة مركزة في القانون الدولي وتقييم قانون العودة وفقا لمعاييره بالاضافة للنصوص الرسمية لقانون العودة وقانون الجنسية وتعديلاتهما .

١٧٣ صفحة بليرتين لبنانيتين (تضاف أجور البريد : ٥٠ ق. ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق. ل. في أوروبـــه ، ٢٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم) .

رسائل

رسالة من واشنطون : حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق

مقتطفات من حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق ، رئيس رابطة حقوق الانسان في اسرائيل ، جرى في واشنطن مع احد مراسلي « شؤون فلسطينية » . وقد سبق لجوزيف تقواع ، رئيس وفد اسرائيل الى الامم المتحدة ، ان وصف اسرائيل شهاق بالكلمات التالية « رجل مجنون ، يهودي يعميه الحقد ضد اسرائيل ، يهودي معاد للسامية » !

رابطة حقوق الانسان في اسرائيل : تأسست الرابطة في ١٩٤٥ اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين كنوع من الاحتجاج الذي أراد اليهود التعبير عنه ضد سياسة القمع البريطانية . وظلت تعمل بشكل جدي فقط خلال الفترة الممتدة من ١٩٤٥ — ١٩٤٨ ، اذ تحولت فيما بعد الى اسم دون مسمى ، وتحللت نهائيا في السنتين التاليتين لحرب ١٩٦٧ ، الى ان قام الدكتور مردخاي آري — شاول ، الشاعر والمترجم الاسرائيلي ، بدعوة الشباب الى احياء الرابطة بالانضمام اليها وتحويلها الى اداة للمطالبة بحقوق الانسان . وهكذا اعيدت لها الحياة في العام ١٩٦٩ وبدأت تكافح ضد سياسة القمع التي تطبقها اسرائيل ضد الفلسطينيين ، والجدير بالذكر ان عدد اعضائها الان لا يتجاوز بضع مئات من المثقفين .

الفلسطينيون في ظل الحكم الاسرائيلي : هناك فئتان من الفلسطينيين : اولئك الذين يخضعون للحكم العسكري الاسرائيلي في الاراضي المحتلة حديثا، والمواطنون العرب الذين ما زالوا يخضعون للحكم الاسرائيلي منذ العام ١٩٤٨ . وليس للفلسطينيين الذين يخضعون للحكم العسكري الشامل اي حق مهما كان في اللجوء الى القانون المدني اذ انهم يعتمدون على السلطات العسكرية في كافة القضايا التي تتعلق بهم . وبالنسبة للوضع في غزة فانه يهز الضمير الانساني من الاعماق نظرا لان السياسة الاسرائيلية الرسمية تهدف الى « تقليل » عدد سكان ذلك القطاع ، فقد أعلن الميجر جنرال دايان انه « يريد ضم ارض غزة وليس سكانها » . وهكذا فان سياسة اسرائيل تقضي بـ « تقليل » عدد السكان ، أو طردهم من القطاع . ورغم ذلك ، لم تنجح الحكومة بشكل فعلي في تنفيذ سياسة الابعاد هذه . وقد بلغت سياسة اضطهاد المدنيين في غزة اقصى درجاتها خاصة بالنسبة لاهالي المشتبه بانتمائهم لحركة المقاومة ، اذ تقوم الحكومة بابعاد افراد عائلات هؤلاء بمن في ذلك الاطفال والشيوخ والنساء الى معسكر الاعتقال في « ابو زنيمه » بصحراء سيناء . اما بالنسبة للضفة الغربية المحتلة للاردن ، فان الوضع فيها لا يختلف عن الوضع في غزة ، مع انه اخف درجة لان المنطقة اكثر انفتاحا أمام الصحفيين والزوار في حين يحيط بغزه أسوار من الاسلاك الشائكة ليس لها سوى بضع مداخل ، كما لا تسمح السلطات العسكرية الاسرائيلية بزيارة القطاع الا لمن تريد ، وهكذا لا يسمح لجميع الصحفيين بزيارة المنطقة ، وحتى انه يتوجب على الاسرائيليين الحصول على تصريح للسماح لهم بالذهاب الى هناك ، بالاضافة الى التأكد من انهم مزودون بالاسلحة الضرورية لحماية ارواحهم . وتعتبر الضفة الغربية اوفر حظا من غزة لان فيها القدس مما يجعلها محط أنظار الكثيرين ، لذلك فان سياسة تقليل السكان هناك تطبق بشكل غير مباشر . فهناك هيئة تعمل على تهجير العرب من فلسطين تدعى شركة يورومان التي تقدم معونات مالية للعرب الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٨ و٣٥ سنة لمساعدتهم في الهجرة الى اوروبه ، وتشمل هذه المعونات مبلغ ٥٠ ليرة اسرائيلية (١٢,٠ دولارا) وتذكرة ذهاب الى أوروبه واجازة عمل في المانيه او سويسره او في غيرهما من الدول الاوروبية بالاضافة الى تسهيلات للاقامة في الفنادق. وقد بدأت الشركة عملها في نيسان (ابريل) ١٩٧١

وعنوانها : ٢٠ شارع هانيفييم ، حيفا ، اسرائيل . ومديرها هو بيجال تريفون ، ولها وكلاء معتمدون في المناطق المحتلة واسرائيل، وبعض هؤلاء من العرب ، ونجحت حتى الان في تسجيل اسماء ٤٠٠٠ شخص (اي توقيع عقود معهم) ، ولكن قلة منهم هاجروا بالفعل ، وبامكان السلطات العسكرية ارغام الاخرين على الهجرة .

الحالة الاقتصادية في الضفة الغربية : شهدت الزراعة في الضفة الغربية تغيرا جذريا ، فالخضار التي تزرع هناك لم تعد تصدر للبيع (في الاسواق العربية كما قبل ١٩٦٧) بل ترسل للتصنيع في اسرائيل ، وهذا ما جعل الزراعة في الضفة مرتبطة بالصناعة الاسرائيلية ، التي تعمد الى تصدير ما تصنعه من خضار عربية الى أوروبه . وحظرت اسرائيل أيضا زراعة الحبوب في الضفة منذ اوائل ١٩٦٨ على اعتبار ان زراعتها مقتصرة على اسرائيل وحدها ، وبذلك اصبح مزارعو الضفة يعتمدون على اسرائيل في هذا المجال . وقد قبل المزارعون العرب بهذه التغييرات مرغمين نظرا لخضوعهم للحكم العسكري ، مما يسلبهم حقوقهم ويضطرهم لقبول كل ما يملى عليهم ، والا فانهم سيعرضون انفسهم لعقوبة لا طائل لها . من هنا يظهر ان جميع ضروريات الحياة ، اللهم الا التنفس ، خاضعة لتصريح من السلطات العسكرية في الاراضي المحتلة للحصول عليها او القيام بها . وعلى الصعيد السياسي ، حظرت هذه السلطات ايضا كافة اشكال النشاط السياسي ، حتى في الانتخابات البلدية منعت المرشحين من القيام بحملات انتخابية او بعقد اجتماعات او القيام بسوى ذلك من النشاطات . وكذلك فان الاحزاب السياسية محظورة ، ولا يسمح أيضا برفع اية شكاوى ضد السلطات العسكرية ، ونتيجة لسياسة الكبت هذه بات الناس مرغمين على القيام فقط بما تريدهم السلطات العسكرية ان يقوموا به . وهناك بعض « الصناعات الجزئية » بدأت في النشوء في الضفة ، كما بدأت المصانع الاسرائيلية في فتح فروع لها هناك لتصنيع المنتجات التي تحتاج الى أيد عاملة كثيرة .

مسألة الجنسية الاسرائيلية : كل طفل يولد في اسرائيل من أبوين يهوديين يسجل على بطاقته بأنه مواطن ، واذا لم يكن من أبوين يهوديين تترك خانة الجنسية فارغة . واذا كان أبواه يحملان الجنسية الاسرائيلية يحق له طلبها عندما يبلغ من العمر ما بين ١٨ و٢١ سنة . وقانونيا يمكن منح الجنسية لفئتين من السكان فقط : ١) اليهود بما [illegible] المتحدين ، ٢) ابناء الذين يحملون [illegible] الاسرائيلية ، وما عدا ذلك (٧٠ الفا) لا يحق لهم الحصول على الجنسية ، وكذلك الامر بالنسبة لاطفالهم ، جيل بعد جيل .

قانون الغائب ــ الحاضر : يطبق هذا القانون على الناس الموجودين في اسرائيل ولكنهم غائبون عنها قانونيا وذلك بقصد « سرقة » أراضيهم ، ويقع ضمن هذه الفئة كل عربي لا يستطيع ان يثبت انه كان (ولو ليوم واحد) تحت الحكم اليهودي خلال الفترة الممتدة من ١٥ أيار ١٩٤٨ وحتى آذار ١٩٤٩ . والمنطقة المعروفة باسم المثلث الصغير في اسرائيل هي من فئة الغائب ــ الحاضر ، وهي عبارة عن احياء فقيرة عربية يقطن فيها العمال العرب الذين يعملون في تل أبيب وحيفا .

أنظمة الدفاع للعام ١٩٤٥ : للحاكم العسكري بموجب هذه القوانين البريطانية الحق في كل شيء: نفي اي شخص دون تحديد المدة ، سجن اي شخص دون تحديد المهلة ودون محاكمة ، حظر المطبوعات كيفيا ، فرض الاقامة الجبرية على الاشخاص في قراهم او مدنهم دون تحديد المدة لذلك . وقد طبقت هذه القوانين في الاساس ضد اليهود في الفترة الممتدة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ ، وكانت موضع انتقاد رجال القانون اليهود ، وقد وصفها شابيرو ، وزير العدل الاسرائيلي ، حاليا ، بأنها « أسوأ من القوانين النازية » . اما اليوم فلا تطبق هذه القوانين سوى على العرب . وقد حاولت اختبار مدى جدية تطبيقها فعمدت الى اصدار بعض النشرات دون تقديمها الى الرقابة ، ورغم ذلك لم اعتقل . فمثل هذه القوانين لا تطبق الا بحق العرب . وهكذا عندما كتب الشاعر الفلسطيني توفيق زياد مجموعة شعرية في نيسان ١٩٧١ دون عرضها على الرقابة وحاول عدد من الشبان العرب توزيعها في الناصرة اعتقلتهم السلطات الاسرائيلية ولكن هذه السلطات نفسها لم تعتقل الشبان اليهود الذين قاموا بتوزيع هذه المجموعة في قاعة المحكمة ، وهذا ما دفع المحكمة الى اسقاط الدعوى . وهكذا نرى ان هناك سيفا مسلطا على رقبة كل عربي في اسرائيل . ومن

الامثلة على قيام السلطات العسكرية بنفي الشباب العربي قصة الشاعر فوزي الاسمر الذي فرضت عليه الاقامة الجبرية في منزل والده في اللد بدلا من منزله هو في تل ابيب . وعندما استفسرت الرابطة عن دواعي ذلك ، رد المسؤولون بأنه « نفي الى محيطه الطبيعي » .

عرب القدس : لم يمنح هؤلاء الجنسية الاسرائيلية على اعتبار ان « القدس ضمت ، وليس اهاليها »، وقصة نعيم الاشهب مثال على ذلك . فقد اعتقل لمدة ١٨ شهرا واودع السجن الانفرادي لمدة ١٨ شهرا اخرى الى ان فقد البصر في احدى عينيه ، ولما احتجت الرابطة على ذلك قيل لها « صحيح انه نزيل السجن ، ولكن الباب مفتوح أمامه اذا ما رغب في مغادرة بلاده » . وبالفعل غادر بلاده مؤخرا الى الاتحاد السوفياتي للعلاج الطبي ، ولكنه ترك عائلته وراءه في القدس .

الاسرائيليون المظلمون : ان الشعب في اسرائيل مطلع على كل هذه الامور وخاصة انظمة الدفاع ، ولكن الكبار في السن منهم يرفضون الاعتراف بهذه الحقيقة في حين بدأ الشباب يرفعون اصوات الاحتجاج خاصة بالنسبة للمواطنين العرب في اسرائيل . ويبرر الاسرائيليون سياسة الكبت هذه بأنها ضرورية للحفاظ على « الطائفة اليهودية » ولجعل اسرائيل دولة يهودية . وعلى أية حال ، بدأ الكثيرون في اعقاب حرب ١٩٦٧ يشعرون ان سياسة الكبت هذه لا يمكنها ان تدوم ، وهكذا فان آلاف الشبان بدأوا يؤيدون رابطة حقوق الانسان .

خدمة الشباب العرب في الجيش الاسرائيلي : من واجب كل يهودي ان يخدم في القوات المسلحة اما الآخرون فكل حسب الفئة التي ينتمي اليها ، فالخدمة بالنسبة للبدو والدروز والشركس اجبارية ، واختيارية بالنسبة للمسيحيين العرب ، ولكنها محظورة بالنسبة للمسلمين العرب .

حول تأييد الفلسطينيين : انني اعترف بحق الفلسطينيين في الحرية وأؤيد هذه الحرية ، كما ان لي الحق في تحديد السبل المناسبة لتحقيق هذه الحرية ، وفي ان انتقد هذه السبل بالطرق السياسية ، والفلسطينيون اليوم هم الشعب العربي الوحيد الذي هو موضع قلق كل اسرائيلي لانه رغم هزيمتهم لا يزالون يقاتلون في حين ان الجيوش العربية الاخرى لن تواصل القتال .

على الفلسطينيين توضيح اهدافهم : يتوجب على الفلسطينيين توضيح اهدافهم والتوجه بذلك الى الشعب في اسرائيل . ويجب ان تصبح هذه الاهداف جزءا من الميثاق الوطني الفلسطيني للعام ١٩٦٨ ، كما يجب ان يرافق ذلك حملة من البيانات والرسائل الموجهة من الفلسطينيين في الخارج الى الشباب في اسرائيل ، وستقوم الرابطة وغيرها من المنظمات بطبع وتوزيع هذه البيانات وذلك لنزع الفكرة السائدة لدى المواطن الاسرائيلي العادي بأن الفلسطينيين يهدفون الى القاء اليهود في البحر . وانني اتوجه بالرجاء الى جميع الفلسطينيين في الخارج في الكتابة لنا لتوضيح مطالبهم .

حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بانفسهم : ان رابطة حقوق الانسان ملتزمة باعلان حقوق الانسان الصادر عن الامم المتحدة . وانني شخصيا أؤيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وادنى ما اريده هو عدم ضم الاراضي المحتلة لاسرائيل ، وان يسمح لاي فلسطيني بالعودة الى أي جزء يريده من « اسرائيل » ، اما اقصى ما اريده فهو خلق دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين ، مع نوع من الحكم الذاتي .

مسألة الغالبية اليهودية في القدس : تعتمد هذه المسألة على الحدود التي تضمها للقدس ، فلو اعتبرنا الحدود الحالية فان اليهود لم يشكلوا ابدا غالبية السكان في المدينة ، اما اذا اعتبرنا الحدود التي رسمها الانتداب البريطاني فان اليهود كانوا الغالبية بالفعل منذ ١٨٧٠ ، وعلى اية حال ، يجب ان تكون اية وجهة نظر صحيحة كليا ، اي انه اذا كان اليهود هم الاغلبية في القدس فان العرب هم الاغلبية في فلسطين ، علما بأن غالبية يهود القدس من الارثوذكس المناهضين للصهيونية ، فزعيمهم امرام بلو لا يزال حتى اليوم يعلن معارضته للصهيونية ولسياسة الضم لدرجة انه يرفض حتى زيارة « حائط المبكى » لانه يعتبر ان الغزوة الصهيونية قد دنسته .

رسالة من لندن : زيارة بيغن : صورة من التناقضات الاسرائيلية

مناحيم بيغن معروف لدى العرب بمسؤوليته عن دير ياسين ، معروف لدى الانكليز بمسؤوليته عن حادثة فندق الملك داود واعدام جنديين بريطانيين ، معروف لدى الصهاينة بمسؤوليته عن احراج الوكالة اليهودية . وسقط بيغن ضحية لهجوم ثلاثي عند زيارته لندن في كانون الثاني الماضي. وقام بهذه الزيارة « الودية » استجابة لدعوة الفرع البريطاني لحزب حيروت المتطرف (١٥٠٠ عضو في بريطانيا) وافتتاح مؤتمر الفرع الاول . وكان المفروض ان يتكلم في اجتماعين عامين ولكنهما الغيا بعد التهديد بالقاء قنابل فيهما . واكتفى بيغن بعقد مؤتمر صحفي في فندقه والتحدث في عشاء في مطعم قداسية اليهودي .

جاءت المعارضة البريطانية بأعنف مظاهرها من الفاشيين، جماعة كولن غوردن (الحركة البريطانية) ومنظمة الجبهة القومية . ووزعت كلتا المنظمتين مناشير حينما ذهب بيغن تطالب بمحاكمته كمجرم حرب ، وهي صيحة رددتها الديلي اكسبرس بقولها « انه لسعيد الحظ الا يجد نفسه في قفص الاتهام كمجرم حرب بالنظر لسجل اعماله » .

واجمعت الصحافة البريطانية دون استثناء على مهاجمته واستهجان زيارته ـ ربما باستثناء النيو ستيتسمان التي حاولت ان تقارنه بغيره من قواد حركات التحرير كمكاريوس وكنياته ، وبالرغم من اعترافها بتاريخه الاسود . ولا بد للانسان ان يشم رائحة الشوفينية الانكليزية في هذه الحملة الصحفية بدليل ان اكثر الصحف تحاملا عليه كانت الصحف الشعبية الرائجة كالديلي اكسبرس وجريدة صن التي حملت كلمات « عد الى بلدك ، يا مستر بيغن ، اننا لا نريد ان نقابلك » . ومن ثم جاءت الحملة البريطانية مركزة على جرائم بيغن بالنسبة للجنود الانكليز . وقلما اشارت الى جرائمه ضد العرب . بيد ان الغارديان اشارت في افتتاحيتها الى دير ياسين وما ادت اليه في تشريد اللاجئين .

اما المعارضة العربية فكان من الطبيعي لها أن تأخذ منحى مشابها فتبكي هي الاخرى على موتاها. وكانت صحيحة في تكتيكها حسب رأيي . ان بيغن من اثمن الكنوز للاعلام العربي . وكلما تكلم اكثر كلما غذى الجانب العربي بمزيد من العتاد . ولم تجلب زيارته الى لندن سرورا لاحد بقدر ما جلبت للممثلين العرب الذين وجدوا خلودهم الى الراحة هو حقا أسلم اجراء نافع . كل ما يراد منهم في مثل هذه المناسبة هو تحريك الهواء بضربة او ضربتين وترك العاصفة تأخذ مجراها . وروي ان السفراء العرب قد فكروا بتقديم طلب الى الحكومة لتسليم بيغن الى الدول العربية لمحاكمته. ووجدت التايمس رياء في هذا الطلب لان رئيس عصابة شترن ، ناثان يالنمور ، المسؤول بالاشتراك عن المذابح قد زار ايضا لندن ولم يثر العرب اي ضجة حوله لانه أصبح يؤيد « فتح » الان . وعلى كل فان الحكومة قد نفت أمام البرلمان استلام اي طلب من الجانب العربي في هذا الشأن .

جاءت المعارضة المركزة من الجانب اليهودي ، اذ رات الطائفة اليهودية عموما احراجا لها في مجيئه بعد جرائمه ضد مواطنين انكليز ، وهكذا صدر أمر من رئاسة الطائفة بعدم اعارة قاعة اي كنيس لاجتماعاته . ولم تثر المعارضة اليهودية بالطبع لاعماله ضد العرب او ضد الانكليز ، فالهاغانه كانت قد اشتركت بنفسها في نسف فندق الملك داود. الشعارات التي حملها الصهاينة كانت تحمل هذه الكلمات المتسترة « بيغن عدو الصهيونية » و« الصهاينة يعارضون بيغن » . لماذا يعارضونه، هم يعرفون الجواب . ويعرفه ايضا من تتبع تاريخ الحركة . .

مناحيم بيغن هو وريث جابوتنسكي وحزب حيروت هو الامتداد الاسرائيلي لحزب التصحيحيين ، او الصهاينة الجدد . وكان جابوتنسكي يؤكد للعالم انه لا توجد هناك خلافات بينه وبين اجنحة الحركة الصهيونية . الخلاف الوحيد هو انه جريء وصريح بينما يخاتل الآخرون . وقد كرر بيغن نفس الموقف في هذه المناسبة عندما اتهم بقية الصهاينة بالجبن. وهذا بالضبط ايضا الاتهام الذي وجهه بن غوريون لجابوتنسكي . انه يسبب احراجا للحركة . وكانت مسألة خضوع التصحيحيين للربط والضبط النقطة الوحيدة التي احتدم حولها الخلاف في المفاوضات التي جرت بين الطرفين في الثلاثينات . وتلون الخلاف طبعا بالوان شخصية وحزبية واشتبك بكثير من الثارات والخصومات الطويلة . والصهاينة هنا كالعرب عندما يحاولون اعطاء الخصومات

الشخصية أبعادا عقادية . وكثيرا ما انتهت احاديثي مع الصهاينة « اليساريين » في لندن في متاهة قاتلة . لماذا تكرهون بيغن ؟ لانه رجعي . لماذا بيغن رجعي وديان تقدمي ؟ ديان من حزب المباي . ما الذي يجعل المباي تقدميا ؟ انه حزب العمال وصاحب مزارع الكبوتز . أوليس لحزب حيروت وحزب المزراحي الديني مزارع كبوتز ايضا ؟ نعم ، ولكنها رجعية ... وهكذا نعود من حيث بدأنا .

ونعنست المعارضة اليهودية ضد زيارته لانها جاءت بشكل خاص قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني في القدس بأيام قليلة . وينطوي التحضير للمؤتمر تقليديا على كثير من المهاترات والركض وراء الممثلين والاصوات والتبرعات .

والحقيقة ان جزءا كبيرا من الحملة الشديدة للصحافة البريطانية يعود الى تأثير العناصر الصهيونية نفسها . وهذه حلقة من التغلغل الصهيوني الاعلامي لا بد وان أحزنت بيغن رغم اعتزازه بها . انه ما يسمى في الغرب بالعدالة الشعرية . ولعل من اغرب فصول هذه المسرحية مسألة اختفاء فلم المقابلة التي اجراها كيث كايل مع بيغن . فقد كان من المقرر ان يعرض الفلم في برنامج « ٢٤ ساعة » التلفزيوني . ولكن البرنامج ظل يعتذر عن التأخير حتى انتهى الوقت المحدد . ما الذي حدث ؟ للصهاينة ثارات مع كيث كايل ويتهمونه بمحاباة العرب ، ومن ثم توقعوا منه كشفا مريعا لفضائح السياسة الصهيونية في هذه المقابلة . هل تمكنت اياديهم من الوصول الى ستوديوهات التلفزيون فأحبطت البث ؟ لقد جرت تحقيقات في الموضوع فهم منها ان المسؤولين قد تأكدوا « تماما » ان عدم بث تلك المقابلة وقع لاسباب فنية محضة . وكواحد ممن عمل في ستوديوهات هذه المؤسسة الضخمة أفهم جيدا حقيقة قصص « الاسباب الفنية » التي ترد على ألسنة موظفيها . الفلم محفوظ الان في ارشيفات الاذاعة .

يعطي الاستعراض المار الذكر تركيزا على الدور الذي لعبه قسم من الصهاينة واليهود البريطانيين في احباط زيارة بيغن . وهذه هي النقطة التي يجب ان تسترعي النظر . لقد وصفت صحيفة هآرتز الاسرائيلية الحملة ضد بيغن في انكلترا بكونها مظهرا من مظاهر معاداة السامية ورأى فيها بعض العرب جذوة ما زالت مستعرة في قلوب الانكليز ضد اعمال الصهاينة واسرائيل في الاربعينات ، وعقدوا آمالهم على تأجيجها . واعتقد ان هناك شيئا من الاسراف في هذا التفكير . فقول بيغن نفسه وتعليق النيو ستيتسمان جديران بقسط من الحقيقة . فكم استقبل الانكليز بترحيب وتسامح أعدى أعدائهم السابقين . المصلحة وليس عاطفة الثأر والحقد هي التي تملي على الانكلوسكسون تصرفاتهم . واعمال بيغن ضد الانكليز اختلفت من حيث الدرجة فقط وليس النوعية عن اعمال الجيش الارلندي السري .

وعليه فمن المشكوك فيه ان يلاقي بيغن ما لاقاه من عنت لولا نشاط الجماعات الصهيونية واليهودية . وما تشدقت به التايمس عن رياء الجانب العربي ينطبق على هذه الجماعات ايضا ، فهي كذلك لم تحرك ساكنا ضد زيارة رئيس عصابة شترن بالرغم من اشتراكه مع بيغن في الارهاب . وكان الاولى بها ان تفعل ذلك بالنظر لانقلابه ضد السياسة الاسرائيلية . ولكن يالنمور لم ولا يشكل تهديدا لقيادة المباي .

الحملة اليهودية وليس الحملة الانكليزية هي الدرس الجدير بالدراسة من زيارة بيغن . الانكليز معتادون على الاعمال الارهابية ضد جنودهم . والزمن هنا عامل في صالح اسرائيل ، فكل عام جديد يسدل ستارة اخرى على ذكريات ارهاب بيغن. والفاشيون الانكليز الذين سيتشبثون بها حتى الرمق الاخير من معاداة السامية هم شرذمة ، وشرذمة غير جديرة . بيد ان الواجبات المترتبة على المسؤولين العرب في الاستفادة من مثل هذه المناسبة بالقدر الممكن تبقى قائمة بالطبع .

الدرس الخطير يتناول جوهر ومنبع الحملة التي شنها يهود وصهاينة ضد بيغن . وكما ذكرنا اعلاه ان لهذه الحملة عروقا تمتد الى الثلاثينات . وتفضح هذه العروق التناقضات المتأصلة في الحركة الصهيونية رغم تآلفها . ان من رأي هذا الكاتب ان الانهيار الاخير لاسرائيل سيأتي من داخلها وليس من خارجها . هذا حكم يعتمد على التاريخ اليهودي عبر العصور والتشريح الاجتماعي لاسرائيل والحركة الصهيونية . الانشقاقات الداخلية هي التي أنهت مملكة سليمان وقضت على دويلتي اسرائيل ويهودا وظلت الخلافات والمشاحنات الداخلية تعصف في الشتات اليهودي ، وان بقيت

مخفية عن الاغيار في اكثر الاحيان . وتتناسب هذه الخلافات تناسبا عكسيا مع الضغوط والاخطار الخارجية . وهنا تكمن الحيرة العربية. فان تمادي اسرائيل يضطر العرب الى الضغط العسكري والدبلوماسي والاقتصادي عليها ولكن هذا الضغط يؤدي بعين الوقت الى تلاحم صفوفها وتعاظم شافتها ، ومن ثم زيادة تماديها .

ان من الخطل تصور الجانب اليهودي من الحملة التي اثيرت ضد بيغن في لندن بداية للانشقاقات الصهيونية . انها فقط علامة لها . ويجب ان نعتبر تجاهلها خطلا من نوع آخر . ولا بد ان نتذكر ان الهاغانه والارغون تزفاي ليومي اوشكتا على الدخول في حرب اهلية بالفعل في عام ١٩٤٨ ، لولا الاحساس بالخطر الاكبر من الجانب العربي . اذا كانت هناك تربة غنية بالتناقضات وخصبة للنزاعات فهي التربة التي ترقص عليها اسرائيل . يهود من الغرب ويهود من آسيا وافريقيا ، يهود من اوربا الشرقية ويهود من اوربا الغربية ، يهود ملونون ويهود بيض . هناك شتى الميول والعقائد والتقاليد والمناحي الاقتصادية المختلفة . وهناك فوق الجميع تخيم الروح الفردية والانانية التي تتصارع باستمرار مع روح البقاء الجماعي المهدد بالخطر الخارجي .

ما الذي يمكن للعرب ان يفعلوه في هذا الميدان ؟ لا شيء . فهم التناقضات الجذرية ومحاولة تعميقها امر يتطلب دراية وتنسيقا سياسيا هادئا قلما يتوفر لاحد في العالم . خير ما يمكن للعرب ان يفعلوه هنا هو الا يفعلوا شيئا ، الا يمسوا هذه التناقضات بأصابعهم . ومن هنا سر ارتياحي للموقف السلبي نسبيا الذي وقفته مصادر الاعلام العربي في لندن ازاء زيارة بيغن .

بقي السؤال الآخر : لماذا قرر بيغن الان زيارة الدولة التي حكمت عليه بالاعدام ؟ قيل لافتتاح المؤتمر الاول لفرع حزبه . ولكن لم قرر انصاره عقد مؤتمرهم الاول آنذاك ؟ ربما تمهيدا للمؤتمر الصهيوني العالمي في القدس . ولكن لم مؤتمر هذا العام بالذات ؟ بالطبع ان مرور اكثر من عشرين عاما على جرائم بيغن يجعل الفرصة ممكنة الان احتراما على الاقل لقاعدة تقادم الزمن القانونية . هذا جانب صحيح ، ولكنه جانب فقط . اما الاساس فهو الاساس الذي ادخل بيغن الى الوزارة وجعله شخصية محترمة لا يتردد المستر هيث في مصافحتها .

يقوم حزب حيروت على اساس السياسة التوسعية التي قررها جابوتنسكي ، سياسة اسرائيل الكبرى التي تشمل شرق الاردن وتمتد من الناقورة في لبنان الى القنطرة على ضفة السويس ، كما يقول النشيد الذي الفه جابوتنسكي نفسه . وكان الناس ينظرون الى هذه السياسة نظرة استنكار ، وكانت المنظمة الصهيونية تنفيها وتشعر بحرج ازاءها . واضطر بيغن ان يتخلى عن بعض اجزائها تكتيكيا بعد دخوله الحياة الحزبية لاسرائيل وطموحه الى الوصول الى الحكم . بيد ان ازمة ١٩٦٧ وحربها وضعت سياسة حيروت التوسعية في نطاق السياسة العملية الواقعية . وترددت الصيحة ان جابوتنسكي كان على حق . اما وقد مرت خمسة اعوام على احتلال الاقاليم العربية وتبلور الحدود الجديدة تدريجيا كحدود فعلية لاسرائيل ، فلم يعد في برنامج حيروت وأراهيص بيغن ما ينم عن شذوذ عن السياسة الاسرائيلية العامة او لا مسؤولية .

زيارة بيغن الى العاصمة البريطانية هي عنوان للثقة التي اصبح يشعر بها بيغن واتباعه ، هي توكيد على ان التوسع الاسرائيلي برنامج معقول ومقبول ، هي مظاهرة لتحذير كل من يفكر بالتراجع في تل ابيب ، هي نقطة انطلاق لتوسيع القواعد الحزبية لبيغن وتعميده بماء التيمس غفرانا له عن ذنوبه تمهيدا لتنصيبه قديسا جديدا لاسرائيل . لقد فشلت هذه الزيارة ولكن بيغن حذر بأنه سيرجع ثانية في العام القادم ، وفي العام القادم سوف لا يحجز قاعة بلدية وستمنستر وانما قاعة البرت هول التي تزيد على الاولى اضعافا مضاعفة في الاتساع . انها مسألة توسع دون شك .

خالد القشطيني

رسالة من أمستردام : خواطر اعلامية

تلاع الصهيونية في غرب اوروبا واميركا اعتراها في السنوات الخمس الاخيرة الكثير من الصدع والكثير من الاختلال بينما تلاعها في اسيا وافريقيا تهدم معظمها او اوشك. والثابت بهذا الشأن ، ان ظهور المقاومة الفلسطينية على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ كان له الاثر الابلغ في كل هذا ، على أساس ان العالم راح يرى الفلسطينيين وغيرهم من العرب يعملون ولا يتشدقون بالكلمات الفارغة الكبيرة فقط ، ثم على أساس ما قامت به المقاومة من الباس جسم الصهيونية وجهه الحقيقي القبيح واحلال هذا الوجه محل الوجه القديم الوديع . وباضافة الجهود الدبلوماسية الموفقة التي بذلتها بعض الحكومات العربية في المحافل الدولية ولدى مختلف الحكومات شرقية وغربية ، يصبح بوسع الانسان تقييم العوامل التي اضعفت الصهيونية عموما في مختلف بقاع العالم . ورغم هذا لا يستطيع المراقب الا الاحساس بالاسف لعدم تمكن العرب حتى الان ، رغم الوزن الكبير لاقطارهم اقتصاديا وسياسيا ، من قهر الصهيونية في عقر دارها وهو غرب اوروبا واميركا . ذلك ان الصهيونية أصبحت في الغرب ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، لا تحتمي بمواقع القوة التي كانت تحتمي بها سابقا . فالصهيونية من ناحية ، غالت أشد المغالاة في الخمسين سنة الاخيرة في شهر سلاح « الاضطهاد الاوروبي لليهود » في وجه كل معترض على منطقها وافعالها ومخططاتها ، ومن ناحية اخرى غالت اشد المغالاة في فرض ارادتها على وسائل الاعلام بالترغيب المادي مرة والتهديد والابتزاز السياسي مرات . وعندما اتاحت الظروف لوليد الصهيونية المسمى اسرائيل التفوق عسكريا على الدول العربية المجاورة له ، كشف عن انياب جائعة حادة لا تختلف عن انياب المانيا النازية المغموسة بلعاب التفوق والغرور والغزو. ولما كان للبشر عيون ترى ونفوس تنفر من خزي التطاول اللامنتهي على العقل البشري ، فقد مج الناس فعلا او مج معظمهم سماع اسطوانة « اضطهاد اليهود » لان الزمن والواقع افرغاها من محتواها . ولو كان الرسميون الفلسطينيون وغيرهم من اخوانهم العرب ، اعلاميين ودبلوماسيين ، يدركون فعلا ان قلاع الصهيونية في الغرب لم تعد تتمتع بمناعتها القديمة ، لادركوا ايضا أن مواجهة الصهيونية في الغرب ليست على ذلك القدر من الصعوبة . ومن خلال هذا كله ، ليس من الصواب تجاهل تلك العوامل الموضوعية التي جعلت من الانسان الغربي حليفا طبيعيا لليهود واسرائيل منذ الحرب العالمية الاخيرة وظهور اسرائيل . فاليهودي الذي سعى الى اسرائيل هو ابن الغرب ، والثقافة التي كانت سائدة في الغرب قبل الحرب العالمية الاخيرة وما بعدها بقليل ثقافة استعمارية خادعة صورت اسرائيل على انها امتداد للقارة الاوروبية ومنارة غربية تشع نورا وثقافة في الشرق الاوسط . ومع ذلك لو اخذ العرب بسياسة مواجهة الصهيونية في الغرب منذ عام ١٩٦٧ ، مواجهة التحدي المباشر ومواجهة الصدام مع وضوح الرؤية ، لكان حالهم الان مع الصهيونية شيئا اخر . واقصد بوضوح الرؤية ، الوعي بالاوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية المحيطة بمكان ما من التكيف معها . كما ليس من الصواب انكار نشاط الصهيونية في الغرب . فهي هناك تعمل باستمرار ونشاط كبيرين . ولو كان العرب مثلها ، يعملون بجرأة وتحد واصرار ، حتى لو قادهم ذلك الى حافة التصادم معها ، لوصلوا الى نتائج اوفى وافضل في مجال توضيح القضية الفلسطينية . والسبب بسيط ، هو أن صاحب الحق اقوى واصرح واصدق من مستلب حقوقه . انه لا يكذب ولا يبحث عن عطف ولا يبكي ولا يولول ، ولا يستدر الشفقة بدموع التماسيح مثلما تفعل الصهيونية .

هولندا مثل صادق على هذا الرأي . فهي مثل معظم اقطار غرب اوروبا كانت منذ الحرب العالمية الاخيرة وحتى عام ١٩٦٧ لقمة سائغة في فم الصهيونية . لكنها تحررت من هذا الكابوس لحد ما لاسباب معينة ، اهمها بدون شك انطلاق صوت الثورة الفلسطينية الذي أتاح للمثقفين العاملين في بعض أجهزة الاعلام واهمها التلفزيون ، النظر نظرة جديدة الى الثورة الفلسطينية والحق الفلسطيني . فبينما كانت أغلبية الافلام التسجيلية وافلام الريبورتاجات الاخبارية التلفزيونية قبل عام ١٩٦٧ مركزة على اسرائيل من دون اقطار الدنيا قاطبة ، أصبح هذا النوع من الافلام يتطرق

لفلسطين وشعبها والاقطار العربية ونهضاتها بأكثر مما تجنيه اسرائيل من هذا الحقل . لكن نكسة المقاومة فلت في عضد هؤلاء الذين يسندون الثورة الفلسطينية ، سواء منهم الطلبة اليساريون ام المثقفون المنتمون للجنة فلسطين الهولندية ام رجال البرلمان اليساريون ام المثقفون العاملون في محطات التلفزيون . لا بسبب عدم انتصار المقاومة في معركتها ضد الرجعية المحلية ولكن بسبب هذه الانقسامات التي ما زالت تعشش في جسم المقاومة. ففي راي هؤلاء جميعا ان هجمة ايلول على المقاومة كانت سببا كافيا لبدء المقاومة العمل من موضع الإتحاد والتضامن والجهد المشترك . يضاف الى ذلك أن الثورة الفلسطينية كان ينقصها صوت عال في الغرب ، منذ ايلول ، يدافع عنها ويخفف من أثر الدسائس عليها . غير أن ما حدث كان على عكس ذلك تماما . فان الحرب النفسية الشرسة التي شنتها الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على المقاومة ، تركت جراحا كبيرة في ضمائر انصارها في الغرب ، خاصة وانهم لم يجدوا من الثورة نفسها سعيا او جهدا لتبديد هذا كله بشرح الحقائق وابقاء شعلة الامل متوهجة في النفوس . ثم أن الصهيونية التي تعمل بدون اي وازع من حق او ضمير ، ما كانت لتترك الامر عند ذلك الحد . لقد وجدت في نكسة المقاومة فرصة لتمريغ سمعتها بكل ما تملكه من قدرات على المخادعة والمناورة . فاعدت الريبورتاجات والمقالات عن المصاعب التي تلقاها المقاومة في لبنان حيث رفض « الشعب » وجودها فوق ارضه ، الامر الذي يبرر لاسرائيل ايضا ان تقوم بغزوات الفتح والاذلال في جنوب لبنان بأسم تطهير الارض هناك من المقاومين بسبب اعتداءاتهم على«الابرياء» الاسرائيليين .

وأغلب الظن ، ان هذا الوضع السائد في هولندا حاليا ، سائد أيضا في معظم اقطار غرب اوروبا . ومع ذلك ظللنا نلمح بوادر كثيرة تشير الى ان الصهيونية لم تفلح في كل ما سعت اليه في السنة الاخيرة من الضحك على كل العقول . فان ثاني اكبر صحيفة يومية في هولندا، وهي«الفولكسكرانت» الكاثوليكية التقدمية ، صدرت في ثالث يوم من أيام الاعتداء الاسرائيلي الاخير على لبنان ، تصدر صفحتها الاولى بهذا العنوان « اسرائيل تحضر لغزوة جديدة على لبنان » . وكان العنوان ملفتا للنظر فعلا ، فان المرء في الغرب يحتاج الى جراة كبيرة لكي يلصق صفة الغزو باسرائيل . وحدث بعد ذلك وعلى مدى ثلاثة اسابيع ، ان اعدت الصهيونية ونفذت في مكان ما من اوروبا الغربية اضخم مشاهد الابتزاز الفكري والسياسي باستغلال العاطفة الانسانية بدون رحمة اتاح لها فرصة اخرى للتذكير بماضي اليهود . اذ ذكرت حكومة هولندا المؤلفة حاليا من احزاب يمينية تتمتع باغلبية ضئيلة جدا في الاصوات ، انها تنظر في امر اطلاق سراح ثلاثة مساجين المان تتراوح اعمارهم بين الستين والسبعين ، حكمت عليهم المحاكم الهولندية بعد تحرير هولندا من الاحتلال النازي بالسجن مدى الحياة ، بتهمة قتل الاف الهولنديين من رجال المقاومة واليهود .والهولنديون يعتبرون هؤلاء الثلاثة مجرمي حرب . ومن الطبيعي ان تثور احزاب اليسار ، مثل حزب العمال والحزب الشيوعي وحزب الديموقراطية ٦٦ وحزب المسالمين ، على الحكومة ، لان هذه الاحزاب هي التي نظمت المقاومة في سني الاحتلال وهي التي فقدت ١٢ الفا من خيرة ابنائها . لكن الذي استغربه الهولنديون ، تلك الضجة العارمة التي صدرت عن الطائفة اليهودية في هولندا ، متذرعة بالحجة القديمة التي فحواها ان اليهود من دون أهل الارض جميعا هم فقط ضحايا النازية . هنا بدت الطائفة اليهودية التي لا تزيد عن ٣٥ الفا ، كأنها كيان منفصل عن الشعب الهولندي . لقد نظم افرادها المظاهرات وتجمعوا امام البرلمان ونصب التحرير ، واقاموا الصلوات الدينية على قوارع الطرق وولولوا أمام البرلمان وعلى صفحات الصحف وارسلوا مئات رسائل التهديد الى السياسيين ونواب البرلمان المنتمين للائتلاف الحكومي . كل ذلك بأسلوب مناف تماما لاخلاق الهولنديين واسلوبهم الهادىء في معالجة القضايا السياسية المهمة . اذ جندوا نساءهم واطفالهم في مظاهرات صاخبة تنادي من خلال البكاء والعويل .. « ماذا تريدون ان تصنعوا بنا من جديد » . كل هذا بينما هم الطائفة المدللة في البلد وبينما اغنياؤهم يسيطرون على جزء كبير من مقادير البلد الاقتصادية وبينما المجال التجاري في العاصمة امستردام كله او معظمه خاضع لهم. لقد كشروا عن انيابهم بأسلوب لا يعرفه اهل البلد ، فقط لان الحكومة فكرت في اطلاق سراح ثلاثة مساجين ، لاسباب صحية وانسانية ، بعد

ان قضوا في السجون سبعة وعشرين عاما اعتبرها كثيرون من رجال السياسة والقانون كافية للتكفير عن جرائم ، كان نظام بأكمله مسؤولا عنها وليس افرادا بالذات . وبهذا الضغط العنيف جدا ، اضطر البرلمان الى بحث المسألة . وبفعل ما صاحب كل ذلك من توترات ومؤامرات ومناورات لعب بعض البرلمانيين فيها ولاغراض في نفوسهم لعبتهم حتى اخر الشوط وبأسلوب مفتعل ايضا ، فان الناس خرجوا من أتون هذه المعركة العاطفية المحلية بمشاعر مختلفة لكنها على كل حال مشاعر القرف والاستهجان . لقد عرضت الصهيونية البلد لافدح هزة عاطفية تعتريه في ثلاثين سنة ، بدون سبب يذكر وبدون تعقل وبدون أي منطق . بل أكثر من ذلك ان تهمة اللاسامية اياها ، القيت على عاتق وزير العدل الكاثوليكي بدون أي وازع. ووقف هو يرد الصاع صاعين في البرلمان وامام عدسة التلفزيون منددا بهذا الاسلوب المستهجن . واسوأ من ذلك كله ، ان اسرائيل حاولت التدخل فقرر برلمانها ارسال شكوى الى حكومة هولندا ضد احتمال الافراج عن هؤلاء المساجين . لكن الحكومة ومحافل سياسية كثيرة في هولندا لم تأبه بذلك واعتبرته تدخلا سافرا في شؤون البلد الداخلية . والخلاصة ان كثيرين من أصحاب العقول الذين كانوا حتى الان يعطفون على اسرائيل ولو قليلا ، اصبحوا يمجون الصهيونية لانهم أحسوا بمناورتها الاخيرة وكأنها تصفعهم على وجوههم صفعات اهانة وتحقير . فان الهولنديين جميعا تعرضوا لارهاب النازية واضطهادها بدون استثناء . وهم يعرفون ان يهود هولندا ، مثل اليهود في أقطار اوربا جميعا ، لم يلعبوا اي دور في عمليات المقاومة . وعلى هذا الاساس ، فان اهمال الدور الذي قام به الهولنديون في مقاومة النازيين ، كلما عزفت اسطوانة الاضطهاد النازي في هولندا ، والتركيز في مقام ذلك كله على الضحايا اليهود فقط ، امر لا يقبله الكثيرون ويرون فيه مسا متعمدا بكبريائهم وكرامتهم . ولذلك اثبتت الصهيونية من حيث لا تريد أن الرعايا اليهود في هولندا لا يمتون للمواطنة الهولندية بأية صلة . وهي في هذا تناقض نفسها بنفسها شأنها في ذلك في قضايا كثيرة من قضاياها .

فان الصهيونية كما اكتشفنا في مؤتمرها الاخير الذي عقدته في القدس تصر على هجرة اليهود لاسرائيل من أقطار شرق اوروبا فقط ، لانها لا ترغب من المثقفين والمتمولين في الغرب ترك قواعدهم ، على أساس ان عدد اليهود في غرب اوروبا محدود اولا ، وعلى اساس الابقاء على نفوذ اليهود هناك ثانيا . ولو كان العرب في الغرب في حالة استنفار دائم ليجابهوا حملات الصهيونية المغرضة ، لكانوا شدوا من عزم الاصدقاء المحليين الذين يحبون التصدي لها . لو كان للعرب صوت في هولندا في تلك الايام ليذكر الناس بهذه الازدواجية في اخلاق الصهيونية وبجرائم الصهيونيين في الاراضي العربية المحتلة وباعطاء صور عن بربريتهم وهمجيتهم ، لكانوا أفسدوا على الصهيونية ما هدفت اليه وهو اولا واخرا تجديد العطف على اليهود واسرائيل .

ختاما لا بد من القول ان من حظ الصهيونية في الغرب أن العرب ليسوا موجودين دائما هناك ، وان صوت ثورتهم الفلسطينية ليس دائما هناك. ولا انسى في هذا المجال الاشارة الى ان المتفجرات التي وقعت في بعض مصانع المانيا وهولندا في شهر شباط لم تحدث الاثر المرجو منها بالنسبة لسمعة الثورة الفلسطينية ، لانها جاءت في فترة من فترات خفوت صوت الثورة الفلسطينية . لقد حاولت حكومات هذه الاقطار ان تنفي المسؤولية عن المقاومة الفلسطينية ، او عن الفئة التي اكدت انها قامت بها ، ربما لوقوفها على حقائق اخرى وربما من باب ذر الرماد في العيون . وهكذا لم تتح الفرصة لاحد لكي يعلم حقيقة ، ان هذه المصانع تصنع أسلحة ومعدات حربية لاسرائيل او تصدر غازا طبيعيا لاسرائيل . فاذا لم يتأكد الناس من ذلك ، فان اي تفسير لنشاط الثورة الفلسطينية في أقطارهم لن يشفي غليلهم ، حتى وان تحقق ذلك النشاط الحربي الطابع دائما وفي كل الحالات بدون ضحايا . فان من أهم الضمانات لبقاء سمعة الثورة الفلسطينية نقية ، هي عدم تعريض الارواح للمخاطر والموت في أية عمليات حربية يقومون عن طريقها بالهجوم على مصالح اسرائيل الاقتصاديةفي الخارج . هذا شرط اساسي، والا فان احدا لن يفرح لهذه الاعمال الا منظموها. أما الضمان الاكبر لبقاء سمعة الثورة الفلسطينية ناصعة نقية ، فهو بقاء صوتها مدويا بالرصاص الذي يقذف على جيش اسرائيل ومعسكراتها ومعانعها ، وبالاعلام الناضج العالي الصوت ،

الموجود في الغرب بصورة مستمرة يكذب الصهيونية ويفند دعاواها الباطلة ويقف لها بالمرصاد كلما قامت بتمثيلية جديدة من تمثيلياتها المقززة للنفوس، ليتذكر الناس ان ما يقوم بها الاسرائيليون تجاه الفلسطينيين اقبح واندح مما قام به النازيون تجاه اليهود .

وما يجب ان لا يغرب عن البال في هذا الصدد ، ضرورة مسايرة التطورات السياسية في الغرب بحيث لا تتوارى عن افق الرؤية حقائق الصراع بين اليمين واليسار . فاليمين الذي ما زال مسيطرا على الحكومات والبرلمانات في معظم اقطار الغرب ، كاد دوره ينتهي ، لانه فقد في العشرين سنة الاخيرة الكثير من سلطانه ونفوذه . وعندما يراقب الانسان نسبة ما يتمتع به اليمين من قوة ونفوذ داخل البرلمانات وبين الجماهير ، يلاحظ ان اليسار سائر بخطوات سريعة نحو احلال قوته ونفوذه محل قوة ونفوذ اليمين . واليمين بعد ذلك كله ، وان لم يتخل علنا عن اسرائيل ، الا انه يحبذ ان تكف عن مطامعها الاقليمية في سبيل سلام موقت او طويل الاجل في الشرق الاوسط ، حفاظا على مصالحه الاقتصادية في تلك المنطقة وهي مصالح هائلة . فاليمين الاوروبي في هذا المضمار يخالف اليمين الاميركي ، في كونه يرى منطقة الشرق الاوسط مجالا حيويا اقتصاديا رئيسيا له يحقق احلامه ومطامحه باستتباب السلام والهدوء فيه ، وليس بتغليب اسرائيل على العرب او العكس . وهذا ما يفسر التحول الذي طرأ على مواقف الحكومات في غرب اوروبا من قضية الشرق الاوسط، وهو تحول اقل ما يقال فيه انه مناف لمطامع اسرائيل الاقليمية والسياسية . اما اليسار الاوروبي ، فقد اعترته في نفس الفترة تغيرات جذرية بحيث لم يعد يسار الوسط المعتدل الذي ساد اوروبا في النصف الاول من هذا القرن والذي كان يموه على اغراضه واهدافه الاستعمارية بالاصلاحات الاجتماعية والشعارات الاشتراكية الفارغة من كل محتوى . انه اليوم ، بغالبيته ، يسار الثورة والتغيير والاشتراكية الاعمق في مضامينها واهدافها . والمستقبل لهذا اليسار ، لان اليمين في الغرب اوصل اقتصاده الى طريق شبه مسدود . ومهما طالت او قصرت فترة الانتقال ، فان التحول قادم وسيلتقي مع الثورة العربية الاجتماعية وهي في اوجها . وما لم تكن ثورة العرب الاجتماعية ثورة اشتراكية اصيلة ، وهي كذلك الى الان لحد بعيد، فان التباعد والشك سيفعلان فعلهما في القاء بذور الشقاق بين جناحي هذه الثورة الاجتماعية والسياسية في اوروبا والشرق العربي . على هذا الاساس ، النشاط الاعلامي العربي في الغرب يجب ان يتركز على الاوساط اليسارية ، على الاخص وان الصهيونية طيلة هذا القرن كانت تعيث فسادا في اوساط اليسارية من دون الاوساط الاخرى . وتصبح مهمة التفاهم مع اليسار على هذا الاساس ، ذات جانبين ، الاول شرح اهداف الثورة العربية والفلسطينية له بمحاولات لا تنقطع ، والثاني الكشف نهائيا لدى فئاته المحتارة والمترددة عن وجه الصهيونية الحقيقي ، البعيد جدا عن اية أهداف اشتراكية او انسانية . وهذا الامر بدون شك يخص الثورة الفلسطينية بالدرجة الاولى . فاذا لم توضح للعالم اولا واخرا ، انها ثورة سياسية واجتماعية اشتراكية اصيلة ، اضافة الى كونها ثورة تحريرية ، فانها ستظل في معزل عن التحولات الضخمة التي تسود العالم في هذه الفترة من تاريخه .

عقيل هاشم

رسالة من لايبزيغ : ماذا قدمت السينما العربية للقضية الفلسطينية ؟

في الثامن والعشرين من شباط حتى الثالث من آذار ١٩٧٠ انعقد في (عمان) اجتماع للتسجيليين من السينمائيين العرب(١)، ورفعوا في اجتماعهم توصية الى اتحاد الاذاعات العربية الذي يعمل في نطاق جامعة الدول العربية لانشاء اتحاد للتسجيليين من السينمائيين العرب . وقد وافق الاتحاد عليها وعلى تكوين لجنة مؤقتة من خلال جهازه حتى يخرج الاتحاد الجديد الى حيز الوجود الفعلي ، ومن اهدافه : « تعريف أبناء الامة العربية بعضهم لبعض وتعريف شعوب العالم بواقع الوطن العربي وبامكانياته **وبقضاياه العادلة**. تنسيق وتوزيع وعرض الفيلم التسجيلي داخل البلاد العربية . عقد لقاءات دورية بين العاملين في الفيلم التسجيلي في العالم العربي . اقامة مهرجانات عالمية للفيلم التسجيلي العالمي في العواصم العربية . تنسيق اشتراك الافلام التسجيلية العربية في المهرجانات الدولية . دعوة كبار التسجيليين الاجانب لانتاج أفلام عن **قضايا وكفاح** الشعوب العربية . انشاء أرشيف سينمائي للفيلم التسجيلي . انشاء جريدة ومجلة عربية سينمائية مشتركة . تساهم كل دولة من الدول الاعضاء في اتحاد اذاعات الدول العربية بمبلغ (٢٠٠٠) دولار ، تسدد لخزينة الاتحاد للانفاق على المشروعات التي يمكن تحقيقها في المرحلة الراهنة » . وقد صدر نداء عن المجتمعين اوردوا فيه ما يلي : « ان تدور الافلام التسجيلية التي تشترك بها الدول العربية في مهرجان لايبزيغ ١٩٧٠ **حول القضية الفلسطينية** ، والالتزام بتشكيل لجنة مشتركة لاختيار الافلام التي سوف تشترك في هذا المهرجان » .

بعد انتهاء الاجتماعات واتخاذ القرارات عاد كل وفد الى بلده يحمل ملفات في داخلها اوراق مطبوعة (مقررة وموقعة) ، لكنها حتى الوقت الحاضر بقيت مجرد توصيات تتضمن الرغبة والطموح اللذين لا يحققان اي شيء دون تحويلهما الى واقع عملي . فماذا حصل بعد النداء المتعلق بالقضية الفلسطينية ضمن مهرجان لايبزيغ ؟ لقد انعقد المهرجان لعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ أيضا وهو يخلو او يكاد من أفلام القضية الفلسطينية . ولنستعرض الافلام التي أسهمت بها الدول العربية في المهرجان رقم (١٤) في لايبزيغ ١٩٧١ .

جمهورية مصر العربية ، قدمت فيلم « الفنون التشكيلية المعاصرة في مصر » من اخراج التسجيلي سعد نديم ، تناول موضوع تفرغ الرسامين والنحاتين في جمهورية مصر العربية . هذه المشاركة ضمن مهرجان يرفع شعار « أفلام العالم من اجل سلام العالم » تبدو اكثر من غريبة في وقت تمر فيه الامة العربية بظرف دقيق وبشكل خاص و (مواجه) جمهورية مصر العربية ، فاضافة الى سذاجة التناول ، تأتي سذاجة الاختيار ضمن المرحلة السياسية العصيبة . وقد تناولت مجلة المصور هذا الموضوع بمقالة عنونتها بعد انتهاء المهرجان مباشرة « لا ترسلوا افلاما لا تعبر عن قضايانا » .

الجمهورية العراقية : فيلم « قبل رفع الستار » وهو مشترك بين (ديفا فيلم) ، ومؤسسة السينما في العراق ، تناول عرضا لبعض نشاطات المسرحيين وعلاقتهم بالناس . الفيلم من اخراج لؤي القاضي ، وفيه دفع ومقارنة (وان لم تكن واضحة تماما) بين طموح الفنان وطبيعة الحياة .

الجمهورية العربية السورية : أسهمت بفيلمين . الاول للتلفزيون وهو « محاولة عن السد » ــ هذا الفيلم تميز بجرأة في التناول وشكل سينمائي متقن ــ اخرجه عمر اميرالاي ، طرح فيه محاولة ارواء الارض . وتناول الناس ضمن هذه المحاولة من وجهة نظر واعية ــ الفيلم الثاني (للسينما) وهو « سوريا النظرة الثانية » فيلم اعلامي بانتاج مشترك بين مؤسسة (ديفا فيلم) ومؤسسة السينما في سوريا .

الجزائر : أسهمت بفيلم « مهرجان افريقيا ٦٩ » وهو وثيقة عن اجتماع فني عقد في الجزائر عام ١٩٦٩ .

لبنان : اسهم وحده بموضوع عن القضية الفلسطينية يحمل اسم « مبعثر في الهواء » من اخراج جاك مادرو . هذا الفيلم لم يكن مسيسا

---

١ ــ قرارات التسجيليين العرب في عمان نشرها (أحمد راشد) في مجلة السينما المصرية ــ العدد ١٦ ــ ابريل ــ مايو ــ ١٩٧٠ .

بشكل واضح سيما بعض مقاطع التعليق ، لكنه استفاد من كتاب « شهادة الاطفال في زمن الحرب » لمنى السعودي في اول الفيلم ، وقد أخذ عليه استعماله أغنية فيروز « نسم علي الهوا » ضمن الموسيقى التصويرية ، فسرق انتباه المشاهدين للصور الفلمية لما تحويه من ايقاع مفرح ، وهنا تكمن خطورة استعمال الموسيقى التصويرية الشائعة او المثيرة ، لان الموسيقى التصويرية كما هو معروف تستعمل لاسناد الصورة السينمائية وتفجير أبعادها . لا أن تسرق المشاهد اليها .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : أسهمت بفيلم « النهر البارد » الذي تناول مشكلة عدم توفر المياه في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . الفيلم من اخراج قاسم حول . وقد اخذ عليه طرحه للجانب الانساني الاجتماعي فقط دون عرض للجوانب القتالية التي يخوضها شعب فلسطين(٢).

ان نظرة فاحصة لطبيعة الموضوعات السينمائية للاقطار العربية المشاركة في المهرجان توضح عدم جدوى المؤتمرات غير الجادة التي يعقدها المهتمون بشؤون السينما العربية لانها لم تكن نابعة عن موقف جدي وعن تخطيط مسبق لسينما تسجيلية عربية تتناول واقع المجتمع العربي وقضاياه المصيرية وبشكل خاص قضية فلسطين .

ان هذه العروض السينمائية جرت في وقت وقعت فيه التشيلي بمجموعة من الاشرطة السينمائية الثورية التي تناولت وضعها السياسي والجبهوي. وعرضت رؤية قادتها وشعبها للفن واستخدامه لصالح المجتمع الجديد .

أما فيتنام الشمالية والجنوبية (الحكومة المؤقتة)(٣) فقد أضفت على المهرجان لونا خاصا من النضال السينمائي ضمن مواصلة الكفاح . كما وبرز لاول مرة تجمع سينمائي أمريكي يحمل اسم (أي. دي. أف) — الفيلم التسجيلي الامريكي — ليقف بوجه سينما الاحتكار والسينما التجارية في هوليود ، وليسخر قدراته في مناصرة الشعوب التي تكافح من أجل التحرر والتقدم . كان التجمع ونتاجاته موضع اعجاب مشاهدي المهرجان من جمهور المشاهدين والنقاد والصحفيين والفنانين ، خاصة بفيلمهم « ارضي محتلة » عن غواتيمالا . ولقد أبدى التجمع كل استعداده لتسخير ذات الامكانية عن القضية الفلسطينية ، وأوضحوا ان ذلك رهين برسالة من المعنيين عن السينما في صفوف القضية الفلسطينية .

ضمن هذه التظاهرة السينمائية لا شك يتساءل الحاضرون عن السينما العربية وعدم تناولها لقضايانا الملحة عموما وعن قضية فلسطين بالذات دون أن يجدوا جوابا لذلك . ويبدو ان الدول العربية تهتم كثيرا بالناحية الاعلامية الخاصة بمنجزاتها دون التوغل في واقع الحياة ومناقشة

---

٢ — بعد الملاحظات التي قدمها لي مجموعة من المخرجين في لايبزيغ عن فيلم النهر البارد قررت اضافة مشاهد مع اعادة مونتاج الفيلم لتأكيد الجانب النضالي في القضية .

٣ — لقد أبلغني نائب مدير ستوديو التحرير في فيتنام الجنوبية (الحكومة المؤقتة) ، السينمائي المناضل فام فن بأن الطائرات الامريكية استهدفت مرة في غاراتها ستوديوهين للسينما عندهم ، وعندما حطمت جزءا منها قاموا ببناء ثلاثة ستوديوهات صغيرة جديدة . وننقل هنا ترجمة لحديث لمجلة المهرجان لاهميته . يقول فام فن : « ... في فيتنام الجنوبية تقود الولايات المتحدة الامريكية حربا بربرية ضد الشعب ككل . وفي هذه الظروف فان عاملي السينما هم جنود . عندما صورنا فيلم — القرية الصغيرة على نهر تزا — عاش المصورون والمخرج بين رفاقنا اعضاء جبهة التحرير وناضلوا معهم . لقد احتاج هذا الفيلم لسنتين من العمل . والرفاق الذين عملوا في فيلم — نضال من أجل التل ٦٥٢ — اضطروا للقتال مع الجنود وجها لوجه مع العدو . ان امكاناتنا التكنيكية تافهة جدا ، فنحن نعمل في المغارات، قرب الانفاق . واحيانا نرسل الافلام الى الجبهة فور الانتهاء من تحميضها لتعرض على المقاتلين بدون صوت . ان الجنود والجماهير مهتمون جدا برؤية الافلام ، والمحافظة على الاشرطة السينمائية غاية في الصعوبة . مثلا نحن لا نملك امكانيات حفظها في جو حار ورطب . المصورون عندنا يعملون احيانا في مناطق تواجد العدو .. وعلى سبيل المثال ، انه حدث اثناء تصوير فيلم — نضال فوق شنوارع سايغون — أن حمل السينمائيون اسلحتهم مع الكاميرات والاجهزة لان عليهم ان يقاتلوا في نفس الوقت الذي يصورون فيه » .

هذا الواقع موضوعيا عبر الفيلم السينمائي . ولان مؤسسات السينما في العالم العربي لم تنتج أفلاما ذات شأن عن القضية الفلسطينية فانها ترسل ما يتوفر لديها في محاولة للاستفادة من اجواء المهرجان اعلاميا . ان وزارات الثقافة والاعلام العربية لو استفادت من قرارات مؤتمر التسجيليين العرب وحولتها الى واقع عملي لحققت الكثير مما يخدم قضايانا الملحة عموما ولاستطاعت ان تسهم بشكل او بآخر في القضية الفلسطينية . لقد قدم ثلاثة من المخرجين التقدميين في المانيا الغربية فيلما عن القضية يحمل اسم «فلسطين»ه. هؤلاء السينمائيون هم المت هيلشر ، مانفريد فوس ، وهانز يوكن فيبر . يقع الفيلم في ٣٨ دقيقة من انتاج أفلام منشن (ميونيخ) . تميز هذا الفيلم وامتاز بطرح وجهات نظر عادلة عن القضية الفلسطينية وفهما واضحا لها ، وبرهن على قدرة فائقة في امكان الوصول الى ابعاد الحياة التي يعيشها حاضرا شعب فلسطين والى استقصاء وجهات نظرهم . ولقد علمت بأن صانعي الفيلم قد عاشوا وقتا غير قصير في المخيمات وحققوا عملهم هذا بعد تفحص ودراسة لواقع الحياة ولوجهات نظر قادة الحركة مضافا اليه وجهة نظرهم ضمن التعليق الذي كان يواكب الفيلم . ان عرض مثل هذا الفيلم خلق تراجعا للوفود العربية وحصرهم في بقعة ضوئية ضمن علامات استفهام مخجلة . لماذا لم تقدم السينما العربية موضوعا تعبر عن قضاياها الملحة ؟ لماذا يقع السينمائيون الشباب خارج دائرة الموضوعية ؟ . لماذا لم تتوغل السينما التسجيلية في صلب الواقع ؟. واين يكمن الخطأ ، هل في قدرة السينمائي التسجيلي في العالم العربي ، أم في عدم توفر الفرصة الحقيقية له للتعبير عن طموحاته فكريا وفنيا ؟

لقد قدمت السينما العربية بقطاعيها العام والخاص موضوعات حدثت فيها عن جوانب غير أساسية من حياة الشعب الفلسطيني وواقعه الموضوعي والذاتي . حاول القطاع الخاص الاستفادة منها تجاريا فأخفق . كما أخفق القطاع العام في شرح جوانب القضية ودفع الناس للالتحام بها مشاركة او مساندة .

في هذا الوقت الذي تجلت فيه سينما جديدة ثورية الاتجاه والمضمون عبر اشكال تتطور مع قدرة الموضوع على استيعابها ، واستطاعت بطرحها التقني والفكري الى احداث انحسار في السينما المألوفة والمتداولة منذ العشرينات متمثلة بالسينما الامريكية وتفرعاتها ، نقول ، في هذا الوقت بالذات ينبغي على السينمائيين العرب التوجه نحو الواقع العربي الساخن ، ونحو القضية الفلسطينية بشكل خاص وتفجير طاقاتهم ، لانه ، وعلى ما يبدو ، ان السينما (الرسمية) لا تريد ان تقدم ما ينبغي عليها تقديمه .

قاسم حول

رسالة من بيروت : اقتراح باعادة طبع كتاب

في العام ١٩٥٣ رفعت الدولة في اسرائيل دعوى ضد مالشيل جرينولد بتهمة التشهير بالدكتور رودلف كاستنر ، أحد كبار المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية . وبدأت المحاكمة في ١٩٥٤ ، وبعد اربع سنوات من ذلك التاريخ اصدرت المحكمة العليا حكمها على اساس الاستئناف المقدم . والمعروف أن جرينوالد كان كاتبا مسنا ومغمورا وتافها لنشره انباء تطبع على الالة الناسخة وتوزع مجانا ، في حين كان كاستنر الناطق الرسمي باسم وزارة التجارة والصناعة ، ويتمتع بمكانة عالية في حزب الماباي (حزب بن جوريون) ، ومرشحا للكنيست ورئيس تحرير الصحيفة المجرية في اسرائيل . وكان خلال الحرب العالمية الثانية رئيس لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية في المجر . وما قام به في المجر ادى ، بعد مرور عشر سنوات الى المحاكمة التي هزت المؤسسة الصهيونية السياسية في اسرائيل وكشف زيف المزاعم الصهيونية بأن اسرائيل هي ملجأ وأمل يهود العالم . وكما يقول هخت ، في كتاب له عن الموضوع بعنوان **Perfidy** صدر في نيويورك ١٩٦١ ، كشفت المحاكمة الاسس الحقيقية التي تقوم عليها اسرائيل . وصدور مثل هذه الجملة عن صهيوني عامل وعضو في منظمة ارجون لا يعني انها هي أقل جزء يبعث على الدهشة من هذا الكتاب غير المعقول .

وما كشفت المحاكمة النقاب عنه ، مدعما بالمزيد من الوثائق ، يمكن تلخيصه فيما يلي : **اولا** ، لقد جاءت الزمرة الحاكمة في المؤسسة الصهيونية الى السلطة في فلسطين عن طريق العمل في سبيل الاهداف الامبريالية البريطانية . وما ان اصبح زمام السلطة في أيديهم ادركوا ان عليهم المحافظة على علاقاتهم التكافلية مع بريطانية لكي لا تضيع السلطة منهم . **ثانيا** ، لقد ساهمت الحالة المروعة لليهود في الدول الاوروبية التي كانت ترزح تحت نير النازية في اثارة شعور بالعطف مع الصهيونيين في فلسطين بعد الحرب ، وفي أن تكون دافعا لجمع الاموال . ولكنها على الصعيد السياسي كانت بمثابة الصداع للسياسيين الصهيونيين وللمسؤولين في الوكالة اليهودية الذين كانوا مسؤولين ولو نظريا عن انقاذ جميع اخوانهم اليهود الذين يتعرضون للتعذيب . **ثالثا** ، لقد كان زعماء الوكالة اليهودية في اوروبة يعملون لصالح النازيين ، فمن طريق تهدئة مخاوف اخوانهم اليهود كانوا يضمنون أن تسير قطارات الموت الى اوشفيتز بكل هدوء دون ازعاج او انتفاضات غير ضرورية ، فقد كان النازيون يريدون عدم تكرار انتفاضات جيتو وارسو ، وكذلك كانت الوكالة اليهودية ، ولكن لاسباب ليس بامكاني سبر غورها . ومحصلة تعاونهم مع النازيين في المجر كانت موت معظم يهود المجر البالغ عددهم ٨٠٠ الف في اوشفيتز ، ومقابل ذلك سمح النازيون للدكتور كاستنر ان ينقذ عائلته و« يختار » من يريد من وجهاء بلدته (بلغ عددهم ٣٨٠ شخصا) . **رابعا** ، ورغم ذلك ، كان هناك بالفعل عدد من الافراد والمنظمات اليهودية الذين كانوا يعملون باخلاص لانقاذ اليهود مهما كانوا فقراء او مغمورين ، وهؤلاء كانوا يشكلون صداعا اكبر بالنسبة للوكالة اليهودية ، وقد عوملوا على هذا الاساس . فتم تسليم قسم منهم للنازيين ، والاوفر حظا للبريطانيين . واستخدمت الوكالة علاقاتها السياسية واموالها (ملايين الدولارات التي جمعت في حملات جمع التبرعات من اليهود في كل مكان) لانقاذ اليهود الرازحين تحت نير النازية . ومع هذا فان ايزاك جرينباوم ، رئيس لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية ، يقول في كتابه : « لو طلب الي ان اقدم من اموال النداء اليهودي الموحد لانقاذ اليهود لرفضت ، اكرر ، لرفضت . فمن رأيي ان علينا مجابهة هذه الموجة التي تضع النشاطات الصهيونية في مرتبة ثانوية » — ص ١٤٥ . وفي فلسطين لم تتحدث الصحف الصهيونية عما كان يجري لليهود في اوروبة : « ما كانت تغطيه الصحف بشكل تام هو القضايا المحلية والاضرابات ، وتكاليف المعيشة والخلافات السياسية ، ولكن لم يكن هناك تقريبا اي ذكر للرعب وعمليات الابادة التي كان يتعرض لها اليهود ، ولا لمسألة انقاذهم ... فقد كتبت « دافار » الناطقة بلسان الوكالة اليهودية في افتتاحيتها ما يلي : هناك شيء من الصحة لنفي النازيين لانباء عمليات الابادة ، فلم يقض على عدد من اليهود بالقدر الذي توقعناه . » **خامسا** ، ولما لم يكن ممثل الوكالة اليهودية يشعر أنه ادى قسطه كاملا بتعاونه مع النازيين خلال الحرب ، اتخذ على

عاتقه العمل مباشرة لانقاذ الزعماء النازيين بعد أن وضعت الحرب اوزارها ، وبفضل شهادته الخطية التي اقسم عليها والصادرة باسم الوكالة اليهودية ، اطلق الحلفاء سراح الكولونيل كيرت بيكر ، من ضباط الصاعقة الالمان ، رغم أن بيكر كان خلال الحرب مسؤولا عن «الدائرة الاقتصادية» في الصاعقة التي كانت مهمتها نزع اسنان الذهب من الجماجم ، واذابة الشحم البشري لاستخدامه في صناعة الصابون ، وما شابه ، وفي الوقت الذي صدر فيه هذا الكتاب كان بيكر قد اصبح من رجال الاعمال الموسرين في المانيا الغربية — اذ يقوم بالتجارة مع حكومة اسرائيل .

وفي العام ١٩٥٧ عندما اصبح واضحا للجميع ان المحاكمة ستؤدي الى محاكمات اخرى من شأنها فضح جميع خيوط الشبكة السياسية الصهيونية كلفت المخابرات الاسرائيلية احد عملائها باطلاق النار على الدكتور كاستنر عندما كان خارجا من منزله فأردي قتيلا . ثم عمل شركاؤه والذين كانوا يرعون نشاطه على التشويش على الرأي العام بتغطية انباء المحاكمة بغبار « التهديد العربي » .

من كل هذا يظهر ان لهيخت دافعين من وراء نشره هذه القصة المروعة في كتابه آنف الذكر : الاول هو عدم السماح لجهاز الدولة بأن يبلغ مثل هذه الدرجة من القوة ، والثاني النزاع السياسي الدائم مع بن جوريون . ولكن القراء العرب يمكنهم ان يروا سببا ثالثا لقراءة الكتاب والدعوة له ، فهو يكشف بكل وضوح عن جذور الصهيونية من خلال أقوال وتصرفات اكثر ابطالها تمسكا بها .

(وهيخت نفسه هو أحد هؤلاء ، فهو ينظر الى الفلسطينيين كما كان الزعماء الصهيونيون ينظرون الى اليهود الاوروبيين الذين « لا نفع منهم » .) وكلنا نعرف ساديتهم وتعذيبهم لاعضاء عصابتي ارجون وشتيرن مما أوضح كيف ستكون معاملتهم للفلسطينيين فيما بعد ، وكذلك نعرف اساليبهم الدعاوية « الاسود أبيض » ، واكاذيبهم المفضوحة في المحكمة الاسرائيلية ، والضغوط والتهديدات التي كانوا يستخدمونها ضد الشهود الذين لا حول ولا قوة لهم . واذا كان باستطاعتهم استخدام هذه الاساليب ضد اليهود ، الشعب الذي تزعم الصهيونية أنها وجدت لانقاذه ، فكيف الحال سيكون بالنسبة للاممين ! غير اليهود) ؟ نحن ندري ذلك ولكن العالم الغربي لا يدري شيئا من هذا القبيل .

والملاحظ ان كتاب بن هيخت اختفى من المكتبات الاميركية بسرعة ولم يطبع من جديد وحتى أن قليلين من خارج المؤسسة الصهيونية قد سمعوا به . لذا ارى من الضروري القيام بخطوة ما لجعله في متناول « صانعي الرأي » في اميركة واوروبة ، ونظرا الى ان النداء اليهودي الموحد والوكالة اليهودية لا يزالان حتى اليوم يجمعان اموالا هائلة تعطى لهما على اعتبار انهما « حماة » اليهود و« ملجأهم » ، أصبح من الضروري لهؤلاء المتبرعين المضللين (بفتح اللام) أن تفسح لهم الفرصة للتعرف ولو على جزء من الحقيقة .

ثريا انطونيوس

رسالة من ميلانو : حول المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي

عقد الحزب الشيوعي الايطالي مؤتمره الثالث عشر ما بين ٧٢/٣/١٣ و٧٢/٣/١٧ . وقد حضر المؤتمر عدد من ممثلي الاحزاب الشيوعية والحركات العمالية وحركات التحرر الوطني . وكان من بين المدعوين الثورة الفلسطينية ممثلة بحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) .

بدأت الجلسة الاولى في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الاثنين ٧٢/٣/١٣ . وبعد ان تمت قراءة اسماء المشاركين في المؤتمر من اعضاء الحزب اخذت اللجنة المركزية اماكنها على المنصة . وقد رحب مسؤول الحزب في ميلانو بالحاضرين وذكر اسماء بعض الوفود المشاركة في المؤتمر ، ومنها وفدا فياتنام والاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي الفرنسي . كما ان عمدة ميلانو ، وهو اشتراكي مؤيد لاسرائيل ، قد تحدث ذاكرا اهمية اجتماع القوى الديمقراطية لمحاربة الفاشية والعنف والطغيان . وتمت بعد ذلك مناقشة جدول الاعمال فأقر بسرعة وبالاجماع . وقام بعد ذلك انريكو بلنجوير ، القائم بأعمال امانة سر اللجنة المركزية فألقى تقرير اللجنة المركزية . وقد لوحظ ان تقرير اللجنة المركزية قد لمس القضايا العالمية لمسا ، بينما ركز على القضايا الداخلية وأهمها : قضية تحالف القوى الديمقراطية ضد الفاشية ، قضية المرأة في ايطاليا ، قضية وحدة النقابات العمالية . كما ان التقرير اشار الى استقلالية الحزب الشيوعي الايطالي مذكرا بموقفه من قضية تشيكوسلوفاكيا .

ولقد خص التقرير الشرق الاوسط بفقرة ربط فيها بين ما يجري في حوض البحر الابيض واشار الى المحاولات التي تقوم بها الدوائر العسكرية اليونانية بالتعاون مع الولايات المتحدة لاسقاط حكومة مكاريوس . كما انه اشار الى العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان قائلا بأنه لا يعزز امكانيات السلام . وتحدث عن المقاومة الفلسطينية في معرض الحديث المعابر عن علاقات الحزب الشيوعي الايطالي الوطيدة مع سوريه والعراق والجزائر . وهذا يعني ان التقرير تجنب ان يخوض في اشكالات القضية وان كان لم ينسها . ومرد ذلك بالطبع الى مجموعة من العوامل : منها مراعاة موقف كثير من الاحزاب الشيوعية ومنها قرب موعد الانتخابات في ايطاليا . الا ان ما جاء في التقرير عن القضية الفلسطينية هو ليس كل ما يقال هنا. ذلك ان الحزب نظم مهرجانا جماهيريا في مدينة قريبة من ميلانو ، دعا وفد حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) لالقاء كلمة فيه . ولقد سارت سيارة بمكبرات صوت في المدينة تدعو الناس لسماع ممثل حركة (فتح) . ولقد غصت قاعة السينما بالحاضرين الذين أبدوا حماسة لا يلقاها ممثلو المقاومة في اي بلد عربي . وتأكد هذا التعاطف الحميم عندما اعطي وفد (فتح) حق القاء كلمة تحية في المؤتمر . ولقد تلقاه اعضاء المؤتمر والوفود الاجنبية بعاصفة من التصفيق والترحيب ووقفوا وسط الهتاف والتصفيق تعبيرا عن تأييدهم وتعاطفهم . ولقد علقت صحيفة الحزب الشيوعي الايطالي (الاونيتي) يوم ٣/١٨ على هذا في صفحتها الاولى قائلة : لقد ظهر « التضامن الحاد الامي لجميع الشيوعيين الطليان ، خاصة جميع المشاركين في المؤتمر مع ممثل حركة فتح » . والحقيقة انه لم يكن مقررا ان يلقي احد من الوفود العربية كلمة في المؤتمر . ولقد افهمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي كل الوفود المشاركة ان الكلمات ستعطى لعدد محدود من الوفود الاجنبية . ولكن العدد المحدود اخذ يزداد ، حتى زاد عن الحد . وهنا بادرت الوفود العربية الى اشعار الرفاق الايطاليين بأن الوفود العربية ترى من الضروري ان تعطى حق الكلام . واثر هذا علنا في المأدبة التي أقامها بايتا عضو المكتب السياسي وسكرتير الشؤون الخارجية للوفود العربية . ويبدو ان الحزب درس الموضوع وأقره في اليوم ذاته ٣/١٧ . وكان ان طلب من ممثل حركة فتح ان يخاطب المؤتمر بكلمة تحية .

هذا فيما يتعلق بقضيتنا . اما فيما يتعلق بالمؤتمر عموما فانه يكتسي اهمية خاصة لثلاثة اسباب : اولها : لكون الحزب الشيوعي الايطالي يضم مليونا ونصف المليون من الاعضاء ، ويحصل على تسعة ملايين من الاصوات . وهو اقوى الاحزاب الشيوعية ، حاليا ، خارج الدول الاشتراكية . ثانيها : لكون الفاشية اخذت تتحرك في ايطاليا . ومع انها لا تمثل قوة حقيقية الان ، الا ان تحالف القوى الفاشية النامية مع الرأسمالية الايطالية ومع الامبريالية الاميركية يزيد من خطر هذه الشراذم

الرجعية المتعطشة للدم . ومن الجدير بالذكر ان مدينة ميلانو قد شهدت مظاهرة فاشية بمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي : كانت تطالب بعودة الملك . ثالثها : لكون الانتخابات النيابية على الابواب ، ولكون الحزب الشيوعي الايطالي يريد دخولها بقوة وعزم من اجل تحقيق مزيد من الانتصارات .

ان الحزب الشيوعي الايطالي قوة اساسية من قوى الحياة السياسية الايطالية . وهو حزب العمال وقطاع واسع من الانتلجنسيا . واهم ما في الامر انه حزب كبير ، ومع ذلك فهو يشهد نموا. فقد سجل التقرير ارقام زيادات كبيرة حصلت في العام الماضي . كما شهد المؤتمر انضمام حزبين الى الحزب الشيوعي الايطالي. والحزب الشيوعي الايطالي يسيطر على مناطق في الشمال عن طريق المجالس المحلية . كما ان له تعاونيات انتاجية واستهلاكية . ويركز الحزب في المرحلة الحالية على خلق جبهة واسعة من القوى الديمقراطية لمواجهة الفاشية . كما انه يركز على وحدة النقابات العمالية ، لانها تفتتت بعد الحرب العالمية الثانية الى ثلاث فئات: نقابات الشيوعيين ونقابات الحزب الاشتراكي ونقابات الديمقراطيين المسيحيين.

ولم يغير المؤتمر شيئا في قيادة الحزب . والتغيير الوحيد الذي حصل هو اختيار لونجو رئيسا للحزب . وذلك لانه مصاب بشلل جزئي ولا يستطيع ممارسة نشاط حزبي يومي ، واختيار بلنجوير سكرتيرا ، وهي الوظيفة التي كان يقوم بها منذ اصيب لونجو بالشلل . ويعتبر بلنجوير صغير السن ، لانه ولد سنة ١٩٢٢ . وهو من اهل سردينيا مثل جرامشي . وكان ابوه عضوا اشتراكيا في البرلمان حتى سنة ١٩٦٨ . وقد انضم بلنجوير للحزب سنة ١٩٤٣ ، وسجن سنة ١٩٤٤ عدة اشهر بسبب تنظيم مظاهرة . وكان معاديا للفاشية . انتخب سنة ١٩٤٥ عضوا في اللجنة المركزية ، خلال المؤتمر الخامس للحزب واختير مسؤولا عن الشبيبة ، حيث ظل كذلك الى سنة ١٩٥٦ . كما انه عمل رئيسا لاتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٣ . عين سنة ١٩٥٧ السكرتير الاقليمي في سردينيا . نقل سنة ١٩٥٨ الى المقر الرئيسي عضوا في السكرتارية وسلم دائرة التنظيم في الحزب . وكان من مواقفه انه عارض سنة ١٩٦٤ ، عندما حضر مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي مطالبة سوسلوف بعقد مؤتمر دولي لادانة الصين .

واخيرا لا بد من القول ان قواعد هذا الحزب عموما معبأة لمصلحة الثورة الفلسطينية وهي تقوم بنشاطات هامة ، بالتعاون مع الطلبة الفلسطينيين والعرب .

ن. ع.

رسالة من دمشق : مهرجان دمشق الاول لسينما الشباب

بين الثاني والثامن من نيسان الماضي انعقد في دمشق المهرجان الاول لسينما الشباب . والحدث يمثل ظاهرة فنية للشباب السينمائي العربي ، ينتظر ان تتكرر في ذات الموعد من كل عام . وهناك اكثر من سبب يدعو للحرص على متابعة مثل هذا الحشد السينمائي بكثير من العناية والاهتمام ، واكثر من ذلك المشاركة في اعماله ، لانه اكثر النوافذ اطلالا على المستقبل بالنسبة لجهود السينمائيين الفلسطينيين وكل العاملين على صناعة فيلم القضية الفلسطينية . وارغب قبل ان ابدأ في تسجيل ملاحظاتي على المهرجان ، ان القي بعض الاضواء على اهدافه وبرنامجه ومنجزاته كما تبدت من مجريات اعماله .

يهدف المهرجان — كما عبر عن ذلك الزميل وليد شميط — الى « اتاحة الفرصة امام السينمائيين العرب الشباب للقاء وتبادل الحوار ودراسة واقع السينما العربية التقليدية ، وامكانات تطور السينما على ضوء المتطلبات الاجتماعية والسياسية والفنية التي تواجهها ، بغية ايجاد سينما عربية بديلة قادرة على التعبير بصدق والتزام عن واقع الانسان العربي واهتماماته الحياتية والاجتماعية والسياسية » . وينظم المهرجان مسابقة لافلام المخرجين العرب الشبان ، الروائية والتسجيلية وافلام التحريك ، سواء منها الطويلة او المتوسطة الطول والقصيرة التي انتجت خلال العام السابق للمهرجان ، ويشترط ان تكون ناطقة بالعربية ، وتمنح الجوائز لجنة تحكيم سباعية واحكامها نهائية ، وعادة تدعو هيئة المهرجان مخرجي الافلام المشتركة على نفقتها وتشتري جميع الافلام الفائزة في مسابقة المهرجان .

وقد شاركت في المهرجان تسع دول عربية ، هي : مصر العربية ، سورية ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، الاردن ، المغرب ، تونس ، الكويت ، واشتركت المقاومة الفلسطينية بثلاثة افلام ، ورابطة ٥ حزيران بفيلم واحد . وقد بلغ عدد الافلام المشتركة في مسابقة المهرجان ٥٠ فيلما ما بين الروائي والتسجيلي وفيلم التحريك . وعرض ١٩ فيلما عربيا خارج المسابقة ، بالاضافة الى اربعة افلام روائية من امريكا اللاتينية عرضت على هامش المهرجان . وقد غطت العروض ثلاث دور للسينما ، تعاقبت فيها العروض من العاشرة صباحا وحتى الثانية عشرة مساء وقد تخللها مؤتمران صحفيان لمناقشة الاعمال المعروضة ، وكان البرنامج اليومي يختم بلقاء منتصف الليل الذي يبحث في اوضاع السينما في الاقطار العربية وتبحث فيه المشاريع المطروحة ضمن المهرجان .

وقد تميزت مناقشات المهرجان بحيوية وزخم في كثير من الاحيان ، وقد افادت في تقديم نماذج من النقد والتحليل السينمائي في كل قطر من الاقطار العربية. كما كان المهرجان فرصة لتعارف السينمائيين الشباب ، وفي هذا النطاق عقد مؤتمر السينمائيين العرب ، كما القيت اضواء على اوضاع السينما في الاقطار العربية ، واستمع المهرجان الى تجربة جماعة السينما الجديدة في مصر العربية عبر عدد من اعضائها . وقد طرح في المهرجان عدد من المشاريع لعل ابرزها انشاء اتحاد للسينمائيين العرب المقدم من الوفد العراقي ، وانشاء اتحاد للنقاد السينمائيين العرب وقد شكلت لكل منهما لجنة تحضيرية . وقد دعا الوفد العراقي الى المشاركة في مهرجان افلام فلسطين المنتظر قيامه في آذار ١٩٧٣ . وكان من المقرر ان يبحث المهرجان عددا من المسائل الاخرى مثل اوضاع السينما التسجيلية وخاصة مسالة تمويل وتسويق هذه الافلام ، ومناقشة اوضاع الفيلم الفلسطيني ، غير ان ازدحام برنامج المهرجان لم يتح اية فرصة لذلك .

وعلى الرغم من قلة الوثائق المقدمة للمهرجان ، والتي توضح طبيعة الافلام المعروضة ، او تقدم لسينما كل قطر من الاقطار المشتركة ، وهذا نقص ينبغي تلافيه ، فقد اعدت بعض الاقطار ، وخاصة مصر ، وثائق ضافية خاصة بالافلام المعروضة ، كما قدم العراق مشروع لائحة لانشاء اتحاد السينمائيين العرب ، وبعض الاعداد من مجلة المسرح والسينما ، وقدم الوفد المصري وثائق خاصة بتجربة جماعة السينما الجديدة ولائحتها الاساسية ، وبحثا عن « السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية لتوضيح جوانب قضية فلسطين » ونشرة تضمنت « رأي الشباب في السينما المصرية ونظرة الى المستقبل » ونشر تقرير عن السينما الجزائرية . وقد غطت النشرة اليومية

الصادرة عن المهرجان بعض النقص في الوثائق ، وبذل الزملاء وليد شميط وسمير نصري وقاسم حول جهودا لتغطية نشاطات المهرجان، ونشرت مقتطفات من المناقشات ومقابلات مع المخرجين العرب . كما قطع النقـاد السينمائيون الشوط الاول في التمهيد لانشاء اتحادهم بصياغة مشروع لائحة داخلية له وتشكيل لجنة اتصال يكون مقرها بيروت .

اما بالنسبة للعروض السينمائية ضمن مسابقـة المهرجان ، فقد توزعت ضمن حصتين متساويتين قريبا من الافلام الروائية والتسجيلية وكان هناك فيلم واحد من افلام التحريك القصيرة ، اذ بلغ عدد الافلام الروائية الطويلة ١٢ فيلما ، والروائية المتوسطة ثلاثة ، والافلام الروائية القصيرة تسعة افلام . ولم يكن هناك اي فيلم تسجيلي طويل ، فيما عرض فيلمان تسجيليان متوسطا الطول ، و ٢٣ فيلما تسجيليا قصيرا ، وهي التي كان لها الحصة الكبرى من افلام المهرجان .

وقد اثار عدد من العروض نقاشا واسعا ، وتميز بعضها بالحدة والحماس ، فوجد الفيلم الروائـي الكويتي « بس .. يا بحر » ترحيبا حارا لم يلقه فيلم آخر وكان مفاجأة لكثير مـن السينمائيين ، وواجه الفيلم الروائي اللبناني « سلام بعد الموت » استقبالا سيئا ورفضا كاملا له ، ولقي نفس الشيء الفيلم الروائي المصري « دعوة للحياة » ، فيما اثار فيلم « مئة وجه ليوم واحد » انقساما في المهرجان ما بين رافض ومحبذ ، ولقي الفيلم الروائي المغربي « وشمة » ترحيبا حد مـن حرارته عدم فهـم العامية المغربية . ومن جهة اخرى لقي كل من الفيلم السوري الروائي المتوسط « حتـى الرجل الاخير » والمصري الروائي الطويل « اغنية علـى الممر » اسـتقبالا طيبا وكان الفيلمان مثار نقاش ومقارنة نظرا لاعتمادهما على نص مسرحي واحد . اما الافلام التسجيلية التي اثارت الانتباه فقد كانت « محاولة عن وادي الفرات » ، « الزيارة » ، « بعيدا عن الوطن » ، « نحن بخير » ، « روافد المسرح » ، « حصان الطين » ، «بورسعيد ٧١» . وقد منحت لجنة التحكيم ست جوائز حسب لائحة المهرجان ، للافلام الآتية : الجائزة الكبرى وقـد تقاسمها الفيلم الروائي الكويتي « بس يا بحر » والروائي المصري « اغنية على الممر » ، جائزة الفيلم الروائي المتوسط : « طائر القرية » وهـو سوري ، جائزة الفيلم الروائي القصير « اللقاء » وهو سوري ، جائزة الفيلم الوثائقي القصير وقـد تقاسمها « محاولة عن وادي الفرات » وهـو سوري و « حصان الطين » وهو مصري ، جائزة الفيلم الوثائقي المتوسط « بالروح ... بالدم » وهو فلسطيني ، جائزة اللجنة : «العهد» وهو سوري ، و « وشمة » وهو مغربي ، ومنحت شهادة تقدير لفيلم « بعيدا عن الوطن » وهو من انتاج سوري . وكان النقاد قد اجتمعوا وقرروا منح جائزتين ، ففاز بها الفيلم الطويل « مئة وجه ليوم واحد » والفيلم القصـير « الزيارة » . كما اعلنت حركة « فتح » عن تخصيص جائزتين منحتهما للفيلـم الروائي المتوسط « حتى الرجل الاخير » والفيلم الوثائقي « نحن بخير » .

وبصورة عامة ، فان المهرجان قد شهد نجاحـا ملحوظا ، نسبة لما كان ينتظر منه ، فهو كان فرصة لتعارف السينمائيين الشباب العرب . كما كان ميدانا لبحـث عدد من المشاريـع التي تخص السينمائيين والنقاد على حد سواء . وهو بهـذا المقياس يكون قد كسب نجاحه بجدارة علما بان فترة التحضير كانت قصيرة جدا . وهذا لا يعفي من ابداء بعض الملاحظات حول جوانب القصور فيه :

١ ـ على الرغم من ان المهرجان كـان مكرسـا لسينما الشباب ، الا ان عددا كبيرا من العروض السينمائية لم تكن تحمل هذا التوجيه ، فكـانت غالبا تقليدية سواء من حيث المعالجة السينمائية او من حيث المضمون ، وبذلك كان معيار «شبابية» السينما هو السن ، وهو معيار واه جدا ، وليس له اساسه الموضوعي . ٢ ـ لم يكن هناك فهـم محدد لمعنى سينما « الشباب » ، فقد ترددت في المؤتمر هذه اللفظة والفاظ اخرى مثل « السينما البديلة » و « السينما السياسية » و « السينما الجديدة » .. الخ ، وهي الفاظ تحتمل كثيرا من الجدال والنقاش . فكما لم نجد معالجة سينمائية متقدمة في العروض المقدمة ، لم يظهر النقاش فهما نظريا ، لمدلول سينما الشباب ، وقد كنت اتمنى لو اتجه المجتمعون في المهرجان لتحديد آفاق سينما الشباب ، خصوصا وان المهرجان مكرس قصرا على نوع معين من السينما . واعتقد ان المجال يبقى مفتوحا لاسهامات نظرية ونقدية حتى موعد المهرجان المقبل ، كي يرسى على اسس علميـة محددة ، كما ان السينمائيين مدعوون لتقـديم دراسات بهذا الصدد للمهرجان في العام القادم .

٣ — سبق ان ذكرت ان الوفود في غالبها قد جاءت بدون ان تحمل معها الى المهرجان ، وثائق عن السينما في اقطارها ، كما لم تقدم معلومات عن الافلام المشتركة . ومن جهة اخرى كانت الفترة القصيرة في التحضير للمهرجان مسؤولة عن عدد من التقصيرات الفنية من الجهة المضيفة . وفي هذا الصدد لوحظ انه لم تكن هناك محاضر للنقاشات ، ولم يجر تسجيل التوصيات بشكل منظم ، وقد اقتصرت مهمة تلخيص الآراء على بعض المحررين في النشرة اليومية ، فجاءت التلخيصات غامضة ومجتزئة وفقيرة ولم تستطع ان تؤدي دورها على النحو المرجو .

اما بصدد الاسهام الفلسطيني في المهرجان فلدي بعض الملاحظات التي ارجو ان تجد اهتمام المؤسسات الفلسطينية المعنية .

اولا : كانت المساهمة السينمائية الفلسطينية في المهرجان خاضعة للصدفة وللمبادرة الشخصية وعلى سبيل المثال فان فيلمين من ثلاثة افلام فلسطينية اشتركت في مسابقة المهرجان ، لم يكن مخرجهما على علم بالمهرجان ، وقد دفعته شخصيا للمشاركة في المهرجان ، وكان من الممكن ان لا يشترك لعدم العلم ، وقد فاز الزميل مصطفى ابو علي بجائزة الفيلم التسجيلي المتوسط الطول بفعل المبادرة الشخصية . وهذا يزيدنا قناعة يوما بعد يوم بضرورة الشروع بانشاء تجمع سينمائي فلسطيني تكون له شخصيته المستقلة ويتعامل مع المؤسسات السينمائية العربية والعالمية ويلعب دوره الاعلامي والتثقيفي والسياسي ، (راجع ندوة السينما والقضية الفلسطينية في العدد القادم). لقد تشكل الوفد السينمائي الفلسطيني بصورة عفوية ولم يكن لديه اية توجيهات او مساهمة فعالة في المهرجان بحكم عفوية هذا التشكيل .

ثانيا : — كان من الممكن ان يتسع نطاق اشتراك الافلام الفلسطينية في المهرجان ، وان تأخذ فرصة افضل في العرض ، كما كان يمكن ان تحظى بمناقشة افضل وان يخصص لها جلسة مستقلة ، الامر الذي يؤدي الى نتائج نقدية افضل ، غير ان هذا لم يحدث ، لضيق الاشتراك الفلسطيني في المهرجان ولتأخره .

ثالثا : على الرغم مما مر ، فانه يلاحظ ان المهرجان قد تضمن اكبر حصة من الافلام التي تعالج موضوعا واحدا ، اذ ان القضية الفلسطينية كانت محور عدد ضخم من الافلام الروائية والتسجيلية مختلفة الطول من انتاج مختلف الاقطار العربية . وهي حصة لم تتمتع ، ولا اظن انه ستتمتع بها قضية اخرى . وهذا يعود الى الحاح هذه المسألة في الوقت الراهن وفي المستقبل ، ولكون المهرجان لسينما الشباب المتصلين بقضايا الوطن الراهنة اتصالا سياسيا واعيا ، ان هذا يدفعني للدعوة للحرص على المشاركة في هذا المهرجان ولتوسيع نطاق اتصالنا باعضائه وتقديم التسهيلات لهم في انتاجهم السينمائي .

رابعا : أبدى العديد من السينمائيين الشبان اهتماما مخلصا بتقديم مساهمات عملية ونظرية من اجل القضية الفلسطينية ؛ وهم بحاجة الى بعض التسهيلات من المؤسسات الفلسطينية وبخاصة مركز الابحاث ، من اجل تزويدهم بالكتب والمواد التاريخية والوثائق المتوفرة كمادة لافلامهم ، او لدراساتهم النظرية .

خامسا : طرحت خلال المهرجان بعض الحاجات التاريخية مثل السينما في فلسطين ، وهو موضوع لم يجد بعد تتبعا ، كما ان السينما الاسرائيلية بحاجة الى دراسة وهي مهمة قائمة تنتظر من ينجزها ، ومركز الابحاث مطالب بتسهيل المصادر وفرص النشر للسينمائيين العرب .

سادسا : تقدمت خلال المهرجان ببعض التوصيات التي تشكل مهمات راهنة تحتاج الى متابعة فلسطينية وعربية ، وسوف اعود مجددا الى طرحها بتوسع في اعداد قادمة ولمتابعتها عبر مؤسسات الثورة الفلسطينية .

واخيرا ارجو ان تكون ملاحظاتنا حول مهرجان دمشق حافزا للتحضير وللمشاركة الاوسع في المهرجانات السينمائية العربية والعالمية ، وخاصة مهرجان قرطاجة ومهرجان لايبزج وهما على الابواب، ومهرجان افلام فلسطين (آذار ١٩٧٣) الذي يقام في بغداد .

هاني حوراني

شهريات

مشروع الملك حسين

ناجي علوش
عبد الله الصفدي
بلال الحسن
صادق العظم
احمد خليفة
عبد الحفيظ محارب

في الخامس عشر من مارس ١٩٧٢ اعلن حسين ، ملك الاردن ، مشروعا بتحويل المملكة الاردنية الهاشمية الى ما اسماه « المملكة العربية المتحدة » التي تتكون من قطرين ، اردني وفلسطيني . وقد نشرت « شؤون فلسطينية » في الصفحات الاخيرة من العدد الماضي مذكرة تحليلية بينت فيها اخطار هذا المشروع والدوافع التي تجعل الشعب الفلسطيني يرفض المشروع رفضا تاما . وبالاضافة الى المقالة الاولى في هذا العدد من شؤون فلسطينية ، التي تلقي المزيد من الاضواء على المشروع المرفوض ، نخصص باب الشهريات لهذا الشهر للنظر الى المشروع من عدد من الزوايا بحيث نامل ان يكمل كل منها الصورة المرتسمة في ذهن القارىء من قراءة المعالجات الاخرى . ونحن نعنى في هذا الباب ، بشكل خاص ، بردود الفعل المختلفة.

وقد تعمدت رئاسة تحرير « شؤون فلسطينية » ان تقدم هذه الافكار والآراء والمعالجات كما هي (على ما يبدو احيانا ، وفي نواح جزئية ، من تضارب) تاركة لكل باحث من الباحثين الستة الذين يحاولون رسم الصورة الكاملة للمشروع ان يعطي الاجتهاد الذي يراه مناسبا ومقنعا . اما المواضيع الاخرى في تطورات القضية الفلسطينية بين منتصف مارس ومنتصف ابريل ، التي لم تتناولها ابواب الشهريات كعادتها ، فانها ستعالج في شهريات العدد القادم .

(١) مقدمة
ناجي علوش

يبدأ تاريخ النظام الهاشمي في علاقته مع القضية الفلسطينية سنة ١٩٢٢ . ومنذ هذا التاريخ وخط النظام الهاشمي في هذا المجال واضح ومحدد : سحق الحركة الوطنية الفلسطينية وانتزاع ارادة التمثيل من الفلسطينيين . ولقد انتظر النظام الهاشمي حرب سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٩ ليستغلها في مصادرة ارادة الفلسطينيين واحتلال اراضيهم . فخلال هذه الحرب دخل الجيش الاردني ليحارب دفاعا عن فلسطين . واذا به يسلمها كي يحصل على حصة منها ، ولكي تتم المصادرة قام النظام الهاشمي بما يلي : ١ — نظم مؤتمري اريحا وعمان من اجل « انتزاع » شرعية فلسطينية ودولية ، ٢ — قام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس . ومنذ ذلك الحين وهناك المملكة الاردنية الهاشمية فقط . اما فلسطين فقضية حلال على كل الناس الا على الفلسطينيين الذين اصبحوا اردنيين . ومنذ ذلك الحين والنظام الاردني يعمل كل ما يستطيع ليسحق حتى مشاعر الحنين الى الوطن في صدور الفلسطينيين .

واليوم وبعد ان حاول النظام الهاشمي اسقاط قيادة المقاومة ، كما فعل بقيادة الجهاد المقدس ، يحاول ان ينتزع التمثيل بكل الوسائل . ولكن هنالك فرقا بين الوضع اليوم والوضع سنة ١٩٤٩ ، كان المطلوب سنة ١٩٤٩ ان يلغى وجود شعب فلسطين وان تلغى ارادته ، ولذلك ضمت بقية فلسطين الباقية — ما عدا غزة — الى المملكة الاردنية الهاشمية ، واسبغت الشرعية على الضم من خلال مؤتمرين عقدهما فلسطينيون . كما قام النظام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس ، وبمحاربة حكومة عموم فلسطين ضمن خط امبريالي—صهيوني استهدف الغاء الشخصية الفلسطينية ، اما اليوم فان المطلوب شيء آخر ، انه مصادرة مقاومة شعب فلسطين ، ذلك ان شعب فلسطين استطاع من خلال المقاومة ان يؤكد وجوده ، وان يجعل مقاتليه ممثليه ، كما انه استطاع ان يحرر ارادته التي سلبه اياها النظام الهاشمي بالتعاون مع بعض الخونة من الفلسطينيين . المطلوب اذن مصادرة هذه الارادة ، كيف ؟ بالالتفاف عليها مرة اخرى . قالوا في الماضي : وحدة الضفتين من اجل حماية البقية الباقية من فلسطين ، وهم يقولون اليوم وحدة الضفتين من اجل عودة الاراضي المحتلة ، ولكنهم يقرون اليوم ان هناك شعبا فلسطينيا . انه موجود لانه يقاتل . فكيف يقودونه الى الاستسلام مرة اخرى ؟ لا سبيل الى ذلك الا بمصادرة ارادته مرة اخرى واستبدال وجوده القتالي بوجود شكلي هزيل ، ولهذا طرح النظام الهاشمي العميل مشروعه . لقد طرح اذن وهو يستهدف : ١ — ايهام الفلسطينيين او قطاع منهم على الاقل بأن هناك بديلا للتحرير ، وللطريق الشاق الطويل ، وهو الحكم الذاتي . ٢ — خلق تناحر في اوساط الفلسطينيين . ٣ — سلب شرعية التمثيل عن المقاومة وابراز « ممثل بديل » من النظام الهاشمي والمتعاونين معه من الفلسطينيين، يدخل ميدان المساومات الدولية . ٤ — ممارسة ضغط على مصر من اجل الاندماج على طريق التسويات .

اذا كانت هذه هي الاهداف فلماذا طرح المشروع الآن وليس قبل هذا التاريخ او بعده ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هامة لانها تعطي المشروع ابعاده الحقيقية . واول ما تجب الاشارة اليه هنا هو ان الولايات المتحدة الامريكيه التي باتت تواجه هزيمة مؤكدة في فيتنام والهند الصينية تريد ان ترتب أمورها في حوض البحر الابيض المتوسط لئلا تصبح الهزيمة هزائم ، ولئلا تنفجر الاوضاع في الوطن العربي فيفلت زمام الامور من يديها . ونقطة التفجير في المنطقة العربية وحوض البحر الابيض المتوسط هي المنطقة العربية . ولكن الولايات المتحدة تريد « سلاما » يكرس الانتصار الاسرائيلي، ولكنه في الوقت عينه يطفيء الفتيل المشتعل في المنطقة . كيف يتم ذلك ؟ باطفاء شعلة المقاومة وبايجاد حلول خداعة لمشاكل المنطقة . ولهذا لم يكن غريبا ان تتحمس الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة للمشروع الهاشمي . ولم يكتف روجرز بالاعلان يوم ٣/١٥ انه على علم بتطورات الموقف في الشرق الاوسط فيما يتعلق بالملك حسين ، بل أعلن سيسكو « انه يتوقع خطوة هامة للخروج من حالة الركود في العلاقات بين الاردن واسرائيل » وقال سيسكو : « ان هذه الخطوة ستتم خلال

الاسابيع القادمة » (الاخبار القاهرية ٧٢/٣/١٥). واعلنت رويتر بعد يومين « ان بعض المسؤولين الاميركيين وصفوا مشروع حسين بانه « خطوة تجاه السلام » . واشارت الوكالة الى ان الولايات المتحدة قد احيطت علما بالمشروع مقدما « الا انها كانت حريصة على الا تصدر اية احكام حتى لا تثير شك اية دولة عربية » (الجمهورية ٧٢/٣/١٧). ويؤكد هذا الكلام دور الولايات المتحدة في صياغة المشروع واعلانه . ويكفي ان تقول الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة انها كانت على علم مسبق بالمشروع .

هذا على الصعيد الدولي . اما على الصعيد العربي فالموضوع لا يقل اهمية . ذلك ان مسلسل التنازلات العربية قد توقف ، بعد ان تنبهت مصر الى انها تتنازل « بسخاء » بينما يتشدد العدو ويتعنت . وهنا كان لا بد من وقفة . وانتظرت مصر ان تقدم اسرائيل تنازلات ، او ان تضغط الولايات المتحدة من اجل تنازلات . الا ان هذا وذاك لم يقعا . ولذلك « احرنت » مصر . ومارست الولايات المتحدة كل ضغوطها لادخال مصر ابعد فابعد في سرداب التسويات المظلم . وعندما لم تنجح لجأت الى ورقة رابحة في يدها ، هي الورقة الاردنية . لقد ارادت الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني أن تؤخرا استخدام هذه الورقة حتى لا تسقط ، ولكن توقف مسلسل التسوية على قناة السويس وتأخر التسوية الجزئية هناك عن الجدول الزمني المقرر لها اجبر دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة على كشف احد اوراقهما الهامة ، وهي الورقة الهاشمية . وكان الهدف من ذلك ، اما ان تتقدم مصر خطوات اخرى في مسلسل التسوية ، او ان تبقى مكانها فيتقدم النظام الهاشمي على « التقدم ». ويتحرك مسلسل التنازل والتسوية . ويكون من نتيجة ذلك ما يلي :

اولا : تنشق البلاد العربية الى مؤيد لمصر ومؤيد للنظام الهاشمي ، بعد ان كانت تبدو موحدة وراء قرارات مؤتمر الخرطوم . وهذا يقود الى استحالة عودة الجبهة الشرقية ، والى تراجع بعض الدول العربية ، واولها المملكة العربية السعودية عن مساندة مصر ماديا . ثانيا : يستخدم الاتفاق الهاشمي الاسرائيلي من اجل عزل مصر دوليا ، ومن اجل اظهارها امام الرأي العام العالمي بمظهر المتعنت غير الحريص على السلام ، وذلك بمقارنة « التشنج » المصري بالروح الهاشمية « الواقعية والعملية » . ثالثا : يجري الضغط على مصر لاشعارها بأن جبهتها هي الجبهة الوحيدة ، وبأنها وحدها تقف في الميدان ، وبأنه لا امل لها في هذا الصراع الذي لا يقف معها فيه احد . كما ان اسرائيل تزيد من تعزيز قواتها على القناة وفي سيناء ، وتزيد من العمل لاشعار مصر انها تعمل على امتلاك سيناء الى الابد .

كان المفروض اذن ان يعلن هذا المشروع بعد ان يعلن عن اتفاق جزئي بين مصر ودولة الاحتلال (الاهرام ٧٢/٣/٢٤ — بصراحة — محمد حسنين هيكل) ولكن الامور جرت بما لا تشتهي سفن الولايات المتحدة ودولة الاحتلال . وكان عليهم ان يتحركوا فحركوا عميلهم الاكبر : للنظام الهاشمي. وكانت العقدة على الصعيد الفلسطيني اكثر اشكالا من العقدة على الصعيد العربي ، اذ ان المقاومة التي ارادوا لها الموت في أيلول ظلت موجودة وفاعلة الى حد ، وظل ينظر اليها على انها ممثلة الشعب الفلسطيني . واذا كان متوقعا ان يوجه اليها العدوان على لبنان ضربة قاصمة واخيرة ، فان ما حدث في لبنان زادها قوة ورفع مكانتها واعاد لها بعض الشعبية التي فقدتها . وجاء الفتور الذي قابلت به الجماهير في الضفة الغربية موضوع الانتخابات البلدية صفعة للاحتلال وللنظام الاردني . ولذلك كان لا بد من عمل ، ينزع صفة التمثيل عن المقاومة ، ويقود خطى المترددين على طريق الاستسلام . واذا كان انتزاع صفة التمثيل ليس سهلا ، فلا أقل من ابراز ممثلين جدد يتمتعون ببعض الشرعية كالنجاح في انتخابات بلدية . واذا لم يكن ممكنا تحميس الجماهير في الضفة الغربية لانتخابات بلدية فلماذا لا تربط هذه الانتخابات بمشروع « حكم ذاتي » ، لا ينفصل عن الوطن العربي ، لانه تابع للعرش الهاشمي . ثم ان النظام الهاشمي الذي حرق آخر سفنه الفلسطينية في أيلول وبعد أيلول كان يريد استقطاب بعض الفلسطينيين ، لعله يصبح اكثر قدرة على التحدث باسم الفلسطينيين . لقد طلب من النظام الهاشمي ان يأتي برأس المقاومة اذا أراد ان يعتبر ممثلا للشعب الفلسطيني . وحاول ذلك في أيلول وبعد ايلول ولكنه فشل . لقد أوقع بالمقاومة اصابات عميقة ، فنزف الكثير من دمائها ، وافقدها الكثير من فعاليتها ، ولكنه لم يستطع ان يأتي برأسها : لا أن يجز هذا الرأس ولا أن يستميله .

وهو الان يحاول بمخطط مزدوج : القمع والتصفية الدموية من جهة ومحاولات الاستمالة والاخضاع من جهة اخرى . واذا كان في الماضي يوجه ضربات مباشرة الى المقاومة ، فانه الان يحاول ان يجعل الصراع فلسطينيا . هكذا سحقت ثورة سنة ١٩٣٦ . عندما عجز الانجليز عن سحق الثورة ساعدوا على خلق طرف فلسطيني يحاربها . والان يريد النظام الهاشمي ان يحارب الفلسطينيين بالفلسطينيين، وان يزيد من قوته والاعتراف بتمثيله عن طريق هذه « الحرب الداخلية » . ومثل هذه الحرب ليست جديدة على ارض فلسطين ، اذ ان « الامير » عبدالله لعب دورا في شق الصفوف الفلسطينية منذ اصبح اميرا . وكان لعملاء عمان دور كبير في تخريب الحركة الوطنية الفلسطينية عموما وضرب ثورة ١٩٣٦ خصوصا . واليوم يحاول الحفيد ان يلعب لعبة جده فهل يستطيع ؟!

تبقى حقيقتان : الاولى : ان هذا المشروع ليس جديدا . انه يعود الى ما بعد ايلول ، وليس صحيحا انه يعود الى ما قبل سنة ١٩٦٧ كما يقول الحسين (صدى لبنان ٧٢/٣/٢٤ — مؤتمر الحسين الصحفي) . فالخط السياسي الهاشمي نحو فلسطين لم يكن حتى ما بعد ايلول يرى امكانية لبروز اي مظهر من مظاهر الحكم الذاتي الفلسطيني . ولكن معارك ايلول ونتائجها هي التي فرضت تغييرا . فالمقاومة لم تنته في ايلول ، بل خرجت قوية من تلك المعركة الطاحنة . ثم ان معركة ايلول خلقت هوية فلسطينية لا يستطيع احد ان يتجاهلها . ومن هنا بدأ النظام الهاشمي بعد ايلول لعبته ، في محاولة منه ، ومن انظمة عربية اخرى لخلق تزاوج بين النظام الهاشمي و« المقاومة الشريفة » . قاد هذا الى التراجعات السياسية المعروفة التي قامت بها المقاومة والتي كانت تستهدف حسم قضية التمثيل بالتزاوج ما بين النظام الهاشمي و« المقاومة الشريفة » . وبدأ الحديث في هذا الوقت من جانب النظام عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بعد التحرير . كما بدأت بعض الاوساط في المقاومة تتحدث عن « فيديرالية » مع الاردن ، تتحدد فيها مساهمة الفلسطينيين في السلطة والجيش . وكان هذا الخط المنحرف هو الذي عمل على سحب الاسلحة من المدن والقضاء على المواقع الشعبية للثورة لمصلحة هذا التزاوج . الا ان الخط المعارض ساهم في افشال تحقيق التزاوج وان كان قد عجز عن ايقاف موجة التراجع .

وحين قام النظام بهجومه الاخير على قواعد الثورة في جرش وعجلون ، بعد ان أجهز على كل مواقع الثورة في الاردن ، جاءت فكرة مفاوضات جدة . وكان الهدف من هذه المفاوضات ايضا تحقيق التزاوج . وكان هنالك من يعمل من داخل المقاومة للعودة الى الاردن بأي ثمن . وكان الهدف من ذلك اتمام عملية التزاوج اي اخضاع المقاومة للنظام نهائيا واعلانها الاعتراف بقيادة صاحب الجلالة ، الممثل الشرعي لشعب فلسطين . ولكن هذه المؤامرة احبطت ايضا . تقول بعض المصادر ان المشروع كان جاهزا من ستة أشهر . واذا ما عدنا الى الوقائع اكتشفنا ان هذا يعني انها كانت معدة مع بداية محادثات جدة . وان الغرض من محادثات جدة كان الخروج باتفاق يعلن هذا المشروع الملكي .

الثانية : ان هذا المشروع المعلن لا يستهدف اعلانه تنفيذه . انه مطروح ليكون طعما لا ليطبق. ولسوف يصبح عند التطبيق شيئا آخر . ان المشروع المطروح سيكون اساسا للمناقشة في النهاية ، بعد ان يحدث آثاره الفلسطينية والعربية والدولية، وسوف يقود الى تنازلات وتنازلات ، وسوف يكرس الاحتلال اخيرا ، ولكنه سيعطي للفلسطينيين في الضفة الغربية بلدية كبيرة في ظل الاحتلال الاسرائيلي والادارة المدنية الاردنية . وبالمقابل سيكرس تحويل القدس ومناطق أخرى الى دولة الاحتلال الصهيوني ، وستصبح الضفة الغربية جسرا ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي تمر عليه السلع والافكار والاشخاص والمؤامرات والاموال الخ.

ان مشروع الملك حسين هو الصيغة العملية للتصفية في المرحلة الحالية . وخطورة هذه الصيغة تكمن فيما يلي : اولا : انها تأتي بعد هذه الضربات المتلاحقة لحركة المقاومة ، وبعد ان اوجدت الهجمات الشرسة على المقاومة حالة من اليأس والحيرة والضياع لدى قطاعات من الجماهير الفلسطينية . ثانيا : أنها تأتي وسط اجماع رسمي عربي ، معلن وغير معلن ، على ضرورة قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى قبول التسوية . ثالثا : انها تأتي مدعومة من الامبريالية الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . ولذلك فهي أخطر المؤامرات وأشدها ضررا ، وعلى هذا الاساس يجب ان ينظر اليها . ومن هذا المنطلق يجب ان تحارب .

(٢) الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧

عبد الله الصفدي

ان تتابع الاحداث في الفترة الاخيرة ، وخاصة بعد ان قام النظام الاردني بمعاونة الامبريالية العالمية بالتصفية الشاملة لوجود حركة المقاومة العلني بالاردن في العام الماضي ، يشير الى السير الحثيث من جانب كل من الاردن واسرائيل نحو « تسوية منفردة » بينهما . فكل الدلائل والاجراءات الاخيرة، من السكوت الاردني عن انتخابات الضفة الغربية ، الى اتصالات انور نسيبة ، الوثيق الصلة بالملك ، مع مائير ودايان ، الى الاتفاقات والترتيبات في مجالات السياحة والمرور وتخفيف القيود على السفر ، تشير الى استعداد الطرفين وسعيهما نحو « تسوية منفردة » تستهدف التصفية القومية للقضية الفلسطينية . وقد جاءت خطة الملك الاخيرة لاقامة « المملكة العربية المتحدة » تتويجا لهذه الاتفاقات والاجراءات جميعا ، لتكشف بوضوح حقيقة تفكير النظام الاردني حول طريقة تصفية القضية الفلسطينية ، ولايجاد مخرج يحفظ ماء الوجه بعد ما قام به النظام من مجازر في ايلول ١٩٧٠ ، وتموز ١٩٧١ ، مستهدفا ايضا تصفية حركة المقاومة سياسيا . فالنظام الاردني على وعي تام بالتناقضات التي اوجدها بنفسه حينما اقام حاجزا اقليميا بين الضفتين ، وهو يحاول ايجاد حل لهذه التناقضات عن طريق اقامة « مملكة عربية متحدة » وليس « مملكة اردنية هاشمية » . وهكذا فان هدف النظام من وراء تعميق الاقليمية كان موجها لتصفية حركة المقاومة في الاردن ، ومرة اخرى تستغل هذه الاقليمية لاقرار تسوية تحقق الشروط والرغبات الاسرائيلية .

ان هذه الخطة التصفوية الاخيرة للملك حسين لا يمكن ان تفهم بمعزل عن اتصالات جرت بين النظام الاردني واسرائيل وتم الاتفاق بشأنها ، وهي تبين قبول النظام « بالتسوية المنفردة » المقترحة حاليا ، واستعداد النظام التام لعقد صفقة مع اسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية ، بعد ان قام بتصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الضفة الشرقية لنهر الاردن . كذلك فان هذه الخطة تعطي فكرة واضحة عن النتائج السياسية للاتصالات الاردنية الاسرائيلية والتي لم تظهر بشكل نهائي وعملي حتى الان . ولكن بوادرها بدأت بالظهور ، وتتيح مجالا اوسع لتوقعات حول هذه النتائج السياسية . من هذا كله تنبع اهمية بحث موضوع الاتصالات الاردنية الاسرائيلية .

من المعروف ان اهداف السياسة الاسرائيلية تنطلق ظاهريا من الاصرار على مبدأ المفاوضات المباشرة مع الدول العربية ، مفضلة عقد محادثات ثنائية كتلك المحادثات التي أدت الى توقيع هدنة ١٩٤٩ . فاسرائيل ترى ان حل النزاع مع العرب يعتمد على : ١ ــ المفاوضات كمبدأ وليس كنقطة اجرائية لان الاستعداد للتفاوض هو برهان على النية في السلام . ٢ ــ الاتفاقات(١). وطبيعي ان اعتماد هدف التفاوض المباشر ، جعل اسرائيل تنظر الى الاردن على انه النظام المؤهل لان يكون «منطقيا» اول من يأتي الى مائدة المفاوضات ، « بسبب مشاكله الاكثر الحاحا »(٢)، ونتيجة للدور الذي لعبه النظام الاردني كحارس امن لاسرائيل منذ قيامها حتى اليوم ، بالاضافة الى دور الولايات المتحدة الضاغط لكون كل من الاردن واسرائيل حليفيها . كذلك فان النظام الاردني ، وخاصة بعد ضربه للعمل الفدائي في الاردن ، يسعى الى ايجاد تسوية مع اسرائيل ، وذلك انطلاقا من ان «اسرائيل عامل دائم في حقائق الشرق الاوسط»(٣). فالهدف السياسي للنظام الاردني هو التفاوض مع اسرائيل ، وليست الاجراءات الكثيرة الاخيرة ، والتي سنأتي على ذكرها بالتفصيل ، سوى تعبير مرحلي عن هذه السياسة ، وتكشف بوضوح تشابه اهداف السياستين الاسرائيلية والاردنية . وما الاسباب التي تعطى في بعض الاحيان سوى حجج واهية لتبرير سياسة النظام الاردني هذه . فالنظام

---

١ ــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، **اليوميات الفلسطينية** ، مجلد ٦ ، ص ٣٨١ (من خطاب لابا ايبان امام المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين) .

٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ (من تصريح لابا ايبان) .

٣ ــ **النهار** ، ٧٢/١/٢٩ (من مقابلة للملك حسين مع مراسل صحيفة «**معاريف**» في روما).

الاردني مثلا يصور نفسه على انه مجبر على اجراء المفاوضات ازاء امكانية التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، وانه امام طريق مسدود ليس له من حل سوى التفاوض .

على الرغم من ذلك كله ، فان المرء يتساءل لماذا لم تجر الان المفاوضات النهائية بين الاردن واسرائيل ما دام الطرفان يعملان من اجلها . ان الاجابة عن ذلك تكمن في ان اسرائيل تربط اجراء مثل هذه المفاوضات بتسوية شاملة في المنطقة لا تقتصر على احد الاطراف العربية فحسب . وكما هو ظاهر فان الوقت لم يحن بعد .

يعود تاريخ الاتصالات الاردنية الاسرائيلية الى عهد الملك عبدالله الذي اجرى اتصالات عديدة مباشرة مع بعض الزعماء الاسرائيليين كفولدا مائير وموشي دايان وموشي شاريت . وقد تمت هذه الاتصالات « بنجاح » في العام ١٩٤٩ « في الوقت الذي كان فيه ممثلو البلدين في محادثات رودس بتسلسل القرارات التي ستسفر عن تلك الاتصالات والتي نقلت اليهم فيما بعد على شكل اتفاق وقعوه في رودس »(٤) وقد بدات هذه الاتصالات تاخذ طابعا اكثر تحديدا في ظل المشاكل المزمنة المرتبطة بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني بعد هزيمة عام ١٩٦٧ . كما انها ظهرت بشكل مكثف بعد ضرب النظام للعمل الفدائي في الاردن عام ٧٠ — ١٩٧١ . ان النتائج السياسية لهذه الاتصالات لم تظهر متكاملة بعد الى حيز الوجود لكونها لم تستكمل بشكل تفصيلي ونهائي ، ولارتباطها بالتسوية الشاملة بين العرب واسرائيل والتي لم تحرز نجاحا الى الان . اما الاتصالات ذات الطابع غير السياسي فان نتائجها بدأت تأخذ اخيرا شكل انتباب كمقدمة وكخطوات عملية تمهد للحل النهائي .

لقد اتخذت الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ اشكالا متعددة وعلى مستويات مختلفة ، حسب اختلاف الظروف التي جرت فيها . فهناك اولا الاتصالات السرية التي جرت على اعلى المستويات بين الملك حسين وبعض المسؤولين الاسرائيليين وبالاخص ايجال آلون وأبا ايبان ، وقد تم في هذه اللقاءات بحث الامور السياسية والتسويات المقترحة . الى جانب ذلك هناك ايضا الجهود الدبلوماسية للولايات المتحدة واتصالات السفير يارنغ . واخيرا هناك الاتصالات التي كانت في غالبها ذات طابع غير سياسي والتي لها انعكاسات ومغزى على الصعيد السياسي وعلى المدى البعيد ، وقد اسفرت هذه الاتصالات عن اتفاقات في مجالات متعددة كما سنرى .

الاتصالات السياسية

يمكننا القول ، استنادا الى مصادر مختلفة وحسب ما نشر في الصحف الاجنبية والاسرائيلية ، انه جرى منذ عام ١٩٦٨ عقد اكثر من عشرة اجتماعات بين الملك حسين وبعض المسؤولين الاسرائيليين . وقد مثل الطرف الاسرائيلي ايجال آلون وفي بعض المرات أبا ايبان بالاضافة الى بعض كبار الموظفين الاسرائيليين . وعقدت هذه الاجتماعات في البداية في لندن ، ثم عقد البعض الآخر منها في وادي عربه وفي العقبة . وعلى الرغم من تأكيد الصحف لحصول هذه الاجتماعات ونشر تفاصيل عما جرى في بعضها ، فقد صدر في جميع الاحوال نفي لحدوث هذه الاجتماعات ، ولم يعلن للجماهير عن اجرائها .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الاجتماعات « نظمت ليس بواسطة احدى الدول الاجنبية وانما عن الطريق السريع والمباشر بين القدس وعمان »(٥). وقد عقدت معظم هذه الاجتماعات « خلال ولاية اشكول » ، واقترح على موشي دايان في تلك الفترة الاجتماع بحسين ، لكنه رفض « هذا الاقتراح مدعيا ببساطة انه يعتقد بأن لا جدوى من الاجتماع مع حسين في الوقت الذي لا يستطيع فيه حسين اجراء مفاوضات مع اسرائيل بصورة منفردة ، وان اسرائيل من جانبها ليس لديها ما تقترحه عليه »(٦).

ان المعلومات التي تسربت حول هذه الاجتماعات بين حسين والمسؤولين الاسرائيليين قليلة . فقد نشرت مجلة « تايم » الاميركية (بتاريخ ١٩٦٩/٤/٤) تفاصيل بعض هذه الاجتماعات ، وذكرت انه تم عقد ثلاثة اجتماعات في الفترة الواقعة بين الخامس والعشرين والتاسع والعشرين من ايلول ١٩٦٨ في لندن بين الملك حسين وايجال آلون وحضر احدها ابا ايبان ، كما عقدت اجتماعات خاصة اخرى في لندن في تشرين الاول وكانون الثاني عام ١٩٦٩ .

---

٤ — **اليوميات الفلسطينية** ، مجلد ١٢ ، ص ٦٢٠ (نقلا عن مجلة « **نوفيل اوبزرفاتور** ») .

٥ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٠/١١/٢٠ .

٦ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٠/١١/٢٠ .

وقد بحثت في هذه الاجتماعات بعض التسويات المقترحة (مشروع آلون) . وبناء على ما ذكرته هذه المجلة فقد وافق الملك حسين على انشاء مستوطنات دفاعية تطل على الضفة الغربية ، كما وافق ايضا على جعل الضفة الغربية منزوعة السلاح . وفي المقابل وافق الاسرائيليون على طلب حسين اعادة اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا بعد حزيران ١٩٦٧ الى اراضيهم . اما بالنسبة لبعض الامور الاخرى فقد رفض حسين وجود ما اقترحه آلون من « حزام امن » على طول الضفة الغربية لنهر الاردن ، كذلك اختلف الطرفان حول « مسالة » القدس . فقد وافق حسين على اعطاء الاسرائيليين طريقا الى حائط المبكى في القسم العربي من القدس في حالة استعادتها وطرح قضية التدويل كبديل آخر . اما الاسرائيليون فقد رفضوا مناقشة هذا الموضوع لانهم يعتبرون ان القدس قد اصبحت « مسالة » منتهية بالنسبة اليهم ، وانه لا يمكن اعادتها بعد ضمها لاسرائيل. وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمس (بتاريخ ٢٥/٣/ ١٩٦٩) حول نفس الاجتماعات استنادا الى يوسف خميس (وهو عربي وعضو سابق في الكنيست ، وكان قد حضر احد الاجتماعات) بأن حسين اقترح حين اجتماعه بأبا ايبان اعطاء الاردن ممرا الى البحر المتوسط على ميناء اسرائيلي ، وان تترك القدس تحت السيطرة الاسرائيلية على ان توضع الاماكن الاسلامية المقدسة تحت اشراف الملك حسين . وتضيف الصحيفة بأن هذه البنود كانت قد قدمتها اسرائيل للاردن بالطرق الدبلوماسية ، كما اقترحت فيها انشاء مستوطنات اسرائيلية على طول الضفة الغربية لنهر الاردن .

وبالرغم من النفي الاردني المتواصل لقصة هذه الاتصالات اصلا ، الا ان ما نشرته الصحف جاء مطابقا تماما لما اعلنه الملك حسين مؤخرا في مؤتمره الصحفي المنعقد بتاريخ ٢٣ اذار ١٩٧٢ حيث قال حول قضية القدس « ليس من الضروري تجزئة القدس مرة اخرى ، اما فيما يتعلق بحرية الوصول الى كل الاماكن المقدسة فيمكن ايجاد حل لذلك »(٧).

وفي اجتماع آخر جرى بين حسين وآلون شمال ايلات ، ذكرت مجلة « التايم » الاميركية (بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٣) ، بأن موضوع البحث في هذا الاجتماع تركز حول « السلام » ، وحول استعداد الاردن لعقد محادثات مباشرة او غير مباشرة باشراف السيد يارينغ . وقد اعرب الملك حسين عن اعتقاده بأن الوقت لم يحن بعد لاجراء محادثات منفردة بين الطرفين . وكان من نتائج هذا الاجتماع توقع الطرفين اجراء مفاوضات موسعة تضم ممثلين عن بعض الدول العربية الاخرى . وقد اتفق الطرفان على ضرورة التعاون معا من اجل تصفية العمل الفدائي الذي يشكل مصدر ازعاج لكليهما . وقد وعد آلون الملك بالمساعدة في هذا المجال ، كما اتفقا كذلك على تبادل العلاقات التجارية بين البلدين . وذكرت مجلة « لونوفيل ابزرفاتور » (بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٩) حول نفس الاجتماع ان حسين وآلون اتفقا خلال اجتماعاتهما على ان يقوم ممثلون اسرائيليون واردنيون باجراء مفاوضات مباشرة وسرية بهدف التوصل الى اتفاق سلام بين اسرائيل والاردن بحيث يبقى الاتفاق الذي يتم التوصل اليه بين الطرفين في طي الكتمان طالما ان محادثات السلام في نيويورك ما زالت مستمرة .

الاتصالات والجهود الدبلوماسية

لقد جرت اتصالات دبلوماسية كثيرة في نطاق الامم المتحدة منذ حزيران ١٩٦٧ ، وكما هو معروف فان مهمة يارينغ كانت نتيجة لذلك . ان تلك الاتصالات التي قام بها السفير يارينغ تحتاج الى درس مفصل، ولا يتسع المجال هنا لبحث هذا الموضوع .

بالاضافة الى ذلك « بذلت الولايات المتحدة ايضا جهودا كثيرة لعقد لقاءات بين الملك حسين والزعماء الاسرائيليين »(٨). وترى وجهة النظر الاميركية ، المهتمة بالحفاظ على نظام الملك وتدعيم سلطته ، « بأن على اسرائيل « التنازل » للملك حسين وان عليها ان تجري محادثات معه »(٩). وقد تبلور هذا الموقف عمليا عندما تكهنت الولايات المتحدة في نطاق مشروع روجرز بأن اسرائيل ستنسحب من الضفة الغربية . ونورد قضية قناة السويس مثالا على هذه المحادثات او الاتفاقات التي توصل اليها الاميركيون « عندما حرصوا للحصول على موافقة اسرائيل بأنها لن تقصف او تدمر قناة السويس وان تسمح

٧ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/٣/٢٤ .

٨ ــ **معاريف** ، ١٩٧٠/١١/٦ .

٩ ــ **المصدر نفسه** .

بترميمها »(١٠). وقد تبدو جهود الولايات المتحدة متوقفة في الوقت الحاضر . لكن التطمينات التي اعطاها روجرز، وزير الخارجية الاميركي ، لعبدالله صلاح ، وزير الخارجية الاردني ، عندما اكد له في نيويورك « ان الاردن في الصورة »(١١)، تدل على ان الاردن لم يكن موضع اغفال ولكن «الديبلوماسية الاميركية تتركز الان في تحقيق اتفاق مصري ــ اسرائيلي لاعادة فتح قناة السويس »(١٢) وقد جاءت خطة الملك الاخيرة لتكشف موافقة اميركا على بدء تحرك الاردن منفردا ، وعدم انتظار الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي بناء على ضغوط دولية ، حسب قول الملك نفسه في اجتماعه مع الشخصيات الفلسطينية الثلاث عشرة قبل يوم واحد من الاعلان عن مشروعه .

الاتصالات والاجراءات الاخيرة

ان القاء نظرة سريعة على الاجراءات والاتصالات التي تمت بين اسرائيل والاردن منذ هزيمة عام ١٩٦٧ ، والمتعلقة بشؤون الضفة الغربية ، تبين بوضوح التقاء وجهتي النظر الاسرائيلية والاردنية حول ايجاد تسوية سلمية بين البلدين . فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ فتحت الجسور بين الضفتين وسمح بنقل منتوجات الضفة الغربية الزراعية ، كما حصل تعاون اسرائيلي ــ اردني في مجالات متعددة اخرى. ولكن في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٠ ، ومع تعاظم دور العمل الفدائي في الاردن في تلك الفترة ، كان التعاون بين الطرفين محصورا في نطاق ضيق نسبيا اذا ما قورن بالفترة التي تلت ضرب النظام للعمل الفدائي في ايلول ١٩٧٠ .

ان هذه الاجراءات والاتفاقات تهدف الى جعل الوضع « طبيعيا » وعاديا بين البلدين ، وخلق الظروف الموضوعية المؤاتية لتحقيق التسوية النهائية . فاسرائيل تنظر الى كل من هذه الاجراءات « كنموذج لجزء من التسويات السلمية التي تنتظرها في المستقبل »(١٣)، كما تعتقد انها « برهان على امكانية التعايش السلمي ، ونية اسرائيل هي ان تخلق اساسا للحياة المشتركة بين سكانها وسكان الضفة الغربية وعلاقات السلام مع الاردن »(١٤). فسياسة الجسور المفتوحة والعبوز الحر بين اسرائيل والاردن تشكل في نظر اسرائيل خطوة نحو فرض التعايش المشترك . كذلك فان الحكومة الاردنية تقوم بهذه الاجراءات والاتصالات لاقتناعها بانه « يجب بذل كل جهد سلام دائم وعادل في هذا الجزء من العالم ، وان الحرب يجب ان تكون الوسيلة الاخيرة »(١٥).

لقد كانت الاتصالات بشأن الاجراءات الجديدة تتم احيانا عن طريق وفود من الضفة الغربية تزور عمان لبحث الامور والاتفاق على ترتيبات معينة ، وفي احيان اخرى كانت تتم عن طريق مفاوضات بين المسؤولين المباشرين عن المصالح التي يقع الاتفاق ضمن مجالها . وفي كثير من الاحيان كانت تظهر هناك اجراءات جديدة تطبق فورا ، مما يعني ان هناك اتصالات قد جرت ولم يكشف النقاب عنها وبقيت في طي الكتمان ، او ان ذلك هو التطبيق العملي للسياسة التي يعمل الطرفان بموجبها ، والتي لا تستدعي اتصالات جديدة بشأنها . وعلى الرغم من ان معظم هذه الاتصالات قد تميز بطابع غير سياسي ظاهريا ، الا ان بعضها كان ذا طابع سياسي وجرى بواسطة اشخاص من الضفة الغربية يمثلون وجهة النظر الاردنية .

ان استعراضا سريعا لبعض هذه الاجراءات والاتفاقات سيكشف عن المدى الذي وصل اليه الطرفان في جعل الوضع « طبيعيا » ، وعما يأملونه من تثبيت ذلك الوضع في المستقبل من جراء تطبيق هذه الاتفاقات .

ــ مفاوضات فتح البنوك في الضفة الغربية : ذكرت صحيفة دافار الاسرائيلية (بتاريخ ٨/٢٠/ ١٩٧١) ان عبدالرحمن الفاهوم ، احد مدراء « البنك العربي » في الضفة الغربية ، سافر الى عمان حاملا معه مشروع اعادة فتح فروع البنك العربي المغلقة منذ شهر حزيران ١٩٦٧ . وفي عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١٠/١٥ ، ذكرت الصحيفة نفسها ان المفاوضات بدأت بين ممثلي اسرائيل والاردن ، حول فتح البنوك العربية في

١٠ ــ **معاريف** ، ١/٦ ,١٩٧٠ .
١١ ــ **النهار** ، ١٩٧١/١٠/٦ .
١٢ ــ **المصدر نفسه** .
١٣ ــ **دافار** ، ١٩٧١/٦/١٢ ، (من لقاء «لدايان» مع الصحافيين) .
١٤ ــ **المصدر نفسه** .
١٥ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/١/٢٩ (من مقابلة للملك حسين مع مراسلة صحيفة « **معاريف** » في روما) .

الضفة الغربية ، بوساطة عبدالرحمن الفاهوم ، بينما يجري الاتصالات من جانب اسرائيل مراقب البنوك مئير حيت ، الذي يعمل ايضا ضابط قيادة لشئون البنوك في الحكم العسكري ، وكذلك دوب ارنون من ادارة بنك لئومي الاسرائيلي ، الذي اشترك في اتصالات مشابهة في الاعوام ٦٧ ، ١٩٦٨ . واضافت الصحيفة ان لجنة وزارية مؤلفة من الوزراء دايان وسابير وشابيرا تقوم بمراقبة الاتصالات بناء على قرار الحكومة الاسرائيلية ، وان المفاوضات تدور على اساس قرار الحكومة الاسرائيلية للتوصل في المرحلة الاولى الى انهاء اعمال البنوك فيما يتعلق بالديون ودفع الرهائن التي كانت في حوزتهم ، على ان تدرس بعد ذلك امكانية تشغيل بعض الفروع . والمعروف ان جميع البنوك مقفلة بصورة رسمية ، ولكن هناك بعض الفروع التي تعمل بصورة جزئية في الوقت الحاضر.

ـ اتصالات انور نسيبه : قام انور نسيبه ، الذي له ارتباط وثيق بالملك حسين ، في الفترة الاخيرة (كانون الثاني ١٩٧٢) بالاجتماع الى غولدا مائير وموشي دايان وشلومو هليل . وقد تسربت بعض المعلومات عما دار في هذه الاجتماعات ، ونشرتها بعض الصحف الاسرائيلية (هآرتس ودافار) ، وأكدتها مصادر متعددة من الضفة الغربية والاوساط السياسية الاسرائيلية . وتبين هذه المعلومات « ان المواضيع التي جرى بحثها تركزت حول علاقات اسرائيل بالاردن على المدى القريب ، وهي امكانية التعاون الوثيق في المجالات السياحية والمجالات الاقتصادية (والتي ذات اهمية خاصة للضفة الغربية) ، بالاضافة الى مواضيع ذات مدى ابعد ، تبحث في امكانية التفاوض من اجل التوصل الى اتفاق سلام منفرد بين كلا البلدين»(١٦) ويبدو ان هذه الاتصالات لم تحرز اي تقدم على المستوى السياسي ، لكن لم تكن مضادفة ان اعلنت غولدا مائير مؤخرا « انه من الممكن ان يتفاوض الملك حسين منفردا مع اسرائيل هذا العام »(١٧)، بالاضافة الى ذلك فان اعتراف انور نسيبه عن « وجود ترتيبات مؤقتة بين الاردن واسرائيل »(١٨) يتضمن المجهودات التي بذلت للتوصل الى اتفاق حول مسألة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية والاتفاق في المجالات السياحية والاقتصادية بين البلدين .

ـ الاتفاق حول موضوع الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : أعلن الحاكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية في وقت سابق من العام الماضي ، عن اجراء انتخابات لمجالس البلدية في ٢٣ مدينة وقرية في الضفة الغربية بموجب القانون الاردني ، الذي يسمح للملاكين فقط بحق الانتخاب ، وذلك على مرحلتين ، في أواخر آذار وأوائل أيار من العام الحالي . وتأتي اهمية هذه الانتخابات من « اعتراف » الحكم الاسرائيلي برؤساء البلديات كممثلين للاهالي العرب بعد حزيران ١٩٦٧ . لقد أعلنت الحكومة الاردنية مرة واحدة بواسطة بيان لوزير الاعلام ، عدنان ابو عوده ، انها تعارض بشدة اجراء هذه الانتخابات ، كما انها قامت بمعارضتها لفترة قصيرة من الزمن عن طريق الحملات الاعلامية في الصحف والاذاعة ، ثم ما لبثت ان لزمت الصمت بعد ذلك . وقد تبين فيما بعد انه تم التفاهم مع اسرائيل حول هذه المسألة، بحيث « ان لا تعمل حكومة الاردن ضد اجرائها ، وانما تكتفي بالانتقادات الروتينية ، وان اسرائيل من جهتها لن تعارض في انتخاب مرشحين من اعوان الملك حسين »(١٩). فقد ذكرت صحيفة عال همشمار (بتاريخ ١٩٧١/١١/٢١) بان مبعوثا غادر الضفة الغربية الى عمان للحصول على توجيهات من الحكومة الاردنية والمنظمات الفلسطينية (!) لرؤساء البلدات في الضفة الغربية بشأن اجراء الانتخابات المحلية . ونشرت صحيفة دافار بعد ذلك (بتاريخ ١٩٧٢/١/٢١) ، بأن « حفظي المحيس » من تجار نابلس البارزين وعضو البرلمان الاردني وعضو الغرف التجارية المحلية ، قد زار عمان قبل ثلاثة اسابيع ، ولدى عودته انتشرت في الضفة الغربية اخبار تؤكد ان حكومة الاردن قررت وبصورة سرية ، عدم التدخل مطلقا ضد عملية الانتخابات في الضفة الغربية .

ان السكوت الاردني عن الانتخابات البلدية والاتفاق مع اسرائيل بشأن اجرائها ، يعطي الدلالة الواضحة على استعداد النظام الاردني واسرائيل، للتعاون في تطبيق سياسة « التعايش » و« اعادة الامور الى حالتها الطبيعية » ، ولتكون هذه الانتخابات خطوة اولية على طريق الحكم الذاتي

١٦ ـ **فايننشال تايمز** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
١٧ ـ **النهار** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
١٨ ـ **المصدر نفسه** .
١٩ ـ **دافار** ، ١٩٧٢/٢/٩ .

لاهل الضفة الغربية تحت سيطرة اسرائيل من جهة وسيطرة الاردن من جهة ثانية .

ـ **اجراءات عبور السائحين** : منذ الاسبوع الاخير في شهر كانون الثاني ١٩٧٢ ، بدىء السماح للسائحين الاجانب بعبور الجسر الى الضفة الشرقية لنهر الاردن . فقد عبر فريق مؤلف من تسعة عشر سائحا امريكيا نهر الاردن من الضفة الغربية المحتلة الى الضفة الشرقية ، وذلك للمرة الاولى منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . ثم اخذ عدد السائحين يتضخم بالتدريج . وقد كانت الحكومة الاردنية ترفض السماح للسائحين جوا من اسرائيل الى قبرص ومنها الى عمان . وقد جرت الترتيبات لهؤلاء السائحين من خلال وكالات سفرياتهم في اوروبا . ويبدو ان الاتفاق بصدد هذا الاجراء ، تم التوصل اليه عندما اجتمع نسيبه بغولدا مائير في شهر كانون الثاني من العام الحالي . وهذا الترتيب الذي يسمح للسائحين بالمرور عن طريق « الجسور المفتوحة » بلا تعقيدات ، كما كان متبعا قبل حرب حزيران ، هو حدث آخر صغير على طريق « حسن الجوار » عبر النهر .

ـ **اجراءات المرور وتخفيف القيود على السفر** : تتضمن اجراءات المرور العمل بلوائح جديدة للمرور بين الاردن واسرائيل عبر الجسور على نهر الاردن . فقد سمح اعتبارا من مطلع شهر شباط (١٩٧٢) لسيارات الركاب الكبيرة بقطع الجسر والوصول الى حاجز الجمارك على ضفتي النهر . وكانت الترتيبات السابقة القائمة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ تقضي بتوقف سيارات الركاب الكبيرة على كل من جانبي الجسر ، حيث كان المسافرون يضطرون الى عبور الجسر مشيا على الاقدام وهم يحملون امتعتهم وان يغيروا الحمالين في منتصف الطريق . « ويأتي هذا الاصلاح استجابة لازدياد عدد المسافرين المطرد . فلقد مررت اسرائيل خطة الزائرين في الصيف بسماحها للعرب من اي بلد بزيارة اقاربهم في اي وقت طول السنة »(٢٠). فخلال اشهر الصيف بلغ عدد الزائرين العرب الذين وصلوا الى اسرائيل ١٠٠،٠٠٠ زائر ، مقارنة بـ ٥٣،٠٠٠ زائر وصلوا في صيف عام ١٩٧٠(٢١). ان ازدياد عدد الزائرين جاء نتيجة للتسهيلات التي تقدمها كل من اسرائيل والاردن في هذا المجال . فاسرائيل بدأت تخفف من القيود التي كانت تفرضها على اعطاء تصاريح للزيارة ابان الاعوام السابقة (قبل ١٩٧١) ، كما انها زادت من مدة التصاريح من شهر الى ثلاثة اشهر . كذلك فان النظام الاردني سهل « الحصول على جوازات المرور التي تعطى لسكان الضفة الغربية واصبحت هذه الجوازات تصلح لمدة اطول ولعدة سفرات »(٢٢).

يعكس اجراء المرور المشترك وتسهيلات السفر هذه ، مضمون سياسة « التعايش » و « اعادة الحياة الطبيعية » التي ينتهجها كل من الاردن واسرائيل ، لتمهيد الطريق امام مشاريع التصفية و « التسوية » . فالتقدير الاسرائيلي الاردني هو ان الاحتكاك المباشر بين الزائرين العرب وسكان الضفة الغربية مع السكان الاسرائيليين، والشعور بعدم وجود اية حواجز فعلية بين الضفتين ، على الرغم من وجود الاحتلال الاسرائيلي ، يجعل عقد صفقة بين النظام الاردني واسرائيل امرا مقبولا لدى الجماهير . وهكذا تصبح هذه الترتيبات والاجراءات ضرورة كمرحلة تمهيدية لعقد الصفقة .

ـ **السكوت الاردني عن زيارة الرسميين** : قام بعض الرسميين الاردنيين خلال الصيف الماضي بزيارات الى الضفة الغربية ضمن نطاق الزيارات التي يقوم بها الاف الاشخاص من الدول العربية للاجتماع الى اقاربهم . فقد « ذكرت صحيفة معاريف ان الدكتور قاسم الريماوي والسيد علي داوود الرمحي، وهما عضوان في البرلمان الاردني، من بين المواطنين العرب الذين يزورون الضفة الغربية المحتلة من الاردن الان ، واضافت الصحيفة ان رفيق الدجاني نائب مدير الاثار الاردنية للحفريات زار جبل الهيكل يوم الجمعة الماضي بدعوة من مئير بن دوف المسؤول عن الحفريات »(٢٣). وذكرت صحيفة جيروسالم بوست (بتاريخ ١٩٧١/٩/٨) عن وجود وزير اردني سابق من الضفة الغربية ، لم تكشف اسمه ولكنها قالت انه ينتمي الى اكبر عائلات الضفة الغربية، وله صلات وثيقة بالحكومة الاردنية وبعض السفارات العربية في عمان .

من جهة اخرى ، يقوم المسؤولون الاردنيون

٢٠ ـ **الفارديان** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
٢١ ـ **داغار** ، ١٩٧٢/٨/٢٠ .
٢٢ ـ **الفارديان** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
٢٣ ـ **النهار** ، ١٩٧١/٨/٢ .

باستقبال بعض الاشخاص من الضفة الغربية والذين لهم ارتباطات وثيقة بالحكم الاسرائيلي . فقد « استقبل كل من السيدين احمد اللوزي رئيس الوزارة الاردنية وعبدالله صلاح وزير الخارجية اليوم المطران ابلتون رئيس الاساقفة الانغليكاني في القدس . وكان رؤساء الطوائف المسيحية في الضفة الشرقية من الاردن اصدروا في وقت سابق بيانا اعربوا فيه عن استهجانهم لتصريح صحافي نسب الى المطران ابلتون قال فيه انه يعارض تقسيم القدس من جديد وانه يؤيد ما يسمى القدس الكبرى . وكان السيد روحي الخطيب امين القدس المبعد اتهم المطران ابلتون بالارتباط بالصهيونية وذلك في مذكرة قدمها الى الحكومة الاردنية في شهر كانون الثاني الماضي »(٢٤). وليس تغاضي الحكومة الاردنية وسكوتها على زيارة بعض الشخصيات الرسمية « والمقربة » الاردنية للضفة الغربية ، سوى دليل اخر على هدف السياستين الاردنية والاسرائيلية ، سواء وقعت هذه الزيارات والاستقبالات ضمن « سياسة التعايش » « وحسن الجوار » ، او لما لهذه الاستقبالات والزيارات من علاقة بما يكون قد رافقها او تبعها من اجراءات وترتيبات بين البلدين .

ان معظم هذه الاجراءات — التي تقدم ذكرها بالاضافة الى اجراءات اخرى ، كترتيب التعاون في التخطيط لحركة الطيران فوق خليج العقبة(٢٥). وادخال بعض الصحف من الدول العربية الى الضفة الغربية ، قد تمت مؤخرا . كما ان البعض الاخر منها قد ادخلت عليه تحسينات كثيرة لكي تتفق اكثر والاهداف السياسية نتيجة « لتغيير الاوضاع » بعد تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن عام ١٩٧١ . بالاضافة الى ذلك كله ، هناك علاقات التبادل الاقتصادي والتجاري، والتي تعتبر من اهم الترتيبات القائمة بعد حزيران ١٩٦٧ . وقد لعبت هذه العلاقات دورا بارزا في التقدم نحو تحقيق الاهداف السياسية والاتصالات الاردنية الاسرائيلية المباشرة . فقد قامت منذ حزيران ١٩٦٧ وفود «غرف التجارة» و «الوجهاء» بزيارات عديدة للاردن وبعض الدول العربية ، لبحث الامور الاقتصادية والتجارية ، كازالة القيود على صادرات المنتوجات الزراعية ، وكوقف الاجراءات التي قد تفرض من مؤتمرات المقاطعة العربية على صادرات الضفة الغربية الى الضفة الشرقية والدول العربية . وقد كانت هذه الوفود وبعد سماح الحكم الاسرائيلي لها بالزيارة ، تقوم بمقابلة المسؤولين في الحكومة الاردنية لايجاد الحلول للمسائل العالقة .

ان السكوت على التبادل الاقتصادي يؤثر على العلاقة القائمة بين الاردن وسكان الضفة الغربية من جهة ، وهو مدخل لعلاقات اقتصادية بين الاردن واسرائيل من جهة اخرى ، تشكل قاعدة لعلاقات سياسية اصلب .

نرى مما تقدم ، ان هناك اتصالات واجراءات اردنية اسرائيلية جرت على مستويات مختلفة وباشكال متعددة ، لم تظهر نتائجها السياسية البعيدة المدى بشكل نهائي بعد ، لكن بوادرها اخذت بالظهور عند اعلان الملك حسين خطته التصفوية الجديدة الهادفة الى انشاء « المملكة العربية المتحدة » . ان مشروع الملك يشرح ويفسر هذه الاجراءات وهو نتيجة طبيعية لها ، ولا بد ان تقود في النهاية الى التفاوض المباشر العلني ، فمتى يحين الوقت لذلك ؟ ان كلا من الاردن واسرائيل يريد هذه المفاوضات ، ولكن تحقيقها مرهون بالتطورات الاخرى في المنطقة ، وفي الاوساط الدولية ، بحيث تستعمل هذه المفاوضات اداة للضغط على بقية الدول العربية المتصلة مباشرة بالصراع للقيام بنفس الاجراء . ان خطة الملك التصفوية الجديدة تبين ان صفقة « التسوية المنفردة » هي على طريق التنفيذ ، وهكذا فان المفاوضات قد تبدو اقرب في الوقت الحاضر مما كانت عليه في اي وقت مضى ، ويريد حسين من وراء مشروعه ان يجني نتائجها شرط ان يلقي تبعتها على بعض « الزعماء » و « الشخصيات » في الضفة الغربية ، ليقوموا بانفسهم بهذه المهمة، مدعين بانهم يفعلون ذلك باسم الشعب الفلسطيني .

---

٢٤ — **النهار** ، ١٩٧٢/٢/٦ .

٢٥ — يتضمن هذا الاجراء موافقة الاردن على ان يصغي برج المراقبة في مطار ايلات الى ما يصدر من تعليمات عن برج المراقبة في مطار العقبة ، بدلا من اقتراح اسرائيل القاضي بالتعاون الرسمي في هذا المجال لتفادي اصطدام الطائرات في الجو (نقلا عن **النهار** ، ١٩٧٢/٢/٢١) .

(٣) المقاومة الفلسطينية والرد على مشروع الملك حسين

بلال الحسن

قبل ان يعلن الملك حسين عن مشروعه الداعي لانشاء « المملكة العربية المتحدة » كانت كثير من الاوساط السياسية الفلسطينية والعربية ، تشم رائحة حدث سياسي خطير سوف يأتي من الاردن ، عبر المعلومات التي تناقلتها الصحف ، عن اجتماعات سرية جرت وتجري منذ مدة طويلة بين المسؤولين الاسرائيليين والمسؤولين الاردنيين. وقد ازدادت وتيرة هذه المعلومات تسارعا ، حين كشف الستار عن اجتماعات انور نسيبه مع جولدا مائير في القدس ، وكذلك حين اصبح واضحا أن النظام الاردني اعطى الضوء الاخضر لانصاره في الضفة الغربية لان يشتركوا في الانتخابات البلدية ، مقابل وعد من اسرائيل بالعمل على انجاحهم في بعض الدوائر . بل ان بعض الصحف نشرت معلومات عن اتفاق اردني — اسرائيلي حول مستقبل القدس ، وقبول الوجود الاسرائيلي فيها (المحرر ١٤ اذار ١٩٧٢) قبل ان يعلن الملك حسين ذلك رسميا في واشنطن يوم ٣٠ اذار في مقابلته الصحفية مع « النيويورك تايمز » . وحين نشرت مجلة الصباح الاردنية في ١٣ اذار ان العلم الاردني قد رفع فوق المسجد الاقصى في القدس ، كانت تضع بذلك اللمسة الاخيرة فوق ركام المعلومات المتسربة ، ولم يخف من دقة هذه اللمسة ، أن رسميي البلدية الاسرائيلية نفوا النبأ فورا . ولذلك لم تكن المفاجأة كبيرة حين قالت الصحف يوم ١٣ اذار ان الملك حسين سوف يعقد مؤتمرا صحفيا وصفه الرسميون الاردنيون بأنه « سيكون بالغ الاهمية » . بل ان نشرة المقاومة التي تصدرها الجبهة الديمقراطية كتبت تقول يوم ١٤ اذار « ان اتصالات عديدة كانت قد جرت في وقت سابق من هذا الشهر ومن الشهر المنصرم بين نظام الرجعية الاردنية وبين العدو الاسرائيلي ، وكانت قد ذكرت بعض الانباء المتسربة من الداخل، ان الملك حسين ابلغ مائير سرا موافقته على بقاء القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي ، كي تضم بصورة نهائية لاسرائيل ، مقابل رفع العلم الاردني على المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، وايجاد وضع يناسب الملك في الضفة الغربية ، وانجاز ترتيبات لاخضاع الضفة الغربية المحتلة لسلطة ملك عمان ، في ظل « استقلال » ذاتي وهمي ، يتسلم فيه عملاء القصر السلطة كاملة » .

الاتصالات والمعلومات : بينما كانت هذه الانباء تطرح في اوساط حركة المقاومة ، كان الملك حسين يجري في عمان اتصالات سياسية واسعة ، ويبلغ السفراء العرب والاجانب مشروعا حول صيغة دستورية جديدة للعلاقة بين ضفتي الاردن . وفي مساء اليوم نفسه استدعى ثلاث عشرة شخصية فلسطينية الى القصر الملكي ، وعرض عليهم المشروع ، مضيفا اليه معلومات اخرى حول طبيعته ومواقف الاطراف العربية والدولية منه . وكانت نشرة « فتح » اليومية ، التي تصدرها حركة فتح اول من نشر معلومات دقيقة حول جوهر المشروع في عددها الصادر صباح ١٥ اذار ، وتبين فيما بعد ان معلوماتها دقيقة مئة بالمئة . وقبل ان تنشر فتح نقاط المشروع ، كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير مجتمعة مساء ١٤ اذار للبحث في هذه التطورات ، وكانت امامها نقاط المشروع من جهة ، ومعلومات حملها رسول خاص من عمان من جهة ثانية ، ونقاش صاخب تلا ذلك حول الموقف المقترح ، وتوقيت هذا الموقف من جهة ثالثة . فما هي تفاصيل هذه القضايا الثلاث ؟

نقاط المشروع اصبحت معروفة وشائعة ، ولا داعي هنا لتكرارها . اما المعلومات التي نقلت الى اللجنة التنفيذية اثناء اجتماعها فتستدعي وقفة خاصة ، فقد وصل من عمان سريعا السيد نجيب الاحمد ، نائب جنين السابق ، والمعتمد السياسي لجيش التحرير الفلسطيني في الاردن ، موفدا من قبل بعض الذين حضروا اجتماع القصر ليبلغ اللجنة التنفيذية تفاصيل ما جرى في ذلك اللقاء ، مبينا ان الملك ابلغ المجتمعين النقاط الاساسية في مشروعه قائلا لهم أنه لا يطرح عليهم هذا المشروع للمناقشة ، بل للابلاغ فقط ، لان تنفيذ هذا المشروع سوف يتم فورا ، وسوف يتم فورا كذلك انشاء المؤسسات واتخاذ الترتيبات العملية التي يقتضيها . وذكر الملك في حديثه معلومات لم ترد في مشروعه الرسمي تقول بانه سيتم انشاء « قنصلية دولية » في مدينة القدس ، وسيرفع علم الدولة الجديدة على الاماكن

الاسلامية المقدسة ، بينما يرفع علم الفاتيكان على الاماكن المسيحية المقدسة . واضاف الملك نقاطا يمكن اعتبارها تبريرا سياسيا للمشروع ، ركز فيها على القول بأن اغلب الدول العربية ، والدول الاربع الكبرى موافقة عليه ، كذلك اغلبية القيادات في الضفتين ، وان سوء الوضع العربي يستدعي تحركا سريعا لايجاد مخرج يتجنب تكريس الاحتلال الاسرائيلي ، تكرارا لتجربة عام ١٩٤٨ ، وقد كانت النية ان لا يطرح هذا المشروع الا بعد انجاز التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، ولكن الضغوط الدولية فرضت ان يتم الاعلان عنه في هذا الوقت بالذات .

وبعد ان انتهى السيد نجيب الاحمد من عرض هذه النقاط ، ابلغ العميد مصباح البدبري رئيس اركان جيش التحرير الفلسطيني ان الملك حسين يوجه له دعوة رسمية لزيارة الاردن ، وانه سيستقبل اذا ابى الدعوة استقبالا رسميا على غرار ما يستقبل رؤساء اركان الدول*.

المواقف الرسمية : وفور تكامل صورة المعلومات هذه ، بدأ بحث اللجنة التنفيذية في الموقف السياسي المطلوب ازاء ذلك ، وهنا برزت ثلاثة مواقف : ١ ــ موقف الاعضاء الذين التزموا الصمت الكامل . ٢ ــ موقف الاعضاء الذين طالبوا بالتريث ، وعدم اصدار موقف سريع ، واعطاء الوقت اللازم للدرس والتفكير ، في محاولة للتهوين من شأن المشروع وقيمته . ٣ ــ الاعضاء المطالبون بموقف واضح وفوري يصدر عن اللجنة التنفيذية حتى لا يكون التأخر مجالا لاحداث اي بلبلة جماهيرية حول موقف حركة المقاومة من المشروع .

وازاء هذا الخلاف حول الموقف وتوقيته تقرر الاكتفاء ببيان يصدر عن السيد كمال ناصر بصفته الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير . ولكن لوحظ انه صدرت في نفس هذا اليوم ثلاثة مواقف حول المشروع . الموقف الاول صدر على لسان الاخ « ابو يوسف » رئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان وقال فيه ان المشروع « عملية اجهاض لحركة الثورة الفلسطينية ... وضربة لتطلعات الشعب الفلسطيني الذي يرى ان استعادة كامل حقوقه لا تتم الا من خلال عودته الى ارضه ، واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية » . والموقف الثاني صدر في نشرة « فتح » اليومية وجاء فيه ان خطة الملك تعتبر خطوة نحو « تصفية القضية الفلسطينية ... وان الثورة الفلسطينية وجماهيرها هي التي تملك ، في النضال والممارسة ، حق تقرير مصير الوطن الفلسطيني » . ولم يكن هذان الموقفان بالرغم من وضوحهما الكامل موقفين رسميين ، بينما كان الموقف الثالث الذي صدر عن الجبهة الديمقراطية موقفا رسميا ، اذ قالت في بيان سياسي صادر باسمها ان « السلطات الملكية الهاشمية في عمان تكشف خيانتها السافرة للقضية الفلسطينية ... وان فتح جبهة صدام وصراع عريض على امتداد الارض « الفلسطينية » ــ العربية ضد الصهيونية والامبريالية وحلفائها من الرجعيين العرب ... هي الطريق لاحباط المؤامرة » . وكان هذا البيان اول بيان سياسي يصدر عن تنظيم فدائي ، ويعلن فيه موقفا واضحا ضد المشروع .

في اليوم التالي (١٥ آذار) عقد الملك حسين مؤتمرا صحفيا اعلن فيه مشروعه ، وجاءت بنوده العملية مطابقة لما ورد قبل ذلك في نشرة فتح اضافة الى ديباجة تاريخية مليئة بالتزوير حول دور الاسرة الهاشمية تجاه القضية الفلسطينية . وازاء الاعلان الرسمي عن المشروع ، اصدرت اربع منظمات فدائية بيانات سياسية تحدد فيها مواقفها . الجبهة الشعبية اصدرت بيانا قالت فيه « ان المؤامرة الامبريالية الصهيونية التي خطا النظام العميل اليوم خطوته التنفيذية الاولى على طريقها ليست مؤامرة لتصفية قضية فلسطين تصفية نهائية فحسب ، وانما هي المباشرة العملية في نقل الصهيونية من حركة لاستيطان فلسطين واقامة كيان غاصب فوقها ، الى مرحلة صيرورتها امبراطورية امبريالية تهيمن على المنطقة باسرها » وقال بيان الجبهة « ان الوقوف في وجه هذا المخطط ليس مهمة حركة المقاومة الفلسطينية وجماهير شعب فلسطين فحسب ، وانما هو بالاضافة الى ذلك مهمة مجموع القوى الوطنية والتقدمية

---

* ملاحظة من رئيس التحرير : اوضح العميد البديري والاستاذ كمال ناصر في جريدة النهار ، في ٧٢/٣/١٧ ، ان السيد نجيب الاحمد هو ضابط في جيش التحرير « ولم يرسله الملك حسين او غير الملك » انما ارسله القائد العسكري في الاردن لجيش التحرير الفلسطيني للبحث في أمور مسلكية .

العربية » . اما الجبهة الشعبية الثورية فقد قالت في بيانها « ان اندفاع الملك حسين لتسليم الضفة الغربية لاسرائيل امر لم يكن بمقدور الملك الاقدام عليه لولا المناخ الذي ساد نتيجة لسياسة التراجع والتخاذل التي قادتها انظمة الهزيمة ... وان التصدي لمخططات الصلح مع اسرائيل يستدعي لمجابهتها استنفار اوسع القطاعات الجماهيرية ... وافساح المجال امام حركة المقاومة المسلحة للتصدي للعدو الصهيوني ، والكف عن محاصرتها والتضييق عليها » . وذكرت الجبهة الديمقراطية في بيانها « ان الجبهة الديمقراطية ومعها كل ابناء الثورة الشرفاء ، تعلن ادانة ورفض هذه الخيانة الهاشمية ، وتطالب جميع منظمات المقاومة أن ترفض فورا ، وتتخذ موقفا موحدا للمحافظة على الوحدة الوطنية لشعبنا ، واحباط محاولات مزيفة، وضرب الفلسطينيين بالفلسطينيين ، كما تهدف الصفقة الهاشمية الصهيونية الامبريالية ، بابراز فريق فلسطيني يقبل بالتنازل عن جزء من التراب الوطني » . وقالت الصاعقة في بيانها « ان الخطة لا تخرج عن كونها احد اخطر مشاريع تصفية القضية الفلسطينية ، وجر الفلسطينيين والعرب الى الاعتراف باسرائيل والتنازل عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في بلاده » .

وبالمقارنة مع مثل هذه المواقف الواضحة ، تابعت اللجنة التنفيذية صمتها ، واصدر السيد كمال ناصر البيان الذي اتفق عليه في اليوم السابق ، واكتفى البيان بالقول « لا تزال اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على درس الموقف ... باحساس عميق بالمسؤولية ... وتجري اتصالات سريعة وواسعة على المستويين القومي والدولي لاستجلاء كل معالم الصورة المقترحة ، وذلك تمهيدا لتحديد موقفها الكامل » . وقد اثار هذا الموقف المتريث للجنة التنفيذية قلقا واضحا في الاوساط الشعبية الفلسطينية ، عبر عن نفسه في سيل من البرقيات التي وردت الى اللجنة من كافة مخيمات اللاجئين في لبنان ، موقعة من ابناء المخيمات ، ومن قواعد المنظمات الفدائية في المخيمات ، تعلن كلها رفض المشروع ، وتطالب بالرد عليه، ويمكن القول ان اثنتي عشرة برقية على الاقل وصلت الى اللجنة التنفيذية خلال الاربع والعشرين ساعة التي تلت الاعلان الرسمي عن المشروع . كما عبر هذا القلق الجماهيري عن نفسه في ان كافة هذه البرقيات وجهت الى اللجنة التنفيذية بالذات ، وليس الى الرأي العام كما جرت العادة .

ومضى يوم اخر . وفي مساء ١٦ اذار وزع السيد كمال ناصر باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بيانا اعلن فيه رفض المشروع بصورة رسمية (نشر البيان صباح ٣/١٧ في كافة الصحف) . ومما جاء فيه « ان الملك حسين بمشروعه — الصفقة ، لم يتحد العرب بكل مؤسساتهم الرسمية والشعبية فحسب ، ولم يخرج عن الاجماع العربي ومقررات الامة العربية منذ خمسين سنة فقط ، بل تجاوز هذا كله ليعمل في المنطقة العربية دور الوسيط لفك عزلة الوحش الاسرائيلي واطلاقه على امتنا وبقية اقطارنا عبر « مملكة عربية » الاسم والسواعد اسرائيلية العقل والارادة . ومن هنا فان الملك حسين بمشروعه هذا ، لا يتحدى شعب فلسطين وحركة المقاومة فحسب ، بل ايضا الامة العربية جمعاء ، ومصير حركة التحرر فوق ترابها » . ومع ان صدور هذا البيان انهى عملية حبس الانفاس الجماهيرية بانتظار صدور موقف رسمي عن منظمة التحرير ، الا ان ملاحظة اساسية أبديت حوله ، وهو انه اكتفى باعلان الرفض دون ان يطرح بالمقابل خطة عمل مضادة لمواجهته .

وفي اليوم الذي صدر فيه هذا البيان اعلنت نشرة « فتح » اليومية ان اللجنة المركزية لحركة فتح عقدت بسلسلة من الاجتماعات ، بدأ على اثرها المجلس الثوري للحركة اجتماعات مهمة يدرس فيها موضوعات عديدة على جانب كبير من الاهمية. وبالمقابل تابعت لجنة ثلاثية منبثقة عن اللجنة التنفيذية ومشكلة من (خالد الحسن — زهير محسن — اديب عبد ربه) وضع النقاط الاساسية التي ستتضمنها مذكرة ترفع الى الملك والرؤساء العرب حول مشروع الملك حسين والموقف منه ، بينما سافر السيد ياسر عرفات الى بغداد لاجراء مشاورات حول الوضع مع المسؤولين العراقيين . وحين انتهت اجتماعات المجلس الثوري لحركة فتح (١٧ آذار) اصدرت فتح بيانها السياسي الاول حول المشروع واعلنت فيه رفض المشروع « وادانة اي شخص او طرف فلسطيني يحاول المشاركة فيها من قريب او من بعيد ، واعتباره خارجا عن ارادة الشعب الفلسطيني وخائنا لطموحه القومي ... ولا يحق للملك او اي طرف

اخر ان ينطق باسم هـذا الشعب او يتلاعـب بمصيره او يقرر نيابة عنه . وستقوم الثورة باتخاذ ما يلزم من اجراءات لضمان هذا الحق وتجسيده».

وذكرت فتح في بيانها ان المؤتمر الشعبي الـذي سيعقد في القاهرة في ٦ نيسان هو الذي سيحدد طبيعة الاجراءات التي تقتضيها المصلحة الوطنية، وقالت انها ستتقدم الى المؤتمر خطة عمل واضحة ومفصلة .

ولكن ابرز واهم ما جاء في بيان حركة فتح قولهـا ان « اسقاط النظام الملكي في الاردن اصبح الان يفرض نفسه على انه الهدف المرحلي الذي سيعيد الامور الى وضعها الطبيعي ، ويضع العلاقـات بين الشعبين الفلسطيني والاردنـي في اطارهـا الصحيح » . واهمية هذا الموقف تنبع من ان فتح تتبنى علنا للمرة الاولى موقفا يطالب باسقـاط النظام الاردني ، بعد ان عارضت ذلك طويلا حتى بعد معركة ايلول ١٩٧٠ ، مكتفية بصيغة « حكم وطني ديمقراطي » ، ومصرة ان ما عدا ذلك هو من مهام القوى الوطنية الاردنية .

فكرة البديل : ومن المفيد هنا ان نتوقف قليلا عند اجتماع المجلس الثوري لحركة فتح بسبب ما اثير حوله من اقـاويل بصدد فكـرة انشاء حكومـة فلسطينية في المنفى . ذلك انه منذ ان طرح مشروع الملك حسين ، برزت في الاوساط الفلسطينية ، وفي الصحافة العربية بكافة اتجاهاتها ، فكرة «البديل» لمشروع الملك حسين ، وظهرت نغمة قوية تقول بأن « حكومة المنفى » او « الحكومة الثورية المؤقتة » هي البديل المطلوب وذلك مقابل تيار اخر يطالب ببديل نضالي ، لا يكتفي بطرح القضايا المبدأية والاستراتيجية ، بل يقدم اجابات واضحة علـى القضايا الراهنة التي يواجهها النضال الفلسطيني وتعاني منها الجماهير ، سواء في ظل الاحتلال او في ظل ارهاب السلطة الاردنية . ففي ١٥ اذار مثلا نشرت انباء صحفية تقول ان مسؤولين في حركة المقاومة طرحـوا فكرة تشكيـل حكومة في المنفى (النهار) . وفي ١٩ اذار نقلت صحيفة الـرأي العام الكويتية تصريحا نسبته الى مصدر مطلع في حركة فتح قالت فيه « ان المجلس الثوري في فتح ناقش خلال اجتماعاته الاخيرة في بيروت موضـوع اقامة حكومة فلسطينية في المنفى لمواجهة مشروع الملـك حسين ، وان المجلـس الثوري لم يبـت بالموضوع واحاله الى المؤتمـر العام لفتح ...

وقالت هذه المصادر ان عددا من قادة فتح ... قد وافقوا على مشروع اقامـة حكومة في المنفى لاحباط مشروع الملك » ، وحين عقد الملك حسين مؤتمره الصحفي الثاني في ٢٣ اذار لعرض ردود الفعل على مشروعه سئل حول رأيه في « حكومة المنفى » واجاب بانها فكرة في غاية الخطورة ، وتقسم الفلسطينيين . وتكفي هـذه النماذج من الاقوال لتظهر مدى الاتساع الذي تم فيه تـداول فكرة انشاء حكومة في المنفى . ولكن السيد ياسر عرفات اعلن في بغداد نفيا قاطعا للانباء الصحفية التي ذكرت ان المجلس الثوري لحركة فتح ناقش موضوع تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى ، قائلا ان هذا الموضوع لم يطرح في مناقشات المجلـس اطلاقا . ولكن هذا النفي الواضح لم يقطع اللغط حول الموضوع ، وذلك بسبب عدة حوادث ملفتة للنظر ، اظهرت وجود توتر سياسي ما داخل بعض اوساط حركة المقاومة .

الحادث الاول تم حين ادلى مصـدر مسؤول في منظمة التحرير بتصريـح صحفي تنصل فيه مـن مسؤولية اللجنة التنفيذية عن المذكرة التي قدمها السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في المنظمة ، الى السفراء العرب في بـيروت (١٨ اذار) حول اسباب الرفض لمشروع الملك ، اذ جاء في التصريح المذكور قوله « ان المذكرة التي نشرت امس ليست المذكرة التي رفعتها اللجنـة التنفيذية لمنظمة التحرير الى الملـوك والرؤساء العرب ، حول تحليل مشروع الملك حسين ، بـل هو تحليل للخطة اعده احد قادة فتح » . ويعطي هذا التصريح للمذكرة صفة فردية ، بينما كـان هناك قرار رسمي بأن تضع لجنة ثلاثية منبثقة عن اللجنة التنفيذية نقاط المذكرة التي سترفع الـى الملوك والرؤساء العرب بواسطة السفراء .

والحادث الثاني تم بعد ان نشرت صحيفة الاهرام القاهرية (٢٣ آذار) مقابلة مع السيد خالد الحسن ايضا حدد فيها الاسلوب الذي تراه حركة المقاومة مناسبا لافشال مشروع الملك ، والبديل النضالي الذي تقترحه « المساواة ... على اساس حكـم وطني ديمقراطي دستوري » . وكانت المفاجأة حين ادلى مصدر مسؤول في حركة فتح ببيان حاد اللهجة جاء فيه « ان ما نشرته جريدة الاهرام ... مـن حديث نسبته للاخ خالد الحسن حول مشروع الملك حسين ، لا يمثل موقـف حركة فتح ... وبهـذه

المناسبة نود ان نلفت النظر الى ان مواقف حركة فتح الرسمية يجري الاعلان عنها عبر الناطق الرسمي ... وان اية تصريحات خارج هذا الاطار هي تصريحات شخصية غير ملزمة للحركة » . ويوحي هذا التصريح وكأن هناك موقفا سياسيا مختلفا عليه ، دون ان يحدد هويته .

اما الحادث الثالث فقد ابرزته مجلة الطلائع التي تصدرها منظمة الصاعقة في دمشق حين اعادت في عددها الصادر يوم ٣ نيسان نشر مقابلة كانت جريدة المحرر البيروتية قد اجرتها مع السيد سامي العطاري امين سر اللجنة التنفيذية ، بعنوان « لا لفكرة انشاء حكومة فلسطينية في المنفى » ، وكتبت مقدمة للمقابلة قالت فيها انها تريد تعميم وجهة النظر هذه على صفحات المجلة « للاستفادة منها في هذا الوقت الذي نسمع فيه همسا من بعض الاوساط الفلسطينية الداعية لاقامة حكومة فلسطينية في المنفى » ، دون ان تحدد المجلة الاوساط التي تعنيها .

وعشية انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة (٦ نيسان) برز الحادث الرابع حين اصدر اتحاد طلاب فلسطين بيانا بعنوان « لا لحكومة المنفى » . ومن المعروف ان اتحاد الطلاب تسيطر عليه حركة فتح ، مما طرح تساؤلا حول سبب اندفاع الطلاب للاعلان عن مثل هذا الموقف .

ان التوتر السياسي الداخلي الذي تبرزه هذه المواقف واضح للغاية ، ولكن لم يبرز بصيغة رسمية اي شيء حول طبيعة هذا التوتر ، يسمح بالحديث عن هويته ، ولكنه توتر تم ، كما هو واضح ، داخل اطار الاتجاه الاول الذي كان يناقش موضوع حكومة المنفى كبديل لمشروع الملك . الاتجاه الثاني في مناقشة قضية « البديل » ظهرت بوادره الاولى حين اعلنت حركة فتح انها ستتقدم الى المؤتمر الشعبي «خطة عمل واضحة ومفصلة». ثم دعت الجبهة الديمقراطية في بيان وزعته يوم ٢٠ آذار الى قيام « جبهة تحرير وطنية فلسطينية ـ اردنية موحدة » . وفي اليوم التالي اعلن « ابو يوسف » في كلمة القاها بمناسبة ذكرى معركة الكرامة « ان فتح ستطرح قريبا مشروعا متكاملا للوحدة الوطنية الفلسطينية الشاملة ، وتعرضه على العالم العربي » ، ولم يصدر اي توضيح حول طبيعة هذه الخطة الا يوم ٣٠ آذار حين اعلن ان « فتح » انتهت من وضع « مشروع متكامل للوحدة الوطنية الكاملة بين كل مقاتلي الثورة الوطنية » وان هذه الصيغة « هي اكثر صيغة وحدوية متقدمة حتى الآن ، وهي تشمل توحيد فصائل الثورة توحيدا كاملا في المجالات السياسية والعسكرية والمالية والاعلامية . وتتضمن هذه الخطة كذلك برنامجا سياسيا يحدد استراتيجية الثورة ومواقفها في المرحلة الراهنة » وان هذه الخطة عرضت في اجتماعات عدة مع القيادات الاخرى في حركة المقاومة خلال الايام الثلاثة الماضية ، وان هذه الاجتماعات ما زالت مستمرة . وبالمقابل نشرت مجلة الطلائع التي تصدرها منظمة الصاعقة في دمشق في عددها الصادر يوم ٣ نيسان نص مشروع « الجبهة الوطنية المتحدة » وقالت انه نتيجة لمناقشات مطولة بين فصائل المقاومة « تولى الرفيق نايف حواتمه مشكورا اعداد المشروع الذي ننشره بنصه الحرفي، لتقديمه الى اللجنة التنفيذية لمناقشته واقراره قبل انعقاد المجلس الوطني » . وقد لوحظ ان ما ورد في التقارير المقدمة باسم اللجنة التنفيذية الى المؤتمر الشعبي حول قضايا الوحدة الوطنية السياسية والتنظيمية ، تضمن الشيء الكثير من المشروع الذي نشرته مجلة الطلائع . وقد نوقشت قضية الوحدة الوطنية هذه المرة ، والبرنامج السياسي الفلسطيني والاردني والعربي الذي ستقوم على اساسه ، من منطلق تقديم البديل النضالي لمشروع الملك حسين .

رد الفعل الشعبي : الى جانب البحث الرسمي الفلسطيني في المشروع ، سواء على صعيد منظمة التحرير ، او على صعيد كافة الفصائل الفدائية الاخرى ، كان هناك تحرك شعبي واسع رسم منذ اللحظات الاولى موقفا جماهيريا موحدا .

ففي لبنان : صدرت بيانات شجب المشروع شملت سكان كافة المخيمات الفلسطينية بالاضافة الى مجموعة من المظاهرات والاضرابات والندوات الجماهيرية التي جرت في اكثر من مخيم وعلى امتداد اكثر من اسبوعين من الحيوية السياسية اليومية، وساهمت في هذا النشاط بشكل بارز قواعد المنظمات الفدائية من الميليشيا والكوادر السياسية ، كذلك لعبت الاتحادات الشعبية في كافة المناطق دورا بارزا في تحريك وبلورة عملية الرفض الجماهيري للمشروع . وفي نطاق هذا النشاط عقدت عشر هيئات فلسطينية اجتماعا موسعا في مركز الابحاث

الفلسطيني يوم ١٨ آذار ، تدارس فيه المجتمعون بحضور مندوبين عن حركة المقاومة واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، مشروع الملك واسلوب الرد عليه ، وصدر عن الاجتماع بيان سياسي نشرنا نصه في مقدمة العدد الماضي من «شؤون فلسطينية».

وفي ٢١ آذار شاركت فصائل حركة المقاومة الاحزاب التقدمية اللبنانية في تنظيم مظاهرة شعبية ضخمة ضمت اكثر من ٥٠ الف متظاهر ، القى في نهايتها الاخ « ابو يوسف » كلمة قال فيها « ان الثورة تؤكد ان لا مساومة مع النظام العميل ، ولا مهادنة بعد اليوم حتى تنتصر الثورة » .

كذلك عقدت في النادي الثقافي العربي في بيروت ندوة ساهمت بها اربع منظمات فدائية (فتح ــ الشعبية ــ الديمقراطية ــ جبهة التحرير العربية ــ والاستاذ منح الصلح) ناقشت فيها مشروع الملك ، مركزة على اسلوب الرد عليه، سياسيا وتنظيميا .

وفي سوريا : عاشت المخيمات الفلسطينية نفس حالة النشاط السياسي التي شهدتها مخيمات لبنان، ووزعت فصائل حركة المقاومة بيانا مشتركا اعلنت فيه ان خطة الملك « اعتراف بالكيان الصهيوني التوسعي » . وقامت الاتحادات الشعبية بتنظيم سلسلة من المهرجانات الشعبية في المخيمات والمدارس . وفي ٢٠ آذار انطلقت في دمشق مظاهرات شعبية كبيرة ضد المشروع .

وفي العراق : نظمت فصائل حركة المقاومة والاحزاب الوطنية والتقدمية مظاهرة ضخمة انطلقت في شوارع بغداد الرئيسية يوم ١٦ آذار ، كان شعارها الرئيسي « الثورة مستمرة » ، كذلك جرت مظاهرات احتجاج اخرى في مدينة بعقوبة شارك فيها « الحزب الديمقراطي الكردستاني » .

وفي الكويت : اصدر (١٨) اتحادا وجمعية فلسطينية وكويتية بيانا دعوا فيه الشعب العربي الى مزيد من التضحية « لاحباط المؤامرة التصفوية » ، ثم عقدت هذه الهيئات اجتماعا شعبيا كبيرا في مقر جمعية المعلمين لبحث « وسائل الرد على المشروع » .

وفي القاهرة : اصدرت ستة اتحادات شعبية فلسطينية بيانا يوم ١٦ آذار وصف المشروع بانه « المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية » ، ثم تظاهر الطلبة الفلسطينيون في القاهرة ضد مشروع الملك يوم ١٩ آذار ، وحاولوا اقتحام السفارة الاردنية ، وحين منعتهم الشرطة قدموا مذكرة احتجاج عنيفة اللهجة .

وبالاضافة الى كل هذا النشاط الشعبي كان هناك موقفان أردنيان بارزان ، موقف الحزب الشيوعي الاردني الذي أصدرت لجنته المركزية بيانا جاء فيه « ان طرح المشروع اضاف مصاعب جديدة وسلبيات جديدة الى الوضع المتردي في الاردن ، والى الوضع العربي بجملته » . وكذلك موقف « اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الاردنية » حيث أصدرت بيانا تميز بلغة جديدة لم تكن ترد في بيانات اللجنة من قبل، وذلك بدعوتها الى « اقامة **الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية الموحدة** » ، وبدعوتها ايضا الى « تعزيز الروابط النضالية بين ابناء فلسطين والاردن من خلال طرح **برنامج وطني لوحدة الضفتين على اساس وطني بعيد عن روح الاقليمية البغيضة** التي كرسها الحكم الاقليمي الانفصالي في الاردن » . والجديد في هذا الموقف انه يدعو الى جبهة أردنية فلسطينية موحدة ، بينما كان التوجه السابق يركز على نضال اردني « متحالف » مع النضال الفلسطيني .

ان هذه الصورة المختصرة كافية لتبرز مدى الشمول الشعبي الذي عبر عن نفسه بوضوح ، رافضا مشروع الملك وداعيا لمقاومته ، والرد عليه بأساليب نضالية تحفظ للقضية الفلسطينية مكانتها وثوريتها. وتبقى في هذا المجال قضية جديرة بالتسجيل ، تتناول موقف السيد أحمد الشقيري . فحين وصل الى القاهرة السيد بهجت التلهوني موفدا من قبل الملك حسين لشرح المشروع للمسؤولين المصريين ، عقد اجتماع ضم كلا من صبري الخولي وبهجت التلهوني واحمد الشقيري (١٨ آذار) ، واعلن ان الشقيري وضع أمام التلهوني خمسة شروط تبدأ بأن يسحب الملك مشروعه وتنتهي باعادة حركة المقاومة الى الاردن ، وفي اليوم التالي نشرت « الاهرام » صورة للاجتماع الذي تم على صفحتها الاولى . وقد تم تناول هذا الحادث من زاويتين : الزاوية الاولى تلاحظ ان قبول الشقيري الاجتماع مع مندوب الملك يشكل خروجا على الاجماع الفلسطيني برفض المشروع ، ورفض مجرد البحث فيه مع رجال السلطة الاردنية . وتعقيبا على ذلك قال مسؤول في حركة فتح في بيروت « ان السيد الشقيري لا يمثل الا نفسه ، وان الثورة

الفلسطينية وجماهيرها ، في الوقت الذي تسجل ادانتها لاي لقاءات تتم مع مندوبي الملك ، فانها تعلن بأن هؤلاء وحدهم يتحملون مسؤولية هذه اللقاءات » . والزاوية الثانية ترى ان هذا الموقف من الشقيري هو محاولة للبروز تمهيدا للعودة الى العمل السياسي ، وان هذه المحاولة تلقى القبول والدعم من القاهرة . خاصة وان وسائل الاعلام أخذت تنقل في الفترة الاخيرة ، كافة نشاطات السيد الشقيري السياسية . ولكن مجرى الاحداث لم يؤكد هذا الانطباع، وظهر ذلك بوضوح في اجتماعات المؤتمر الشعبي .

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وأدق سجل علمي شامل

للقضية الفلسطينية

في تطوراتها واحداثها واخبارها

مدة ست سنوات كاملة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧٠/١٢/٣١)

اثنا عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٦٣٠٠ صفحة من القطع الكبير

سعر المجموعة ١٣٠ ل.ل.

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ بيروت ــ لبنان

(٤) ردود الفعل العربية

ناجي علوش

أحدث مشروع الملك حسين ردود فعل كبيرة في الوطن العربي . وعلى الرغم من ان ردود الفعل ليست بحجم الحدث ولا تشكل ردا فعالا عليه ، الا أنها ردود فعل كبيرة ، بالنسبة لما كان متوقعا ، ذلك ان المنطقة بما يرين عليها من غيوم الاستسلام، وبما تهيأ له من نكسات جديدة ، كان يراد لها ان تقبل البادرة بلا احتجاج ولا استنكار . ومع ذلك حدثت ردود فعل يمكن تصنيفها كما يلي :

١ ــ ردود الفعل الرسمية . وقد اختلفت من بلد الى بلد ، ولكنها تصنف كالاتي :

ا ــ رد الفعل العراقي الذي عبر عنه العراق بالبيان الذي أعلنته بغداد يوم ٣/١٦ والذي جاء فيه : « اولا : شجب ومقاومة الموقف المتخاذل للحكم الاردني العميل وكل المشاريع المتخاذلة والاستسلامية المشابهة . ثانيا : استجابة للمهام العظيمة والخطيرة التي تواجه الامة العربية اليوم ، وتقديرا منا لما يجب ان نلعبه من دور قيادي بتعزيز الصمود ومنع الانهيار وايقاف التداعي ، فقد قررنا ان نتحرك للقاء مع اشقائنا في قطري سوريه ومصر ، وان نطرح عليهم مشروعا وحدويا فوريا يعزز امكانيات الصمود ويطوق التداعي ويجهض التآمر ويلغي كافة المشاريع والحلول الاستسلامية » (الثورة العراقية ٣/١٧/ ٧٢) . ولقد تحرك صدام حسين فعلا الى دمشق والقاهرة من اجل مناقشة المشروع الوحدوي في دمشق والقاهرة ، ولكن لم تعلن نتائج ايجابية . على كل حال ان هذا الاعلان الذي يدرك خطورة المرحلة وخطورة المهمات المطروحة فيها ، اعلان هام . الا ان تنفيذه هو الاهم منه فهل ينفذ ؟ ان هذا يعتمد على مجموعة عوامل داخل العراق وخارجه ولا يبدو ان هذه العوامل ستكون طيعة ، ولكن لا بأس ليكن البيان منطلقا تتبعه خطوات وخطوات مثابرة ومتأنية .

أدان العراق الرسمي اذن المشروع وطالب بتحقيق خطوة وحدوية لمجابهة الموقف ، ولكنه لم يقطع العلاقات مع الاردن ، ولا اغلق الحدود معه وان كان قد رفض استقبال وفد رسمي اردني أرسل لشرح المشروع .

ب ــ رد فعل جمهورية مصر العربية : أعلن الرئيس السادات في افتتاح المؤتمر الشعبي الفلسطيني قطع العلاقات مع الاردن ، واعتبر ذلك مجرد خطوة . قال السادات : « ونحن نرى ان ذلك المشروع الذي قصد منه افراغ القضية الفلسطينية من مضمونها خروج عن الخط العربي لا يمكن قبوله . واذا كنا سنقابله بمجرد الكلمات فمعنى ذلك ان اشرف أهداف نضالنا معروضة للبيع والشراء ، كما يشاء الاعداء ، او كما تشاء الاهواء . وفيما يتعلق بجمهورية مصر العربية ، فاننا الان نقوم بمشاورات واسعة بغية تحديد مواقف موحدة تجاه هذا الخروج على الخط العربي . وحتى يتم ذلك وتحدد الوسائل والخطى التي يجب ان نتحرك من خلالها فان جمهورية مصر العربية قد قررت قطع كل علاقاتها مع الاردن » (الجمهورية ٧٢/٤/٧) .

ومع ان جمهورية مصر العربية كانت قد استقبلت رسل النظام ، فان قطع العلاقات جاء ضربة للنظام الهاشمي ، لها وزنها وأثرها ، وذلك نتيجة لما لمصر من وزن وأثر في السياسة العربية . وكانت جمهورية مصر العربية قد اعلنت قبل ذلك عن تحرك سياسي واسع يشمل كل الدول العربية . (الجمهورية ٧٢/٣/٢٣) . وقامت وفود مصرية على أعلى المستويات بزيارة اكثر من بلد عربي .

ج ــ الدول التي رفضت المشروع :

في الجزائر : أعلن ناطق باسم وزارة الخارجية رفض الجزائر للمشروع « جملة وتفصيلا » ووصفه بأنه : « خيانة جديدة لفلسطين » . وأضاف « ان الجزائر ، مثلها مثل الدول العربية الاخرى لديها من الاسباب الموضوعية ما يجعلها تشتبه في المبادرات الصادرة عن عمان . ان مشاورات تجري الان بين الدول العربية وبين المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى ، بحثا عن افضل الوسائل لتفشيل هذه المناورة الجديدة الموجهة ضد الشعب الفلسطيني وضد وحدته ... ان مشروع الملك حسين الذي يتعارض مع رأي مجموع الشعوب العربية لم يأخذ في عين الاعتبار لا موقف قيادة الشعب الفلسطيني ، ولا حتى رأي قادة البلدان

العربية » (النهار ١٩٧٢/٣/١٧) . ثم عاد وزير خارجية الجزائر فأكد رفض المشروع بعد اجتماعه بمبعوث الملك حسين (العمل ٧٢/٣/٢٥) .

وفي الكويت : استعرض مجلس الوزراء الكويتي مشروع الملك حسين في جلسته المنعقدة يوم١٦/٣ . ولكنه أرجأ اعلان رأي الكويت في الموضوع حتى تتم معرفة رأي منظمة التحرير ، ثم أرجىء اعلان موقف الحكومة الى ما بعد زيارة المبعوث الاردني. وفي ٣/٢٢ اعلن مجلس الوزراء قراره الذي أعلنه وزير الدولة والذي جاء فيه : « والان وبعد استكمال الحكومة لاتصالاتها واتمام دراستها للمقترحات ، وانطلاقا من موقفها المعروف من هذه القضية المصيرية ، فانها تؤكد ان المنطلق الاول يجب ان يكون تحرير الارض العربية . وعندما تحرر ارض فلسطين التي ترزح تحت نير الاحتلال فان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق في تقرير مصيره ، ونحن نؤيد ونساند القرار الذي ينبع من الارادة الحرة للفلسطينيين انفسهم ، ومن ثم فاننا لا نوافق على المشروع الذي تقدم به جلالة الملك حسين في بيانه الاخير . ولا نرى جدوى من وضع نظرية لا تأخذ بعين الاعتبار رأي الشعب الفلسطيني ، كما لا تحوز رضى وقناعة الامة العربية » (الرأي العام ٣/٢٣) .

وفي عدن : أدانت حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مشروع الملك حسين ووصف رئيس وزرائها هذا المشروع بأنه « أتى لينفذ ما ظل الصهاينة يطمحون لتحقيقه والوصول اليه طيلة الاعوام التي تلت النكبة ١٩٤٨ (النداء ٧٢/٣/١٧). **وفي لبنان** : صدر بيان عن قصر بعبدا بعد زيارة الوفد الاردني جاء فيه ان الرئيس فرنجية أكد مجددا موقف لبنان « بأن كل حل لقضية فلسطين يجب ان يقوم على انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وعلى احترام حقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حق تقرير المصير » (النهار ٧٢/٣/٢١) .

وفي طرابلس : أعلنت الجمهورية العربية الليبية انها ترفض « استقبال أي موفد رسمي موفد من الملك حسين لشرح مشروعه الرجعي بصدد اقامة ما وصف بمملكة عربية متحدة من ضفتي الاردن » . ومما يذكر ان هذا هو التعليق الرسمي الاول الذي صدر من طرابلس الغرب . (النهار ٧٢/٣/١٨). **وفي دمشق** : رفضت سورية المشروع و « كل المشاريع التصفوية » (بيان القيادة القومية لحزب البعث النهار ٣/١٩) . واعلن الرئيس حافظ الاسد في خطاب جماهيري « كان موقفنا من المشروع وتقييمنا له منذ اول لمحة انه مشروع منطلق من مخططات امبريالية صهيونية لاقامة كيان فلسطيني خاضع لنفوذ اسرائيل ... اننا لا يمكن ان نعتبر اقدام اي فرد او اية دولة عربية على اقتراح اي حل منفرد والسير فيه الا خروجا على ارادة الامة العربية وتنكرا لاهدافها ، وتحقيقا لمخطط العدو ... » (الطلائع ٧٢/٤/١٠) .

وكان رأي **الخرطوم** هو الرأي الشاذ الوحيد من الآراء الرسمية المعلنة . فقد اعترض الرئيس النميري على « العجلة التي قوبل بها المشروع دون ان تتاح لاحد فرصة لالتقاط الانفاس تمكنه من الدراسة الواعية التي تنفذ الى الجوهر ، متعدية الشكل ... » كما حاول الرئيس النميري ان يثبت ان المشروع ينطلق من منطلق محلي « لا يتجاوز حدود الاردن ... » . ودعا الرئيس النميري الى اجتماع قمة عربي لدراسة المشروع (مجلة القوات المسلحة ٧٢/٣/٢٥ ، اللواء ٧٢/٣/٢٦) .

٢ — ردود الفعل الشعبية : قامت في البلاد العربية حملات استنكار تراوحت بين البيانات والمظاهرات ، كما ان الصحف شاركت في حملات الاستنكار هذه .

أ — على صعيد البيانات : في لبنان أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا هاجمت فيه المؤامرة التصفوية التي أعلن عنها الملك ودعت الى تظاهرة تجري الثلاثاء يوم ٣/٢١ (النهار ٧٢/٣/١٨) . وفي بغداد اصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بيانا ندد فيه بالمؤامرة (النداء ١٧/ ٧٢/٣) . وفي الكويت : أصدرت المنظمات والهيئات الشعبية والاتحادات الطلابية عدة بيانات « استنكرت فيها المشروع الملكي واكدت رفض الجماهير العربية له » (النداء ٧٢/٣/١٧). وفي القاهرة : نددت الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب بالمشروع . (النداء ٧٢/٣/١٧) . وفي بيروت : صدرت عدة بيانات عن الاتحاد العام لطلبة الاردن ، ومن الاتحاد العام لنقابات العمال في الاردن ، ومن التجمع التقدمي للمرأة العربية ، ومن انصار الجبهة الوطنية الاردنية . (النداء ٧٢/٣/١٧) . وفي القاهرة : اعلن المجلس القومي للسلام في مصر رفضه لمشروع الملك حسين بشأن

انشاء المملكة العربية المتحدة . (النداء ٢١/٣/ ٧٢) . وفي الرباط : ندد الامين العام لاتحاد نقابات المعلمين في البلدان العربية بمشروع الملك حسين (النداء ٢١/٣/٧٢) .

ب ــ على صعيد المظاهرات : في دمشق : قامت مظاهرات في دمشق وبعض المدن السورية استنكارا لمشروع الملك حسين ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها : « الجماهير العربية ترفض مشروع حسين الانهزامي » و« الامبريالية الاميركية والصهيونية وراء مشروع حسين » و« الفلسطينيون طلائع حرب التحرير » (النداء ٢١/٣/١٩٧٢) . وفي بغداد : اعلن ان مظاهرة حاشدة جرت في بغداد واخرى في بعقوبة . وقد عبرت الجماهير عن استنكارها للمشاريع الاستسلامية . (لسان الحال ، ١٨/ ٣/٧٢) . وفي بنغازي : شهدت المدينة مسيرة طلابية طافت بشوارع وميادين المدينة معلنة استنكارها الشديد للموقف الذي اتخذه الملك حسين . (الانوار ١٨/٣/٧٢) .

ج ــ على صعيد الصحف ووسائل الاعلام الاخرى: شاركت الصحافة العربية ووسائل الاعلام الاخرى، في القاهرة والجزائر ودمشق وبغداد وطرابلس خاصة وفي البلاد العربية عامة ، في فضح المشروع التآمري التصفوي . كما ان الصحف في تونس هاجمت المشروع واستنكرته .

د ــ ولا تقل اهمية عن بيانات الاستنكار ومظاهرات السخط والغضب الدراسات والمقالات التي كتبها مفكرون عرب في أماكن مختلفة من الوطن العربي ونود هنا ان نشير الى دراستين لاحمد بهاءالدين نشرهما في الاهرام ١٩/٣ و٢٦/٣/٧٢ ، وكان اهم ما أكده احمد بهاءالدين في الدراسة الاولى (١٩/ ٣/٧٢) ان المشروع : « قد يكون « قشرة موز » اخرى دسها احد تحت اقدام العرب لمزيد من التنازلات والانشقاقات ، ولتأكيد عزلة الدول العربية عن بعضها البعض » . « لقد بات مسلما به ان الفلسطينيين موجودون ، وان لهم دورا في حسابات اي مرحلة ، والمعركة التي يبدو ان هذا المشروع يريد ان يحسمها هي : من يمثل الفلسطينيين ؟ من يتحدث باسمهم ؟ والى اي مدى ؟ » . « وبغير قيادات واعية واسعة الافق ، ومستعدة لاستيعاب كل اطراف ومشاعر الشعب الفلسطيني ، سوف يواجه الفلسطينيون بالمشروع الجديد مذبحة سياسية بعد مذابحهم العسكرية...»

« وليس مهما هنا الرفض فحسب ، فانه لا يؤتي ثمرة ولا يعرقل شيئا ، خصوصا اذا صدر من مركز الضعف . ولكن المهم هو المبادرة ، وهو البحث عن البديل » .

واحمد بهاءالدين يعود ليؤكد من جديد هذه الحقائق في دراسة اخرى (٢٦/٣) . فالشعب الفلسطيني موجود و« الكل ــ الدول الكبرى ، العرب طبعا ، واخيرا الملك حسين ، وربما اسرائيل يعترفون بأن هنالك شعبا فلسطينيا ، وانه طرف لا بد من ايجاد دور له » . ولكن الصراع يدور بين الذين يريدون : « شعبا فلسطينيا معينا ، يختارون جمهوره ، ويعينون له قياداته ، وبالتالي يوجهونه عبر سلسلة من الاجراءات التي يخلق كل منها أمرا واقعا جديدا ، الى قبول الحل الذي يريدون » . وبين الذين يعترفون « بوجود شعب فلسطين ولكن بشرط ان يضم كل من هو فلسطيني ، وبدون شرط مسبق لهذه « الفلسطينية » يضعه احد ، ويكون له بهذا الوضع حق اختيار قياداته وممثليه الحقيقيين ... وبالتالي اختيار المستقبل الذي يريد » . « ولن يكسب الصراع من يرفض ويسكت ، ولكن سيكسبه الطرف الذي يستطيع ان يبني قيادة فلسطينية شاملة ... وهو الطرف الذي يستطيع ان يعطي هذا الجسد برنامجا حقيقيا للتصرف والعمل ، برنامجا لليوم القريب وبرنامجا لليوم البعيد ، برنامجا لهذه المرحلة وللمراحل المقبلة ». ويزيد على ذلك : « واذا لم تتمكن المقاومة الفلسطينية ، من ان تحقق هذا العمل ــ الذي اعرف صعوباته الضخمة ــ فانها تعرض نفسها وتعرض الشعب الفلسطيني لخطر جسيم . هل يمكن وضع برنامج بديل ؟ اعتقد انه ممكن » .

ولكن ما هو هذا البرنامج ؟ ان للمرحلة الراهنة برنامجا ولكن أليس هو برنامج المحافظة على الذات وتطوير القوى واستمرار القتال وتصعيده في الارض المحتلة وتصعيد حملات اسقاط النظام الاردني ؟ ان طرح القضية على هذا الشكل يوحي بأن هنالك بديلا آخر . كنا نتمنى لو عمل الاستاذ احمد بهاءالدين على جلاء هذه النقطة .

ختاما نستطيع ان نقول ان ردود الفعل العربية هي مجرد ردود افعال منفعلة لا فاعلة ، وان الحدث يقتضي عملا منظما واعيا دؤوبا لمواجهته ، ولكن هذا ما تعودناه من السياسة العربية .

(٥) مشروع الملك حسين دوليا
صادق جلال العظم

من الواضح ان لخطة الملك التصفوية في اقامة المملكة العربية المتحدة ابعادا دولية هامة لم يخفها في مشاوراته ، كما ذكرت مصادر مطلعة ، حيث قال ان مشروعه يتمتع بتأييد الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وان الاتحاد السوفياتي لم يبد اية معارضة مسبقة له . ويبين هذا الكلام ان ما تقوله الاوساط المعارضة للمشروع حول المصدر الامريكي الرئيسي لفكرة المملكة العربية المتحدة لا يجانب الصواب ابدا . ومن جهة اخرى حاول وزير الخارجية الاردني تبرير المشروع باعطائه بعدا دوليا عن طريق ربطه بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقوله بان المشروع ليس الا وسيلة لتنفيذ قرار مجلس الامن واثارة اهتمام الاسرة الدولية بالنزاع في الشرق الاوسط بعد الركود الذي هيمن عليه منذ فترة . وبعد الاعلان عن خطة المملكة المتحدة بفترة قصيرة قام الملك حسين بزيارة لواشنطن هدفها اجراء محادثات مع الرئيس نيكسون والحكومة الامريكية حول المشروع اياه وحول المساعدات المالية والعسكرية الامريكية للنظام الملكي في الاردن . ومن الامور التي تدل على اهمية المحادثات في واشنطن قيام مستشار الرئيس نيكسون هنري كيسنغر بقطع اجازته في المكسيك من اجل المشاركة في الاجتماعات مع الملك الذي تباحث ايضا مع وزير الخارجية وليم روجرز ووزير الدفاع ملفين ليرد ومع لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الامريكي . وصرح الناطق الصحافي باسم البيت الابيض معلقا على زيارة الملك قائلا ان الرئيس نيكسون وعد ببذل كل ما في وسعه من اجل مساعدة الاردن ، كما اعتبر مشروع الملك « محاولة لمساعدة الفلسطينيين على تحديد مستقبلهم بانفسهم مما يشكل خطوة الى الامام نحو توفير الظروف اللازمة للسلام في الشرق الاوسط » . بعبارة اخرى ان هدف هذه الترتيبات الدولية هو تصفية كفاح الشعب الفلسطيني عن طريق التلويح له بكيان من نوع ما يستقر فيه ويكتفي به . وجدير بالذكر انه عشية سفر الملك حسين الى واشنطن اعلن سيسكو بان الوضع في الاردن قد اصبح اليوم افضل بكثير عما كان عليه في عام ١٩٧٠ من ناحية استقرار الامن واستتبابه وان الاردن لا يمكن ان يتخلى عن اليقظة وحالة التأهب بالنسبة لهذا الموضوع . وكي يتمكن الملك من الاستمرار في فرض النوع الامريكي من الامن والاستقرار في الاردن طالب ، اثناء زيارته ، برفع قيمة المساعدات المالية التي يتلقاها من امريكا من حوالي ٤٠ الى ٥٥ مليون دولار وبزيادة المساعدات العسكرية لجيشه .

على هذا الاساس ذكر سيسكو في خطاب له ان بلاده ستقدم مزيدا من الاسلحة للملك لتمكنه من المحافظة على الامن الداخلي في الاردن ولحماية البلاد من اي هجوم خارجي ! كما ترددت انباء مؤكدة تفيد بان امريكا ستزود سلاح الطيران الاردني بطائرات فانتوم (من نوع ف ٥ وهي اقل تعقيدا من طائرات ف ٤ التي تعطى لاسرائيل) . وكان من اهم نتائج زيارة الملك حسين للولايات المتحدة اعلانه الصريح في التخلي عن مدينة القدس نهائيا للاحتلال الاسرائيلي . اعلن الملك هذا الموقف في مقابلة مع « النيويورك تايمز » في اخر شهر اذار وبعبارات تتطابق تماما مع الموقف الامريكي حيال المدينة الذي يرفض ضمها بصورة رسمية من قبل الاسرائيليين ولكن يصر على ابقائها موحدة كي لا تعود الامور الى ما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ . اي انه تم التنازل عن مطلب عربي اساسي في استراتيجية تصفية آثار العدوان ، اذ قبل الملك بادارة اردنية — اسرائيلية مشتركة لمدينة القدس مع بقائها موحدة وعاصمة لدولة اسرائيل . اما الادارة الاردنية فلا يمكن ان تتعدى الاشراف على الاماكن المقدسة الاسلامية في افضل الاحوال . ووفقا لهذا المخطط المتمم لمشروع المملكة العربية المتحدة تحصل اسرائيل على الحدود المفتوحة مع العرب وهو مطلب اساسي من مطالبها للوصول الى تسوية النزاع في المنطقة. كذلك ترك الملك حسين احتمالات عقد صلح منفرد مع اسرائيل مفتوحة ، ولم يستبعد هذه الاحتمالات في احاديثه ومقابلاته مع الصحافة والتلفزيون في امريكا . وترددت انباء صحفية ايضا بان الملك سيزور كلا من باريس ولندن لاجراء محادثات مع كبار المسؤولين في العاصمتين الاوروبيتين . كما

ذكرت هذه الانباء انه قد يزور موسكو لنفس الغرض ، وان الرئيس نيكسون نفسه قد يقوم بزيارة كل من اسرائيل وايران والعربية السعودية بعد انتهاء رحلته الى الاتحاد السوفياتي في ايار .

ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد ان التعبير عن التأييد الرسمي في البلدان الغربية لمشروع الملك حسين كان مقتضبا ، وان التعليقات عليه كانت مختصرة جدا . وقد فسرت الاوساط الدبلوماسية الامريكية هذا الوضع بقولها « ان اي تأييد علني للمشروع قد يسيء الى الملك حسين اكثر مما يفيده » . لذلك اكتفى وليم روجرز في تعليقه على المشروع بالقول انه « مطلع على تطورات الشرق الاوسط المتعلقة بالملك حسين ولكنه لا يريد ان يتحدث علنا عن ذلك في الوقت الحاضر » . اما الاوساط البريطانية الرسمية فقد اكتفت ايضا بالقول ان خطة الملك يمكن ان تقلب المعطيات الحالية لازمة الشرق الاوسط خاصة اذا صح الاعتقاد بوجود تفاهم ضمني مع الحكومة الاسرائيلية حول الموضوع . وفي باريس قال الرئيس بومبيدو ان خطة الملك تتضمن اعترافا بالواقع الفلسطيني وانها خطوة نحو التسوية النهائية . وعلى صعيد آخر كشفت الصحافة الفرنسية الاسبوعية (نوفيل اوبسرفاتور والاكسبرس) ، في معرض تعليقها على مشروع الملك ، وثائق تثبت وجود اتفاقات واتصالات سرية بين الحكومة الاردنية واسرائيل تبين ان خطة الملك كانت نتيجة مفاوضات سرية دارت منذ شهرين بين رئيسة وزراء اسرائيل ومبعوث مفوض من الملك حسين ــ انور نسيبة . كذلك ذكرت هذه الصحافة ان حسين قبل في هذه الاتصالات الشروط التي طرحها ابا ايبان في اجتماع عقده مع الملك نفسه في لندن في ايلول ١٩٦٨ حيث عرض الوزير الاسرائيلي مشروع آلون الذي ينص على تجريد الضفة الغربية من السلاح ، والاحتفاظ بمراكز عسكرية اسرائيلية على طول نهر الاردن ،واجراء تعديلات طفيفة على الحدود ، والاحتفاظ بالقدس كعاصمة لاسرائيل ، مقابل اعادة الضفة الى النظام الاردني . اما الاتحاد السوفياتي فقد اعلن عن موقفه من مشروع الملك في اواخر شهر اذار عن طريق البيان الذي اصدرته لجنة التضامن الافريقي ــ الاسيوي السوفياتية والذي جاء فيه ان الاتحاد السوفياتي يشارك القوى التقدمية العربية في قلقها حيال مشروع الملك حسين .

واكد البيان على التأييد السوفياتي لحركة التحرر العربية « ومنها حركة المقاومة المعبرة عن مصالح الجماهير الفلسطينية » ، ولنضال الشعوب العربية من اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي الامبريالي . بعد ذلك مباشرة نددت صحيفة « الازفستيا » الناطقة باسم الحكومة السوفياتية بمشروع الملك واعتبرته محاولة لتفرقة الدول العربية التقدمية واضعافها بينما هي تواصل جهودها لانهاء الاعتداء الاسرائيلي . واضافت ان « مشروع الملك لا يستجيب لامال الشعوب العربية في حل القضية على اساس ديمقراطي وضمن نطاق التسوية السياسية للنزاع » . كما اكدت ان المشروع يحرم الشعب الفلسطيني حق تقرير مصيره بنفسه ولا يتيح الفرصة لحل القضية الفلسطينية بالاتفاق مع كل البلدان العربية ، وبمشاركة فعالة من المقاومة الفلسطينية . ونلاحظ هنا ان هذا الاعتراض على مشروع الملك جاء من خلال المنظور السوفياتي العام للنزاع في الشرق الاوسط وطرق حله . اي انه لا يعترض على المشروع بسبب رميه الى تصفية القضية الفلسطينية نهائيا وتثبيت شرعية الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بل لانه يعرقل جهود الدول العربية لتصفية آثار العدوان عن طريق تسوية سياسية تساهم فيها المقاومة مع بقية هذه الدول . اما بالنسبة لموقف الصين الشعبية فقد تم الاعلان عنه بعد مرور ٤٨ ساعة على صدور مشروع الملك وبعبارات قريبة في روحيتها من موقف حركة المقاومة نفسها . اتهمت الصين الملك بالعمل على تصفية القضية الفلسطينية واعتبرت مشروعه مؤامرة لضرب نضال الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية . وشنت وسائل الاعلام في الصين حملة مركزة ضد المشروع كان جزء منها ابراز كل ردود الفعل السلبية ضد خطة الملك وخاصة ردود الفعل الفلسطينية . واظهرت هذه الحملة بوضوح ان المشروع ليس الا نسخة جديدة عن مشروع آلون .

كذلك قام وزير خارجية الصين باستقبال المبعوثين الدبلوماسيين العرب في بكين ليؤكد لهم تأييد بلاده لكفاح الشعب الفلسطيني وللقضية العربية ضد اسرائيل والولايات المتحدة . وفي اواخر اذار قام وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الصين حيث اجرى محادثات مع المسؤولين شملت مشروع الملك حسين ومخاطره .

(٦) رد الفعل الاسرائيلي لمشروع الملك حسين

احمد خليفة

بات موقف اسرائيل الرسمي من مشروع الملك حسين واضحا — الرفض . وقد كان الرفض في البداية مطلقا متشنجا ، ثم جرى تليينه قليلا بشكل ضمني ، في حديث أدلى به ايغال الون ، نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية ، لصحيفة معريف بعد اسبوع تقريبا من القاء الملك حسين لبيانه . وقد عبرت الجهات الرسمية عن رفضها هذا في بيان صدر عن مكتب رئيسة الحكومة في ذات المساء الذي القى به الملك خطابه ، وفي البيان الذي ادلت به غولدا مئير رئيسة الحكومة أمام الكنيست في اليوم التالي ، وفي القرارات التي اتخذتها الكنيست في ختام المناقشات التي أعقبت القاء البيان . ولم تكتف الكنيست في قراراتها حول المشروع برفضه ، وانما أدخلت ضمنها فقرة تؤكد « ان الحقوق التاريخية للشعب اليهودي على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن » (!) ، وهي فقرة قابلة للتفسير ، عندما ترد في سياق الرد على مشروع الملك حسين، بأن الكنيست ضد التخلي عن اي جزء من الضفة الغربية في حالة حدوث اتفاق سلام . وتظهر مطالعة الصحف الاسرائيلية ان بعض الفرقاء والوزراء في الحكومة الاسرائيلية لم يكونوا راضين عن الصورة العنيفة التي اتخذها الرفض الاسرائيلي في البيانين الحكوميين المشار اليهما اعلاه — وهي صورة تستدعي التساؤل : لماذا هذا الرفض رغم ان المشروع لم يتطرق لاسرائيل ، ولا يتناقض كلية — كما ذكر الكثيرون من المعلقين الاسرائيليين — مع مشروع الون الذي تجمع المصادر الاسرائيلية على انه مقبول من غالبية وزراء الحكومة واعضاء الكنيست ، ويمكن ان يكون مقبولا ، كما اظهر استفتاء نشرته يديعوت احرونوت في عدد ٣/٢٩/ ٧٢، من غالبية المواطنين. اما بالنسبة للمعارضة، فان الجناح اليميني المتطرف منها ، الممثل في الكنيست بكتلتي جاحال والمركز الحر ، قد رفض المشروع رفضا جازما ، باعتباره يحمل امكانية « اعادة تقسيم أرض اسرائيل » (!) — اي امكانية اعادة اجزاء معينة من الضفة الغربية الى السيادة الاردنية . وقد وصف بيجن زعيم جاحال في بيان كتلته مشروع الملك حسين بأنه « معلق في الهواء » واشار الى الشك القائم حول وجود اتفاق بين الاردن واسرائيل وطالب الحكومة بمد صلاحيات القانون الاسرائيلي الى كل المناطق المحتلة . وكرر شموئيل تامير زعيم المركز الحر في بيان كتلته ذات الطلب ، واتهم الحكومة بأنها بسياساتها المترددة تجاه ضم المناطق واستيطانها استيطانا واسعا شجعت الملك حسين على « اقتحام الفراغ الناجم » عن مثل هذه السياسات.ورفضت القائمة الرسمية، وهي التجمع الذي شكله بن غوريون قبل اعتزاله الحياة السياسية ، المشروع لانه لا يعرض اي شيء على اسرائيل . وتساءلت كتلة بوعالي اغودات يسرائيل الدينية عما اذا كان المشروع يستحق كل الضجة ، ورفضته لانه لا مجال للتنازل عن اي جزء من الضفة الغربية . ورفضه الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح لانه يكرس وصاية الهاشميين على شعب فلسطين ويحرم الفلسطينيين من حق تقرير المصير ، ولانه يصرف الانتباه عن الاساس الوحيد في رأيه لتحقيق التسوية وهو قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وكان الحزبان المعارضان الوحيدان الممثلان في الكنيست اللذان اعترضا على رفض الحكومة الاسرائيلية للمشروع هما الحزب الشيوعي الاسرائيلي ماكي وكتلة هعولام هزه — قوة جديدة ، فقد ذكر شموئيل ميكونس ، سكرتير ماكي ، في بيان كتلته ان هناك جوانب ايجابية في مشروع الملك حسين بالنسبة لاسرائيل ، والا لما كان تعرض لمثل هذه الحملة من قبل الدول العربية المتطرفة . وقال بأن الحل لا بد وان ينطلق من اعتراف الشعبين الفلسطيني واليهودي بحق تقرير المصير لكل منهما . أما أوري افنيري ، زعيم هعولام هزه — قوة جديدة ، فقد عرف بيان الملك حسين بأنه « اعتراف تاريخي بقيام أمة فلسطينية من قبل أشد أعدائها عداء لها » وطالب الحكومة بتمكين اجراء استفتاء فوري في الضفة الغربية وقطاع غزة ليقرر الفلسطينيون بأنفسهم فيما اذا كانوا يريدون دولة مستقلة او يريدون الحل الوارد في مشروع الملك . ورفض شلومو كوهن ، المنشق عن كتلة هعولام هزه — قوة جديدة المشروع لانه يتناقض مع تصوره الداعي لانشاء اتحاد فدرالي بين اسرائيل والضفة الغربية . [هآرتس ، دافار ٧٢/٣/١٧] .

هذا حول رد الفعل بشكل عام على مستوى الحكومة والكنيست واحزاب المعارضة الممثلة في الكنيست . اما بالنسبة للقطاع من الرأي العام الاسرائيلي ، الذي عبر عن رد فعله في الصحافة الاسرائيلية ، فانه كان متنوعا ومختلفا ، وان كان المرء يستطيع القول بشكل عام ان غالبية المحللين السياسيين رأوا في المشروع نقاطا ايجابية وامكانية انسجام مع النظرة الاسرائيلية تجاه قضايا حيوية معينة ، وبشكل خاص النظرة الواردة في مشروع آلون . وقد ركز المحللون في كتاباتهم على موضوعين اساسيين : دوافع الملك من وراء طرحه لمشروعه ، وامكانيات الانسجام بينه وبين النظرة الاسرائيلية ونقاط الخلاف القائمة والمحتملة. ويمكن تلخيص الاراء المختلفة الواردة حول الدوافع كما يلي : أ — يرمي الملك حسين من وراء مشروعه الى الخروج من العزلة التي تحيط به وتأكيد انه هو الاولى بحل مشاكل الفلسطينيين . ب — يستهدف اعادة الاردن الى مركز الجهود الدولية الرامية لتحقيق تسوية سياسية ، بعد ان اقتصرت هذه الجهود في الفترة الاخيرة على مصر واسرائيل . ج — يحاول ان يعود فيكسب ولاء قطاعات واسعة من الفلسطينيين . د — يحاول التأثير على انتخابات الضفة الغربية . هـ — يهدف الى عزل حركة المقاومة الفلسطينية وتصفيتها سياسيا بعد ان صفاها عمليا في الاردن. و — تثبيت الكيان الشرق اردني استجابة لضغوطات اقليمية معينة داخل مملكته بهذا الاتجاه . ز — تم التوصل الى اتفاق مع اسرائيل ، ومشروعه يمثل خطوة أولى في تحقيق الاتفاق . اما بالنسبة لامكانيات الانسجام مع النظرة الاسرائيلية فان المفتاح فيها هو اعتراف الملك حسين بالكيان الفلسطيني واحتواء هذا الكيان ضمن « المملكة العربية المتحدة » التي ستكون فيها شؤون الخارجية والمالية والدفاع تحت سلطة الحكومة المركزية — أي الملك . ان عددا كبيرا من المحللين السياسيين أشاروا الى ان أحد الاحتمالات المفتوحة امام الفلسطينيين في مشروع آلون هو الاستقلال الذاتي ضمن اطار فدرالي مع الاردن ، وقد جاء مشروع الملك حسين منسجما مع هذا الاحتمال . كما أشاروا الى ان موقف الغالبية في الحكومة الاسرائيلية هو ضد اقامة دولة فلسطينية مستقلة ولا مجال بين البحر المتوسط والعراق الا لدولتين واحدة عربية والاخرى يهودية . ويحقق مشروع الملك هذا المطلب . وبالنسبة لنقاط الخلاف أشار المحللون الى أن أعقدها مسألة القدس التي أعلن حسين انها ستكون عاصمة للقطر الفلسطيني، واعتبر آلون هذا الاعلان « نكتة أكثر مما هو تحد » ، ومسألة المطالب الاقليمية لاسرائيل ، ويستطيع المرء ان يقول ان غالبية المعلقين السياسيين كانت محبذة لان تتفحص الحكومة ما وراء مشروع الملك . ونسجل فيما يلي اساسيات الموقف الرسمي للحكومة والكنيست ، لننتقل الى السؤال الهام الذي طرحناه في سياق التقدمة — لماذا الرفض الاسرائيلي ؟

طرح الملك حسين مشروعه وسط جو من الشائعات كان يغمر القدس المحتلة بأن ثمة اتفاقا سريا بين الاردن واسرائيل قد تم التوصل اليه بشأن المشروع . وقد كانت هذه الشائعات بلغت ذروتها في الجلسة التي عقدتها الكنيست يوم ٧٢/٣/١٤ لمناقشة بيان عام لآبا ايبن حول السياسة الخارجية لاسرائيل بمناسبة بحث ميزانية وزارته . وكان الذي أطلق الشائعات في القدس المحتلة هو الانباء التي نشرت حول اجتماعات بين مسؤولين اسرائيليين وأردنيين كبار ، والاخبار الواردة من واشنطن والعواصم العربية عن حدوث الاتفاق ، وتصريح سيسكو قبل فترة وجيزة أمام محرري الصحف الاميركية اليهود بأنه يتوقع « حدوث تحرك معين في الموقف الاردني خلال الاسابيع القليلة القادمة » ثم تصريح روجرز وزير الخارجية الاميركي أمام احدى لجان الكونغرس بأنه «يتوقع حدوث تطورات فورية توضح الموقف الاردني » . وقد وردت الانباء حول تصريح روجرز اثناء انعقاد جلسة الكنيست المذكورة ، الامر الذي دفع آبا ايبن لمغادرة الجلسة « للتشاور مع رئيسة الوزراء والحكومة » ، مؤجلا القاء البيان الختامي الذي كان مقررا له ان يلقيه في نهايتها . وقد ضخم هذا النبأ الاخير الوارد من واشنطن ، وانسحاب آبا ايبن المفاجيء من الجلسة ، شكوك المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا في الكنيست — جاحال والمركز الحر . وعقدت كل من الكتلتين اجتماعا سريعا تقدمت اثره جاحال لرئاسة الحكومة باقتراح عاجل باجراء نقاش فوري حول « الانباء الواردة من الخارج عن اتفاق اردني — اسرائيلي » كما قدم المركز الحر اقتراحا عاجلا اكثر تحديدا ببحث « الاتفاق السري بين الاردن واسرائيل المتوقع تنفيذه قريبا » . وهكذا رفعت جلسة الكنيست وبين يدي الرئاسة اقتراحان

يعبران عن ريبة شديدة في اوساط المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا بأن الحكومة الاسرائيلية على وشك التخلي عن أجزاء من الضفة الغربية للاردن، نتيجة اتفاق سري بين الحكومتين . [معريف ٧٢/٣/١٥] .

وألقى الملك حسين في اليوم التالي ٧٢/٣/١٥ خطابه المعروف . وبعد ساعات من القاء الخطاب أصدر مكتب رئيسة الحكومة الاسرائيلية بيانا موجزا .برفض المشروع نص على ما يلي : « ان المشروع الذي اعلن عنه الملك حسين لم يحظ بموافقة اسرائيل ولا اساس للزعم ان هذا المشروع هو ثمرة تفاهم بين الاردن واسرائيل . ان اعلان ملك الاردن يتعارض مع قضية السلام ويضع العراقيل في وجه تحقيقه ، وان موقف اسرائيل من السلام مع الاردن لا يزال كما كان وفقا لسياستها . ان حكومة اسرائيل مستعدة للتفاوض حول اتفاقية سلام مع الاردن دون شروط مسبقة وفي كل وقت . وستدلي رئيسة الحكومة غدا ببيان في الكنيست حول المشروع » . [نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ العدد ٦ سنة ١٩٧٢].

وقد فاجأ اعلان غولدا مئير بأنها ستدلي ببيان حكومي أمام الكنيست الكثير من اعضاء الكنيست والمراقبين السياسيين ، اذ كان ذلك يعني ان غولدا مئير راغبة باجراء نقاش عام وواسع حول المشروع ، وراغبة باستصدار قرارات واضحة من الكنيست بشأنه ، حيث ان اللوائح الداخلية للكنيست تحتم في حالة افتتاح الجلسة ببيان حكومي اجراء نقاش عام حوله ، واتخاذ قرارات في نهايته، بينما لا يتحتم ذلك في حالة افتتاح المعارضة للنقاش . وقد كان السبب في ان هؤلاء قد فوجئوا هو اعتقادهم بأن غولدا مئير كان يمكن ان تكتفي بالاستماع لاسئلة المعارضة وتوضيح موقف الحكومة ضمن التصور التالي الذي نستعيره من أوري أفنيري عضو كتلة هعولام هزه في الكنيست : « تنكر غولدا مئير بشدة ان يكون قد تم اتفاق بين الاردن واسرائيل ، لان اي تصريح آخر يمكن ان يؤذي الملك ويغضب الاميركيين » ثم تضيف انها « تأسف لان الملك لم يذكر اسرائيل في خطابه ، وتدعوه الى الدخول اخيرا في مفاوضات مع اسرائيل . ومن ثم يحال الموضوع بعد نقاش ساعتين او اكثر قليلا الى لجنة الامن والخارجية ، التي تصدر بعد فترة بيانا لا يغلق الباب امام المفاوضات » [هعولام هزه ــ عدد ٧٢/٣/٢٢ ص ١٣] . ولكن الامور كما اشرنا لم تجر على هذا المنوال .

افتتحت غولدا مئير في ٧٢/٣/١٦ النقاش في الكنيست مدلية ببيان عنيف هاجمت فيه الملك هجوما حادا مليئا بالسخرية ، متهمة اياه بالغطرسة لانه يتحدث عن « مناطق ليست له وليست تحت سيطرته » ولانه « في حمى تحمسه لرؤية ذاته كمحرر مناطق ومؤسس ممالك وصل الى حد تقرير ان القدس ، عاصمة اسرائيل الابدية هي عاصمة لفلسطين ». وهزئت من تصوراته لنفسه كـ «حاكم على مناطق اوسع مما كانت تحت سلطته قبل هزيمته في حزيران ١٩٦٧ » . وفي صدد حديثها عن المشروع وصفته بأنه صادر عن طرف واحد ، « لا يرتكز الى مبدأ الاتفاق ، ولا يكشف عن استعداد للمفاوضات » . وفي الفقرة الاخيرة من بيانها هاجمت غولدا مئير الذين « يحاولون خلق انطباع كاذب بتصوير المشروع كما لو انه متفق عليه » ، واعلنت انه « لا يمكن ان يشكل اساسا لاتفاق مع اسرائيل » ودعت الملك حسين للتخلي عن « الحذلقة » والدخول بمفاوضات جدية مع اسرائيل «بجرأة وواقعية». واختتمت غولدا البيان بأن اسرائيل ستظل متمسكة بسياساتها : « ابقاء الوضع الراهن كما تقرر في اتفاقيات وقف اطلاق النار ، والعمل على تعزيز مواقعها وفقا لمتطلبات امنها وتطورها،وهي مستعدة في كل وقت لمفاوضات جدية حول السلام »[دافار ٧٢/٣/١٧] .

واصبح واضحا اثر البيانين الحكوميين ان الحكومة الاسرائيلية ترفض مشروع الملك حسين وانها ما زالت عند مواقفها السابقة لطرح المشروع ــ مفاوضات بدون شروط مسبقة ، والاحتفاظ بالوضع الراهن مع تعزيز مواقع اسرائيل في المناطق المحتلة لحين الاتفاق . وكان من المعتقد ان بيان غولدا مئير سيكون كافيا لسحب الريح من اشرعة المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا . ولكن جاحال ، الكتلة اليمينية المعارضة الاقوى في الكنيست ، اقتنصت الفرصة وطرحت اقتراحا بأن تقر الكنيست في ختام المناقشات كتلخيص للنقاش قرارا مكونا من فقرتين ، الاولى تقضي برفض مشروع الملك حسين رفضا جازما ، والثانية تنص على ان « حقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن »(!) ، واعلنت انها ستطلب تصويتا افراديا عليه . واوقع الاقتراح الائتلاف

الحكومي في مازق ، اذ أن المؤتمر الصهيوني المنعقد في كانون الثاني من العام الحالي كان قد أقر في ختام جلساته فقرة مشابهة بموافقة كافة المشتركين ، بمن فيهم اعضاء احزاب الائتلاف الحكومي الممثلين في المؤتمر . وبالتالي لم يكن من المعقول ان يصوت اعضاء الائتلاف الحكومي في الكنيست ضد فقرة صوتوا معها في المؤتمر الصهيوني ، كما لم يكن ممكنا ان يصوتوا معها ضمن هذا السياق ، لان التصويت معها يمكن ان يستنتج منه ان الحكومة والكنيست تتبنى وجهة نظر المتطرفين ، بانه لا مجال « للتنازل » عن اي جزء من اجزاء الضفة الغربية للاردن في حالة عقد اتفاقية سلام — وهو امر لا تتوفر حوله وحدة فكرية سواء داخل حزب العمل الحاكم ذاته او على صعيد الائتلاف الحكومي . وقد ظهر عمق الخلاف بشكل واضح حول هذا الموضوع في المناقشات الحادة التي دارت في الجلسات الجانبية التي عقدتها قيادة التجمع العمالي اولا ثم كامل كتلة التجمع العمالي والاحزاب المؤتلفة لبحث الموقف من اقتراح جاحال . اذ بينما طالب ممثلو المابام وبعض « حمائم » حزب العمل بتقديم اقتراح مقابل اقتراح جاحال لا يتضمن الفقرة المتعلقة « بحقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل »(!) باعتبارها يمكن ان تفسر وكأنها تبن لسياسة جاحال « ولا شبر » [اي عدم التخلي عن اي شبر من الضفة الغربية] ، اصر « الصقور » على ادراجها باعتبارها ، على حد قول وزير العدلية يعقوب شمشون شابيرا ، « بديهية لا يجوز المساس بها » . وعندما وقفت غولدا مئير الى جانب « الصقور » بحزم حاول المابام و « حمائم » حزب العمل تخفيف النص باستبدال كلمة «حقوق» بـ « روابط » او كلمة « ارض اسرائيل » بـ « الوطن » — ولكن التعديلات رفضت من قبل الغالبية . واخيرا بعد جدل استمر ثلاث ساعات ونصف وجلسة الكنيست العامة مرفوعة ، وتحت تهديد المغدال المشترك في الحكم بالتصويت مع جاحال ضد الحكومة ، اتفق على تسوية معينة تقضي بان تضاف كلمة « تاريخية » الى النص الاصلي المقترح للفقرة ، بحيث تصبح « ان حقوق الشعب اليهودي التاريخية على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن »(!) ، كما اتفق على اضافة فقرات تتضمن « الخطوط الاساسية » التي تقوم عليها سياسات الحكومة والمقرة من قبل جاحال لما كانت شريكة في الحكم ومن قبل الكنيست في مناسبات عديدة . وهكذا اصبح النص الكامل للقرار المقترح من قبل الائتلاف الحكومي هو التالي : « (أ) احيطت الكنيست علما ببيان رئيسة الحكومة في ١٩٧٢/٣/١٦ المتعلق بخطاب الملك حسين في يوم ٧٢/٣/١٥ [وهي الصيغة التي تصادق الكنيست بموجبها عادة على بيان ما] . (ب) ان الكنيست تقرر ان الحقوق التاريخية للشعب اليهودي على أرض اسرائيل غير قابلة للطعن وتدعم عزم الحكومة على الاستمرار في سياساتها وفقا للخطوط الاساسية التالية عليها ، وهي الخطوط المقررة التالية : ستسعى الحكومة دوما للوصول الى سلام دائم مع جيران اسرائيل مرتكز الى معاهدات يتوصل اليها بمفاوضات مباشرة بين الاطراف المعنية . وتتقرر في هذه المعاهدات حدود متفق عليها ، آمنة ومعترف بها . وتضمن معاهدات السلام تعاون وتساعد متبادل ، وحل كل مشكلة يمكن ان تنشأ ويختلف عليها بالطرق السلمية ، والامتناع عن كل عدوان مباشر او غير مباشر . ان اسرائيل سوف تستمر في ابداء استعدادها لاجراء مفاوضات مباشرة ، دون شروط مسبقة من اي طرف ، مع كل دولة من جيرانها لعقد اتفاق سلام. وبدون اتفاق سلام ، ستستمر اسرائيل في الحفاظ على الوضع الراهن بكليته كما تقرر لدى وقف اطلاق النار ، وتعزز مواقعها آخذة بعين الاعتبار الاحتياجات الحيوية لامنها وتطورها . (ج) ان الكنيست تدعم جهود الحكومة الاسرائيلية للسعي نحو السلام عن طريق مفاوضات مع العرب وفقا لقرارات الكنيست » . وجرى التصويت على اقتراح الائتلاف الحكومي وتم اقراره بغالبية الاصوات [دافار ، معريف ٧٢/٣/١٧] . وعلى الرغم من ان الاقتراح الذي اقر في النهاية كان اقتراح الحكومة ، الا ان بيجن اعتبر القرار المتعلق بحقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل(!) قرارا تاريخيا ، لانه « لاول مرة في تاريخها » — كما تذكر جريدة الاتحاد ٧٢/٣/٢١ « نتخذ الكنيست قرارا متطرفا بروح افكار جماعة ارض اسرائيل الكاملة وحزب حيروت » . وقد سارع بيجن الى الاعلان في مقابلة اذاعية ليل اتخاذ القرار بان الكنيست بقرارها هذا انما تكون قد قبلت « النظرة التقليدية لحركة حيروت » تجاه الوطن القومي اليهودي . ان المناقشات التي دارت في الكنيست ، والقرارات المتخذة في نهايتها،

قد اظهرت حسب راي معلق هآرتس في عدد ٧٢/٣/١٩ضعف الحكومة تجاه مناورات المعارضة، وحرص غولدا على عدم اغضاب مجموعة ارض اسرائيل الكاملة داخل حزب العمل الذي تنتمي اليه والمعدال الشريك في الحكم . وهنا نمسك بطرف الخيط الذي يفسر الرفض الحكومي الاسرائيلي لمشروع الملك حسين .

ان مشروع الملك حسين لم يتعرض لاسرائيل ولم يذكر موضوع التفاوض معها ، وانما تحدث عن منح الفلسطينيين استقلالا ذاتيا ضمن « مملكة عربية متحدة» في المناطق التي سيتم «تحريرها»(!)، فلماذا اعتبرت غولدا مئير ان على الحكومة الاسرائيلية ان تصدر بيانا برفض المشروع ، وان عليها ان تعيد التاكيد بان سياساتها ستظل مرتكزة الى مواقفها السابقة لطرح المشروع ، وان عليها ان تلجا لتعزيز هذا الرفض وتلك السياسات بقرارات صادرة عن الكنيست ؟ تقول غولدا مئير في بيانها امام الكنيست انها انما ترى ضرورة اتخاذ موقف واضح من مشروع الملك لانه « يمس المصالح الاكثر حيوية بالنسبة لاسرائيل » . ولكن في الامر اكثر من ذلك . وهذا الـ « اكثر من ذلك » هو ان غولدا مئير انما تحركت بالشكل الذي تحركت به لتقطع الطريق على مجموعة « الحمائم » داخل الحكومة الاسرائيلية والتجمع العمالي الحاكم من ان تعود فتلتقط مشروع الملك حسين لتثير نقاشا حول سياسة الحكومة الاسرائيلية تجاه السلام مع العرب لدفعها لتبني سياسة اكثر ايجابية تجاه المشاريع المطروحة — وهو نقاش يمكن ان يؤدي ، فيما لو جرى ، الى زعزعة الحكومة الاسرائيلية ، التي يحفظ لها تماسكها ووحدتها حتى الان استمرار الاوضاع الراهنة فيما يتعلق بالحدود ، وافساح المجال امام فريق الصقور المتطرف والاكثر تطرفا لتنفيذ سياسة الوقائع المفروضة في الضفة الغربيةوغيرها من المناطق المحتلة في حرب حزيران . ان اي قبول ضمني او صريح ، جزئي او كلي ، لمشروع الملك حسين كان سيضع فورا على جدول اعمالالحكومة الاسرائيلية « الخريطة » المتعلقة بحدود اسرائيل مع الاردن . ويستطيع المرء ان يتكهن بنسبة كبيرة من الامان بان هذا الموضوع ، فيما لو طرح ، كان يمكن ان يؤدي لاحداث حالة من الفوضى والتوتر داخل حزب العمل ذاته والتجمع العمالي والائتلاف الحكومي ، وربما ادى الى تفجير الحكومة .

ان يوسف حريف ، المعلق السياسي في معريف ، يلتقط بذكاء في مقالة له في عدد ٧٢/٣/٣١ بعضا من ملامح الفوضى السائدة الان ، فيما يتعلق بنظرة الحكومة الى قضايا اساسية تخص مسالة الحدود وخريطة اسرائيل المستقبلة . وبعد ان يسجل التناقضات والخلافات بين الوزراء تجاه عدد من الموضوعات الاساسية المتعلقة بالحدود والاضافات الاقليمية المطلوبة ، يصل الى الاستنتاج بان الحكومة ما زالت تعيش في حالة من الارتباك وما زالت بحاجة لان تتفق هي اولا فيما بينها ، قبل ان يصبح بامكانها الاتفاق مع الاخرين . ويرجع حريف جذور الخلاف بين الوزراء الى اربعة « مشروعات » تتوازع تصورات الوزراء المختلفين تجاه مسالة الحدود والضفة الغربية : ● المشروع الاكثر تطرفا الذي لم تتم صياغته بعد ، والذي تدعمه اقلية في مجلس الوزراء يقف على راسها يسرائيل غاليلي وريث يتسحق تبنكين احد ابرز زعماء حكومة ارض اسرائيل الكاملة . ان غاليلي يرى ان تضم الضفة الغربية باكملها الى اسرائيل باستثناء التعديلات التي قد تفرضها ظروفسياسية معينة ، ولذلك يرفض مشروع الون في الوقت الراهن ويقترب عمليا من مشروع دايان .

● مشروع دايان الذي بلوره قبل سنوات وهو يقرر (١) ان السلام مع الاردن لا يبدو مرئيا ولذلك على اسرائيل ان تعتبر وجودها في الضفة الغربية وجودا دائما (٢) على اسرائيل ان ترتب اوضاعها وتتمركز بشكل يمكنها بمرور الوقت من « هضم » الضفة الغربية ودمجها في اسرائيل « الصغرى » (٣) وفقا للمعطيات الراهنة ، ليس في امكان اسرائيل عمليا تكوين وتعزيز اكثرية ديموغرافية يهودية في الضفة الغربية ولذلك عليها ان تسعى لتحقيق ثلاثة اهداف أ — تاسيس معاقل أمينة ب — استيطان اجزاء حيوية تقطع التواصل الاقليمي للضفة وتمكن من ايجاد صلات بين المجتمع العربي واليهودي على اساس مناطقي ج — فرض واقع تواجد اسرائيلي مدني ذي صفة دائمة (٤) الاستيطان الزراعي لوحده لا يؤمن هذه الاهداف لان أ — الاستيطان الزراعي يحتاج الى مساحات واسعة نسبية ، وهذا يتطلب بالضرورة الاستيلاء على اراض خصبة من السكان العرب ، الامر الذي سيخلق لديهم مرارة كبيرة ب — ان عدد السكان في المناطق الزراعية ، رغم اتساع المساحة ، سيكون قليلا نسبيا . ج — السكان

العرب متركزون في المرتفعات الجبلية التي هي ليست مريحة للمزارعين اليهود (٥) لذلك على اسرائيل ان تقيم اربع مدن اسرائيلية على مرتفعات جبلية في المناطق التالية : واحدة في منطقة الخليل (غوش عتسيون) وواحدة في منطقة رام الله (بيت ايل) ، وثالثة في منطقة نابلس ، والرابعة بين نابلس وجنين . ووظيفة هذه المدن بتر التواصل الاقليمي العربي في الضفة وخلق تمركز سكاني يهودي ذي وزن فيها ، يضمن هو والمعاقل الامنية أمن السكان اليهود في الضفة . وبعد ان يقدم حريف هذا التلخيص لمشروع دايان ، يذكر ان دراسة خطوات الاستيطان حتى الان تظهر انها كانت تسير بشكل يتطابق مع مشروع آلون ودايان بذات المقدار .

● مشروع آلون الذي تمت بلورته في تموز من عام ١٩٦٧ ، واقرت الحكومة الشروع بتنفيذ الجزء العملي منه في شباط ١٩٦٩ . ونعتمد في تلخيصه على المقابلة مع الون ذاته التي نشرتها معريف في عدد ٢٤ اذار الماضي . يرتكز مشروع الون فيما يتعلق بخريطة اسرائيل المستقبلة على المبادىء التالية (١) الحقوق التاريخية للشعب اليهودي على ارض اسرائيل كأساس اخلاقي (٢) حدود صالحة للدفاع عنها كأساس جيو — استراتيجي (٣) دولة يهودية من الناحية الديموغرافية وان كانت تعيش داخلها اقلية عربية يجب الحرص على حقوقها كأساس قومي (٤) دولة ديموقراطية من الناحية السياسية ، واشتراكية وحضارية كأساس اجتماعي . ويكون حد هذه الدوله السياسي من الشرق نهر الاردن والخط المار في منتصف البحر الميت . وتضم الى اسرائيل مساحة الارض الواقعة بين نهر الاردن والبحر الميت والمرتفعات الجبلية المقابلة ، لتشكل حزاما امنيا يتراوح عرضه بين ١٤ كيلومترا في الشمال و ٢٤ كيلو مترا في الجنوب بحيث يصل من البحر الميت الى كريات اربع . وتبلغ مساحة هذا الحزام ثلث مساحة الضفة الغربية ، ويترك في وسطه ممر يبلغ عرضه حوالي الـ ٤ كيلو مترات ، تقع ضمنه مدينة اريحا (انظر الخارطة) ، ليصل بين المناطق الاهلة بالسكان في الضفة والاردن . اما بالنسبة للمناطق الاهلة بالسكان العرب فيمكن ان يرتبوا اوضاعهم الداخلية كما يشاؤون سواء بالاشتراك مع الاردن او منفردين . كما ان هناك حاجة لتعديل الحدود في منطقة اللطرون ومنطقة غوش عتسيون . وتبقى القدس موحدة وعاصمة لاسرائيل ، ويؤمن وضع خاص للاماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين . ويشكل الحزام الامني لاسرائيل ، الذي تقام فيه ١٨ مستوطنة أمنية ومدينتان احداهما مجاورة للخليل والاخرى مشرفة على اريحا ، منطقة غير قابلة للاختراق من قبل اية قوى معادية مدرعة حتى ولو كانت في مستوى الكفاءة الاوروبية . كما يشكل مرتكزا ممتازا لهجوم مضاد في حالة تعرض اسرائيل لهجمات عدوة . بينما تشكل سيطرة الجيش الاسرائيلي على صحراء الخليل ضمانا قويا يؤمن القدس من هجمات قوات فدائية .

● المشروع الذي تدعو اليه اقلية تضم المابام وبعض « حمائم » حزب العمل . وهو مشروع غير مبلور ايضا ويكتفي بأقل مما يطلب الون مقابل « سلام حقيقي » .

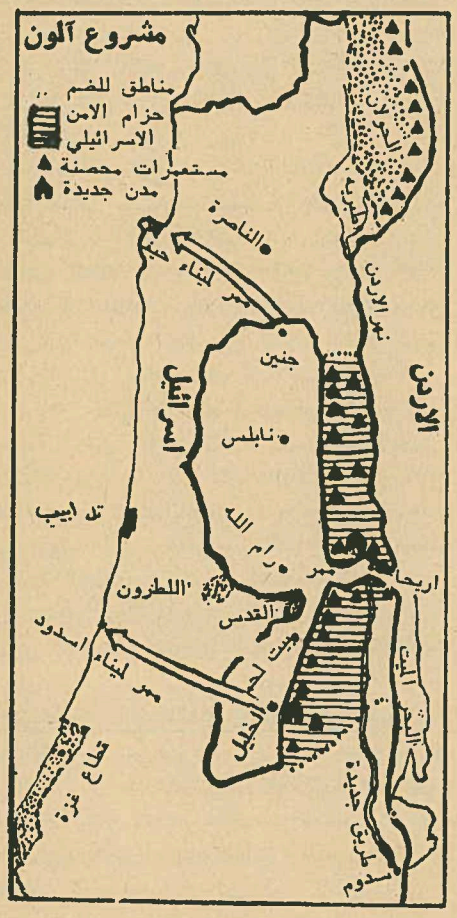

كانت هذه هي المشاريع او التصورات الاربع التي تتوازع قناعات الوزراء في الحكومة الاسرائيلية . وقد اوردناها بشيء من التفصيل لتبيان مدى عمق الهوة التي تفصل بين تصورات الوزراء المتطرفين والمعتدلين في الحكومة الاسرائيلية ، وهي هوة ليس من السهل على رئيسة الحكومة الاسرائيلية، المعدودة من بين الصقور المتطرفين ، ردمها . ان هناك اعتقادا خاطئا لدى بعض قطاعات الرأي العام العربي بأن الحكومة الاسرائيلية بأكملها موافقة ، او يمكن ان توافق بسهولة ، على مشروع ألون كأساس للتسوية . وربما كان هذا الاعتقاد هو الذي دفع بالكثير من المعلقين العرب لاعتبار رفض اسرائيل لمشروع الملك حسين رفضا تكتيكيا، باعتبار انهم فرضوا ايضا ان الملك حسين وافق على مشروع الون . ان الرفض الاسرائيلي ، من ضمن معطيات الظروف الراهنة ، جدي ، املته على الحكومة الاسرائيلية طبيعة تركيبها ، وطبيعة توازنات القوى بين المعتدلين والمتطرفين والاكثر تطرفا فيها ، هذا اذا تركنا جانبا طبيعة التوازنات القائمة في الكنيست ، والرأي العام المتجه اكثر فأكثر نحو التطرف في اسرائيل . ان طبيعة تركيب الحكومة الاسرائيلية لا يجعلها في الظروف الراهنة قادرة على الاستجابة لاية مبادرات جدية تفترض منها « تنازلات » اقليمية في الضفة الغربية، مهما كانت هذه المبادرات متساهلة واستسلامية . ويظهر هذا الامر بوضوح من حدة المناقشات التي دارت داخل قيادة حزب العمل الحاكم ذاته وداخل كتلة الائتلاف الحكومي في الكنيست في الجلسات الجانبية التي اشرنا اليها اعلاه ، كما تظهره ايضا طبيعة القرارات التي اتخذتها الكنيست في حدد رفضها لمشروع الملك حسين ، وهي قرارات ترضي كل الاتجاهات المتناقضة ولا تحمل امكانية اي تحرك عملي في اي اتجاه ، باستثناء التحرك في المناطق على صعيد الاستيطان والدمج الاقتصادي وتعزيز المواقع انسجاما مع « الاحتياجات الحيوية لامن اسرائيل وتطورها » .

ان ايغال ألون ، في المقابلة التي نشرتها له معريف بتاريخ ٧٢/٣/٢٤ ، ذكر انه لا يرى تناقضا بين مشروعه ومشروع الملك حسين فيما يتعلق بانشاء كيان فلسطيني وادخاله كشريك في اتحاد فدرالي مع شرق الاردن ، بل على العكس « ربما كان الاطار الفدرالي يسهل حل ما يسمى بالمشكلة الفلسطينية اكثر من اي اطار آخر » . ولكنه يرى تناقضا جوهريا فيما يتعلق بالمسألة الاقليمية ومسألة الحدود والقدس . كما عبر الون في المقابلة عن دهشته لتجاهل الملك حسين لاسرائيل ، التي لا يمكن تنفيذ مشروعه بدون الاتفاق معها . وقد اعتبر المراقبون السياسيون هذا الموقف ، رغم ان الون ذكر في بداية المقابلة بأن عليه « قبل كل شيء ان يوضح بأن آراءه لا تلزم احدا سواه » ، بمثابة تليين للرفض الاسرائيلي السابق . وستوضح التطورات في الاشهر القادمة فيما اذا كان هذا فعلا تليين للموقف الاسرائيلي ، ام مجرد رأي خاص ، مثله مثل الرأي الخاص لبعض الوزراء الاخرين ، الذين يحملون اراء اكثر او اقل تطرفا منه ، ويعبرون عنها تقريبا كل يوم في الصحافة الاسرائيلية ، دون اهتمام بالتناقضات القائمة فيما بينها .

(٧) رد فعل المناطق المحتلة لمشروع الملك حسين

عبد الحفيظ محارب

قبل ان نتطرق الى ردود الفعل على مشروع الملك لا بد من الاشارة الى الخطورة الكامنة فيه بالنسبة للقضية الفلسطينية ، والى الموقف الاسرائيلي منه . ان المشروع يعني قبل كل شيء اذا ما تم ، تحويل الزعامة التقليدية في الضفة الغربية المتعاونة بشكل او باخر مع السلطتين الاسرائيلية والاردنية ، الى حكام « القطر الفلسطيني » المقترح ضمن « المملكة العربية المتحدة » لتقوم هذه الزعامة نيابة عن الملك بعقد اتفاقية سلام مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، تصفى بموجبها القضية الفلسطينية لصالح العدو الاسرائيلي ، بواسطة فئات من ابناء الشعب الفلسطيني . وبذلك يكون مشروع الملك بمثابة الحلقة الاخيرة من فصول التعاون بين السلطتين الاسرائيلية والهاشمية ضد الارض الفلسطينية والانسان الفلسطيني . وفيما يتعلق بالموقف الاسرائيلي فانه اتسم بالرفض للمشروع بسبب الهوة بين اطماع اسرائيل التوسعية ، وتنازلات الملك حسين . فبالرغم من ان المشروع الكلي يفسح المجال امام السلام الذي تريده اسرائيل وتسعى اليه ، الا انها ترفضه ليس من ناحية « المفهوم » بل من ناحية الحدود . وهنالك عقبتان تقفان امام قبول اسرائيلي له ، الاولى : القدس التي تصر اسرائيل على ابقائها موحدة تحت الحكم الاسرائيلي ، والثانية : منطقة الاغوار التي يصر المسؤولون الاسرائيليون على بقائها « كحزام امني » تحت السيطرة الاسرائيلية . وقد تراجع الملك حسين اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة عن المطالبة بالقدس العربية عندما صرح لصحيفة نيويورك تايمز ان في استطاعة الاردن واسرائيل الاشتراك في ادارة مدينة القدس كمدينة مفتوحة «وان في الامكان جعل القدس مدينة مفتوحة في اطار السلام، ويمكن ان تكون عاصمة لاسرائيل وعاصمة للاقليم الفلسطيني من الاردن . وليس هنالك ما يحول دون ذلك » . وبذا ازال الملك العقبة الاولى . وبقيت العقبة الثانية المتمثلة في منطقة الاغوار وصحراء الخليل او الجزء الخاص من مشروع الون بالضفة الغربية . فبموجب مشروع الون تتشكل حدود اسرائيل مع الاردن كالتالي :

(١) ان خط الحدود يجب ان يكون على امتداد نهر الاردن حتى البحر الميت (٢) تضم منطقة الاغوار بالاضافة الى صحراء الخليل بما في ذلك ضاحية « كريات اربع » الواقعة بالقرب من الخليل ، بحجة ان منطقة الاغوار تشكل حزاما امنيا ، وان صحراء الخليل تشكل درعا واقيا لمدينة القدس من احتمال تشكيل « بؤر للفدائيين » تهدد مدينة القدس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المناطق تحتل ثلث مساحة الضفة الغربية ، ولم يتطرق مشروع الملك الى هذه النقطة . اما ايغال الون صاحب المشروع الذي يحمل اسمه والذي يحظى بتأييد معظم اعضاء الحكومة الاسرائيلية فقد قال بانه « لا يعترض على مفهوم الملك حسين بالنسبة الى انشاء اتحاد بين ضفتي الاردن » واضاف : « ان اقتراحات الملك لا تتعارض بالضرورة ومفهومه هذا بالنسبة الى تسوية الصراع العربي الاسرائيلي » . ووصف الملك « بانه اشجع الزعماء في العالم العربي » ويمكن القول ان الموقف الاسرائيلي لا يعارض فكرة الاتحاد الفدرالي التي وردت في مشروع الملك ، بل يرفض الحدود التي اقترحها الملك .

وفيما يتعلق بردود الفعل في الضفة الغربية فانها تقسم الى قسمين : (١) ردود الفعل لدى الزعامة التقليدية (٢) ردود الفعل لدى الجماهير الوطنية . فقد اتسمت ردود الفعل لدى الزعامة التقليدية بالتذبذب بين المعارضة والموافقة المشروطة ، كما وايقظ المشروع لدى بعض هؤلاء الزعماء الاحلام العريضة في التربع على كرسي حاكم « القطر الفلسطيني » . وسنعرض هنا ردود الفعل لدى بعض الزعماء التقليديين في الضفة ! الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل : كان تعليقه في بداية الامر ان الشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مصيره بنفسه وان بامكان الملك حسين ان يعلن ما يجول في خاطره ، ودعا الى عقد مؤتمر يضم وجهاء الضفة لدراسة المشروع . معزوز المصري رئيس بلدية نابلس : تهرب من ابداء رأيه بقوله : « لست سياسيا ولا رأي لي في هذا الموضوع . انني افضل ان اعود الى مهنتي كتاجر » . انور نسيبة وزير الدفاع الاردني الاسبق الذي قام

قبيل اعلان المشروع بدور الوسيط بين سلطات الاحتلال والملك حسين : « بالنسبة لي يشكل المشروع استمرارا لسياسة الملك السابقة لتنفيذ قرار مجلس الامن وتحرير الاراضي المحتلة ومنح سكان المناطق حق تقرير مستقبلهم السياسي . لم افاجأ بكلام الملك حسين . ولكن اكثر ما فاجأني توقيته » . محمد ابو شلباية صاحب كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » والموالي لسلطات الاحتلال : « ان مقترحات حسين جاءت متأخرة جدا ، فالتسوية التي يقترحها كان يجب ان تتم عام ١٩٤٨ ... ان الملك يريد ان يجني الملايين باسم الشعب الفلسطيني » . اما حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس سابقا الذي كان اول من دعا الى اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية، فقد كان ايضا اول من ايد مشروع الملك بدون تحفظ ، فقد اعتبر الخطاب « ايجابيا للغاية ومعبرا عن متطلبات الشعب » . انني راض عن خطاب الملك لانه منح سكان الضفة الغربية الحق في ان يحكموا انفسهم » .

ومن الجدير بالملاحظة ان الشيخ محمد علي الجعبري قد اخذ يغير موقفه من المشروع ويقف كحمدي كنعان موقف المؤيد، على امل ان يحصل على منصب الحاكم للقطر الفلسطيني فقد ايد المشروع بقوله : « لسنا من اعداء الملك حسين ولا من اعدائه ولكننا نرى في مشروعه الاخير افضل الحلول التي اقترحت حتى الان لحل مشكلة الشعب الفلسطيني » كما واخذ يتزلف في الاونة الاخيرة للنظام الاردني ، ويشيد بتاريخ الملك عبد الله ! بعد ان كان يكيل الشتائم للنظام الهاشمي. اما على صعيد رجل الشارع فقد اتسمت ردود الفعل بالخيبة وبالمرارة والاستياء كما يستشم من اقوال احد المواطنين : « لقد اثبت الملك حسين في اقواله ان القضية الفلسطينية ومستقبل الضفة الغربية لا يهمانه من قريب او بعيد ، انه يتهرب من مسؤولياته ، فهو يذر الرماد في العيون باعلانه الاتحاد الفدرالي في الوقت الذي امتنع فيه عن مس قضايا الاحتلال وتواجد قوات الجيش الاسرائيلي في المنطقة » . واما على الصعيد الوطني فقد عبر الطلبة عن رفضهم المطلق لمشروع الملك ، حين قامت حوالي ٤٢٠ طالبة ثانوية في مدينة نابلس بالتظاهر في شوارع المدينة ضد المشروع . وقد رفعن لافتات ضد الملك وشعارات ضد مشروعه مثل « ليسقط الحسين » و «فلسطين عربية » وقد تعطلت الدراسة في معظم مدارس المدينة الثانوية والاعدادية والابتدائية وذلك على اثر قيام هذه التظاهرة وتعبيرا عن مشاعر الطلبة ضد مشروع الحسين .

وفي قطاع غزة اختلفت ردود الفعل بعض الشيء عن ردود الفعل في الضفة الغربية ، واتسمت بالرفض الحاسم والمطلق لمشروع الملك ، لدرجة ان رئيس بلدية غزة رشاد الشوا ، المعروف بولائه للاسرة الهاشمية لم يجرأ على التعقيب على خطاب الملك . اما الحاج « هاشم الخوزندار » الموالي لسلطات الاحتلال فكرر امام الصحفيين الاسرائيليين الجملة التي يحلو له ان يتفوه بها : « ان سلطة اسرائيلية افضل من حكم الملك حسين ، واذا كان لا بد من قبول حسين او ديان فانني افضل ديان». وفيما يتعلق بشباب القطاع ومثقفيه فقد اعتبروا المشروع بمثابة « السير من مجزرة الى مجزرة تحت حراب الحسين » .

اما رجل الشارع وخاصة اولئك الذين يرتادون المقاهي فكان تعبيرهم اشد واقسى على صاحب الجلالة ، فقد اتسمت ردود الفعل لدى هؤلاء، كما ذكرها الصحفيون الاسرائيليون « **بالبصق على الارض حين سماعهم خطاب الحسين . وقد فعلوا ذلك بشكل تظاهري** » .

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

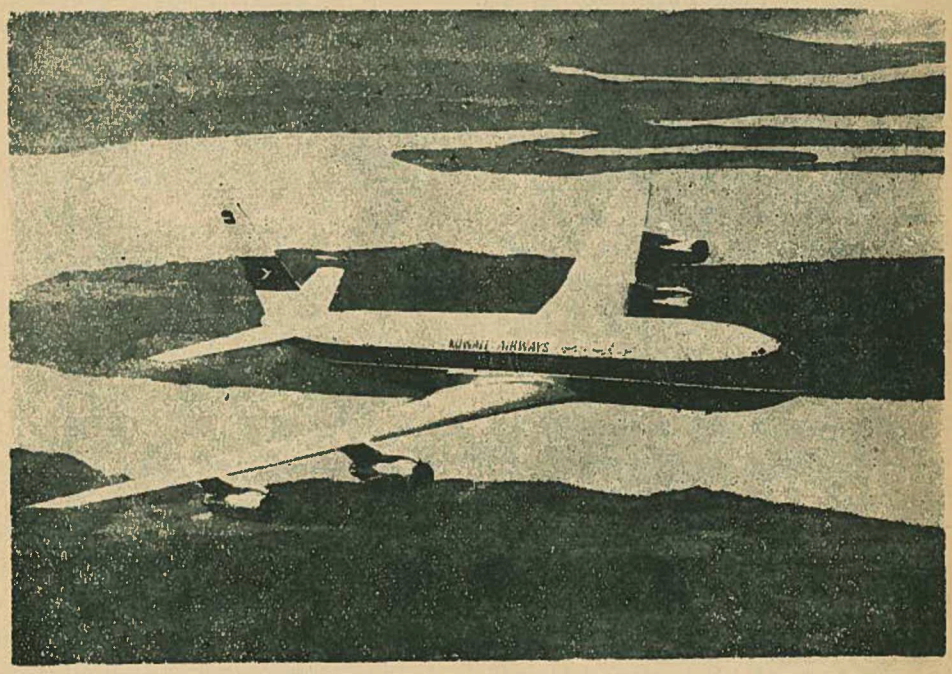

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت ـ البحرين ـ الدوحة ـ دبي ـ الظهران ـ عدن ـ عمان ـ دمشق ـ بيروت ـ القاهرة
طهران ـ عبدان ـ أثينا ـ جنيف ـ فرانكفورت ـ باريس ـ روما ـ لندن ـ نيويورك ـ هيوستون
شيكاغو ـ ديترويت ـ تورونتو .

السياسة الدولية

مجلة دورية تصدر عن
مؤسسة الاهرام
كل ثلاثة أشهر

دراسة القضايا الدولية المعاصرة
بأسلوب علمي ونظرة موضوعية

— قضايا المجتمع الدولي ... بصراعاته واتجاهاته الجديدة
— قضايا العالم الثالث ... على طريق التنمية والتقدم
— قضايا الوطن العربي ... في أحسم سنوات مصيره

رئيس التحرير : د. بطرس بطرس غالي

بخصوص الاشتراك السنوي وطلب الاعداد السابقة والمجلدات السنوية
يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ، شارع الجلاء ،
القاهرة — جمهورية مصر العربية .

اطلب منشورات مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلــة

شؤون فلسطينية

مــن

المكتبة الفلسطينية

شارع السعدون ــ عمارة العطية ــ مقابل الخطوط الجوية العراقية

بغــداد ــ العراق

منشورات مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلــة

شؤون فلسطينية

تباع لدى وكيلنا في جمهورية مصر العربية

مكتبة مدبولي

١٤ شارع طلعت حرب ــ القاهرة

هاتف ٧١٣٩٦

طبع في مؤسسة منطورة للطباعة
تلفون : ٢٤١٤٧٠

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.